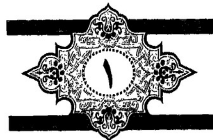




المعتقدات الدينية لدى الغرب

الدكتور
عبد الراضي محمد عبد المحسن



دراسات العالم الغربي

اهــــــــداء 2004

سفارة المملكة العربية السعودية

مصر

المعتقدات الدينية لدى الغرب

الدكتور
عبد الراضي محمد عبد المحسن

١٤٢١هـ/٢٠٠١م

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
عبدالمحسن، عبدالراضي محمد
المعتقدات الدينية لدى الغرب ـ الرياض.
٥٢٣ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٣-٥٩- ٧٢٦-٩٩٦٠
١ ـ اليهودية ٢ـ المسيحية أ ـ العنوان
ديوي ٢١٩ ٢١/٠٦٥٥

رقم الإيداع: ٢١/٠٦٥٥
ردمك: ٣-٥٩-٧٢٦-٩٩٦٠

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م

المحتويات

المقدمة

بات الشرق بحضارته وتراثه وعقائده ودياناته وأسراره ميداناً خصباً للدراسة والبحث من قبل الغربيين المتخصصين أو المستشرقين على حد سواء، والذين أثروا الفكر الإنساني بآلاف الدراسات المتنوعة في هذا القطاع من قطاعات العلوم الإنسانية.

ويرجع ذلك إلى أن الريادة في مجال الدراسات المقارنة في عالم اليوم قد انتقلت إلى الغرب بما توفر له من مناهج نقدية، وجهود دؤوبة ومتواصلة عكفت على تتبع التراث الديني للأمم والشعوب الأخرى: كشفاً، وفحصاً، وبحثاً، ونشراً للنصوص والوثائق، مما حقق له السيادة والغلبة في هذا الحقل بصرف النظر عن الروح العلمية التي تحكم نشاطه، والتي قد نختلف بشأنها ويدور الجدل كثيراً حولها.

لكن الذي لا نختلف حوله هو حاجتنا الماسة إلى سلسلة من الدراسات العربية الحديثة حول المعتقدات الدينية للغرب، وهو ما يحلو للبعض أن يسميه (الاستغراب) أي جعل الغرب موضوعاً للدراسة، تماماً كما يجعل الاستشراق من الشرق موضوعاً له.

ومثل هذا النوع من الدراسات المنشودة ليس هو بكل تأكيد ما تكتظ به أرفف المكتبات، وأرصفة باعة الصحف، والكتب الصفراء، مما تغلب عليه، وتوجهه روح الحماسة، والشعور الديني وقوالب الأحكام الجاهزة والمصكوكة، والمراجع التقليدية التي تحكي عقائد الآخرين دون تمحيص ودون تحمل عناء

الرجوع إلى مصادرهم ووثائقهم الأصلية، وهي نموذج لما يأخذه علينا الغرب ويتهمنا بسببه بالسطحية والعاطفية ومخاصمة العلم، فمثل هذه الكتابات مقطوعة الصلة بالمنهج العلمي.

كذلك فإن ما تفتقر إليه مكتبتنا العربية هو البحوث المقارنة التي تستند إلى نتائج الدراسات العلمية والإنسانية الحديثة بما تتضمنه من مناهج دقيقة، وأدوات، وآليات بحث جادة وجديدة.

ولعل هذه المحاولة المتواضعة التي نقدمها ترقى إلى المستوى المنشود أو تقاربه، أو لعلها تفتح باباً لمساعٍ وجهود أخرى تكملها وترتفع بها إلى ما يطمح إليه.

وقد تطلبت طبيعة هذه المحاولة الاستعانة بجهود ومناهج مدارس علمية متعددة مثل: مدرسة الأشكال الأدبية، واللاهوتيين الأحرار، ومناهج نقد النص، والنقد التاريخي، والنقد الشكلي، وبحوث تاريخ الأديان، وجهود العقلانيين.

كما اقتضت الإلمام بفروع وتخصصات متنوعة مثل: تفسير العهد القديم والجديد، فلسفة اليهودية والمسيحية، تاريخ الأديان، ثيولوجيا اليهودية والمسيحية، حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب.

كذلك استوجبت طبيعة المحاولة أن تكون اليهودية والمسيحية موضوعاً للدراسة لسببين:

أولهما: أن هاتين العقيدتين تشكلان الأساس الروحي والثقافي لحضارة الغرب، وذلك إذا أخذنا في الحسبان أموراً منها:

١ـ أن المسيحية تعُدُّ اليهودية المرحلة الأولى من تاريخ الخلاص أو العهد القديم، الذي تلاه العهد المسيحي الجديد.

٢ ـ ارتباط الكتاب المقدس في الديانتين، بل إن المسيحية في كثير من قضاياها وعقائدها امتداد لليهودية وإحالة عليها، وهي تقدس العهد القديم كتاب اليهود إلى جانب العهد الجديد.

٣ ـ تطلق الأدبيات المسيحية، وإصدرات المجامع البابوية، وكتب العقيدة المسيحية على أتباع الديانتين (اليهودية والمسيحية) أبناء إبراهيم توحيداً لهما، وربطاً بين تاريخيهما[١].

٤ ـ أن اليهودية أصبحت ديانة غربية كالمسيحية على الرغم من ميلادها الشرقي، وذلك راجع إلى الحياة في كنف الغرب حيث مصادر القوة، والسلطة، والمال، مما وثّق من الروابط والوشائج والعلائق بين الغرب واليهودية، لدرجة أصبح معها الغرب أكبر حارس للدولة اليهودية؛ إذ إن النسبة الساحقة من يهود العالم (الاثني عشر مليوناً) قد ولدوا في الغرب الأوربي ويحملون جنسيته. ومن يحيا من اليهود على أرض فلسطين المحتلة، فإنه يمثل الغرب ثقافة، وهدفاً، وانتماءً.

الثاني: أن الديانتين تطرح كل واحدة نفسها بديلاً ومخرجاً سماوياً لأزمة الإنسانية، وتقدمان عقائدهما وتشريعاتهما كانعكاس لنور الوحي والنبوة.

وقد امتزج هذا الطرح بمقولات الحضارة الغربية، وغدا نسيجاً في لُحمتها فأصبح الغرب بموروثاته وثقافاته، يُقدَّم في أدبيات الحضارة والفكر المعاصر باعتباره نموذجاً خلاصياً، ومنقذاً للإنسانية لا تملك إلا اقتفاء أثره، واللحاق بركبه إن أرادت النجاة.

ويحدد السبب الثاني من الأسباب السابقة ـ إلى حد بعيد ـ إطار المعتقدات التي ستكون مادة البحث، كما أنه يحدد المنظور الذي نتناولها من خلاله:

فإذا كانت المعتقدات الدينية للغرب (يهودية ومسيحية) تُطرح بديلاً ومخرجاً سماوياً لأزمة الإنسانية، وطريقاً إلى السعادة البشرية أضاءته أنوار الوحي وأرسته تعاليم النبوة، فذلك يعني أننا بصدد قضية تتعلق بأحد مصادر المعرفة

(١) Katechismus der katholischen Kirche, Lepzig - Schweis - Freiburg 1993.

وأصولها الثلاثة (العقل، والحس، والوحي)، مما يجعل من الحكم على ذلك الأصل لا يتأتى إلا في ضوء مدى انسجامه وتوافقه مع بقية الأصول، ويتحقق هذا الطريق الموضوعي بفحص كتب النبيين ورسائلهم التي تضمنت هذه المعتقدات؛ لبيان اتفاقها أو اختلافها مع العقول الصريحة ومع حقائق العلوم الحديثة ومعطياته، على أساس أن الوحي الصحيح لا يتصادم مع العقل الصريح أو مع نتائج العلوم الكونية التي يحصلها الإنسان بحواسه، وذلك لأن مصدر الثلاثة واحد.

أما الطريق الثاني للحكم فيتأتى بفحص هذه المعتقدات وبحث مدى انسجامها في ذاتها، وبذلك نكون قد جمعنا بين الطريقين الموضوعي والذاتي.

وبالنسبة لمنهج البحث، فقد فرضته خصوصية المحاولة، فجاء: وصفياً، تحليلياً، مقارناً، متجرداً من كل ميل أو تعصب لرأي أو وجهة، يستند في تقرير المعتقدات على المقبول والغالب لدى جمهور المعتنقين كما يصورونه بأقلامهم، فيكون رأي جمهور الملة هو ممثلها والمعبّر عنها، لا رأي طائفة منها.

ولن يقتصر التقرير على مجرد النقل والتقاط صور المعالجات من هنا أو هناك، وذلك حتى يمكن الاحتراز من خطأين:

أولهما: البدء بافتراض صحة مبدأ أو نظرية ما، ثُمَّ البحث عن الشواهد والبراهين التي تؤيد صحتها، فإذا ما أبت النصوص النطق بالمراد لم يكن هناك مفرٌّ من التعسف في التأويل وليٍّ أعناق الحقائق.

الثاني: الوقوف عند حدود الجزئيات مما يجرُّ في أعقابه الأخطاء وسوء التقدير.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة أبواب وخاتمة:

الباب الأول: المعتقدات الدينية اليهودية

وهو أربعة فصول:

١ ـ الفصل الأول: (النبوة)، وجاء في أربعة مباحث:

المبحث الأول (ماهية النبوة) سعي إلى الوقوف على ماهيَّة النبوة في اليهودية من خلال نصوص العهد القديم، واصطلاح علماء اليهود ومفكريهم.

المبحث الثاني (مـراتب النبوة) تتبع مراتب النبـوة ودرجات الوحي الثلاث: الآباء، موسى، الأنبياء التقليديين.

المبحث الثالث (أشكال النبوة) وهو رصد للأشكال الرئيسة الثلاثة التي ظهر فيها أنبياء بني إسرائيل: الأنبياء الفرادى، جماعات الأنبياء، النساء النبيات.

المبحث الرابع (معـايير النبوة) استخلاص لـمقاييس النبوة كما طرحهـا العهد القديم للتفرقـة بين الأنبياء الحقيقيـين والأنبياء الكذبة، تلك المشكلة التي باتت تهدد مؤسـسة النبوة في اليهودية ووقفـت معها تلك المعايير عـاجزة عن تقديم حلٍّ عمليّ أو موضوعي لها.

٢ ـ الفصل الثاني: (العهد القديم)

وهو فـحص لأسفـار العهـد القديم من زوايا أربع هي: القـانون، النصّ، السند، المتن.

٣ ـ الفصل الثالث: (المعجزة)

بيان لمفهوم المعـجزة وشروطها في اليهودية، وحصر لمعـجزات العهد القديم في ببليوجـرافيا تـاريخية، يتلوها بحث مـدى مطابقة مـعجزات هذه القـائمة لشروط المعجزة التي تواضع عليها علماء، ومفكرو، ورابيو اليهودية، ثم بحث مدى توافقها مع: مـعطيات العلوم الحديثة والحقائق التاريخيـة، والجغرافية التي سيقت في إطارها.

٤ ـ الفصل الرابع: (المسيح المنتظر وختم النبوة)

توضيح للأشكال الثلاثة التي ينتظره عليها اليهود، وهي: النبي، الملك، الكاهن، مع البرهنة على أن المسيح النبي هو الشكل الأصيل من أشكال المنتظر في اليهودية، والذي استطاع النفوذ الكهنوتي ـ إلى جانب العوامل السياسية ـ إضافة الشكلين الآخرين إليه، ثم في النهاية أُلبس المنتظر ثياب الخاتم، مما استلزم التعرض لقضية ختم الوحي والنبوة.

الباب الثاني: المعتقدات الدينية المسيحية

وهو فصول أربعة:

١ ـ الفصل الأول: (النبوة)، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول (ماهية النبوة) لَهَث وراء مفهوم واضح، أو تعريف محدد لماهية النبوة في العهد الجديد، ودراساته، أو في أدبيات مفكري ولاهوتيّي المسيحية.

المبحث الثاني (مراتب النبوة) كشف عن مراتب النبوة بقسميها:

أولاً: نبوات العهد القديم.

ثانياً: نبوات العهد الجديد ذات الفئات الثلاث:

١ ـ رسل المسيح.

٢ـ الأنبياء.

٣ـ المعلمون.

٢ ـ الفصل الثاني: (الكتاب المقدس)

وهو فحص للكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) كما تؤمن به المسيحية، وذلك من زوايا ثلاث: القانون، السند، النص، لمناقشة دعوى الإلهام في كتابته، ونقله.

٣ ـ الفصل الثالث: (المعجزة)

عرض لمفهوم المعــجزة ودورها في تأسيس المعتقد المسيحي، مع فـحصها في ضوء نتائج ودراسات النقد التاريخي، ونقد النصوص، وبحوث تاريخ الأديان، ومدى توافقها مع نتائج العلوم الحديثة.

٤ ـ الفصل الرابع: (المسيح)

وهو بحث وراء حقـيقـة المسيح بين التاريخ وعـقيدة مـؤلفي العهـد الجديد (الكيرجما)، وجاء في مباحث ثلاثة:

المبحث الأول (المسـيح الكيرجماتـي) عرض لخلاصة عـقيدة مؤلفي العـهد الجديـد في المسيح المعـروفة بالكيـرجمـا، مع بيان لعـوامل وظروف نشأتـها، والألقاب التي تجسدت فيها الكيرجما، وموقف المسيح من هذه الألقاب.

المبحث الثاني: (عيـسى النبي) يتناول اعتقاد معاصـري عيسى في نبوته، لما ظهر على يديه من علامات وأعمال ومعجزات نبوية، تلك الشواهد التي يرجع الفضل في الكشف عنها إلى جهود مدرسة الأشكال الأدبية.

المبحث الثالث (المسيح التاريخي) مـحاولة للإجابة عن السؤال الصعب: من هو عيـسى؟ وذلك بمسـاعدة منهج النقـد التاريخي الذي اسـتطاع الكشف عن حقيقة عـيسى الفعلية وذلك بمعزل عن المسيح الكيرجمـاتي، تلك الحقيقة التي تؤكد التطابق بين شخصية عيسى التاريخي وعيسى النبي.

الباب الثالث: المعتقدات الدينية لدى الغرب في ميزان الإسلام

وهو فصلان:

١ ـ الفصل الأول: حقيقة النبوة:

وقمنا فيـه بعرض التصور اليهودي والمسـيحي للنبوة في ضوء حقيـقة النبوة ومفهومهـا ومراتبها في الإسلام، ومن هم الأنبياء المعتـبرون والمقطوع بصحتهم ومن لا يجوز الاعتقاد في نبوته أو رسالته من وجهة النظر الإسلامية.

٢ ـ الفصل الثاني: دلائل النبوة:

وفيه قوّمنا اعتقاد الغرب في الكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والجديد، وكذلك المعجزات المتضمنة فيهما، وذلك في ضوء معايير دلائل النبوة في الإسلام، وإلى أي مدى يمكن القول بصحة وسلامة بعض المعتقدات الغربية في الكتاب المقدس ومعجزاته؟

أما الخاتمة: فعرضنا فيها نتائج فحص المعتقدات الدينية لدى الغرب في ضوء حقائق الوحي الإسلامي، وفي ضوء معطيات العلوم الحديثة، وكذلك دلائل العقول الصحيحة.

وهدفنا من الجمع بين دلائل العقول والعلوم الحديثة وبين الموقف الشرعي الإسلامي، أن نجعل تقويمنا شاملاً جامعاً، وأن تكون الهيمنة والكلمة النهائية للوحي، حتى نضمن سلامة الأحكام ودقة التصحيح، ففي كلمة الوحي فيصل التفرقة، والفرقان بين الحق والباطل.

وأخيراً نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وُفِّقنا فيما ابتغيناه من عرض المعتقدات الدينية للغرب كما يدين بها، وأن يكون تقويمنا لها من الجهة الشرعية، وكذلك العلمية والعقلية قد جاء بعيداً عن الهوى، وعن الزلل، وأن يكون سعينا نحو إظهار عمق الخلاف بين الغربيين من رجال الدين والباحثين، وكشف تناقضهم في تفسير معتقداتهم الأساسية وتقريرها قد كُلِّل بالنجاح.

ونسأله تعالى في النهاية أن يعلمنا ما جهلنا، وينفعنا بما قد نكون علمنا فله الحمد والمنة في البدء والختام.

دكتور

عبد الراضي محمد عبد المحسن

الرياض

٢٣ ذو القعدة ١٤٢٠هـ

الأول من مارس ٢٠٠٠م

البـاب الأول

المعتقدات الدينية اليهودية

(هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني،
إنهم بالباطل يعبدونني، فليس ما يعلّمون من
المذاهب سوى أحكام بشرية)

أشعيا (١٣/٢٩)

تمهيد

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بدأ عصر الاكتشافات العلمية الكبرى في مجال الحفريَّات والآثار والوثائق التاريخية، فمن تحت رمال الصحراء أخرجت إلى النور الآثار المنسية للثقافات والحضارات والأمم القديمة والبائدة: معابد الفراعنة ومقابرهم، أطلال معابد وقصور ملوك بابل وأور وأوغاريت، ومدن الرافدين وسورية.

وتمخضت أعمال السبر عن اكتشاف عدد هائل من الوثائق المكتوبة، ففي أطلال قصر الملك الأشوري في نينوى كُشف النقاب عن خمسة وعشرين ألف لوح طيني تحمل نصوصاً بالخط المسمارى عبارة عن مراسلات دبلوماسية، ورسائل بحث وصلوات ومؤلفات أدبية وأساطير دينية بما فيها ملحمة جلجامش التي تضمنت حكاية الطوفان.

وفي عام ١٩٠١م اكتُشِفت قوانين حمورابي في مدينة سوزا، وهي من إنجازات الألف الثانية قبل الميلاد.

وبعد أن فك الفرنسي شامبليون رموز اللغة الهيروغليفية على حجر رشيد، واكتشف الألماني غروتيفيند أسرار الرموز المسمارية، أصبح بالإمكان لأول مرة تحصيل معرفة موسعة ودقيقة عن: السومريين، والبابليين، والآشوريين، والكلدانيين، والفينيقيين، والفلسطينيين، والحثيين، والفرس، والآراميين، والمصريين، معرفة كشفت عن ثقافات هذه الشعوب، ودياناتها، وعاداتها.

ونتيجة لهذه المعرفة بات مؤكداً لدينا أن المعتقدات الدينية اليهودية ما هي إلا

مجموعــة من التعاليم والشرائع والحكم والوصايا والآراء والأســاطير التي كان أكثرها معروفاً لدى هذه الشعوب عبر تاريخها الديني الطويل.

ومن ثمّ، فإن صــعوبات جمــة تعترض ســبيل محــاولة الفصل بين الوحي والأسطورة في المعتــقدات الدينية اليــهودية تمهيداً لاســتخلاص هذه المعتــقدات وفحصها في ضوء العقل ومقررات المعارف والعلوم الحديثة، لأن أساطير الأمم السالفة وعاداتها وعباداتها وعقائدها قد استلهمتها أقلام محررى الكتب المقدسة لدى اليهود؛ إما لفظاً وإما معنى ومضموناً.

الفصل الأول

النبـــــوة

(ليعلم إسرائيل أن النَّبي غبيّ ورجل الروح مجنون)

هوشع (٧/٩)

تمثل النبوة أحد المفاتيح الهامة لفهم الديانة اليهودية؛ نظراً لارتباط التاريخ اليهودي بتاريخ النبوة من جهة، ومن جهة أخرى للدور الهام الذي قامت به الأنبياء في تاريخ بني إسرائيل في إطار المنظومة الإسرائيلية: شعب الله المختار، الذي يهوه إلهه، والملك الملهم قائده، والنبي مرشده الديني والروحي.

وتكشف تلك المنظومة لا عن عنصرية التصور اليهودي للألوهية فقط، بل أيضاً عن عنصرية يهودية في فهم النبوة، تلك العنصرية التي ترتب عليها حصر تاريخ النبوة في بني إسرائيل فقط، واستبعاد أي تصور لوجودها خارج المحيط اليهودي.

ولم يقتصر تأثير العنصرية اليهودية على هوية النبوة، بل تعداه إلى طبيعة النبوة ذاتها، إذ أُدْخلت تعديلات جوهرية وكثيرة من قبل محرري تاريخ النبوة في العهد القديم على مراتب الأنبياء ومكانتهم، بما يخدم فكرة هوية النبوة كظاهرة قومية يهودية.

فإذا ما أضفنا إلى دور تلك التدخلات، امتداد الفترة التاريخية لظاهرة النبوة اليهودية، وكثرة عدد أنبياء بني إسرائيل كثرة تناسب تمردهم الدائم على الألوهية والنبوة، وارتدادهم المتكرر عن عقيدة التوحيد، وتجاوزاتهم الأخلاقية والاجتماعية المتأصلة في نفوسهم، فإننا نكون قد أدركنا صعوبة محاولة الولوج إلى أغوار تلك المسألة الشائكة، التي نأمل في التغلب عليها بتناول هذا الفصل في مباحث أربعة تمثل العناصر الفاعلة في صياغة طبيعة النبوة اليهودية، وهي تتداخل وتتشابك لتشكل معاً مدخلاً للوقوف على طبيعة الظاهرة، واستخلاص المعتقد اليهودي فيها.

المبحث الأول
ماهية النبوة

أولاً: النبوة في اللغة

ليس من السهل على الباحث في ماهية النبوة اليهودية العثور على مفهوم دقيق أو واضح المعالم ومحدد القسمات للفظة «نبيّ נָבִיא » في اللغة العبرانية، إذ تدور تخمينات الباحثين حول المعاني التالية»[1]:

١ ـ «ينبع»، أو «يتفجر»، أو بتعبير آخر «انفجر فيه أو اندفق فيه»، على أن الكلمة مأخوذة من كلمتين هما «نون Non»، «بيت Beth» وبذلك يكون النبي هو الذي اندفق فيه الروح، واستناداً إلى ذلك فهو يثور ويفور، بسبب النظرة التقليدية للأنبياء على أنهم الهائجون المندفعون.

٢ ـ «أعلن» أو «أخبر» على أنها مشتقة من الفعل «نبأ» في اللغة العربية، إلا أن المقصود به في العبرية التخصيص بالإعلان الإلهي (إعلان الوحي).

٣ ـ «ينادي» على أن الكلمة مشتقة من الأشورية من الفعل «نابو nabu» الذي يتضمن أيضاً فكرة التفجر والاندفاع، فالكلمة «منبو Manbu» تعني الينبوع أو النافورة، والكلمة «نبهو Nibhu» تعني النبع الصغير.

٤ ـ أنها اسم لأحد الآلهة الأشورية «نبو Nebo» رسول الآلهة والمتحدث بلسانهم.

---

(1) Hubert Irsigler , Prophetie und Propheten literatur, S : 26 - 27.

- J.Jeremias , ThAT II (1976) S: 7 .

- Walter Yast (ed) : Encyclopedia Britanica (Art. prophet) P. 586 .

وانظر بالعربية: محمد خليفة حسن / ظاهرة النبوة الإسرائيلية / ص ٢٥ ـ ٢٧ .

٥ ـ «نعوم ne, um» من الفعل «نعم na, um» ومنه اشتقت العبارة «نعوم يهوه» أي المتكلم بوحي الله.

٦ ـ الداخل في معاملة أو صلة مع الله، على أن هناك صلة بين الفعل «بو» ومعناه «يدخل في» وبين الكلمة نبي.

ويدل مجمل هذه التفسيرات الغامضة على أن المعنى المرتبط بالكلمة لا يزال قيد الإبهام:

فالمعنى الأول لا يتضمنه الفعل «يتدفق أو ينفجر»، والثاني والثالث والرابع بعيد عن المنطق إذ لا يعقل أن يستعمل لفظ أجنبي عن العبرية في التعبير عن ظاهرة قومية وحيوية للشعب الإسرائيلي، ويفترض الخامس صلة مع فعل آخر، ويعالج السادس جزءاً من الكلمة فقط.

وقد أفضى هذا الإبهام للقول بأن كلمة النبي والنبوة دخيلة من اللغة اليونانية، لا تتضمن في العبرية أي معنى مناسب دقيق[١].

ثانيا: النبوة في العهد القديم

وردت في العهد القديم عدة فقرات تلقي الضوء على المعنى المرتبط بكلمة النبوة:

١ ـ جاء في سفر التكوين: (ثم دعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يكون لكم في لاحق الأيام)[٢].

وفي سفر العدد: (والآن هاءنذا منصرف إلى قومي. تعال أنبئك بما يصنع ذلك الشعب بشعبك في آخر الأيام)[٣].

وتدل النبوة في العبارتين على الإنباء بالحوادث المستقبلة.

(1) H. Irsigler , Prophetie und propheten Literatur , S : 23.

- Walter Yast (ed) : Encyclopedia Britanica (Art. prophct) p. 586. vol. 18 .

(٢) التكوين (٤٩ / ١).

(٣) العدد (٢٤ / ١٤).

٢ ـ جاء في سفر الخروج: (فقال الرب لموسى: انظر ! قد جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيَّك؛ أنت تتكلم بما آمرك به. وهارون أخوك يخاطب فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه)(١).

وفي موضع آخر من سفر الخروج يقول يهوه:

(أليس هناك أخوك هارون اللاوي؟ إني أعلم أنه فصيح اللسان، وها هو أيضاً خارج للقائك، وحين يراك يسر في قلبه، فتخاطبه وتجعل الكلام في فمه، فإني أكون مع فمك وفمه، وأعلمكما ما تصنعانه وهو الذي يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فمٌ، وأنت تكون له إلها)(٢).

ويقصد بالنبوة هنا الكلام أو التحدث نيابة عن إله، إذ هارون النبي فم لموسى، وموسى بالنسبة له إله.

وأعتقد أن هذين النصين الأخيرين من أبرز وأوضح نصوص العهد القديم التي تتحدث عن النبوة، فإلى جانب محاولة تحديد ماهية النبوة يكشف النص عن بعض سمات النبي والنبوة معاً، فالنبي يحمل معه سلطة وتأييداً إلهياً، إذ فم الرب مع فمه، كذلك يعلمه الرب ما يصنع، وذلك على الرغم من:ـ

أ ـ أن هناك بعض النصوص التي تنقض هذين النصين أو على الأقل تصادمهما، فتجعل مصدر النبوة هو الأرواح الشريرة وليس إله إسرائيل، كالذي ورد مثلاً في سفر صموئيل الأول:

(وكان في الغد أن اعترى شاول الروح الشرير من لدن الله فأخذ يتنبأ في داخل بيته)(٣).

---

(١) الخروج (٧ / ١ ـ ٢).

(٢) الخروج (٤ / ١٦).

(٣) صموئيل الأول (١٨ / ١٠).

والذي ورد في سـفر هوشع: (ليـعلم إسرائيل أن النبي غـبيّ ورجل الروح مجنون)[١].

ويميل الدارسون إلى أن المقـصود بهذه النصوص هم الأنبـياء الكذبة، وليس الأنبياء الحقـيقيين، إلا أن هذا التفسيـر ينقصه الاستدلال، ويناقـضه عدم كون شاول بين الأنبياء الكذبة.

لكن يبقى أن المعنى الذي طرحه سفر الخـروج للنبوة هو السائد وشبه المتفق عليه بين دارسي العهد القديم[٢]، وهو الذي اعتمدته الترجمة الـسبعينية حينما استـخدمت الكلـمة اليونـانية (prophetes)، وتعني شارح أو مـفسـر كلمات الوحي والمتحدث باسم الإله، ومبلغ إرادته وتوجيهاته[٣].

إلا أن مفـهوم النبي في العبرية وإن كـان يلتقي من هذا الوجه مع مـا تعنيه الكلمـة اليونانيـة (prophetes بروفـيتس)، لكـنه يختلف عـنها في الجـوانب التالية[٤]:

١ ـ البروفيتس حرٌّ في نقل كلمات الوحي وشـرحها وتفسيرها، بينما النبي في اليهودية، ينقل ويبلغ ما ينطق به يهوه فقط.

٢ ـ البروفـيتس ينقل ويفسِّر كلمـات الوحي السوداء (الغامـضة) التي تنطق

(١) هوشع (٩ / ٧).

(2) Bernahrd Lang , Wie wird man Prophet in Israel ? , S : 11

- Adel Theodor Khoury , Lexikon religioeser Grundbegriffe, S : 859.

(3)Theologischen Woerterbuch zum Neuen Testament , Hrsg von: Gerhard Friedrich , Band II , S : 795 , 829 .

(4) H. Irsigler , Prophetie und propheten Literatur , S : 24 - 25

Klaus Koch,Die Propheten 1 . 17 .

وتهمهم بها الوسيطة (بيتيا pytia)، بينما يبلغ النبيّ العبريّ ما يلقيه يهوه في فمه.

٣ ـ لا يتضمن مفهوم البروفيتس اليوناني فكرة التنبؤ بالمستقبل.

ب ـ ورود العديد من الأسماء والألقاب المعبرة عن النبي أو بعض وظائفه، مثل:

١ ـ الرائي (Roa)

وهو صفة تشير إلى قوة رؤية بصرية أو قلبية فوق طبيعة من خلالها يستقبل الرائي الوحي أو يتصل بإلهه، ويستخدم العهد القديم هذا الاسم كمرادف للفظة النبي كما يظهر في سفر صموئيل الأول: (وكان فيما سبق إذ أراد الرجل في إسرائيل أن يذهب ليسأل الله يقول: هلم نذهب إلى الرائي، لأن الذي يقال له اليوم النبي كان يقال له من قبل راء)[١].

والرائي بهذا المفهوم ليس مصطلحاً عبرياً خالصاً، إذ اكتشف في تل دير علا بالأردن عام ١٩٦٧م مكتوب يرجع تاريخه إلى عام ٧٥٠ ـ ٦٥٠ قبل الميلاد يحوي اثنين من أقوال وأحكام أحد الرائين بلهجة آرامية ذات مسحة كنعانية[٢].

كذلك يحكي سفر العدد عن بلعام الرائي الذي مارس الرؤية شرق الأردن خارج محيط بني إسرائيل[٣].

---

(١) صموئيل الأول (٩ / ٩)، ويرى فلهاورزن أن هذه الآية لم تكن بمتن العهد القديم، وإنما نقلت من الهامش إلى النص، وأن هذا الاستخدام ليس صحيحاً تماماً، إذ إن كاتب الإصحاح يعرف تمام المعرفة كلمة النبي، لكنه لم يشأ أن يطلقها على صموئيل إلا بمعنى الانجذاب المميز للدراويش، وبمعنى مختلف عن معنى الرائي وكذلك بطبيعة الحال مختلف عن معنى لقب النبى المسحوب على كل من أشعيا، إرميا.

(2) J , Wellhausen , Prolegomena zur Geschichte Israels, S : 271 .

- H. Irsigler , Prophetie , S : 30 .

(٣) العدد (٢٢ / ٢٤).

٢ ـ الناظر (Hozaa)

وهو لقب يفيد أيضاً تمتع صاحبه بقوة إبصار فوق عادية، واستعماله أقل من لقب الرائي، وإن كان المصدر من جذر هذه الكلمة قد جاء عنوانا للإصحاح الأول في سفر أشعيا[1].

وهذا الفعل ليس عبرياً، بل مستعار من الآرامية[2].

ويلاحظ أن الرائين والناظرين لم يعملوا كجماعات مثل جماعات الأنبياء، بل عملوا فرادى.

٣ ـ رجل الله (Gottesmann)

وهو مصطلح يشير إلى علاقة النبي بيهوه، تلك العلاقة التي يستمد منها النبي قوة إلهية فائقة يمارس من خلالها أعمال النبوة، وتمكنه من الإتيان بالخوارق والمعجزات.

وأبرز من أُطلق عليهم لقب رجل الله هم: صموئيل[3]، إيليا[4]، إليشاع[5].

٤ ـ حالم الأحلام (holem halom)

وهو مستخدم جنباً إلى جنب مع لفظة النبي بدون تفرقة، إذ كلاهما يقدر على الآيات والخوارق كما يذكر سفر التثنية[6].

ويُطرح الحلم في مواضع أخرى كوسيلة من وسائل الوحي الذي يدعيه النبي

(١) أشعيا (١ / ١).

(٢) H, Irsigler , Prophetie, S: 31 .

(٣) صموئيل الأول (٩ / ٦، ٨، ١٠).

(٤) الملوك الأول (١٧ / ١٨، ٢٤)، الملوك الثاني (١ / ٩ ـ ١٣).

(٥) الملوك الثاني (٤ / ٧ ـ ١٣، ١٦ ـ ٢٧).

(٦) التثنية (١٣ / ٢ ـ ٦).

الحقيقي والنبي الـكاذب على السواء، فدانيال يمسح على نفسه الشـرعية بقدرته على تفسير الأحلام[1].

إلا أن هذا النوع من وسائل الوحي لا يعد ظاهرة جـديدة اختص بها تاريخ الدين الإسـرائيلي، بل إن شخـصيـة حـالم الأحلام في العـهد القـديم تكرار لشخصية مفسر الأحلام في قـصور الفراعنة ومعابدهم في مصر، وبلاد ما بين النهرين، وأشور[2].

٥ ـ عدد من الأسماء والألقاب الأخرى كـ: الحارس، ملاخ يهوه، الراعي، رجل الروح، المجنون، وهي تزيد من صـعوبة مـحاولة تحـديد المقصـود بلفظ النبي على وجه الدقة.

واستناداً إلى تلك الصـعوبات التي تكتنف البحث في مـعنى النبوة، ذهبت مدرسة النقـد الحديثة إلى أن النبوة ظاهرة غـريبة عن اليهودية، وقد اسـتعارها اليهود من البيـئات المجاورة في الشرق القديم، وألبسوها عدداً من شـخصياتهم التاريخية، ويقوم مجمل هذا التصور على ما يأتي[3]:

١ ـ عدم وجود أصل لغوي لكلمة «نبيّ» في اللغة العبرية بمعناها الاصطلاحي.

٢ ـ تطابق مظاهر النبوة العبرية مع ملامح العبادات المتبعة في الشرق القديم ومراسمها، وعلى وجه الخصوص لدى الكنعانيين.

٣ ـ علاقة أنبيـاء العبرانيين بالملكية التي جعلتهم كمـوظفين حكوميين، كما هو الشأن في كنعان.

---

(١) دانيال (١ / ٢٠، ٢ / ٢، ١٠، ٢٧، ٤ / ٤ ـ ٦).

(2) Klaus Koch , Die Propheten , S : 19 - 23 , 26 .

- Theologisch Worterbuch zum Alten Tesament , SP : 147 - 148 .

(3) Theologisch Worterbuch zum Alten Tesament , SP : 147 - 148 .

- Klaus koch, Die Propheten , S : 19 - 23 , 26 .

٤ ـ تناقض مظاهر النبوة والأنبياء في العهد القديم وتعارضها.

وهذا الرأي وإن كان يصيب كبد الحقيقة من وجه إلا أن الصواب يجانبه من وجه آخر، والسبب في ذلك الخلط أن الدارسين لا يريدون أن يفصلوا بين اليهودية بوصفها ديانة، وبين العهد القديم بوصفه كتاباً لهذه الديانة، ويصرُّون على حصر اليهودية في ديانة العهد القديم، وفي ذلك بتر للحقيقة.

فالنبوة وإن كانت تبدو من خلال نصوص العهد القديم غريبة عن محيطه، مما يجعل القول بأنها وافدة إلى عالمه من البيئات المجاورة أمراً عسير المجابهة، إلا أننا يجب أن نعالج تلك الحقيقة في إطار ما يلي:

أولاً: إن العهد القديم ليس الكتاب الوحيد الذي صدر عن الشعب العبراني، بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تعد كتباً يعول عليها[١].

وهذا هو الخطأ الأكبر الذي انزلقت إليه الدراسات الحديثة والمعاصرة التي أخذت على عاتقها بحث ظاهرة النبوة الإسرائيلية من خلال نصوص العهد القديم وحده، ليس كأساس بنيت عليه الظاهرة، لكن كمرجع ومصدر وحيد بلا منازع لهذه الظاهرة[٢].

---

(١) مقدمة العهد القديم للكاثوليك / ص: ٤٧. دار المشرق بيروت ١٩٨٩م.

(٢) انظر: بالإنجليزية والألمانية مثلاً:

- Schmidt , J. M / Prophetie .
- Duhm , B / Israelspropheten .
- Tucker , G , M / Prophecy and the prophetie literature.
- Blenkinsopp , J, / Ahistory of Prophecy in Israel : From the Settlement in the Land to the hellenistic Period .
- A . J , Heschel / The Prophets .

وانظر: بالعربية: =

وقد يسمح بالتماس عذر إذا ما كان البـديل مجهولاً أو خلافياً، لكن الشأن يختلف في هذا المقـام إذ تعد كتـابات الأحبار والربانيين اليـهود صيـاغة لنمط الحياة والتفكير والدراسات اليهودية عبر آلاف السنين(١).

وتعدد البروفيسورة «بنينا نافي لفنسون» الأستاذة بجامعة القدس أسماء بعض تلك المؤلفات التي تُلقيت بالقبول والتقديس في الأوساط اليهودية بوصفها تتمة للعهد القديم. أو تفسيراً له، أو كتب عبادات ومعاملات(٢):

أ ـ الترجمة الآرامية للعهد القديم (تارجوم)

وهو تقريب لنص العهـد القديم بلغة عامية آراميـة، وكان تداوله شفاهة ثم جمع وكتب؛ ليسـتعمل في الصلوات اليهودية، ويقرأ حـتى اليوم في المعابد. ويرجع تاريخ نشأته إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

ب ـ كتاب الصلوات

مؤلَّف قـام به علماء العـهد القـديم، ويمثل صُلب صلوات الرجاء الثـماني عشرة، ويشكل إلى جانب المزامير وبعض قطع ونصوص العهد القديم الأخرى عماد الحياة الروحية اليهودية، وكذلك يحدد رتم صلوات الأعياد.

جـ ـ حِكَم الآباء

وهو خليط من مـيراث الآباء وتعـاليم الأحبار، وقـد تشكل في الفـترة من

= ـ ظاهرة النبوة الإسرائيلية / دكتور محمد خليفة حسن.

ـ النبوة والأنبياء / أحمد عبد الوهاب.

ـ م. ص. سيجال / حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل / بترجمة حسن ظاظا.

(1) Pnina Nave Levinson / Einfuhrung in die rabbinische Theologie / S : 4

- Phillip Sigal / Judentum , S : 107 .

(٢) السابق: المرجع الأول / ص: ٤ ـ ٨، وانظر أيضاً: المرجع الثانى / ص: ١٠٧ ـ ١١٤.

القرن الثاني قبل المسيح حتى القرن الثاني بعده، ويضم فصولاً من المشناه وفصولاً من التوراة، وعن الإرشاد الإلهي، ويستخدم في بعض الصلوات.

د ـ المشناه

وهو مجموع مقنن من تعاليم الربانيين والأحبار، قام بتحريرها الرابي يهودا حوالي عام ٢٢٠ بعد المسيح في فلسطين وهي عبارة عن ٦٣ مبحثاً تتكون من فصول هي:

الزراعة ـ الأعياد ـ الزواج ـ العقوبات ـ العبادات ـ الطهارة.

والنص الأولي مكتوب بالعبرية التقليدية، والمفردات والمعاني من العهد القديم وقد دخلها كثير من الألفاظ اللاتينية واليونانية.

ز ـ التكملة

وهي مجموع مواز للمشناه، يكبره في الحجم بأربعة أضعاف، إذ تحوي المادة التي تركها الرابي يهودا ولم يضمها إلى المشناه، وتحمل القطعة منها عنوان (المستبعد)، وقد حوى التلمود والمدراشا كثيرا من هذه القطع المستبعدة، ومستبعدات أخرى غيرها، وأهم هذه المستبعدات هي التي تسجل الجدل الدائر حول قيامة الموتى.

س ـ المدراشا

وتعني التفسير، وهي تحوي مجموعاً من تفسيرات العهد القديم بدءاً من العصور المتأخرة حتى العصور الوسطى، وبعد طباعتها وتداولها بقيت كتباً شعبية، وقد نشأت عبرية اللغة وآرامية.

س ـ التلمود الفلسطيني

ويحتوي على المناقشات التي دارت بين الأحبار اليهود في فلسطين بشأن

المشناه في القرن الثالث والرابع الميلاديين، وتسمى هذه المناقشات «الجمارا»، وقد كتبت بلغة خليط من العبرية والآرامية الغربية، وقد عولجت فيه تعليمات الزراعة في فلسطين بتوسع، ويشتمل على ٣٩ فصلاً من المشناه، ولم يحظ بأية عمليات تحرير.

ش ـ التلمود البابلي

ويضم المناقشات التي دارت بين الأحبار حول المشناه في بلاد بابل (العراق) من القرن الثالث حتى السادس، ويضم منقولات عن حوالى (٢٠٠٠) ألفين من الأحبار والربانيين اليهود في بابل وفلسطين، ويحوي ٣٧ فصلا من المشناه.

ويعد هذا التلمود تجسيداً للعلم اليهودي، أو التلمود الحقيقي، وكتب بلغة خليط من العبرية والآرامية الشرقية. وقد تعقب المسيحيون معظم نسخ هذا الكتاب الخطية والمطبوعة بالحرق والإبادة نظراً لما يتضمنه من عقائد، لكن بدأ يعاد البحث فيه من جديد منذ مطلع القرن التاسع عشر.

ص ـ شعر المعبد

يرجع تاريخ نشأته إلى بداية القرن الثالث حتى الثامن عشر، وبدأ أولاً في فلسطين، ثم في بابل، وإيطاليا، وشمال إفريقيا، واليمن، وأسبانيا، وألمانيا.... إلخ.

وأنماط هذا الشعر وأسلوبه ترجع إلى ذوق العصر الذي كتب فيه، وتعكس لغته تاريخ اللغة العبرية، وقام بتأليفه حوالي ٣ آلاف من بينهم كثير من رواد الربانيين والأحبار.

ويشتمل على ١٠ آلاف ترنيمة للصلوات، والاتجاه العقائدي جلي في هذا الشعر، وإن كان متأثراً بالشعر الوجداني الديني لدى المسلمين والمسيحيين.

ض ـ كتابات الجاؤونيين (المؤلفات الجاؤونية)

ترجع نشأتها إلى القرن السابع حتى الحادي عشر في بابل بعد إتمام التلمود، والجاؤون لقب كان يحمله مدير المدرسة اليهودية العليا، ومعناه «صاحب السعادة أو صاحب المعالي».

وتشمل قائمة أسماء الجاؤونيين مؤلفي هذه الكتابات حوالي مائة من كبار الشخصيات اليهودية.

وقد بدأ الجاؤونيون جمع وتنظيم القانون اليهودي غير المنظم في التلمود، إذ كانوا جهة الاختصاص العليا لكل اليهود في ذلك الأمر، فكانوا يجيبون على الأسئلة التي تأتي إليهم من آسيا وأفريقيا وأوربا، فكان ذلك بداية لأدب الفتوى، وإلى جانب ذلك قاموا بتأليف أول مجموع معروف للصلوات والطقوس اليهودية، وكتبوا تعليقاً على العهد القديم، وأسسوا التصور الجديد ليهودية ما بعد التلمود.

وكان من أبرز الشخصيات الجاؤونية وأكثرها نشاطاً سعديا الفيوما (٨٩٢ ـ ٩٤٢ م) (القرن الثالث ـ الرابع الهجري) والذي اشتهر كفيلسوف ديني ومترجم للعهد القديم إلى العربية.

ط ـ أعمال المتقدمين

وهي عبارة عن مؤلَّف من مدونات القانون اليهودي في القرن الحادى عشر حتى السادس عشر الميلادي (الخامس ـ العاشر الهجرى)، عرفت من خلال انتقال التراث اليهودي من بابل إلى الغرب، وأهم أجزائها هي التي قام بها إسحاق الفاسي (القرن الحادي عشر) في الجزائر، وموسى بن ميمون (القرن الثاني عشر) في مصر، ويعقوب بن أشير (القرن الرابع عشر) في أسبانيا، ويوسف كارو (القرن السادس عشر) في تركيا وفلسطين.

وقد كونت هذه المجموعة أعمال ثلاث فئات من الأحبار: الأطباء، رجال الدولة، شراح العهد القديم والتلمود، هذا بالإضافة إلى مجموعة مؤلفات لرجال فلاسفة الأديان والشعراء من بين الطوائف المختلفة.

وتكشف هذه الأعمال عن الصراع والجدل الدائر بين الأحبار حول الفلسفة والتصوف.

واللغة المكتوبة بها كالعادة: عبرية، آرامية، عربية، وإن ظهرت أيضا اللغات الأوربية لكن بأحرف عبرية، ويمكن القول بأنها تمثل خليطاً من أغانٍ وروايات عالمية، وأدب الفكاهة، وعلم ترجمة العهد القديم، وترانيم الصلوات، وأدب الأساطير.

ظ ـ أعمال المتأخرين

خلال القرن السادس عشر وحتى الثامن عشر اقتضى تزايد التوظيف الفلسفي والصوفي، وكذلك الاعتراف بالمجتمع اليهودي في الشرق والغرب كفئة دينية وعرقية، تدخل سلطة الأحبار لحسم النزاعات الناشئة في المناسبات الدينية، وإصدار القوانين والفتاوى الملائمة.

وقد تجلى ذلك في موسوعة القوانين التي قام بإصدارها القانوني والمتصوف يوسف كارو الذي عاش في تركيا والجليل وتوفي عام ١٥٧٢م، وظهرت باسم «المائدة الطويلة Schulchan Aruch».

بالإضافة إلى ذلك أعقبت صدمة المسيح المنتظر على يد مدعي المسيحانية (ساباتاي تسفي ١٦٦٦م) في تركيا اعتناق كثير من اليهود للإسلام أو المسيحية، في الوقت نفسه اشتدت حركة العودة إلى الذات والقومية الإسرائيلية، وكذلك إلى «الدروشة أو التصوف» اليهودي، مما أدى إلى ظهور الدعوة إلى الكشف

عن المعتقدات اليهودية لجميع اليـهود، وعدم قصرها على الأحبار، وتجلى ذلك الصراع في صورة كتابات عبرية كثيرة.

ع ـ أعمال المحدثين

منذ نهاية القرن الثامن عشر، وعـقب الاعتراف بحق اليهود في وطن قومي مستقل، بدأ وضع القوانين الدينية التي ستنظم دولة إسرائيل الحديثة التي ما زال العمل جارياً بها حتى اليوم، ويمكن التفرقة في هذا الصدد عقائدياً وتنظيمياً بين مجموعات ثلاث من الأحبار:

١ ـ الأرثوذوكسية القديمة التي تعارض أي اتجاه تجديدي.

٢ ـ الأرثوذوكسية الغـربية الحديثة، التي تضع التراث في مواجـهة الحضارة والعلوم الحديثـة، لكن دون تقديم تغيـير في مفـهومها للعـقيدة أو في وظيـفة العقيدة في الوقت المعاصر.

٣ ـ الحركة الإصلاحية، التي تنظر إلى التراث بعين التقدير، لكن مع مراعاة الفروق في الوظيفة العقائدية للتراث في الزمن الحالي.

.تظهر هذه المجـموعات الثـلاث في أعداد وفيرة مـن الكتب والمصادر التي ظهرت بالعبـرية وباللغات الأوربية، لكنها تعرضـت للتعقب والإبادة في بعض الحالات التي يجري الآن إخراجها للنور بوساطة الناجين من التعقب.

وجـدير بالإشارة أن هذه القـائمة الطويلـة من الكتابات المذكـورة لا تنطوي على أهمية علميـة فحسب، بل على أهمية عقائدية كبـرى في حياة اليهودي، كمـا يقرر الرابي (باخيـا بن باكودا) الذي عاش في أسـبانيا في القـرن الحادي عشر، وذلك في كتابه «واجبات القلوب» الذي أصبح دليلاً لليهود[1]:

(1) Levinson / Einfuhrung in die rabbinische Theologie / S : 10 .

«لكي نحصل على فهم صــحيح لدينا، يجب علينا أن ندرس علم اللاهوت كأسمى العلوم وأعـلاها؛ ولهذا السبب أعطانا الخالق: الـعقل، توارة موسى، تراث الرابيين والأحبار كميراث للنبوة».

كذلك ينص التلمود على أن: «الخطأ في التـوراة ذنب بسيط، أما الخطأ في التلمود فكبيرة عـقوبتها الموت»(١)، وأن: «من يشتم الله ـ تعـالى ـ أو الأنبياء يؤدب، أما من يشتم الأحبار فيقتل»(٢).

ويجب ألا يفهم من ذلك أن النبوة في التلمود أو في تراث الرابيين والأحبار أكثر إشـراقاً، أو وضوحاً، أو رسوخـاً، فهذا ليس مقصـدنا، وإنما المقصد هو التنبيه على خطأ معالجة قضية النبوة من خلال مصدر وحيد هو العهد القديم.

لكن الاحتراز من مثل تلك المعالجات تكتنفه العديد من الصعوبات العلمية، والعقائدية، والتاريخية، فعلى سبيل المثال: ـ

١ ـ ليس هناك تحديد لمراتب الأهمية والقداسـة في مصادر الديانة اليهودية، مما تصعب معه ليس فـقط دراسة قضية مثل النبـوة، ولكن أيضاً الحصول على صيغة محددة لقواعد الإيمان في اليهودية، يقول فيليب سيجال:

«لم تعرف اليهودية كتاباً أو مصدراً يقـود إلى تعريف أو مفهوم محدد لماهية اليهودية يستطيع المرء به أن يفرق بين اليهـودي وغيره. ولقد وجدت محاولات عديدة لتحديد جهـة الاختصاص في اليهودية لكنها باءت جمـيعاً بالفشل بدءاً من التماسها في العهد القديم، مرورا بالمدراشا والتلمود، وانتهاء بنتاج مفكري العصور الوسطى والمعاصرة» (٣).

(١) د. محمد عبدالله الشرقاوى: التلمود/ ص: ١٣-١٤، ظفر الإسلام خان/ التلمود/ ص: ٣٠-٣٢.

(٢) السابق، وانظر: كذلك ابن حزم / الفصل (١ / ١٦٤).

(3) Phillip Sigal / Judentum / S : 241 .

٢ ـ تأخر ظهور الدراسات العلمية التي تكشف عن مصادر اليهودية بخلاف العهد القديم، والتي تكشف عن ماهية تلك المصادر وأهميتها.

٣ ـ ندرة نسخ التلمود وصعوبة الحصول عليه، وهو أهم تلك المصادر، وأشملها[١].

٤ ـ سرية تداول مصادر اليهودية وتناقلها؛ نظراً لما تحويه من عقائد عنصرية، ومواقف عقائدية وعدائية تجاه البشرية عامة والإسلام والمسيحية على وجه الخصوص، مما أدى إلى تعرضها لمحاولات إبادة من جانب السلطات الحاكمة[٢].

٥ ـ لم يكن البحث في مثل تلك المسائل مباحاً لكل الناس بحسب أمر التلمود[٣].

٦ ـ لا يبيح التلمود الكتابة في مثل تلك الأمور، التي يجب تناقلها شفاهة[٤].

ثانياً: أن العهد القديم كتب على فترات تاريخية طويلة وبأيدي مؤلفين متعددين يمثلون ثقافات وبيئات وتوجهات مختلفة[٥].

ثالثاً: أن النص الأصلي للعهد القديم مفقود، وما بأيدينا الآن عبارة عن مستخرج من عمليات التحرير المتعاقبة التي تعرض لها على يد عزرا أولاً، ثم على يد محرري مدرسة تثنية الاشتراع، وما أعقبها من مراحل[٦].

(١) د: محمد عبد الله الشرقاوى / التلمود / ص: ٣٩.
ظفر الإسلام خان / التلمود / ص: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) السابق.

(٣) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ١٧٩.

(٤) السابق.

(5) Werner H. Schmidt / Einfuhrung in das Alt Testament /S : 17 .

(٦) مقدمة العهد القديم للكاثوليك / ص: ٦٠.

رابعاً: أن ما كتب عن النبوة في العهد القـديم ـ أيضاً ـ تم عبر فترات زمنية طويلة تمتد إلـى ما يزيد عن مائة عـام، ولحقت به إضـافات ومحـاولات دائبة لتحديثه وعصرنته خلال فترة السبي[١].

خامسـاً: أن الحقيقـة التاريخية للعـهد القديم، وإن كان يحـيطها من الشك والغموض ما يجعلها غير جديرة بالقبول والتسليم المطلق، إلا أنها تختلف عن الحقيقـة التاريخية الراسخة لديانة بني إسرائيل؛ كـديانة سماوية الأصل، ترتكز جذورها على الوحي والنبوة.

ثالثاً: النبوة في الاصطلاح

لم تحظ اليهودية ـ للأسف ـ بمحاولات علميـة لتنظير الديانة وتقعيدها على وجه العموم، وظاهرة النبوة على وجه الخصوص، إلا في زمن متأخر جداً عن عصر الأنبيـاء الذين أرسلوا إلى أتباعها؛ وذلك بتأثير حركـة التنوير الإسلامية في العصور الوسطى. فالنهضة التي شملت علم الكلام وفلسفة الأديان ـ آنذاك ـ تدين بوجودها للنزعة العقلية والإنسانية في الإسلام كـما تقول الباحثة اليهودية بنينا نافي لفنسون[٢].

تلك النزعة الـتي كان أبرز شواغلهـا محاولة التـوفيق بين الوحي والفلسـفة اليونانية المعـاد اكتشافها، وبـسبب تلك النزعة يلمس المرء توجهاً عـقلياً يصبغ نتاج الفكر في ديانات التوحيد الثلاث، خصوصاً في الفترة ما بين القرن التاسع حتى الثاني عشر الميـلادي (الثالث حتى السادس الهجري)، والتي استثـمر فيها

(1) K, koch / Die Propheten (1) S : 10 .

- Werner H . Schmidt / Altes Testament / S : 56 - 58 .

- Alfred Jespen / NABI / S : 222 - 227 .

(2) Levinson / Einfuhrung in die Rabhinische Theologie / S : 10 .

الأحبـار الربيُّون المناخ الفكري والعـقلي النشط الذي سادها، فـأنجزوا تفسـيراً للعهد القديم، وأكملوا التعاليم التـلمودية ونظموها، وسعوا إلى الحصول على المعارف الإنسانية الجديدة[1].

ويضيف «واكسمان» صاحب كتاب تاريخ الأدب اليهودي:

«في القـرن الحادي عشـر دخلت الفلسـفة اليـهودية مرحـلة جديدة مـتأثرة بالمؤلفات الفلـسفيـة الإسلامية والأفـكار الإسلاميـة، وكان من أثر هذا أن بدأ الشك في التلمود، وبدأت تظهر أفكار حرة، ولم يقتـصر الهجوم والنقد الذي قام به القرّاؤون والطوائف المتصلة بهم على التلمـود، بل شمل الكتاب المقدس أعظم إنتاج عقلي في الدين اليهودي»[2].

وينتهي واكـسمان إلى أنه[3]: «يمكن أن يقال بأن الفلسـفة اليهـودية كانت طفلاً للفلسفة الإسلامية».

لكن تلك النهضة الفلسفية اليهودية لم تسـتمر طويلاً إذ كانت ـ كما سبقت الإشارة ـ مرتبطة بالفلسفة الإسـلامية تتقدم بتقدمها، وتتـوقف لتوقفها، لذلك سرعان ما انهارت الفلسفة اليهودية والحركة العقلية الفكرية التي سادت أجواءها وعاد الجـمود والاحتكام إلى القـوانين اليهودية المتـحجرة، بسـبب النكبة التي تعرضت لها الفلسفة الإسلامية[4].

(١) السابق.

(٢) نقلا عن إبراهـيم موسى هنداوي / الأثر العـربي في الفكر اليهـودي / ص: ١٤٤، وانظر كذلك: إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون / ص: ٥٨.

(٣) إبراهيم موسى هنداوي/ الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص: ١٣٩.

(4) Levinson / Einfuhrung in die Rabhinische Theologie / S.: 10 .

وانظر: إسرائيل ولفنسون / موسى بن ميمون / ص: ٥٨.

لذلك علينا ألا نتوقع فيضاً من الكتابات والمؤلفات عن النبوة في تلك الفترة نظراً لضيق الحيز الزمني الذي تحررت فيه العقلية اليهودية ـ نوعاً ما ـ من أسر التعاليم التلمودية، تلك التعاليم التي تحظر مناقشة مثل هذه القضايا علانية كما سنبين فيما بعد. إذ ما أبدينا لا يزيد كثيراً عن مؤلفات سعديا الفيومي[1] وابن ميمون[2] عن تلك الفترة، وباروخ سبينوزا[3] عن العصر الحديث.

لكن هذا القليل ـ على الرغم من ندرته ـ يتمتع بسمات متميزة تجعله جديراً بالتعبير عن ظاهرة النبوة في اليهودية، فالفيومي وابن ميمون إلى جانب مكانتهما العلمية المرموقة في تاريخ الفكر اليهودي بصفتهما رائدين لحركة تنظير اليهودية وتقعيدها، فإنهما يتمتعان بأهلية خاصة تخلع على رؤيتهما للنبوة أهمية منقطعة النظير.

فالأول جاؤوني ومدير لمدرسة اللاهوت اليهودي العليا، والثاني رابيّ ومفسر للعهد القديم والتلمود، وهذا فيما أرى:

١ ـ يمكنهما من الوقوف على تعاليم الربانيين السرية، التي قد لا يستطيع غيرهما أن يقف عليها.

٢ ـ يضفي على رؤيتهم الطابع الكهنوتي المقدس.

---

(١) أهم مؤلفاته (الأمانات والاعتقادات).

(٢) أهم مؤلفاته في هذا المجال (دلالة الحائرين).

(3) Wilhelm Bacher / Die Bibelexegese der Judischen Religionphilosophen de Mittelalters.

- Moses ben Maimon : Sein Leben , Seine Werke und Seine Einflus / heraus gegben von : W . Bacher .

٣ ـ إيمانهما الكامل بالعهد القديم، وتضلعهما منه ومن شروحه.

أما سبينوزا فعلى الرغم من تناوله لظاهرة النبوة من خلال نصوص العهد القديم فقط، والذي حاكاه فيه ونسج على منواله المحدثون والمعاصرون من الباحثين، بدعوى أن الفهم الصحيح لظاهرة النبوة يتأتى من خلال إتاحة الفرصة للأنبياء أنفسهم للحديث عنها من خلال كتبهم؛ توخياً للدقة والموضوعية [١].

إلا أن منهجه النقدي التاريخي في تناول النصوص وتحليلها يُضْفي على جهوده الفكرية طابعاً علمياً منهجياً يحتم الاستعانة بها كمحاولات تاريخية جادة للبحث في ماهية النبوة[٢]؛ وذلك لمحاولة اجتياز وتخطي أهم أولى العقبات التي تعترض طريق دراسة النبوة، تلك العقبة التي تكمن ـ كما يقول فريدرش كرير ـ في قضية المصادر التي تطرح تصوراً للنبوة يصادم دائماً الحقيقة التاريخية[٣]، يضاف إلى ذلك أهمية انتقاداته وتعليقاته على شروح الربانيين وتفسيراتهم وخصوصا ابن ميمون[٤].

ولندلف الآن إلى البحث في ماهية النبوة حسب الاصطلاح اليهودي:

---

(١) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص ١٢٥.

قارن مثلا عبارة برنارد لانج في ذلك وهي تكرار مع حسن الصياغة لعبارة سبينوزا:

Bernhard Lang / Wie wird man Prophet in Israel / S : 11 .

(٢) السابق: ١٣.

(3) Frederich H. Cryer / Prophetie und geschichtliche Wirkliehkeit in alten Israel / S : 81 Festschrift . heraus gegeben von Rudiger Liwak un Siggfried Wagner .

(٤) سبينوزا، ص: ١٣٠، كذلك الفصل الخامس برمته الذي يعد في مجمله نقداً لابن ميمون، حتى لقد ذهب الدكتور حسن حنفي مترجم الرسالة إلى أن هذه الرسالة رد على ابن ميمون ونظرياته خاصة في تفسير الكتاب المقدس، انظر: هامش ١٣، ص: ١٣٠.

يقول ابن ميمون: «اعلم أن حقيقة النبوة وماهيتها هي فيض يفيض من الله ـ عز وجل ـ بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولاً، ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه هي أعلى مرتبة للإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه، وتلك الحالة هي غاية كمال القوة المتخيلة، وهذا أمر لا يمكن في كل إنسان بوجه، ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية وتحسين الأخلاق»[1].

ويعقِّب بأن ذلك الفيض يتطلب كمالاً في القوى المتلقية له، وبحسب هذا الكمال تتفاوت درجات الأنبياء:

«ومعلوم أن هذه الأغراض الثلاثة التي ضمناها؛ وهي كمال القوة الناطقة بالتعلم، وكمال القوة المتخيلة بالجبلة، وكمال الخلق بتعطيل الفكرة في جميع اللذات البدنية، وإزالة الشوق لأنواع التعظيمات الجاهلية الشريرة، يتفاضل فيها الكاملون تفاضلاً كثيراً جداً، وبحسب التفاضل في كل غرض من هذه الأغراض الثلاثة يكون تفاضل درجات الأنبياء كلهم»[2].

ثم يقسم مراتب النبوة تبعاً لهذا الكمال قسمين[3]:

١ ـ كمال يأتي في الحلم.

٢ ـ كمال يأتي في الرؤيا (وهو كمال يحصل للقوة المتخيلة حتى ترى الشيء كأنه من خارج، ويكون الأمر الذي ابتداؤه منها كأنه جاءها على طريق الأحكام الخارج. .).

وتبدو النبوة لدى ابن ميمون هنا ظاهرة فلسفية، تعد صدى لنظرية فلاسفة

(١) ابن ميمون، دلالة الحائرين، ص: ٤٠٠.

(٢) السابق: ٤٠٤، وانظر: ٣٨٩ ـ ٣٩٠، ٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٣) السابق: ٤٠٢.

الإسلام المشائين، تأثر فيها بهم، كغيره من متكلمي اليهود أمثال: جوادها ليفي (١٠٨٦ ـ ١١٤٥م) الذي يرى أن الحياة الروحية للأنبياء لا تمتاز عن حياة الفضلاء إلا بغياب التجليات[١]، وكذلك إبراهيم بن داود (١١١٠ ـ ١١٨٠م) الذي يعد النبوة صورة سامية لإشراق العقل الفعال، ومصدرها المباشر في العقل الفعال، وليس من الله[٢].

فعلى الرغم من أن ابن ميمون يعد النبوة هبة كما جاء في قوله: «إن الله ينبىء من يشاء متى شاء»[٣]، وهذا يخالف في ظاهره نظرية الفلاسفة في اكتساب النبوة، إلا أن جوهره يتفق مع تلك النظرية، فابن ميمون إذا كان يحتفظ للإرادة الإلهية باختصاص هبة النبوة، فذلك الاختصاص سلبي؛ لأنه لا يتمثل في منح هذه الهبة، بل في رفضها وإن تحققت كل شروطها الطبيعية[٤].

كما أن التنبؤ يظل لديه ظاهرة طبيعية حيث يكفي تحقيق شروطه المطلوبة كي ينسكب الإشراق على الذات[٥].

كذلك يبقى النبي لديه رجلاً موهوباً بصورة استثنائية من ناحية العقل والخيال، حيث يبدأ العقل الفعّال بدءاً من درجة معينة من الكمال العقلي إضاءة الذات بطريقة خاصة، إما أن تتعلق بالعقل فينتج تمام المعرفة التأملية، وإما أن تتعلق بالخيال فينتج الاستعداد للتنبؤ[٦]. أضف إلى ذلك أنه يرى الحدس النبوي مجرد درجة أعلى من الحدس الفلسفي[٧].

(١) Wilhelm Bacher / Die Bibelexegese / S : 116 - 117.

(٢) السابق: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٣) دلالة الحائرين، ص: ٣٩١.

(٤) جورج فيدا، الفكر اليهودى، ص: ٢١٩.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

(٧) السابق: ٢١٨.

لكننا لا نعدم لديه في النبوة رأياً بعيداً عن تأثير فلاسفة الإسلام من المشائين، إذ يعرّف النبي في موضع آخر تعريفاً يكاد يكون كتابياً صرفاً، فيقول: (كل مخبر بغيب من جهة التكهن والشعور كان ذلك، أو من جهة رؤيا صادقة فإنه يتسمى أيضاً نبياً، ولذلك يسمون أنبياء البعل وأنبياء العشتروت أنبياء، ألا ترى قوله تعالى: إذ قام بينكم متنبىء أو رائي حلم «تثنية ١٣/ ٢»)[١].

كذلك نجده في مكان ثان بعد شرحه لصور الوحي الأربعة، وهي:

- كلام الملك في حلم أو رؤيا، وتصريح الموحى له بذلك.
- كلام الملك في حلم أو رؤيا، دون تصريح الموحى له بذلك.
- عدم ذكر الملك أصلاً كواسطة، بل نسبة القول إلى الله في حلم أو رؤيا.
- إطلاق القول بأن الله قال كذا أو كذا دون ذكر واسطة.

يقول معقباً: (فكل ما يجيء على إحدى الصور الأربع فهو نبوة، وقائله نبي)[٢].

كذلك يذهب ابن ميمون إلى عدم استطاعة كتم النبوة، على الرغم مما يلحق النبي من الأذى والضرر في سبيل إبلاغ رسالته. ويستدل على ذلك بقول أرميا[٣]: (فصار لي كلام الرب عاراً، وسخرة كل النهار، فقلت: لا أذكره، ولا أتكلم باسمه من بعد، لكنه كان في قلبي كَنَارٍ محرقة قد جست في عظامي فجهدني إمساكه، ولم أقو على ذلك)[٤].

---

(١) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٣٩٢.

(٢) السابق / ص: ٤٢٠-٤٢١.

(٣) السابق / ص: ٤٠٨.

(٤) سفر إرميا (٢٠ / ٨ ـ ٩).

ولم يبعد الفيلسوف اليهودي سبينوزا كثيراً عن هذا التعريف الكتابي، حينما قال: (النبوة أو الوحي هي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما، والنبي هو مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده، ويسمي العبرانيون النبي نبياً، أي خطيباً ومفسراً. ويستعمل في الكتاب بمعنى مفسر الله كما هو واضح في الإصحاح ٧ الآية ١ من سفر الخروج)[١].

ومشكلة تحديد ماهية النبوة في الاصطلاح اليهودي ـ لا تقتصر كما رأينا ـ على التردد بين الفلسفة والوحي، بل تتعداه إلى التقسيم اليهودي للأنبياء ومراتبهم، وهو يناقض أول ما يناقض مفهوم النبوة الذي اصطلح عليه علماء ومفكرو اليهود أنفسهم، وذلك هو موضوع المبحث الثاني.

(١) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ١٢٣.

المبحث الثاني
مراتب النبوة

النبوة في الاصطلاح اليهـودي ـ كما تقدم ـ هي المعرفة اليـقينية التي يوحي بها الله إلى البشر على إحدى صور الوحي التالية[١]: ـ

الصورة الأولى:

تصـريح النبي أن ذلك الخطاب كـان من الملك في حلم أو في مـرأى، كقـول التوراة: (فقال لي ملك الله في الحلم)[٢]، (فكلم الله إسرائيل ليلاً في الحلم)[٣].

الصورة الثانية:

ذكر خطاب الملك للنـبي فقط دون تصريح أن ذلك كـان في حلم أو مرأى كقول التوراة: (قال الله ليعقوب: قم فاصعد إلى بيت إيل)[٤]، (وخاطب الله نوحاً قائلاً)[٥].

الصورة الثالثة:

عدم ذكر ملك أصـلاً بل نسبة القول إلى الله أنه قاله لـلنبي، مع التصريح بأن ذلك جاء في مـرأى أو حلم، كقول التوراة: (كـان كلام الرب إلى إبراهيم في الرؤيا)[٦].

(١) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٢) سفر التكوين (٣١ / ١١).

(٣) سفر التكوين (٤٦ / ٢).

(٤) سفر التكوين (٢٥ / ١).

(٥) سفر التكوين (٨ / ١٥).

(٦) سفر التكوين (١٥/ ١).

الصورة الرابعة:

أن يقول النبي قولاً مطلقاً: إن الله كلمه أو قال له افعل، أو اصنع، أو قال كذا.. من غير تصريح لا بذكر ملك، ولا بذكر حلم؛ اتكالاً على ما قد علم وتأصل أن لا نبوة ولا وحي يأتي إلا في حلم أو في مرأى وعلى أيدي ملك[1]، كقول التوراة: (فقال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك)[2]، وكقول العهد القديم: (فقال الرب ليشوع)[3]، (فقال الرب لجدعون)[4].

ويلاحظ على هذا الحصر لصور الوحي في تلك الوسائل الأربع استبعاد الكلام المباشر من الله - تعالى - لموسى في سيناء، وذلك للربط بين صور الوحي وبين مراتب النبوة؛ لهذا استبعدت حالة الكلام المباشر مع موسى، باعتباره نموذجاً خاصاً وفريداً للنبوة، لا تجوز مقارنته بمن سواه.

ويظهر هذا الربط بين صور الوحي ومراتب النبوة الذي يظهر واضحاً في تقسيم مراتب الوحي المصاحبة للأنبياء على النحو التالي[5]: -

(١) جاء في سفر العدد: (إن يكن فيكم نبي للرب فبالرؤيا أتعرف له، في حلم أخاطبه) عدد (١٢/ ٦-٩).

(٢) تكوين (٣١/ ٣).

(٣) يشوع (٣/ ٧).

(٤) قضاة (٧/ ٢).

(٥) ابن ميمون/ دلالة الحائرين / ص ٤٣٢ - ٤٤٣، وانظر مراتب النبوة لدى كل من ابراهيم بن داود وإبراهيم بارحيا في:

- Wilhelem Bacher / Die Bibelexegese der Judischen Rligionsphiloso phen / S : 146 - 147 .

والتي يكاد ابن ميمون أن يكون قد نقلها عن الأخير حرفيا كما يشير إلى ذلك يعقوب جوتمان:

- Jacob Guttmann / Die Beziehungen der Religionsphilosophie des Maimonides zu - den Lehren seiner Juedischen Vorganger / in Moses Ben Mainon II 220 - 221.

المرتبة الأولى:

أن تصحب النبي معونة إلهية تحركه وتنشطه لعمل صالح عظيم ذي قدر وتسمى «روح الله»، والشخص الذي تصحبه يقال عنه: حلت عليه روح الرب، وهذه درجة قضاة إسرائيل ومسيحيي إسرائيل الفضلاء، وقد اختص بها بعض الملوك كداود وشاول وحلت في يوسف أيضاً، كما تقول التوراة: (وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً)[1].

المرتبة الثانية:

أن يجد الشخص كأن أمراً ما حلّ فيه وقوة أخرى طرأت عليه فتنطقه فيتكلم بحكم، أو بتسبيح، أو بأقاويل عظيمة نافعة، أو بأمور تدبيرية أو إلهية، وذلك في حالة يقظة تامة وتصرف للحواس على معتاد أمرها، وتسمى تلك القوة «روح القدس»، وبها ألف سليمان أسفار الأمثال والجامعة، ونشيد الأناشيد، وألف داود المزامير. وفي ذلك يقول داود: «روح الرب تكلّم فيَّ وعلى لساني كلمته»[2].

المرتبة الثالثة:

تلقي كلام الرب في الحلم مشفوعاً بتفسيره وبيانه، مثل أمثال زكريا[3].

المرتبة الرابعة:

تلقي الوحي في الحلم مشروحاً مفسراً دون رؤية ملقِيه، مثلما جاء صموئيل الوحي أول مرة[4].

---

(١) تكوين (٣٩ / ٢).

(٢) سفر المزامير.

(٣) سفر زكريا (١ / ٦ ـ ٨).

(٤) صموئيل الأول (٣ / ١ ـ ١٨).

المرتبة الخامسة:

هي أن يكلمه شخص في الحلم كما قالت التوراة في بعض نبوات حزقيال: (فقال لي الرجل يا ابن البشر)[1].

المرتبة السادسة:

أن يكلمه ملاك في الحلم، وهي حالة أكثر النبيين، كما في قول التوراة: (فقال لي ملاك الرب في الحلم)[2].

المرتبة السابعة:

أن يرى النبي في الحلم كأن الله يكلمه، وذلك كقول اشعيا: (رأيت الرب، وقال)[3].

المرتبة الثامنة:

أن يأتيه وحي بمرأى النبوة، ويرى أمثالاً كإبراهيم الذي رأى أمثالاً في الرؤيا نهاراً.

المرتبة التاسعة:

أن يسمع كلاماً في الرؤيا، كما جاء في إبراهيم؛ (فإذا بكلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا)[4].

المرتبة العاشرة:

أن يرى شخصاً يكلمه في مرأى النبوة كإبراهيم أيضاً في بطم ممرا، وكيشوع في أريحا[5].

---

(١) حزقيال (٤٠ / ٤).

(٢) التكوين (٣١ / ١١).

(٣) أشعيا (٦ / ١، ٥).

(٤) التكوين (١٥ / ١ ـ ٥).

(٥) تكوين (١٨ / ١)، يشوع (١ / ١)، تكوين (١٧ / ١).

المرتبة الحادية عشرة:

أن يرى ملكاً يكلمه في الرؤيا، كإبراهيم[1]، وهذه أعلى مراتب النبيين الذين شهدت الكتب بها لهم بعد تقرير ما تقرر من كمال نطقيات الشخص على ما يوجبه النظر، وبعد الاستثناء بموسى.

ويلاحظ على هذا التقسيم ما يلي: ـ

١ ـ جواز تمتع نبي واحد بفضائل مرتبتين من مراتب النبوة، ولكن ذلك مرحلياً بالنسبة لإحداهما، أما الأخرى فهي ثابتة لأنها درجته[2].

٢ ـ قصر درجة سماع الكلام الإلهي على موسى فقط الذي خاطبه الرب فماً إلى فم، أما الآخرون فتؤوَّل النصوص التي تدل على ذلك[3]، تلك التأويلات التي يعدها سبينوزا مجرد ثرثرة همها تأويل الكتاب لاستخلاص مجموعة من التخيلات الخاصة[4].

٣ ـ تلقي الملوك داود وسليمان وحياً نبوياً.

٤ ـ تلقي الآباء يوسف وإبراهيم الوحي والنبوة، بل إن إبراهيم يأتيه أكثر من نوع من صور الوحي أحدها يجعله في أعلى مراتب الأنبياء.

وعلى الرغم من تلقي أشخاص الآباء، والملوك: داود وسليمان وشاول صوراً من الوحي المصاحب للأنبياء كما اتضح من التقسيم السابق لمراتب النبوة، إلا أن هؤلاء الآباء والملوك لا يُعَدُّون أنبياء بالمعنى الدقيق في التصور اليهودي،

(١) تكوين (٢٢/ ١١، ١٥).

(٢) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص ٤٣٢ .

(٣) السابق / ص ٤٤٢ .

(٤) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص ١٣١.

الذي سارت عـلى دربه الدراسات الحـديثة والمعاصـرة، ويظهر ذلك جلـياً في التقسيم الثلاثي لمستويات النبوة على النحو التالي[1]:

أولاً: الآباء (البطاركة)

نوح، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف.

ثانياً: النموذج المثالي للنبوة:

موسى، هارون.

لكن هارون دون مـوسى، وليس نظيـره على الإطلاق، كل مـا هنالك أنه معاصر له.

ثالثاً: الحركة النبوية العامة، وتشمل مرحلتين:

١ ـ بدايات النبوة (الأنبياء الأوائل).

صموئيل، ناتان، إيليا، أليشاع.

٢ ـ النبوة الكلاسيكية، وتضم نوعين من الأنبياء:

أ ـ الأنبياء الكبار.

أشعيا، إرميا، حزقيال.

---

(١) راجع في ذلك:

= Heaton E.W. / Die Propheten des Alten tes tament .

= Balt zer. K./ Die Biographie der propheten .

= Duhm . B/ Israels propheten .

= Koch. K/ Die Propheten / I Assyrische . II babylonisch - persische Zeit .

وانظر بالعربية: جير هارد فوس / علم اللاهوت الكتابي / بترجمة عزت زكي.

ـ كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين / طبع بيروت ١٨٦٩.

ـ ذلك بالإضافة إلى قائمة المصادر المذكورة في هامش (١) ص ٢٥.

ب ـ الأنبياء الصغار (الأواخر) عاموس، هوشع، ميخا، نحوم، حبقوق، عوبديا، يونان، حجاي، زكريا، ملاخي.

إذ يستبعد هذا التقسيم نبوة الملوك، ويخلع على الآباء دور الجذور السلالية والأصول العرقية لبني إسرائيل، ويرفع من درجة نبوة موسى ومكانته إلى مرتبة لا يجوز القياس عليها أو المقارنة بها.

وسوف نؤجل مناقشة مسألة نبوة الملوك إلى حين، حتى نقف على التفسيرات والمسوغات التي طرحها الفكر اليهودي لهذا التقسيم، وذلك في نقطتين: ـ

أولهما: مكانة نبوة موسى

يقول ابن ميمون متابعاً في ذلك سعديا الفيومي[(١)]، وإبراهيم بن داود[(٢)]: «إن اسم نبي عندي إنما هو مقول على موسى، وعلى من سواه بتشكيك»[(٣)].

وتنحصر أسباب ذلك التفضيل والتخصيص فيما يلي[(٤)]: ـ

أولاً: أن نبوة موسى تباين نبوة كل من تقدمه كما جاء في التوراة:

(تجليت لإبراهيم، أما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم)[(٥)].

فيدل ذلك على أن إدراكه ليس كإدراك الآباء، بل أعظم.

ثانياً: أن نبوته مباينة لنبوة كل من يتأخر، كما أخبرت التوراة:

(١) سعديا الفيومي / الأمانات والاعتقادات / ص ١٠٠ / بتحقيق د. س. لانداور ليدن ١٨٨٠م.

(٢) Wilhelm Bacher / Die Bibelexegese der Juedischen Religionsphilosophen /S : 147.

(٣) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص ٣٩٨، وانظر / ص ٤٠٠، ٤١١ ـ ٤١٢.

(٤) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٥) خروج (٦/ ٣).

(ولم يقم من بعد في بني إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه)[١].

ثالثاً: أن معجزاته مباينة لمعجزات كل نبي على العموم، لأن معجزات الأنبياء التي فعلوها، أو فعلت لهم أخبر بها آحاد الناس، أما موسى فقد أخبر الكتاب بأنه جاء بمعجزاته أمام المؤالف له والمخالف عليه[٢].

وتبدو هذه المسوغات غير قاطعة الدلالة على تفرد مكانة نبوة موسى وتميزها على السابقين واللاحقين له، كما أن العهد القديم نفسه يتضمن ما ينقض هذه المسوغات الثلاثة، وذلك من زوايا ثلاث أيضاً:

أولاً: فبالنسبة لتميز نبوة موسى عن سابقيه بسبب إعلان يهوه اسمه له، فإن نوحاً يفوق موسى بقطع العهد دونه[٣]، كما أن إبراهيم قطع معه العهد بإعطائه الأرض المقدسة، وجعله ونسله شعباً للرب، وخص إبراهيم بشريعة الختان كعلامة للعهد وللشعب[٤]، وهذه الثلاثة التي أعطيها إبراهيم هي الأساس الذي أقام عليه اليهود دعوى تميزهم على البشرية.

ثانياً: أما تميز نبوة موسى بسبب معرفة الرب له وجهاً لوجه، فإن بعض السابقين واللاحقين من أنبياء العهد القديم قد عرفوا الله وجهاً لوجه، سواء أكان المقصود بمعرفة الرب سماع صوته حقيقة كما فسر سبينوزا هذه الآية[٥]، أم كان المقصود رؤية يهوه وجهاً لوجه:

---

(١) تثنية (٣٤ / ١٠).

(٢) خروج (٣٤/ ١٠)، تثنية (٣٤/ ١٠ ـ ١٢).

(٣) تكوين (١٨/٦).

(٤) تكوين (١٨/١٥، ١٧، ٢ ـ ١٤) .

(٥) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص ١٣٣ .

فعن سماع صوت الرب تحكي التوراة: (وعاد الرب يتراءى في شيلو لأن الرب تجلى لصموئيل في شيلو بكلمة الرب)[1].

ويعلق سبينوزا على هذا النص بقوله: (وربما كنت أجد نفسي ميالاً إلى اعتبار صوت الله الذي ينادي به صموئيل في الكتاب حقيقياً لأننا نقرأ في صموئيل «وعاد الرب يتراءى في شيلو لأن الرب تجلى لصموئيل في شيلو بكلمة الرب»، والواقع أن النص يبدو كما لو كان يشير إلى أن حضور الله هو ظهوره بكلمة أو بسماع صموئيل لله وهو يتكلم، ومع ذلك لما كان من الضروري ضرورة مطلقة أن نفرق بين نبوة موسى ونبوة غيره من الأنبياء فإننا مضطرون إلى أن نؤكد أن الصوت الذي سمعه صموئيل كان من صنع الخيال)[2].

وعن رؤية الرب تقص التوراة أن الرب قد تراءى لإبراهيم عند بلوط ممرا، ولم يسقط إبراهيم مغشياً عليه كما سقط موسى، بل إن إبراهيم حادثه، وسامره، وتناول معه الطعام الذي أعده له، وتلقى إبراهيم منه البشرى بمولد إسحاق، والإحاطة بتدمير سدوم[3].

ثالثاً: دعوى تميز موسى بسبب مباينة معجزاته لسائر معجزات النبيين التي أخبر بها الآحاد بينما معجزات موسى قد وقعت أمام أعين جميع بني إسرائيل.

تلك الدعوة ينقضها إمساك الشمس ليشوع في كبد السماء وتعطيلها عن الغروب نحو يوم كامل، والتي حدثت أمام عيون كل إسرائيل[4].

---

(١) صموئيل الأول (٣/ ٢٠).

(٢) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص ١٢٧.

(٣) تكوين (١٨/ ١ ـ ٣٣).

(٤) يشوع (١٠/ ١٢ ـ ١٥).

فإذا ما أضفنا إلى تلك الزوايا الثلاث جانباً آخر هو الفحص النقدي لنص التوراة (تثنية ٣٤/ ١٠ ـ ١٢): «ولم يقم من بعد في بني إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه»، والذي يبين أن هذه الآيات قد أضيفت إلى العهد القديم في زمن متأخر فيما بين القرن السادس والسابع قبل الميلاد مما يجعل النص الأصلي القديم (تثنية ١٨ / ١٥، ١٨): «سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك»، هو القاعدة التي يجب أن نقيّم عليها مرتبة نبوة موسى.

والثانية: نبوة الآباء (نوح، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف)

يقول ابن ميمون شارحاً ومعلّلاً حصر بدء النبوة في موسى: «وبيان ذلك بحسب ما نصت عليه الكتب النبوية، وجاء في الآثار هو أن كل من تقدم سيدنا موسى من الأنبياء مثل الآباء، وسام، ونوح، ومتوشالح، وإخنوخ، لم يقل أحد منهم قط لصنف من الناس: إن الله أرسلني لكم وأمرني أن أقول لكم كذا وكذا، وقد نهاكم عن فعل كذا، وأمركم بفعل كذا.

هذا شيء لا نص التوراة شهد به، ولا خبر صحيح أتى به، بل إنما كانوا هؤلاء يأتيهم وحي من الله على ما بينا. فمن عظم عليه ذلك الفيض مثل إبراهيم جمع الناس ودلهم على جهة التعليم والإرشاد إلى حق قد أدركه كما كان إبراهيم يعلم الناس ويبين لهم بأدلة نظرية أن للعالم إلهاً واحداً، وأنه خلق كل ما سواه، وأنه لا ينبغي أن تعبد هذه الصور ولا شيء من هذه المخلوقات، ويعاهد الناس على ذلك، ويجذبهم بخطب حسنة وإحسان لهم، لا أنه قال يوماً قط إن الله بعثني لكم وأمرني ونهاني.

حتى إنه لما أمر بالختان هو وبنوه وذووه ختنهم ولم يدع الناس لذلك بصورة دعوة النبوة، ألا ترى نص التوراة فيه: وقد علمت أنه. . . .[1] إلخ.

(١) تكوين (١٨/ ١٩).

فقد بيَّن أنه على جهة الوصية فقط كان يفعل ذلك، وكذلك إسحاق، ويعقوب، ولوى، وقوهات، وعمرام، على هذه الصورة كانوا يدعون الناس، وكذلك تجد الحكماء يقولون في من تقدمه (يقصد موسى): محكمة عبر، محكمة متوشالح، مدرسة متوشالح.

كلهم عليهم السلام إنما كانوا أنبياء يعلِّمون الناس بصورة أنهم مدرسون، ومعلمون، ومرشدون»[١].

ومثل هذا الاستدلال في سبيل قصر مهمة الآباء على الإرشاد والتعليم، وسلب سمة البلاغ النبوي من رسالتهم تنقضه الحقائق التالية:

أولاً: أن التعليم والإرشاد كان أيضاً أحد مهام موسى عليه السلام.

ثانياً: أن إبراهيم دعا الناس للإيمان وكان له أتباع[٢].

ثالثاً: أن الأمر الإلهي بالختان كان يتجاوز آل إبراهيم إلى كل من يضمه بيته من غرباء[٣].

رابعاً: أن العهد القديم لم يفرق بين الوحي الموسوي والوحي الإبراهيمي ولم يرد به موضع يجعل مهمة الآباء تعليمية إرشادية خارج إطار المنهج النبوي، بل يتحدث العهد القديم عن إبراهيم كنبي بإطلاق (إنه نبي)[٤].

ويرجع السبب في افتقاد الاستدلالات اليهودية السابقة قوة الحجة والبرهان

---

(١) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص ٤١٢ ــ ٤١٣.

(٢) انظر نص التوراة: (أنت زعيم لله في وسطنا) تكوين (٢٣/٦)، وكذلك قصة تابعه الذي يسافر لجلب زوجة لإسحاق بناء على وصية إبراهيم وهو مؤمن برب إبراهيم (تكوين ٢٤).

(٣) تكوين (١٧/ ١١ ــ ١٤).

(٤) تكوين (٢٠/ ٧).

إلى أنهـا محاولات تبـريرية من جـانب كبار مـفكري اليـهود بدءاً من سـعديا الفيومي، مروراً بابن عزرا (١٠٧٠ ـ ١١٣٩) وابن داود، وانتهاء بابن ميمون؛ لتقـنين فلسفـة وتصور أُرسيـت دعائمهـا في الماضي البـعيد، وذلك بـوساطة شخـصية أخـرى أثقل وزناً وأخطر شأناً من الفـيومي وابن ميـمون، ألا وهي «يشوع بن سيراخ» تلك الشخصية العـجيبة التي ازداد الاهتمام بها وبفكرها في السنوات العشر الأخيرة[١].

فإن كان الفيـومي وابن ميمون يُعدَّان من أثقل علماء الـيهود وزنا، فإن ابن سيراخ يختلف بشأن كونه نبياً[٢].

فَيُقَـدَّم كمثل لأصحاب مؤلفـات الأدب الحكمي التي تطورت وأصبح ينظر

(1) Johannes Marbock Die Geschichte Israels als Bundesgeschte nach den Sirachbuch / s : 177/in : Der Neu Bund im Alten , Heraus gegeben von Erich Zenger / 177 .

(٢) تشعبت الآراء حول الرسالة المنسوبة إليه:

فيذهب فريق من الباحثين إلى أن ابن سيراخ حكيم، معلم، معـاد للهلينستية، ولهجة رسالته لهجة حكم وتعليم، يمثل هذا الفريق:

= V . Tcherikover , Heltenistic Civilizion and The Jews/ P : 144 .

= M. Hengle / Judentum und Hellenismus/ S : 267 .

بينما تشكك مجموعة أخرى في مثل هذا الرأي:

J. Marbock / weisheit im wandel / S : 175 .

ويرى فريق ثالث: أن تلك الرسالة كتبت بلهجة نبوية واضحة:

= G. Maier/ Menschen und freier wille . Nach den Judischen Religionsparteien zwischen Ben Sira Und Paulus / S: 37 - 42 .

= Helge Stadelmann / Ben Sira / S : 180 .

= W. Baumgartner / Die Literarischen Gattungen in der weisheit des Jesus Sirach /S : 186/ ZAW 34 (1914) .

إليها كوحي ونبوة[١]. إذ انتقلت رسالته التي يفترض أنها أُلّفت عام (١٨٠ ق.م) إلى نص العهد القديم، كسِفْر (قانوني)[٢] في الكتاب المقدس للكاثوليك[٣].

ويعدُّ هذا السفر من الكتب المفضلة في الدين اليهودي، فكثيراً ما يستشهد به في التلمود حتى عند كتاب القرون الوسطى، ويقال إنه أثَّر في نصوص هامة في الليترجية اليهودية كنصوص عيد الغفران، وصلاة البركات الثماني عشرة[٤].

وترجع أهمية سفر ابن سيراخ إلى وجوه ثلاثة:

أولها: تقنينه لظاهرة النبوة ومراتب الأنبياء في بني إسرائيل[٥]؛ إذ تعد رسالة ابن سيراخ أقدم وثيقة تاريخية ـ فيما أعلم ـ تفصِّل القول في النبوة، وتحدد طبقاتها: (آباء ـ موسى وهارون ـ الأنبياء)، وكذلك تخلع صفة النبوة عن الملوك: شاول، داود، سليمان[٦].

الثاني: كونه شاهداً هاماً لتكوين شبه نهائي لقانون الكتب المقدسة[٧].

فالمقدمة تذكر التقسيم الثلاثي المألوف: الشريعة، الأنبياء، سائر الكتب[٨].

(1) Luis Alonso - Schokel / Das Alte Testament als Menschenwort und Gotteswort / S : 6 / in : Wort und Botschaft . Heraugegeben von Josef Schreiner.

(٢) القانونيّ هو أحد الأسفار التي تعد مقدسة لدى اليهود أو النصارى، راجع في ماهية القانون: مقدمة العهد القديم للكاثوليك ص ٤٧ ـ ٥٢ ، وكذلك المصادر الهامة والمتخصصة التي سنشير إليها عند دراسة القانون اليهودي والمسيحي.

(٣) راجع مدخل العهد القديم لهذه الرسالة / ص ١٤٣٣.

(٤) السابق ١٤٣٨.

(5) Irsigler / Literatur und Glaubensgeschichte im Alten Testament / S : 17 .

(٦) يشوع بن سيراخ (الإصحاح ٤٤ – ٤٩).

(٧) مقدمة السفر ص ١٤٣٨ في العهد القديم للكاثوليك.

(٨) يشوع بن سيراخ (٣٩ / ١– ٣) وكذلك مقدمة السفر ص ١٤٣٩ بقلم حفيده.

ويذكر السفر بقليل أو بكثير من الصراحة أسفار التوراة، ويشوع، وصموئيل، والملوك، والأخبار، وأيوب، وأشعيا، وإرميا، وحزقيال، وصغار الأنبياء الاثني عشر (على وجه الخصوص ملاخي وحجاي)، ونحوم، والمزامير منسوبةً إلى داود، والأمثال منسوبة إلى سليمان[١].

الثالث: دوره كشاهد لحقبة انتقالية ترتسم فيها ميزات الدين اليهودي بصفته يمثل صيغة متطورة لدين الكتاب المقدس[٢].

إذ تتخطى رسالة ابن سيراخ حدود كتب الأمثال والحكَم؛ لترسي دعائم تاريخ جديد لقصة بني إسرائيل، يقوم على العهد[٣].

ذلك العهد الذي اقتضى ثلاثة أنواع من الرجال:

الأول: آباء يعقد معهم العهد، ويشكلون أصلاً وجذراً سلالياً لشعب العهد.

لذلك نلمس بوضوح النزعة القومية في تنبؤات آباء العهد القديم المستقبلية

---

(١) ص ١٤٣٨ من العهد القديم للكاثوليك.

(٢) ص ١٤٣٧ من العهد القديم للكاثوليك.

(٣) العهد ميثاق بين الله وبني إسرائيل على أساسه تم اصطفاء بني اسرائيل ووعدوا بالأرض المقدسة. للتوسع في معرفة العهد انظر:

- H. Irsigler / Der Gottesbund im Alten Testament / WS 1993/94 .
- Nicholson / God and his People , Covenant and Theology in the Old Testament.
- Perlitt . L. Bunds Theologie im Alten Testamant WMANT 36 .
- Wein feld . M. Artikel (Bund) In : Th Wat I (1973) 781-808. (Theologisches Worter buch zum Alten Testament) .
- Gerhard Krause . Artikel (Bund) in : Teologische Realenzyklopadie . Band VII
- Adel - Theodor Khoury . Lexikon Religioser Grundbegriffe .Artikel (Bund) 107-116 .

حول الشعب الإسرائيلي، وإن لم يدعوا إلى القومية الإسرائيلية.

وقد انتهى فلهاوزن بعد فحصه لقصص الآباء إلى أن المرء لا يعثر على حقيقة تاريخية في روايات العهد القديم حول الآباء[١]. وتبقى تاريخيتهم حتى يومنا هذا معلقة، ولا تلتقي بحال من الأحوال مع بداية التاريخ الحقيقي[٢].

إذ كيف يسمح لشخص كإبراهيم أن يعد شخصاً تاريخياً وهو من نتاج القصص الشعبي[٣].

الثاني: شخصية فذة تصوغ ملامح شخصية شعب العهد الجديد.

ومثل هذه الشخصية يجب أن يصاحبها حدث ضخم فريد، ولما كان أهم وأعظم الأحداث في حياة اليهود هو الخروج من مصر، فليس هناك أفضل من بطل هذا الحدث كمؤسس لتلك الشخصية الجديدة.

فإذا ما أضيفت إلى إنجازات موسى تلقيه الشريعة في سيناء، فلا غرو أن يُعدَّ عصره فترة خلق روحي لإسرائيل[٤]، وأن يصبح هو أصل الأمة وتاريخها[٥]، ذلك الاعتقاد الذي بدأ سريانه بين الإسرائيليين منذ عصر المنفى، وأصبح فكرة حية[٦].

الثالث: رجال سياسة، وحُكْم، وحرب، كشاول وداود وسليمان، يحولون العهد وشعبه إلى واقع عملي في شكل دولة ومملكة.

(1) J. Welhausen / Prolegomena zur Geschichte Israels / S : 322 .

(2) J. Welthausen / Israelitische und Judische geschichte / S : 11 .

(3) J. Wellhausen / Prolegomena zur Geschichte Israels/ S323 .

(4) Wellhausen / Israelitische und Judische geschichte / S : 17 .

(٥) السابق / ص ٣١.

(٦) السابق.

ومن هنا تعد فترة الملكية في إسرائيل قمة المجد، وأسمى نقاطه التاريخية، وذروة البركة الإلهية، ومناط آماله، وتجسيد بشارات أنبيائه[١].

ولهذا فإنه على الرغم من نص العهد القديم على تلقي شاول وداود وسليمان الوحي والنبوة، وتجلى الرب لهم أكثر من مرة[٢].

إلا أن الدور الذي أوكلوا به كملوك وحكام تغلب على شخصياتهم النبوية وأعفاهم منها؛ ليكونوا فقط رجال سياسة، وكان ذلك خطأ فادحاً أوقع فيه اليهود أنفسهم، فإلى جانب سلب شاول وداود وسليمان شرف النبوة، فإن قيادة بني إسرائيل انتقلت من يد النبوة إلى يد الملك.

وبذلك كما يقول سيجال: «انتهى أمر إسرائيل كأمة ثيوقراطية، وكشعب مختار: الله ملكه، والنبي قائده، فأصبح دولة علمانية ككل الدول المجاورة، على رأسها ملك علماني بشر من لحم ودم، ولها تطلعات سياسية، ومطامع أسرية»[٣].

---

(1) Wellhausen / Israelitische und Judische geschichte / S : 11 .

(٢) راجع ملوك أول (٨/ ١٠ ـ ١٣)، (٣/ ٤)، (٩/ ٢) . صموئيل الأول (١٠/ ١٠) الأخبار الثاني (٦/ ٢-١)، (٦/ ٤)، (٧/ ١١).

(٣) م. ص. سيجال / حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل / ص ٤٠، ضمن: أبحاث في الفكر اليهودى / الدكتور حسن ظاظا.

المبحث الثالث

أشكال النبوة

تعددت أشكال النبوة في اليهودية حسبما يعرضها العهد القديم، وبتعدد هذه الأشكال تتعدد كذلك الوظائف المنوطة بكل شكل، إذ ليس للنبوة شكل أو وظيفة موحدة في العهد القديم، بل يقدم لنا العهد القديم الأنماط التالية للنبوة:

أولاً: الأنبياء الفرادى:

هم الأنبياء الذين لا ينتمون إلى مؤسسة نبوية معينة، بل تقدموا للدعوة كأفراد لكل منهم سَمْتُه الخاص، ومنهجه وأهدافه التي يسعى لتحقيقها.

وهؤلاء الأنبياء نوعان:

١ـ النوع الأول، وهو مرتبط بشكل أو بآخر بمؤسسات أخرى لكنه ارتباط جزئي، لا يطغى على مهمته النبوية الأساسية مثل جاد وناثان، اللذين ارتبطا بالقصر والمَلَكية، لكنه ارتباط لا يغلب المنفعة الشخصية على الرسالة النبوية، كارتباط أنبياء القصر[١]؛ إذ إن جاد وناثان كانا مستشاري داود ومحل ثقته وارتباطهما كان بشخصه وليس بسلطته، فجاد كان مرتبطاً به قبل تولي داود للحكم[٢].

ومن هذه الطائفة من الأنبياء مَنْ ارتبط بمؤسسات نبوية: كصدقيا بن كنعة المتحدث باسم أنبياء القصر زمن أحاب[٣]، أو كحننيا المتحدث باسم أنبياء المعبد

(١) الملوك الأول (الإصحاح ٢٢).

(٢) راجع: صموئيل الأول (٢٢/٥)، صموئيل الثاني (١١/٢٤، ١٣، ١٨، ٧/٢ - ٤، ١٧، ١٢، ١ ـ ٢٥) الملوك الأول (١/٨ ـ ٤٥)، المزامير (٥١/٢).

(٣) الملوك الأول (٢٢ / ١١، ٢٤).

أيام صدقيا، ومنافس إرميا[1]؛ أو كحبقوق وعوبديا اللذين يُعدان نبيَّيْ طقوس، أو أليشاع رئيس جماعة بني الأنبياء[2].

٢ـ النوع الثاني، الأنبياء الأحرار (المستقلون).

وهؤلاء هم الذين لا ينتمون بأي شكل من الأشكال جزئياً أو كلياً إلى أي مؤسسة أو جهة وظيفية أخرى، أولئك هم أغلب أصحاب الكتب في العهد القديم، وكذلك كبار أنبيائه.

وقد اضطلع هؤلاء الأنبياء بمهام: النقد السياسي للسلطة، الإصلاح الاجتماعي، مواجهة سلطة الكهنة، التصدي لمدعي النبوة[3].

وفي المقام الأول أخذ هؤلاء الأنبياء على عاتقهم واجباً دينياً محدداً، هو الدعوة إلى شريعة موسى، يقول ابن ميمون ملخصاً مهمة الأنبياء في بني إسرائيل: «إذ قد تكلمنا في ماهية النبوة وعرفنا حقيقتها، وبيَّنا أن نبوة سيدنا موسى مباينة لنبوة من سواه، فلنقل: إن عن ذلك الإدراك وحده لزمت الدعوة إلى الشريعة، وذلك أن هذه دعوة سيدنا موسى لنا لم يتقدم مثلها لأحد، ممن علمناه من آدم إليه، ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لأحد من أنبيائنا، وكذلك قاعدة شريعتنا أنه لا يكون غيرها أبداً؛ فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثم شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة، وهي شريعة سيدنا موسى، أما كل نبي منا تأخر بعد سيدنا موسى، فقد علمت نص قصتهم كلها، وكونهم بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى، يتوعدون الراغب عنها ويعدون من استقام في تبعتها»[4].

(١) إرميا / ٢٨.

(٢) الملوك الثاني (٤/٣٨)

(3) Bernhard Lang / Wie Wird man Prophet in Israel / S : 12 - 18 .

(٤) ابن ميمون / دلالة الحائرين ص ٤١١ ـ ٤١٢.

ويلاحظ التالى على هذا الشكل من أشكال النبوة اليهودية:

أ ـ إن حصر وظيفة هؤلاء الأنبياء في الدعوة إلى شريعة موسى خاضع لرؤية ومنظور محرري مدرسة تثنية الاشتراع الذين قاموا بصياغة وتعديل كتب الأنبياء وسفر التثنية زمن المنفى، تلك الرؤية التي جعلت من موسى نبياً معيارياً، ومن شريعته طريقة ومنهجاً شاملاً جامعاً لجوانب حياة الشعب والدولة اليهودية[1].

ب ـ إن دانيال لم يعد بين الأنبياء الفرادى؛ وذلك لأن ابن سيراخ لم يذكره كنبي، على الرغم من أن الترجمة السبعينية صنفت كتابه ضمن كتب الأنبياء، وهي متأخرة تاريخياً عن ابن سيراخ.

ولا يمكن دفع ذلك بأن كتاب دانيال لم يكن قد دون بعد، لأن رجلاً كابن سيراخ يفترض أن يكون قد وقف على التراث الشفهي المتداول بين اليهود.

جـ ـ أن بعض هؤلاء الأنبياء لم يسم نفسه «نبياً» قط في ثنايا كتابه كأشعيا وميخا وهوشع.

د ـ أن بعض هؤلاء الأنبياء لم يَعُدَّ نفسه نبياً على الإطلاق، بل رفض حتى الانتماء إلى أي مؤسسة نبوية، كعاموس الذي يؤكد بإصرار: «إني لست نبياً، ولا ابن نبي»[2].

ثانياً: جماعات الأنبياء

وهم الأنبياء الذين ظهروا في شكل جماعات أو تنظيمات أو مؤسسات نبوية، ذات نظم وأعراف محددة، يقودها في الغالب زعيم، أو مرشد، أو أب روحي.

(1) H. Irsigler / Literatur und Glaubensgeschichte im Alten Testament / S : 79 .

(2) عاموس (٧/ ١٤).

وقد اختلفت تلك الجماعات وتعددت تبعاً لطبيعة تكوينها، ومن هذه الجماعات التي عرضها العهد القديم:

أ ـ بنو الأنبياء:

وهم أعضاء ما يمكن أن يسمى نقابة أو طائفة الأنبياء، والتي تتألف من مجموعة من صغار الأنبياء يقودها مرشد يسمى في الغالب «أب»[١].

وأشهر هؤلاء الآباء الروحيين الذين ذكرهم العهد القديم: صموئيل[٢]، إيليا[٣]، أليشاع[٤].

وهم يعيشون معاً في مكان واحد، ويستطيعون أن يتزوجوا ويعيشوا مع عائلاتهم في هذا المجتمع، وهم ينتمون إلى الطبقات الفقيرة في المجتمع، ويتخذون حرفاً مختلفة، كالبناء والرعي، بالإضافة إلى ذلك فإنهم يقومون في مقابل أجر بأعمال التنبؤ والأفعال الخارقة، كعلاج مياه أريحا[٥]، أو إحياء ابن الشونمية[٦].

ومن أهم العلامات المميزة لبني الأنبياء: ـ

١ ـ النشوة والانجذاب والرقص

ويتجلى ذلك في مزاولتهم أعمال العبادة والتنبؤ بآلات الطرب المتعددة مما عُدَّ أبرز علاماتهم[٧].

---

(١) ملوك ثاني (٢/١٢) صموئيل أول (١٠/ ١٢).

(٢) صموئيل أول (١٩/ ١٨ ـ ٢٤).

(٣) ملوك ثانى (٢- / ١ - ١٨).

(٤) ملوك ثانى (٢/١-١٩، ٤/ ١ - ٧، ٣٨ ـ ٤١، ٦/ ١ ـ ٧، ٩/ ١ - ١٤).

(٥) ملوك ثانى (٢ / ١٩ ـ ٢٢، ٤/ ٨).

(٦) ملوك ثانى (٤/ ٨ - ٣٧).

(٧) صموئيل أول (١٠/ ٥ - ٦) الملوك الثاني (٣/ ١٥).

٢ ـ حلول الروح

والروح هنا قوة إلهية يعقب حلولها على المرء تحول كامل في شخصيته وطبيعته، تماماً كما حدث مع شاول، إذ حولته إلى نبي[١]. لكنها ليست دائماً إيجابية المفعول، إذ حولت شاول في مناسبة أخرى إلى ما يشبه المجنون: «فجعل يسير ويتنبأ حتى انتهى إلى نابوت الرامة، ونزع هو أيضاً ثيابه، وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل، وانطرح عرياناً نهاره ذلك وليله كله، لذلك يقولون أشاول أيضاً من الأنبياء؟»[٢].

٣ ـ التعليم الروحي

لا شك أن الحياة الجماعية لبني الأنبياء قد أتاحت الفرصة للمدارسة والتعليم في شكل مواعظ وحلقات درس يقوم بها المرشد الروحي عن التقاليد النبوية والتأملات والتدريب على الإدراك، إلخ[٣].

ويلاحظ أن هذه العلاقات المميزة لجماعة بني الأنبياء لا تختلف عما اتصفت به «جماعة الأنبياء» التي تحدث عنها العهد القديم في بعض المواضع[٤].

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مؤهلات الانضمام إلى كلتا الجماعتين غير معروفة، فإنني أميل إلى عدّ المجموعتين جماعة واحدة تحت اسم «بنو الأنبياء» فهو أكثر دلالة على طبيعة هذه الجماعات وخصائصها.

ب ـ أنبياء القصر

وهم جماعات الرائين والعرافين والحالمين والمتنبئين والعاملين في خدمة

(١) صموئيل أول (١٠/ ١٠ - ١٢).

(٢) صموئيل أول (١٩/ ٢٣ - ٢٤).

(3) Bernhard Lang / wie wird mann Prophet in Israel ? S : 33 .

(٤) إرميا (٢٩/٨ - ٦)، زكريا (١/ ١ - ٥).

الحكام كموظفين رسميين في قصور الحكام برئاسة نبي منهم يتحدث عنهم. وأهم واجبات هذه الجماعة تقديم النصح والمشورة والنبوءات للحكام. وغالباً ما تكون هذه النبوءات سارة للحاكم وفي خدمة مصالحه، وهم ينازعون الأنبياء الفرادى ـ كإرميا وميخا ـ دعوى النبوة وامتلاك الروح النبوي[1].

جـ ـ أنبياء المعبد (الطقوس والشعائر).

وهم الذين يمارسون إلى جانب وظائفهم المدنية أعمال التنبؤ وإقامة الشعائر جنباً إلى جنب مع الكهنة في الهيكل والمعابد، والفارق بينهم وبين الكهنة: أن الكهنة مختصون بشعائر الذبح، أما الأنبياء فيقومون ببعض الصلوات، ويعزّون الشعب ويواسونه في محنه، كذلك يبشرون، ويعظون، ويدعون إلى التوبة، ويحذرون من الآثام، كل ذلك باسم كلمة الرب[2].

ويضيف سفرا الأخبار الأول والثاني إلى مهام أنبياء المعبد الغناء والعزف على الكنارات والعيدان والصنوج في بيت الرب[3].

وقد هاجم المستقلون من الأنبياء ـ وعلى الأخص إرميا ـ هذه الجماعة بشدة واتهموها بالكفر والكذب والغش وخداع الشعب[4].

ولا أدري كيف يتفق مثل هذا الهجوم من كبار الأنبياء على هذه الجماعة النبوية، مع انتساب بعض الأنبياء الذين ضم قانون الكتب العبرية المقدسة مؤلفاتهم إلى قائمته، مثل حبقوق وعوبديا إلى هذه الجماعة؟! كما يرجح

(١) ملوك أول (٢٢ / ٥ ـ ٢٨)..

(2) Irsigler/ die Prophetie / S : 48 .

(٣) أخبار أول (٢٥ / ١ – ٨)، الأخبار الثاني (٢٠، ١٤).

(٤) إرمياء (٢٣ / ١ – ٣٦).

٢ ـ حلول الروح

والروح هنا قوة إلهية يعقب حلولها على المرء تحول كامل في شخصيته وطبيعته، تماماً كما حدث مع شاول، إذ حولته إلى نبي[١]. لكنها ليست دائماً إيجابية المفعول، إذ حولت شاول في مناسبة أخرى إلى ما يشبه المجنون: «فجعل يسير ويتنبأ حتى انتهى إلى نابوت الرامة، ونزع هو أيضاً ثيابه، وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل، وانطرح عرياناً نهاره ذلك وليله كله، لذلك يقولون أشاول أيضاً من الأنبياء؟»[٢].

٣ ـ التعليم الروحي

لا شك أن الحياة الجماعية لبني الأنبياء قد أتاحت الفرصة للمدارسة والتعليم في شكل مواعظ وحلقات درس يقوم بها المرشد الروحي عن التقاليد النبوية والتأملات والتدريب على الإدراك، إلخ[٣].

ويلاحظ أن هذه العلاقات المميزة لجماعة بني الأنبياء لا تختلف عما اتصفت به «جماعة الأنبياء» التي تحدث عنها العهد القديم في بعض المواضع[٤].

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مؤهلات الانضمام إلى كلتا الجماعتين غير معروفة، فإنني أميل إلى عدّ المجموعتين جماعة واحدة تحت اسم «بنو الأنبياء» فهو أكثر دلالة على طبيعة هذه الجماعات وخصائصها.

ب ـ أنبياء القصر

وهم جماعات الرائين والعرافين والحالمين والمتنبئين والعاملين في خدمة

(١) صموئيل أول (١٠/ ١٠ - ١٢).

(٢) صموئيل أول (١٩ / ٢٣ - ٢٤).

(3) Bernhard Lang / wie wird mann Prophet in Israel ? S : 33 .

(٤) إرميا (٢٩/٨ - ٦)، زكريا (١/ ١ - ٥).

الحكام كموظفين رسميين في قصور الحكام برئاسة نبي منهم يتحدث عنهم. وأهم واجبات هذه الجماعة تقديم النصح والمشورة والنبوءات للحكام. وغالباً ما تكون هذه النبوءات سارة للحاكم وفي خدمة مصالحه، وهم ينازعون الأنبياء الفرادى ـ كإرميا وميخا ـ دعوى النبوة وامتلاك الروح النبوي[١].

جـ ـ أنبياء المعبد (الطقوس والشعائر).

وهم الذين يمارسون إلى جانب وظائفهم المدنية أعمال التنبؤ وإقامة الشعائر جنباً إلى جنب مع الكهنة في الهيكل والمعابد، والفارق بينهم وبين الكهنة: أن الكهنة مختصون بشعائر الذبح، أما الأنبياء فيقومون ببعض الصلوات، ويعزّون الشعب ويواسونه في محنه، كذلك يبشرون، ويعظون، ويدعون إلى التوبة، ويحذرون من الآثام، كل ذلك باسم كلمة الرب[٢].

ويضيف سفرا الأخبار الأول والثاني إلى مهام أنبياء المعبد الغناء والعزف على الكنارات والعيدان والصنوج في بيت الرب[٣].

وقد هاجم المستقلون من الأنبياء ـ وعلى الأخص إرميا ـ هذه الجماعة بشدة واتهموها بالكفر والكذب والغش وخداع الشعب[٤].

ولا أدري كيف يتفق مثل هذا الهجوم من كبار الأنبياء على هذه الجماعة النبوية، مع انتساب بعض الأنبياء الذين ضم قانون الكتب العبرية المقدسة مؤلفاتهم إلى قائمته، مثل حبقوق وعوبديا إلى هذه الجماعة؟! كما يرجع

(١) ملوك أول (٢٢ / ٥ ـ ٢٨)..

(2) Irsigler/ die Prophetie / S : 48 .

(٣) أخبار أول (٢٥ / ١ – ٨)، الأخبار الثاني (٢٠، ١٤).

(٤) إرمياء (٢٣ / ١ – ٣٦).

بعض الباحثين أن يكون: نحوم، ويوئيل، وحجاي أيضاً من بين أنبياء المعبد[1].

ثالثاً: نبوة المرأة

يطالعنا العهد القديم ببعض أخبار النبوات النسائية التي ظهرت جنباً إلى جنب مع الأنبياء الفرادى أو بمعزل عنهم. وهن:

مريم أخت موسى وهارون[2]، دبورة[3]، حُلدة امرأة شلوم[4].

وعلى الرغم من ضآلة حجم هذه الأخبار الواردة عنهن إلا أنها تكشف عن:

١- وجود نوع من المنافسة بين أولئك النبيات وبين كبار الأنبياء كموسى وهارون، إذ تضع مريم نفسها في مرتبة واحدة مع موسى[5].

٢- أن بعضهن كدبُّورة قامت بالجمع بين القضاء والنبوة في وقت واحد[6]، أو كحلدة التي جمعت بين الخدمة في المعبد ككاهنة وبين النبوة[7].

لكن ليس بين أيدينا أية معرفة عن كيفية تلقيهن الوحي، أو زمن هذا أو مدى استمرارية ذلك.

(1) H. W. Wolff / Obadia : ein Kultprophet als Interpret , Studien zur Prophetie, Theol Buecherei 76. (109 - 123) .

(٢) خروج (١٥ / ٢٠ - ٢١)، عدد (١٢ / ١ - ٣)، ميخا (٦/ ٤).

(٣) قضاة (٤/ ٤، ٥/ ١).

(٤) الملوك الثاني (٢٢ / ١٤ - ٢٠).

(٥) عدد (٢٢/ ١٤ - ٢٠).

(٦) قضاة (٤/ ٤ - ٥).

(7) Irsigler / Die Prophetie / S : 52 .

المبحث الرابع
معايير النبوة

فرضت قضية معايير النبوة نفسها على اليهودية مبكراً جداً حيث صوت الوحي لازال يسمع، وذلك بفعل جماعات «الأنبياء الكذبة» من أدعياء النبوة، التي كانت متوطدة الدعائم بشكل بات يهدد بيت النبوة، مما دفع أنبياء العهد القديم إلى محاولة التميز عن تلك الجماعات، وطرح المقاييس والعلامات التي تفرق بين الصادق والكاذب في دعوى النبوة، فدخلوا بذلك في جدل عنيف مع خصومهم الذين يستندون هم أيضاً إلى يهوه في دعوى النبوة.

ومع استمرار الحركة النبوية في بني إسرائيل أعيد طرح هذه المسألة مجدداً في محاولات دائبة للوقوف على مقاييس محددة تمكن من التفرقة الحاسمة بين نبي الله ومدعي النبوة الكاذب.

ويبقى السؤال الحاسم:

هل آلت تلك المحاولات إلى النجاح، وأصبح بإمكان دارس العهد القديم أن يفصل بين الحقيقي والمزيف من أدعياء النبوة في سطور أسفاره؟ أم باءت بالفشل، وأضحى الباحث خلفها سجين الحيرة والالتباس؟

وما من سبيل للإجابة عن مثل ذلك السؤال إلا بترك تلك المقاييس نفسها بما تحويه من موضوعية وبرهان وقابلية تطبيق في واقع البشرية والإنسان تقدم لنا الفيصل بين أنبياء الرحمن وأنبياء الشيطان، أو تزيد ـ بمنافرتها العقل والنقل ـ الالتباس التباساً.

وتدور المعايير التي طرحها العهد القديم للتفرقة بين النبيّ الصادق والنبيّ الكاذب حول التالي:

أولاً: المعيار الأخلاقي

تضمن العهد القديم عدة مواضع يحيل فيها الأنبياء إلى مسألة الجدارة الأخلاقية لمخالفيهم من أدعياء النبوة. مما يوحي بإمكانية أن تسهم المسألة الأخلاقية بدور في تحديد مدعي النبوة وكشفهم.

وسوف نعرض لهذه المواضع في محاولة للكشف عن علاقة تلك الإشارات بالجدل الدائر بين الأنبياء والأدعياء، أو ما إذا كان السلوك الأخلاقي مرتبطاً بمضمون أو بصلاحية البشارة النبوية في العهد القديم.

ويلاحظ ـ بداية ـ أن النقد النبويّ لأدعياء النبوة لم يستهدف الأخطاء الأخلاقية بصفة عامة، بل استهدف فقط بعض الأخلاقيات التي ترتبط بالنشاط النبوي، مثل:

أ ـ الرشوة:

إذ يبدو الأنبياء وهم يتقاضون نوعاً من الأجر نتيجة لنشاطهم النبوي، ومن هذا الأجر يقومون بإنفاق جزء على معيشتهم وحياتهم، وهذا لا يعيب السلوك النبوي في العهد القديم ،لكن يبدأ العيب على هذا المسلك حينما يورد الرسالة النبوية إلى مزالق الأخطار، عندما تقتضي المنفعة الشخصية والسعي وراء الكسب المادي تغيير مضمون الرسالة.

جاء في ميخا: «هكذا قال الرب على الأنبياء، الذين يضلون شعبي ويعضون بأسنانهم، وينادون بالسلام، ومن لا يلقمهم في أفواههم يشنون عليه حرباً مقدسة؛ لذلك يكون لكم الليل دون رؤيا. والظلمة دون عرافة، وتغرب الشمس على الأنبياء، ويظلم عليهم النهار»[١].

(١) ميخا (٣/ ٥ ـ ٦).

ومثل هذا النص لا يتضمن معيار النبوة، إذ إنه كمجمل رسالة ميخا ينعي على الظلم الاجتماعي للفقراء من قبل الأغنياء، فهو يشير ـ فقط ـ إلى أن الأنبياء قد خالطوا هذا النوع من الظلم الاجتماعي، وربطوا بتلقيهم الأجرة على رسالتهم مصيرهم بالجحيم، وذلك بإيثارهم الأغنياء[1].

أما الجدل والحوار بين الأنبياء والأدعياء، فليس له مكان في هذا النص ولا في نص آخر من نصوص كتاب ميخا الذي لا يحفل بهذه المشكلة.

والنص الثاني من كتاب ميخا، والذي يورد كشاهد على ذلك:

«اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقواد بيت إسرائيل، الذين يمقتون الحق، ويعوجون كل استقامة (٩) الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم (١٠) إنما رؤساؤها يحكمون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة، وأنبياؤها يمارسون العرافة بالفضة، ويعتمدون على الرب قائلين: أليس الرب في وسطنا. فلا تحل بنا الشرور (١١) لذلك بسببكم ستحرث صهيون كحقل، وتصير أورشليم أطلالاً، وجبل البيت مشارف غاب (١٢)»[2].

ومثل هذا النص لا يؤبه به كثيراً لما يشوبه من مطاعن تتمثل في[3]:

١ـ عدم الوحدة التي تسوده، إذ تختلف الضمائر فيه من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب، اختلافاً وانتقالاً دون رباط أو مسوغ.

٢ـ إن هذا الحكم على صهيون وأورشليم والصادر عن ميخا، جاء في كتاب إرميا ككلمة للرب وعلى لسان يهوه[4].

(1) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falseher Prophetie, S ; 25.

(٢) ميخا (٣ / ٩ ـ ١٢).

(3) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falscher Prophetie , S : 26-30 .

(٤) إرميا (٢٦ / ١٨).

٣ـ إن هذه الجملة «الذلك بسببكم ستحرث صهيون» تعد من أعمال الإضافة والتحرير على كتاب إرميا، في محاولة فاشلة للتأكيد على إثبات صحة مصدرها.

٤ـ التناقض الذي يعتري هذا النص، مما يجعل أوسطه يهدم أوله، وتهدم نهايته بدايته وأوسطه:

إذ الإسقاط في أول النص ضد رؤساء إسرائيل لممارستهم غير الصحيحة (آية ٩)، لكن في وسط النص (١٠) الهجوم على مثال محدد معين، وهو بناء صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، ثم تجيء نهاية النص (١٢) كعقاب على تلك الأفعال، ومن ثم تبقى (١١) وحيدة في هذا الإطار وذات هدف جديد، إذ حول المؤلف الأفكار إلى اتجاه جديد تماماً.

٥ـ محاولة الربط بين الآية (٩) والآية (١٢) لا تناسب إلا جهود محرري كتاب ميخا وتصوراتهم، أما ما بين الواقع والحقيقة فتقبع فجوة واسعة.

وقد تكرر مثل هذا الهجوم مرة أخرى في النبوات اللاحقة، إذ وجد حزقيال نفسه في مواجهة بعض المتنبآت: «وأنت يا ابن الإنسان: اجعل وجهك إلى بنات شعبك اللواتي يتنبأن من عند أنفسهن، وتنبأ عليهن(١٧). وقل: هكذا قال السيد الرب: ويل للواتي يخطن شرائط لكل مرفق يد، ويصنعن مناديل لرأس كل قامة لاصطياد النفوس. أفتصطدن نفوس شعبي وتحيين نفوسكنّ (١٨)، وتدنسنني عند شعبي لبضع حفنات شعير وكسر خبز، حتى تُمِتْن نفوساً لا تموت وتُحْيين نفوساً لا تحيا، بكذبكن على شعبي السامع للكذب؟ (١٩)»[1].

(١) حزقيال (١٣ / ١٧ ـ ١٩).

وهذا الهجـوم يخص في جانب منه حـملة الأنبياء عـلى مدعيـات النبوة، وذلك عبـر الآية (١٧) فقط، إذ يصف هؤلاء النسـوة بأنهن: مدعيـات نبوة، وأعمالهن ضلال للشعب، وبشاراتهن من عند أنفسهن. أما بقية النص والهدف الحقيقي من سـائر الهجوم فهو تنديد بالسحر وممارسـاته وما يؤدي إليه من قتل نفوس الأبرار، ومؤازرة الأشرار بغرض النفع الشخصي، ويتضح هذا جلياً في الآيات التالية لهـذا النص مباشرة: (لأنكن كسـرتن قلب البار بالكذب وأنا لم أحزنه، وشددتن يدي الشرير، لئلا يرجع عن طريقه الشرير فيحيا)[١].

نخلص من ذلك إلى أن التـبكيت بسبب الرشـوة نادراً ما يرمي به خـصوم الأنبياء، وفي المواضـع التي قد يفهم منها أن المقـصود هو ذم الرشوة لا بد أن تكون مرتبطة بالدعوة المضلة والكذب على الشعب.

ب ـ السُكْر:

إذا كـانت الرشوة تدفع إلى الغش والتـحريـف في الكلمات النبـوية لأجل المنفعـة الذاتية، كذلك يؤدي السُكْر إلى الـعجز والتقـصير وعـدم القدرة على القيام بأعبـاء النبوة، وفي ذلك يقول أشعيا: (هؤلاء أيضـاً ضلوا بالخمر وتاهو بالمسكر: الكاهن والنبي ضلا بالمسكر وغرقـا في الخمر، تاها من المسكر وضلا في الرؤيا، وترنّحـا في اتخاذ القرار، كـل الموائد امتلأت من القيء الـقذر فلم يبق مكان)[٢].

وهذا النص لا يزيد ـ في الحقيقة ـ عن كـونه ملاحظة من أشعيا لما يدور في الولائم الدينية التي تقام في الهيكل، وتتعدد التخمينات حول المقصود منه: هل

---

(١) السـابق: الآيات ٢٠ ـ ٢٢، وانظر: تعليق شراح العـهد القـديم على مجـمل الآيات من ١٧ ـ ٢٢ هامش (٢، ٣)، ص: ١٧٩١ من العهد القديم للكاثوليك.

(٢) أشعيا (٢٨ / ٧ ـ ٨).

المقصود نقد السكر والنشوة بسبب الخمر لدى الأنبياء الذين يتبعون ممارسات الكهانة الوثنية المتمثلة في التمتمة والتهتهة والهمهمة بكلام غير مفهوم من فعل الخمر والمسكرات؟

لكن النص على أية حال لا يقدم موقفاً نقدياً لمثل هؤلاء الأنبياء أو لغيرهم في مقابل أنبياء يهوه بسبب معاقرة الخمر والتيهان في السكر، إذ لم تطرح في هذا المقام تساؤلات حول شرعية النبوة[١].

جـ ـ الفسق والفجور:

على خلاف النبوات المتقدمة يوجد في كتاب إرميا العديد من المصطلحات التي تتعلق بالحكم على الأخلاق، فإلى جانب التقريع بسبب فسخ العلاقات الزوجية، يبكت الأنبياء بسبب ارتكابهم المعاصي واقترافهم الشائن من أعمال الفسق، وممارستهم المعاملات الخليعة، وفعلهم الشر في بيت الرب نفسه، ومن جراء ذلك خرج الكفر إلى كل الأرض[٢].

لكن يجب الانتباه إلى أن إرميا لم يتهم خصومه شخصياً، لكنه استعمل ألفاظاً مجازية للتعبير عن مخالفة الرب، فاللفظ كافران في الآية: (لأن النبي والكاهن كافران، وفي بيتي وجدت شرهما)[٣]. إلى جانب إشارته إلى أن الشر قد وقع في بيت الرب يجعل الأفكار تتجه إلى أمور العبادة لا إلى الأخطاء الأخلاقية، كما أن النص يخلو تماماً من إشارة قريبة أو بعيدة إلى الأنبياء الكذبة.

---

(1) Wildberger , H. / Jesaja 1 / S : 5 .

- Duhm . B. / Das Buch Jesaja / S : 197 .

(٢) إرميا (٢٣ / ٩ ـ ١٢).

(٣) إرميا (٢٣ / ١١).

فالنص ذو هدف واضح ومحدد، هو التشديد على الفساد السائد الذي شمل حتى الأنبياء والكهان، وهذا التشديد ليس بسبب أعمال ومهام النبوة، بل بسبب المشاركة في هذا الانحطاط العام، أما الرسالة ومضمونها فلا إشارة لها[١].

أما النص الثاني الذي يكرس مصطلح الفسق في كتاب إرميا: (ففي أنبياء السامرة رأيت الغباوة: تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه: الفسق والسلوك في الكذب، شددوا أيدي فعلة الشر؛ لئلا يرجعوا كل واحد عن سوئه)[٢].

وهنا خلاف شديد، إذا ما كان المقصود من النص التنديد بالسلوك الأخلاقي للأنبياء؛ إذ يحوي النص ربطاً ومقارنة بين ما ارتكبه أنبياء السامرة من الدعوة لإله آخر هو البعل، أضلوا به الشعب. وبين ما ارتكبه أنبياء أورشليم كذلك من الدعوة إلى آلهة أخرى بالإضافة إلى الفسق والسلوك الشائن ومؤازرة الأشرار.

يؤيد هذا الفهم ما جاء في الآية التالية مباشرة للتعقيب على جرائر أنبياء أورشليم: (لأنه من أنبياء أورشليم خرج الكفر إلى كل الأرض)[٣]؛ وعلى ذلك يكون انتقاد الأنبياء لتمردهم على الله وإشراكهم بإله آخر بالتزامن مع فجورهم الأخلاقي وممارستهم الشائنة في دائرة عملهم النبوي[٤].

(1) Rudolph . W / Jeremia / S : 150 .

(٢) إرميا (٢٣ / ١٣ ـ ١٤).

(٣) إرميا (٢٣ / ١٥).

(4) Diepold, p . / Israelsland / S : 45 / BWANT 95 , 1972 . biblischesorter - buch A.N. Testament .

يزيد ذلك إيضاحاً وتأكيداً ما جاء في إرميا من فضح لمسلك اثنين من أدعياء النبوة وهما صدقيا وأحاب، اللذين حرقهما ملك بابل بالنار لأنهما: (صنعا فاحشة في إسرائيل، وزنيا مع نساء قريبيهما، وتكلما باسمي كلاماً كاذباً لم آمرهما به)[1].

يقودنا كل ذلك ـ في النهاية ـ إلى أن إرميا وغيره من الأنبياء لا ينتقدون الأنبياء الكذبة بسبب أخطائهم الأخلاقية، لكن هذه الأخطاء الأخلاقية تكون مدخلاً للطعن والتبكيت إذا ما واكبت وتزامنت مع الردة والشرك بيهوه.

أي إن أنبياء العهد القديم لا يرون علاقة مباشرة بين الانحطاط الأخلاقي، وبين الأهلية والجدارة بالثقة في حمل أعباء الرسالة والنبوة وتلقي الوحي، ولم يناقش أحدهم في كل الأمثلة السالفة شرعية نبوة من اقترف إثماً أخلاقياً.

لذلك لا تجد التوارة وأسفار العهد القديم غضاضة في نسبة أشنع الجرائم الأخلاقية ـ التي يترفع عنها حتى عامة البشر ـ إلى كبار الأنبياء وأعاظم بني إسرائيل ممن يلقبون بالآباء أو الملوك:

فتنسب التوارة إلى نوح أنه سكر وغرق في سكره حتى تعرى وتبدت سوأته[2]، وإلى لوط تنسب جريمة معاقرة الخمر حتى الثمالة، ثم الزنا بابنتيه وإنجاب حفيدين أصبح الأول أبا للمؤابيين، والثاني أبا لبني عمون[3].

وإلى يعقوب (إسرائيل)، الذي يحمل اليهود اسمه ويتسمون به كدولة وشعب، تنسب وقائع الغش والاحتيال والكذب[4]، وإلى ابنه يهوذا رأس اليهود

---

(١) إرميا (٢٩ / ٢٣).

(٢) تكوين (٩ / ٢١ ـ ٢٦).

(٣) تكوين (١٩ / ٣٠ ـ ٣٨).

(٤) تكوين (٢٥ / ٣١ ـ ٣٩، ٢٧ / ١ ـ ٤٥، ٢٩ / ٢٥ ـ ٣٦، ٣١ / ٢٠ ـ ٢١، ٣٧ / ٣٦). أشعيا (٤٣ / ٢٢ ـ ٢٤)، ميخا (١ / ٢ ـ ٨).

الذي يشتق اسمهم (اليهود) من اسمه، وأحد الأسباط الاثني عشر: تنسب جريمة الزنا بكنته وإنجابها طفلي زنا أحدهما جد داود والمسيح عيسى ابن مريم[1].

أما موسى نموذج النبوة الأمثل في اليهودية، فيأمر بني إسرائيل بسلب المصريين ونهب متاعهم قبل الخروج من مصر: (فإذا انصرفتم فلا تنصرفوا فارغين، بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أواني من فضة وذهب وثياباً تجعلونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين)[2].

وداود مسيح الرب ومختاره يقوم بالزنا بامرأة جنديه المخلص أوريا الحثّي، ويحتال عليه بقتله في الحرب حتى يواري أثر زناه ببتشابع التي حملت نتيجة هذا الزنا[3].

وهوشع النبي يتزوج من زانية، ويصمت على خيانتها المستمرة بل عندما فارقته يعود فيضمها إلى بيته ثانية[4]، على الرغم من تأكيد سفر التثنية على وجوب رجم مثل هذه المرأة التي يرتاب فيها زوجها وتثبت خيانتها (ويرجمها جميع أهل مدينتها بالحجارة حتى تموت؛ لأنها صنعت قبيحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها، واقلع الشر من وسطك)[5].

وغني عن البيان أن المخالفات السالفة: الكذب، السرقة، الزنا تصادم الوصايا العشر جوهر الديانة اليهودية[6]، بل وأية شرائع وأعراف أخلاقية.

(١) تكوين (٣٨ / ١٢ ـ ٣٠).

(٢) خروج (٣ / ٢١ ـ ٢٢).

(٣) صموئيل الثاني (١١ / ٢ ـ ٢٦، ١٢ / ١ ـ ١٥).

(٤) هوشع (١ / ٢ ـ ٣ / ١ ـ ٢).

(٥) تثنية (٢٢ / ١٣ ـ ٢١).

(٦) راجع الوصايا العشر في: خروج (٢٠ / ٢ ـ ١٧)، تثنية (٥ / ٦ ـ ٢١).

كذلك تصادم ما اصطلح عليه من معايير نبوة في الفكر اليهودي، إذ يلعب المعيار الأخلاقي دوراً أساسياً في تمييز النبي الحقيقي عند ابن ميمون الذي يقول: «وبقي أن تعلم هل مدعي ذلك هو الكامل الذي أوحي إليه بها (الشريعة)، أو هو شخص ادعى تلك الأقاويل وانتحلها؟

ووجه امتحان ذلك هو اعتبار كمال ذلك الشخص وتعقب أفعاله وتأمل سيرته، وأكبر علاماتك اطراح اللذات البدنية والتهاون بها ـ فإن هذا أول درجات أهل العلم، فناهيك الأنبياء ـ وبخاصة الحاسة التي هي عار علينا كما ذكر أرسطو، ولا سيما قذارة النكاح منها؛ ولذلك فضح الله بها كل مدع ليتبين الحق للمحققين ولا يضلوا ولا يغلطوا.

ألا ترى صدقيا بن معسيا وآحاب بن قولا كيف ادعيا النبوة وتبعوهما الناس، وأتيا بأقاويل وحي جاءت لغيرهما، وانهمكا في خساسة لذة الجماع حتى زنيا بنساء أصحابهما وتباعهما حتى أشهرهما الله كما فضح غيرهما !!»[1].

ثانياً: التبشير باسم الآلهة الغريبة

لا شك أن التفرقة بين نبي كاذب ونبي صادق على أساس من الدعوة إلى يهوه أو إله آخر لهي من الصعوبة بمكان، لأن جميع الأنبياء في بني إسرائيل ـ صادقين وكذبة ـ يحرصون على التحدث باسم يهوه، وحريصون أكثر ألا يضبطوا متلبسين بالدعوة إلى غيره، فأنبياء البعل مثلاً يقدمون أنفسهم كخدام للبعل الذي يرتدي قناع يهوه.

ومن ثم احتاج مثل هذا المعيار زمناً طويلاً ومراحل مختلفة لاستكمال تطوره وصياغته، نلمح ذلك من خلال المواضع التالية: ـ

(١) دلالة الحائرين، ص: ٤١٧ ـ ٤١٨.

١ ـ في سفر التثنية

يكشف السفر عن مواجهات بين أنبياء يهوه وأنبياء المعبودات الأخرى مما اقتضى الحاجة إلى محاولة حسم هذا الصراع: (إذا قام في وسطكم نبي أو حالم أحلام، فعرض عليكم آية أو خارقة، ولو تمت الآية أو الخارقة التي كلمك عنها، وقال لك: لنسر وراء آلهة أخرى لم تعرفها فتعبدها، فلا تسمع كلام هذا النبي أو حالم الأحلام. فإن الرب إلهكم ممتحنكم ليعلم هل أنتم تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم، وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون. ووصاياه تحفظون ولصوته تسمعون، وإياه تعبدون وبه تتعلقون. وذلك النبي أو حالم الأحلام يقتل، لأنه نادى بالتمرد على الرب إلهكم الذي أخرجكم من مصر، وفداك من دار العبودية؛ ليبعدك عن الطريق التي أمرك الرب إلهك بأن تسير فيها، فاقلع الشر من وسطك)[1].

لكن هذا النص غير معلوم المصدر: أجاء من دولة الشمال حيث يمكن تصور وجود تمرد على عبادة يهوه أو على الأقل جدل بين أنبيائه وأنبياء المعبودات الأخرى !؟ أم أنه قد نشأ تدريجياً ثم أقحم على يد محرري سفر التثنية كتعليق أو تتمة لنص سفر التثنية: (إذا وجد في وسطك في إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك إياها، رجل أو مرأة صنع الشر في عيني الرب إلهك، متعدياً عهده، ومضى فعبد آلهة أخرى وسجد لها أو للشمس أو القمر أو لسائر قوات السماء مما لم أمر به، وأُخبرتَ وسمعتَ وبحثتَ جيداً فكان الأمر صحيحاً ثابتاً، وقد صُنعتْ هذه القبيحة في إسرائيل فأخرج هذا الرجل أو هذه المرأة الذي صنع هذا الأمر الشرير إلى أبواب مدينتك، رجلاً كان أو امرأة، وارجمه

(١) تثنية (١٣ / ٢ ـ ٦).

بالحجارة فيموت)!؟ [١].

إذ إن تاريخه لا يجاوز بحال من الأحوال فترة حكم يوشيا مملكة الجنوب (٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق. م)، حيث احتلت مشكلة الشرك وعبادة الآلهة الغريبة اهتماماً بارزاً، وفيها تمت أول إضافات وتوسعات إلى سفر التثنية شملت ثلاثة وعشرين إصحاحاً تبدأ من الإصحاح الخامس وحتى الثامن والعشرين[٢].

وينتمي أيضاً إلى هذه المجموعة من النصوص المعدلة النص الوارد في الإصحاح الثامن عشر: (ولكن أي نبي اعتد بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله، أو تكلم باسم آلهة أخرى، فليقتل ذلك النبي)[٣].

إذ تبدو فيه الجملة (أو تكلم باسم آلهة أخرى) غريبة تماماً عن سياق مجمل الآيات التي يبشر فيها الرب بنبي مثل موسى أهم سماته أنه يتحدث باسم الرب وكلام الرب في فمه فلا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر به ونهى عنه من قبل الرب؛ لذلك فسيعاقب الرب كل من يخالف أمر ذلك النبي، ثم تفسر الآيات كيفية التعرف على ذلك النبي بتمام كلمته وتحقق نبوءته[٤].

لذلك فالبناء الطبيعي والمنطقي للآيات هو التالي: (سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به، وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه ولكن أي نبي اعتد

(١) تثنية (١٧ / ٢ ـ ٥).

(2) Seitz , G/ Redaktionsgeschichtliche Studien zum Deuteronomium 146 /BWANT 93, 1971 / S: Merendino . R.P / Das deuteronomische Gesetz. / S: 80 , 84 / BBB 37, 1969 .

- Irsigler / Die prophetie / S : 71 .

(٣) تثنية (١٨ / ٢٠).

(٤) تثنية (١٨ / ١٨ ـ ٢٢).

بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله فليقتل ذلك النبي، فإن قلت في قلبك: كيف نعرف القول الذي لم يقله الرب؟ فإن تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يحدث، فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل للاعتداد بنفسه تكلم به النبي، فلا تهبه).

يقودنا ذلك إلى أن سفر التثنية لا يعرف مسألة مقاييس النبوة، لكنه يعلن وجوب قتل كل من يكفر بيهوه سواء أكان نبياً كاذباً اقترف هذا الذنب، أم واحداً من عامة الناس، ثم ربطت عمليات التحرير المتعاقبة بين هذا التوجيه وبين مسألة الجدل والحوار حول الأنبياء الكذبة.

٢ ـ في سفر إرميا:

عرف سفر إرميا أيضاً ظاهرة الأنبياء المبشرين باسم معبودات أخرى، وعلى وجه التحديد أنبياء البعل، لكنه يعالجها في إطار استحضار الماضي، والمقارنة مع أنبياء أورشليم الذين يبدون ظاهرياً منتسبين إلى يهوه، ولكنهم في الحقيقة قد كفروا به.

يقول السفر: (ففي أنبياء السامرة رأيت الغباوة: تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه: الفسق والسلوك في الكذب، شددوا أيدي فعلة الشر لئلا يرجعوا كل واحد عن سوئه فصاروا كلهم كسدوم، وصار سكانها كعمورة)[١].

وتتكرر معالجات السفر للظاهرة في مواضع أخرى منها: (الكهنة لم يقولوا: أين الرب؟ وأصحاب الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوني، والأنبياء تنبأوا بالبعل وساروا وراء ما لا فائدة فيه)[٢].

---

(١) إرميا (٢٣ / ١٣ ـ ١٤).

(٢) إرميا (٢ / ٨).

لكنها أيضاً معالجات استرجاع الماضي، والذي كان سبباً في عقوبات يعانيها الشعب زمن إرميا، كما تبين ذلك الآيات التالية لهذا النص مباشرة: (فلذلك اتهمكم، يقول الرب. واتهم بني بنيكم)[1].

فهدف إرميا إذن من تلك المعالجات هو الحكم على أنبياء عصره بمشابهتهم أنبياء البعل الذين رجعوا للكفر بيهوه، مما جعل رسالتهم تخرق الوصية الأولى وتضعهم في مصاف الأنبياء الكذبة.

إذ إن يهوه ـ كما اتضح من كل الأمثلة السابقة ـ هو الحد الذي لا يسمح لأحد بتجاوزه بما في ذلك الأنبياء الذين حصلوا على شرعيتهم النبوية عن طريق المعجزات والخوارق، وهذا هو المعيار الذي استخدمه إرميا لكنه يبقى غير ذي موضوع لسببين:

الأول: أنه يستوحي الماضي في مشكلة معاصرة (إذ إن أنبياء البعل قد زالوا بزوال مملكة الشمال).

الثاني: أنه في حالة أنبياء مملكة الجنوب يبقى معيار كهذا عسير التطبيق إذ يتطلب العثور على علامات كفر الأنبياء بيهوه في الوقت الذي يدعو فيه هؤلاء باسم يهوه، وإليه.

لكن المأزق الذي سقط فيه كتّاب العهد القديم، وما إلى خروج منه من سبيل، هو ما حكي عن هارون: (ورأى الشعب أن موسى قد تأخر في النزول من الجبل، فاجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا، فإن موسى ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا حلقات الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، وأتوني بها. فنزع كل الشعب حلقات الذهب التي في آذانهم، وأتوا

(١) إرميا (٢ / ٩).

بها هارون، فأخذها وصبها في قالب، وصنعها عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما رأى هارون ذلك، بنى مذبحاً أمام العجل، ونادى قائلاً: غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقربوا ذبائح سلامية)[1].

ثالثاً: الوحي

طرح العهد القديم الوحي كإطار يقود إلى التمييز بين الأنبياء والأدعياء عبر وسائله المتعددة، مثل:

أ ـ الحلم:

ظل الحلم عبر مئات السنين في تاريخ إسرائيل والبيئة المحيطة وسيلة للوحي لا ينازع فيها منازع، لكنها ظهرت كوسيلة غير مختصة بالأنبياء الذين رُبط بينهم وبين أصحاب الأحلام ممن يدعون إلى الكفر بيهوه، ويستوجبون القتل كما جاء في سفر التثنية: (إذا قام في وسطكم نبي أو حالم أحلام فعرض عليكم آية أو خارقة، ولو تمت الآية أو الخارقة التي كلمك عنها، وقال لك لنسر وراء آلهة أخرى لم تعرفها فنعبدها، فلا تسمع كلام هذا النبي أو حالم الأحلام. . . وذلك النبي أو حالم الأحلام يقتل، لأنه نادى بالتمرد على الرب إلهكم)[2].

وهذا النص إلى جانب ما يشوبه من انتقادات تاريخية وضمنية[3]، فهو لا يجعل الحلم فيصلاً بين الأنبياء الكذبة والحقيقيين، بل يرفض قبول دعوى حالم الأحلام فقط في حالة مصادمتها للوصية الأولى.

(١) خروج (٣٢ / ١ ـ ٦).

(٢) تثنية (١٣ / ٢ ـ ٦).

(٣) راجع الانتقادات الموجهة إلى هذا النص التى عرضناها أثناء مناقشة معيار التبشير باسم الآلهة الأخرى.

ويدعم هذا النص أيضاً ما جاء في سفر العدد من إقرار للوحي كوسيلة شرعية للنبوة: (إن يكن فيكم نبي، فبالرؤيا أتعرف إليه، أنا الرب وفي حلم أخاطبه)[1].

كل ذلك يجعل حملة إرميا على أصحاب الأحلام موضع تساؤل يقتضينا إعادة النظر في بناء تلك النصوص ومدى وحدتها وثباتها أمام النقد.

وأهم النصوص التي تناولت هذه المسألة ما جاء في إرميا: (إني سمعت ما قاله الأنبياء المتنبئون باسمي كذباً قائلين: لقد حلمت (٢٥) إلى متى يكون ذلك في قلوب الأنبياء المتنبئين بالكذب والمنبئين بمكر قلوبهم (٢٦)، والذين يقصدون أن ينسوا شعبي اسمي بأحلامهم التي يقصها كل منهم على صاحبه، كما نسي آباؤهم اسمي لأجل البعل؟ (٢٧)، النبي الذي عنده حلم فليقصه، والذي عنده كلمة فليتكلم بها الحق. أي صلة بين التبن والحنطة، يقول الرب؟ (٢٨).

أليست كلمتي كالنار، يقول الرب، وكالمطرقة التي تحطم الصخر؟(٢٩) لذلك هاءنذا على الأنبياء، يقول الرب، الذين يسرقون كلامي كل واحد من صاحبه.(٣٠) هاءنذا على الأنبياء، يقول الرب، الذين يستخدمون ألسنتهم ويقولون أقوالاً نبوية.(٣١) هاءنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة، يقول الرب، ويقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم وعجبهم وأنا لم أرسلهم ولم آمرهم (٣٢).)[2]

وهذا النص موضع خلاف واسع؛ إذ يضم إليه بعض الباحثين الآية (٢٣) من نفس السفر (أإله أنا عن قرب، يقول الرب ولست إلها عن بعد) كمقدمة له، بينما يستبعد آخرون الآية (٢٨) بسبب مصطلح (كلمة الرب) الذي يبدو غريباً، وتذهب جماعة أخرى من الباحثين إلى أن الآيات من (٢٩ ـ ٣١) من

(١) عدد (١٢ ـ ٦).

(٢) إرميا (٢٣ / ٢٥ ـ ٣٢).

إضافـات محرري السـفر، ثم أعقـبتهـا في زمن متأخـر الآية (٣٢)، وتنتهي مجموعة رابعة إلى أن النص برمته من (٢٣ ـ ٣٢) من نتاج زمن المنفى[1].

وهذه النتيجة الأخيرة تطابق رأي مؤلفي المدخل إلى سـفر إرميا في الترجمة الفرنسـية المسكونيـة للكتاب المقدس، حـيث جاء ما نصـه: (إن المشكلة تزداد تعقداً لأن الفصول (١ ـ ٢٥) تحتوي ـ بالإضـافة إلى أقوال شعرية لا غبار على أصالتـها ـ على فقـرات كثيـرة يختلف طولها وتشكل أحـياناً فصـولاً كاملة، وحررت في نثـر تذكّر مـفرداته وتفكيره الـلاهوتي بأعمال ناشـري سفـر تثنية الاشتراع الذين وضعوا في أثناء الجلاء تلك اللوحة التاريخية الجامعة الموزعة في حالتها الحاضرة على الأسفار المسماة «الأنبياء الأولين».

لا يمكن أن نعـد تلك الفقـرات كما هـي عمل إرميـا الشخـصي ولابد من التسـليم على الأقل بأنها تمثل أقـوالاً لإرميـا دونها فـيمـا بعد تلامـيذ اتبـعوا تعليمه)[2].

وإذا ما أضيفت إلى مسألة الثقة في تاريخية النص، أن مؤلفه لا ينكر حقيقة الحلم كوسيلة وحي، بل يكافح ضد أصـحاب الأحلام الذين يدعون إلى الكفر بيهوه، ولا يجدون وسـيلة لإثبات شرعيتهم إلا الحلم، لاكـتشفنا إلى أي مدى يمكن الاستناد إلى النص!!

أما إذا سمحنا لأنفسنا بالذهاب إلى أبعد من ذلك، والقول بأن النص يحكم على الحلم بضـعف قيمـته كوسـيلة وحي، أو يرفضـه انطلاقاً من عـدم قدرة أصحابه إثبات تلقيهم الوحي بمجـرد قصهم لأحلامهم، فلا شك أن النص في

(1) Gerhard Munderlein / Kriterien Wahrer und falscher Prophetie / S: 58 - 62 .

(٢) العهد القديم للكاثوليك، ص: ١٦٤٢.

تلك الحال يستوحي نص سفر العدد (١٢ / ٦ ـ ٨).

لكن هناك تبدو كلمة موسى أو وصاياه التي تلقاها من يهوه هي الفيصل بين الأنبياء الكذبة والحقيقيين، وليس الوحي.

ولكن المؤكد أن هذا لم يكن ـ على الإطلاق ـ هدفاً لإرميا ولا مقصداً له، إذ نعلم من النصوص ـ خاصة ـ بأن إرميا لم تكن له في أول أمره أية رغبة في التميز عن إخوانه الأنبياء [راجع ١٤ / ١٣ ـ ١٦، ٢٨ / ٦ ـ ٩، وكذلك ١/٢٩]. ولم يكن يجد أي سبب كان لوصفهم أول وهلة بـ «الأنبياء الكذابين».

وهذا ما يحملنا على طرح أسئلة حرجة عن سبب عزلة إرميا. فإذا ما استثنينا المقاييس الأخلاقية، وهي عسيرة الاستعمال [٢٣/ ١٤، ١٧، ٢٢، ٢٣/٢٩]، لم يكن في متناول إرميا كثير من المقاييس الموضوعية التي من شأنها أن تمكنه من التمييز بين الصادق والكاذب، ومن تفضيل رسالته على رسالة كثير ممن كانوا يدافعون عن رسالتهم بما كان يدافع هو به عن رسالته من اليقين[1].

نخلص من هذا إلى أن ما جاء بشأن مقاييس النبوة لدى إرميا على وجه العموم وحول الحلم على وجه الخصوص، لا يعرفه إرميا ولا ينتمي لزمنه، بل إلى تلك اليد التي سطرت السفر في شكله الأخير إذ: «إن المحرر النهائي لسفر إرميا ينتمي فعلا إلى [مدرسة الاشتراع]، فلابد من التسليم بأن نشاطاً أدبياً ولاهوتياً مكثفاً ظهر في فلسطين في حوالي النصف الثاني من القرن السادس، وهو عمل تفكير وبحث ونشر كان عبارة عن جمع الوثائق وتفسيرها وضمها في مجلدات ضخمة، وعن استخلاص النتائج التي تفرض نفسها في سبيل اطلاع أفضل على كلمة الله إلى شعبه»[2].

(١) العهد القديم للكاثوليك، ص: ١٦٣٦.

(٢) السابق: ١٦٤٢.

ب ـ الوقوف في مجلس الرب

يبدو الوقوف في مـجلس الرب كمصدر للمـعرفة النبوية في مقـابل أدعياء النبوة الذين لم يتح لهم هذا المقام، كما يظهر في سفر الملوك.

(فقـال ميخا: اسـمع كلام الرب. رأيت الرب جالسـاً على عرشه وجـميع قوات السماء واقفة لديه على يمينه وشماله. فقال الرب. . . .)[١].

وفي إرميا: (لأنه قد وقف في مـجلس الرب ورأى وسمع كلمته؟ من الذي أصغى إلى كلمـته واستمعها؟)[٢]. وفي موضع آخر: (ولو وقفوا في مجلسي وأسمـعوا شـعبي كـلامي، لكانوا أرجـعوهم عن طريقـهم الشرير وعـن شر أعمالهم)[٣].

وفي هذه المواضع الثـلاثة مـجرد إنكـار لنبوة المخـالفين دون برهان سـوى الدعوى بأنهم لم يقفـوا في مجلس الرب، ولكن ذلك يبقى مجرد دعـوى غير قابلة للفـحص والإثبات، خاصـة إذا ما كان الخصـمان ينسبـان إلى نفسيهـما الامتياز نفسه، ويرميان بعضهما البعض بالدعوى نفسها.

جـ ـ حلول روح الرب

الحديث عن حلول روح الرب بالأنبـياء غزير نسـبياً لدى حزقـيال[٤]، نادر لدى غيره، لكنه يلعب دوراً متواضعاً في مجال الجدل مع الأنبياء الكذبة، يكاد

(١) ملوك أول (٢٢ / ١٩ ـ ٢٠).

(٢) إرميا (٢٣ / ١٨).

(٣) إرميا (٢٣ / ٢٢).

(٤) حزقيال (٢ / ٢، ٣ / ١٢، ٣ / ٢٤، ٨ / ٣، ١١ / ١، ١١ / ٥، ١١ / ٢٤، ١٣ / ٣، ١٣ / ٧، ٤٣ / ٥)

يكون قاصراً على قصة ميخا بن يملة [1] مع صدقيا بن كنعة، حيث يدعي كل منهما ـ في الوقت نفسه ـ حلول روح الرب فيه[2].

تلك القصة التي لو تطورت فيها دعاوى أصحابها إلى بيان كيفية استقرار وحلول روح الرب فيهم، أو بتحديد طبيعة تلك الروح التي تميزه عن الروح الكاذبة، لكان ذلك معياراً فريداً لتقييم النبوة، يصبح معه فاعل ذلك نبياً حقيقياً ويعدُ مخالفه كاذباً، وتعد كل دعوى تخالف دعوته كفراً وهرطقة[3].

د ـ الرؤى

الرؤيا وسيلة وحي مشروعة يمكن أن تلخص الحياة اليومية للنبي، إذ يشعر المحيطون بالنبي، ويدركون انقطاعها دون عناء، وذلك حينما يلتمسونها فلا يجدونها كما يخبر حزقيال: (تأتي كارثة على كارثة، ويأتي خبر على خبر، فيلتمسون رؤيا من النبي)[4].

وقد تكون الرؤية أيضاً مدخلاً للطعن في رسالة النبي، كما رمى حزقيال من خصومه: (إن الرؤيا التي هو يراها هي إلى أيام كثيرة، ونبوءته إلى أزمنة بعيدة)[5].

وكما رمى حزقيال منافسيه: (أما ترون رؤيا باطلة وتنطقون بعرافة

---

(١) ميخا بن يملة كان زمن حكم يوشافاط مملكة الجنوب (٨٧٠ ـ ٨٤٦ ق. م) وهو غير النبي ميخا صاحب أحد أسفار العهد القديم الذي يفترض أنه تنبأ ما بين عام (٧٢٥ ـ ٦٨٠ ق. م) زمن حكم آحاز وحزقيا.

(٢) الملوك الأول (٢٢ / ١٩ ـ ٢٥).

(3) Hossfeld, F . L . / Profhet gegen Prophet / Biblishe Beitrage ,S : 9.

(٤) حزقيال (٧ / ٢٩).

(٥) حزقيال (١٢ / ٢٧).

كاذبة)[١]، وكذلك حذر إرميا من مناوئيه: (لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم ويخدعونكم، يتكلمون برؤيا قلوبهم، لا بما يخرج من فم الرب)[٢].

وهذه الدعاوى والاتهامات التي تتكرر من حزقيال وإرميا في مواضع أخرى[٣] علاوة على تجردها من البرهان والإثبات، فهي أيضاً من إضافات وعمل مدرسة تثنية الاشتراع زمن المنفى، سيقت على لسان هؤلاء وأقحمت في هذه المواضع في إطار جهود دائبة لتوضيح ظاهرة ادعاء النبوة[٤].

فالرؤية كمعيار للنبوة لا تصلح إلا مقرونة بنتيجتها، إذ لا يعقل انتقاد إنسان بسبب دعواه الرؤيا دونما دليل ملموس على كذب تلك الدعوى. أما عندما تخفق رؤياه فلا تتحقق كما أخبر، فعندئذ تصح دعوى بطلان رؤاه.

هـ ـ كلمة الوحي (يهوه):

على خلاف ما سبق تظهر كلمة الرب كأساس محوري للنبوة: (وإن كانوا أنبياء وكانت عندهم كلمة الرب، فليشفعوا لدى رب القوات)[٥]. إذ عندما يبعث الله نبياً يضع كلمته في فم ذلك النبي كما أخبر سفر التثنية: (وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما أمره به)[٦].

لكن تلك الكلمة في إطار المناسبات التي ظهرت فيها لا تحمل قوة معيار

(١) حزقيال (١٣ / ٧).

(٢) إرميا (٢٣ / ١٦).

(٣) إرميا (١٤ / ١٤)، حزقيال (٢٢ / ٢٨).

(4) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falscher prophetie / S: 72 - 73.

(٥) إرميا (٢٧ / ١٨).

(٦) تثنية (١٨ / ١٨).

يمكن به التفرقة بين النبوة الحقيقية والزائفة، إذ هي معيار للحكم فقط من منظور محرري العهد القديم، الذين أضافوها في تلك المناسبات[١].

أما في إطار الجدل الدائر بين الأنبياء والأدعياء، فهي بحاجة إلى معيار آخر معها يمكن به الحكم على حامل كلمة الرب ألا وهو تحقق كلمته ونبوءته[٢]. وإلى ذلك نبه سفر التثنية بقوله: (فإن قلت في قلبك كيف نعرف القول الذي لم يقله الرب؟ فإن تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يحدث، فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل للاعتداد بنفسه تكلم به النبي)[٣].

ولا يخلو العهد القديم من تطبيقات لما جاء في سفر التثنية بهذا الشأن، وما قصة رجل الله مع يربعام، بتنبؤه بميلاد يوشيا وإعطائه علامة لصدق نبوءته التي تحققت في الحال بانشقاق المذبح وذر الرماد الذي عليه، إلا مثال جيد لذلك[٤].

لهذا يبقى نعي إرميا على خصومه دعواهم حمل كلمة الرب مجرد دعوى دون سند، ولا يزيد هذه الدعوى قوة تأكيده عليها وتكرارها[٥]، أو تطويرها برميهم أنهم اخترعوا هذه الكلمة[٦]، أو سرقوها من غيرهم[٧].

إذ يبقى كل ذلك خارج حيز الفحص والاختبار، وبعيدا عن دائرة الإثبات، كما يبقى عديم الجدوى حينما يصحب بدعوى مماثلة من الخصوم.

(١) سيأتي الحديث عن تاريخ نص إرميا السابق بعد قليل عند الكلام عن الشفاعة كمعيار للنبوة.

(2) Rad , G , V / Die falschen Propheten / S : 115 / ZAW 51 , (1933).

(٣) تثنية (١٨ / ٢١ ـ ٢٢).

(٤) الملوك الأول (١٣ / ١ ـ ٥).

(٥) إرميا (٥ / ٣، ١٤ / ١٤).

(٦) إرميا (٢٣ / ٣١).

(٧) إرميا (٢٣ / ٣٠).

رابعاً: مضمون الرسالة

إن مضمون الرسـالة كمعيار لصدق النبـوة لمقياس معتبـر إذا ما نظر إليه في ضوء مـا جاءت به الأولون من الأنـبياء والرسـل من دعوة للتـوحيد وشـرائع وأخلاق لإصلاح البشر وعمار الكون.

لكن العهد القـديم طرح هذا المعيار في إطار أحداث تاريخيـة معينة شكلت واقعـاً أليماً عـاناه شعب العهـد القديم، وفي ضوء الخـبرات المستـقاة من هذه الوقائع صيغ هذا المعيار، وحصرت قضاياه في ثلاثة موضوعات:

أ ـ النداء إلى التوبة

حيث يُنوه إلى أن الأنبياء فاتهم أن يكشفوا خطايا الشعب وآثامه كي يتمكن من العودة.

ويعني ذلك أن واجب الأنبيـاء أصبح بعد قليل من انهـيار مملكة الجنوب هو كشف خطايا الشـعب كي يستطيع العودة من منفـاه، ومن ثم أصبح هذا النداء معياراً للنبـوة، وأضحى من لا ينادي بالتوبة نبياً كاذباً، كمـا يعرض ذلك سفر المراثي:

(يابنت أورشليم. ماذا أساوي بك فأعزيك، أيتها العذراء بنت صهيون؟ لأن تحطمك عظيم كالبحر، فمن ذا يشفـيك؟ أنبياؤك رأوا لك الباطل والبهرج، لم يكشفوا عن إثمك ليبدلوا مصيرك)[١].

وقد ورد النداء إلى التوبة كمعيار للنبوة في ثلاثة مواضع: مرتين لدى حملة إرميا على مخالفية[٢]، والثالثة لدى حزقيال[٣].

(١) المراثي (٢ / ١٣ ـ ١٤).

(٢) إرميا (٢٣ / ١٤، ٢٢).

(٣) حزقيال (١٣ / ٢٢).

وأول ما يلاحظ على هذه المواضع أنها شروح من إضافات مدرسة تثنية الاشتراع[1]، إضافة إلى ذلك، فإن هناك اختلافات جوهرية بين هذه النصوص التي تتحدث عن دور الشعب في انهيار المملكة، فتجعله المسؤول بسبب خطاياه وآثامه عن هذا الانهيار، بينما في إطار حملة الهجوم على الأنبياء الآخرين، يعدُّ إرميا وكذلك حزقيال الأنبياء الكذبة هم سبب سقوط وانهيار المملكة[2].

كذلك يتحدث إرميا في (٢٣ / ٢٢) عن توبة الشعب كله، بينما في (٢٣ / ١٤) وفي حزقيال (١٣ / ٢٢) الحديث عن توبة أفراد من العصاة والشريرين.

ب ـ الشفاعة:

على هامش الاستدلال وبصفة عامة من منظور استعادة الماضي يعاب على الأنبياء تركهم الشفاعة لدى الرب، وبالنسبة للجدل المعاصر لا يتضمن مثل هذا الدليل أية قيمة على الإطلاق.

وقد وردت الشفاعة كمعيار للحكم على الأنبياء مرة واحدة لدى إرميا: (وإن كانوا أنبياء وعندهم كلمة الرب، فليشفعوا لدى رب القوات، لئلا يذهب إلى بابل ما بقي من الآنية في بيت الرب، وبيت ملك يهوذا أو في أورشليم)[3].

وهذه الآية تتوسط الآيات من ٩ ـ ٢٢ الإصحاح السابع والعشرين، وهو

(1) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falscher Prophetie / S : 94.

(٢) إرميا (٢٣ / ٢٢)، حزقيال (١٣ / ١٢).

(3) Rietzschel . C / Das Problem der Urrolle (Ein Beitrag Zur Redaktionsgeschichte des Jeremiabuches / S: 97 , 116 .

- Rudolph. W . / Jeremia / S : 172 .

الجزء الذي يتبع التوسعات المتأخرة التي أضيفت إلى السفر وكتبت في إطار حملة الهجوم على أدعياء النبوة[1].

وهو يكشف عن مدى الأهمية التي أوليت للعام ٥٨٧ ق. م تاريخ سقوط أورشليم. إذ عُدَّ فشل الأنبياء في منع كارثة السقوط والسبي إلى بابل علامة على كذبهم في دعوى النبوة، وهكذا أصبحت الشفاعة من منظور استحضار الماضي معياراً للنبوة.

جـ- الكذب في الدعوى:

يأتي تبكيت أدعياء النبوة بسبب الكذب في مضمون دعواهم مرات غير قليلة خاصة لدى إرميا.

وهو كغيره من معايير العهد القديم غير تطبيقي، إذ لا يمكن إثباته أو البرهنة عليه، إلا في زمن تالٍ حيث تكون الحقائق والأحداث قد كشفت مدى صحة الأقوال والدعاوى السالفة.

وإلى جانب كونه كغيره من المعايير لا يرجع تاريخه إلى زمن الأنبياء أنفسهم الذين ورد على ألسنتهم في الأسفار المختلفة[2]. فإنه أيضاً يفتقد وحدة المضمون:

فبينما في إرميا (١٤ / ١٤، ٢٣ / ٣٢، ٢٧ / ١٥، ٢٩ / ٩) وفي حزقيال (١٣ / ٦ ـ ٨، ٢١ / ٣٤، ٢٢ / ٢٨) يبكت الأنبياء بسبب كذبهم في الدعوى، نراهم في إرميا (٢٨ / ١٥، ٢٩ / ٣١) يبكتون بسبب أعمالهم التي جعلت الشعب يعتمد على الكذب.

ويدل هذا على أمرين:

أولهما: أن أيدياً متعددة وليست يداً واحدة هي التي أضافت هذه

---

(١) إرميا (٢٧ / ١٨).

(2) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und Falscher Prophetie/S :707.

المصطلحات بمفاهيمها غير المحددة.

الثاني: هذا المصطلح أصبح غير مرتبط بالجدل بين الأنبياء حول شرعية النبوة. بل قالباً يمكن حشوه بقضايا مختلفة حسب المقاصد والغايات.

ومما تجدر ملاحظته في هذا المقام أيضاً أن تبكيت الأنبياء على الكذب ليس بدافع أخلاقي، إذ ليس مما يشين الأخلاق أن يكون النبي كذوباً. فهذا لا يعرفه العهد القديم، لكن الشين يتأتى إذا ما تعلق الكذب بالدعوى.

لذلك لا يجد العهد القديم غضاضة في كذب إبراهيم حينما ادعى أن سارة أخته[1]، أو في كذب أحد الأنبياء على الله كما حكى سفر الملوك الأول: (أنا أيضاً نبي مثلك، وإن ملاكاً خاطبني بأمر الرب قائلاً: أرجعه معك إلى بيتك فيأكل خبزاً ويشرب ماء، وكان ذلك كذباً)[2]، أو في أن يرسل الله روح كذب في أفواه الأنبياء ليضلوا الناس والحكام[3].

وبالإضافة إلى الملاحظات السابقة نصطدم في سفر حزقيال بنص يجعل من الحديث عن الكذب في الدعوى كمعيار للنبوة هباء منثوراً، ومحاولة عقيمة للتفرقة بين النبي الصادق والكاذب، إذ يقرر النص أن الرب يغوي الأنبياء بنفسه، فيتكلمون بما ألقاه في أفواههم من الغواية؛ مما يجعل التفرقة بين الأنبياء على أساس قضية الصدق والكذب فى الدعوى غير ممكنة وغير عملية، وكذلك غير عادلة؛ لأن مصدر الوحي، في هذه الحالة ـ صدقاً وكذباً ـ هو الرب. كما قال حزقيال: (وإذا أغوى النبي وتكلم بكلام، فأكون أنا الرب قد أغويت ذلك النبي)[4].

(١) تكوين (٢٠ / ١ ـ ٥).

(٢) الملوك الأول (١٣ / ١٨).

(٣) الملوك الأول (٢٢ / ١٩ ـ ٢٣).

(٤) حزقيال (١٤ / ٩).

خامساً: تحقق النبوءات

لا يحتاج معيار كهذا كثير عناء لإثبات تأخر نشأته عن زمن الأنبياء الذين يسرد العهد القديم تحقق بشاراتهم أو عدم تحقق نبوءاتهم، إذ كما يبدو من عنوان ذلك المعيار أنه محاولة من محرري العهد القديم لتقنين معيار حكم على الأنبياء، تم إقحام بروتوكولات هذا المعيار على نصوص كتب الأنبياء. وتتجلى آثار هذه المحاولة في:

أ ـ التناقض بين مضمون هذا المعيار في سفر التثنية وبين مضمونه لدى إرميا: فبينما الحديث في سفر التثنية عن نبوءة لم تتم يعرف من خلالها كذب النبي[١]، يأتي الحديث في سفر إرميا عن نبوءة تتم يعرف من خلالها صدق النبي[٢].

ب ـ استخدام ميخا هذا المعيار خارج نطاق الجدل بين الأنبياء، وقصره فقط على محاولة إثبات الثقة[٣].

جـ ـ التضارب بين نبوءات السلام لدى إرميا وحزقيال: ففي سفر إرميا توافق بين نبؤات الأنبياء بالسلام وبين أقوال يهوه[٤]، أما في حزقيال فتعارض نبؤات الأنبياء بالسلام أقوال يهوه[٥].

د ـ تحليل النصوص التي تناولت هذا المعيار، والذي يكشف عن[٦]:

---

(١) تثنية (١٨ / ٢٢).

(٢) إرميا (٢٨ / ٩).

(٣) الملوك الأول (٢٢ / ٢٨).

(٤) إرميا (٢٨ / ٦ ـ ١٤).

(٥) حزقيال (٣٣ / ٢٣ ـ ٢٩).

(6) G . Munderlein / Kriterien wahrer und falscher Prophetie / S : 112.

١ ـ انتماء جميع تلك النصوص إلى زمن المنفى وما بعده.

٢ ـ تطور قد لحق بمضمون هذا المعيار، إذ استقر أولاً مبدأ عدم تحقق النبوءات كعلامة لكذب الأنبياء، ثم لحق به متأخراً تحقق النبوءات كمعيار عام للحكم على النبوة.

لكن على الرغم من ذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن هذا المعيار كنظرة تاريخية إلى الوراء يصلح كمقياس جيد للحكم على النبوات الإسرائيلية[١]، إلا أن ذلك لا يسلم أيضاً للأسباب التالية: ـ

١ ـ لا يتحدث العهد القديم عن تحقق أو عدم تحقق النبوءة منفرداً كمعيار نبوة، بل يسوق الحديث عن ذلك مرتبطاً بالمعجزات والعلامات الأخرى[٢].

٢ ـ تحقق النبوءة ليس دليل نبوة في العهد القديم، فهذا أحد أنبيائه مؤيد بمعجزة فورية، وتتحقق نبوءته المستقبلية، ومع ذلك فهو عاصٍ للرب ويموت كافراً به[٣].

٣ ـ نبوءات العهد القديم غالباً ما تكون عامة، وغير مؤقتة بزمن أو جيل، مما لا يمكن القطع معه بتطابق النبوءات مع وقائع الحديث من التاريخ، أو الزعم بأن تلك الأحداث كانت وفق مرادات النبوءات[٤].

٤ ـ مجموعة كبيرة من نبوءات كبار أنبياء العهد القديم لم تتحقق مع أنهم من المجمع على نبوتهم[٥]، وذلك كناتان ـ مثلاً ـ الذي تنبأ بدوام عرش داود للأبد في سفر صموئيل الثاني (٧ / ١٣ ـ ١٧).

(1) Osswald . E / Falsche Prophetie im Alten / S : 23 / SGV 237 , 1962 .

(٢) راجع التثنية (١٣ / ٢ ـ ٤)، الملوك الأول (١٣ / ١٠ ـ ٣٢).

(٣) راجع: الملوك الأول (١٣ / ١ ـ ٣٢).

(4) Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falscher Prophetie /S:125.

(٥) السابق.

نخلص من العرض السابق لمعايير النبوة فى اليهودية إلى النتائج التالية: ـ

١ ـ إن أنبيـاء العهد القـديم لم يملكوا معاييـر حقيقـية للتفـرقة بين المتنبىء الكاذب، والنبي الصادق.

٢ ـ إن مسألة معـايير النبوة أقحمت على العهـد القديم زمن المنفى بوساطة المحررين المتعددين.

٣ ـ على الرغم من أن معايير النبـوة المزعومة بالعهد القديم نتيـجة عمليات التأمل والنظر، إلا أنهـا تظل ـ كما يقول فلهـاوزن ـ: عامة، ليسـت محددة، وغير قابلة للتطبيق[١].

٤ ـ إن الهدف من إثارة هذه المشكلة زمـن المنفى وطرحها من خلال العـهد القديم لم يكن إلا مجرد خطوة لحصار الأنبياء أعقبت إعلان مؤلف سفر زكريا أن النبوة قد أغلق بابها[٢].

والسؤال الآن: إذا كانت مقـاييس العهد القديم تعجز عن التـفرقة بين النبي الحقيقي والكاذب بعموميتها وعدم قابليتها للتطبيق، فكيف يتسنى لنا معرفة حد الصدق والكذب في دعوى النبوة؟.

والإجابة عند دارس اليهـودية: لدى الرب وحده توجد إمكانية التـفرقة بين أنبيائه وبين الأدعياء الكذبة[٣].

وهذا يعنى أن علينا البحث عن الحقيـقة لدى وحي تالٍ لوحي النبوة الإسرائيلية يبين ويوضح، يحدد ويعين: من هو النبي الحقيقي في بني إسرائيل؟.

(1) J . Willhausen / Prologomena zur Geschichte lsraels / S : 41 .

(2) J . Willhausen / Judische und israelische Geschichte / S : 203 .

(3) H . lrsigler / Die Prophetie / S : 190 .

- Gerhard Munderlein / Kriterien wahrer und falsder Prophetie / S : 280 .

الفصل الثاني

العهـد القديـــم

إن ما بأيدينا الآن من أسفار العهد القديم ما هو إلا مجموعة مختارة من الكتابات الإسرائيلية من بين مئات من المؤلفات والمصنفات التي نشأت عبر تاريخ طويل يمتد حوالي ألف عام تقريباً، وإن هذا الاختيار تم دون أية خطة أو نظام واضح بواسطة عملية جمع وتدوين عشوائية للتراث الديني والأدبي.

روداف سميند

العهد القديم هو مجموعة اختيارات من المؤلفات والأسفار التي تقدسها اليهود[1]، وهذه التسمية «العهد القديم» غير المقبولة لدى اليهود أطلقها النصارى على تلك المجموعة من الكتابات للتفرقة بينها وبين كتابات عهدهم الجديد[2].

(١) إلى جانب العهد القديم يقدس اليهود بدرجات متفاوتة بين الطوائف كتاب التلمود كوحي. راجع في ذلك:

- Phillip Sigal, Judentum , S : 107 - 114 .

- Hermann Strack, Einleitung in Talmud und Midrasch S : 47 .

- Gunter Stemberger , Der Talmud, S : 28 , 286 - 297 .

- P. N. Levinson, Einfuehrung in die rabbinische Theologie, S: 4-8 .

وبالعربية: ظفر الإسلام خان / التلمود.

الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي / التلمود.

وقد استبعدنا التلمود من مجال الفحص هنا للأسباب التالية:

١ـ لا يقدسه اليهود بإجماع.

٢ـ لم يشر إليه على لسان أحد الأنبياء.

٣ـ لم يشر إليه كوحي كتابي بل كوحي شفهي جمع بعد عشرات القرون.

٤ـ لم تقر بربانية أصوله النصرانية ولا الإسلام.

(٢) يستند النصارى في ذلك إلى الآية الواردة في رسالة بولس الثانية إلى أهل قورنتس (٣ / ١٤): (فإن ذلك القناع يبقى إلى يوم غير مكشوف عندما يقرأ العهد القديم). ودخلت الاستعمال على يد (ترتليان ت ٢٢٥ م) كذلك نجدها لدى (ميلتو الساردیسي. نهاية القرن الثاني). ولدى (كليمنص الإسكندري، والقديس أوغسطين).

راجع:

- H. Irsigler, Literatur und Glabensgeschichte im Altan Testament S : 9 - 70.

- Adel . Kohury, Lixkon der Grundbegriffe / S : 14 .

أما الاسم الدارج لهـذه الكتابات بين اليهود فـهو (تناك Tenach) اختصارا لأسماء الأجزاء الثـلاثة المكونة لهذه الأسفار، وهي (توراة Tora، أنبياء Ne-biim، كتب أو مكتوبات أو كتابات Ketubim).

وتسمى أيضا الكتابات (الأسفار) كما لدى دانيال[١]، أو الكتابات (الأسفار) المقدسة كما في المكابيين الثاني[٢].

أما في التلمـود فيطلق على العـهد القديم أسـماء عدة منهـا: (المقروءات، المكتـوبات، الكتب المقـدسـة، «التـوراة، الأنبيـاء وسـائر الكتب»، الكتـاب المقدس)[٣].

وينظر اليهـود ـ ومعهم النصارى ـ إلى العـهد القديم لا على أنه كتـاب فيه كـلام عن الله، بل على أنه كـلام الله، وأن الله هو المؤلف الحـقيـقي، الذي إما[٤]:

١ـ خطه بنفسه كما في حالة الكلمات العشر[٥].

(١) دانيال (٩ / ٢).

(٢) المكابيين الثاني (١٢ / ٩).

(3) H. Strack / P . Billerbeck, Kommentar Zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch, IV . 1 . 1 . S : 475 .

(4) Philos von Alexandria, Die Werke 1 . 39 , 279.

- Josephus Flavius, Against Apion (1 . 36 - 42) .

- W. Bacher, Die Bibelexegese der Judische Religlonsphiosophen (7 / 59 - 60, 40) .

- H. Irsigler, Literatur und Glaubengeschichte im A . T . S : 8, 15 , 16 .

وانظر: العهد القديم: (ملاخي ٣ / ٢٢ ـ عزرا ٣ / ٢، ٧ / ٦ ـ الأخبار الثاني ٢٥ / ٤، ٣٥ / ١٢).

والعهـد الجديد: (متى ١٩ / ٧ ـ مرقس ١٢ / ٢٦ ـ يوحنا ٥ / ٤٦ ـ أعـمال الرسل ١٥ / ٢١ ـ الرسالة إلى روما ١٠/٥).

(٥) سفر الخروج (٢٤ / ١٢).

٢ـ أو خطه الأنبياء بدءاً من موسى وانتهاء بـ: حجاي وزكريا وملاخي، بوحي النبوة كما في حالة (التوراة وكتب الأنبياء).

٣ـ أو خطه أناس ملهمون، كانوا كأحجار شطرنج في يد الروح القدس. كما في حالة (بقية الأسفار).

إلا أنه ـ وذلك هو الأهم ـ كتاب غير قابل للمساس؛ إذ حتى حروفه ونقاطه وعلامات ترقيمه، وحي وإلهام[١].

وهو لدى مفكري اليهود ـ الذين نشأوا في حضن العلوم الإسلامية ـ دليل على الوحي والنبوة، يقول سعديا الفيومي: ـ

(إن كتابنا المقدس بما يتضمنه من: حقائق، وبراهين عقلية،) ومصادر للمعرفة، لهو دليل على الوحي النبوي. ذلك الوحي المؤيد ليس فقط بالأدلة العقلية، بل بأدلة من المعجزات والخوارق المرئية)[٢].

وتلك الدعوى من الفيومي في صياغتها الفلسفية المحكمة تلزمنا حيثياتها النظر ليس فقط في معتقد اليهود بأن عهدهم القديم وحي تلقته أنبياؤهم، وانتقل إليهم عبر الأجيال محفوظاً عن التبديل والمساس، بل أيضاً في الزعم بإلهام كل من أسهم في خطه وتدوينه، أو تأليف بعض أجزائه من غير الأنبياء.

وسيحتكم في ذلك إلى: الأسس والمعايير المنهجية التي تتوقف عليها معرفة الكتب الإلهية التي أوحى بها الله ـ تعالى ـ إلى أنبيائه ورسله، بالدليل القاطع والبرهان اليقيني والحجة البالغة، والتي تتمثل في المقدمات التالية[٣]:

(1) Theologische Realenenzklopodie , Band X V ll . S : 566 .

(2) W. Bacher, Die Bibelexegese der Judischen Religonsphilosophen (1/4 - 8) .

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٣٥، ٣٥٢)، (٢ / ١٩، ٤٩ ـ ٥٠، ١٢٢)، (٣ / ٢٥٨، ٢٦٤) طبع المدني. القاهرة. بدون ترقيم.

١ـ ثبوت نبوة من تنسب إليه هذه الكتب.

٢ـ العلم القطعي بإملاء النبي أو كتابته تلك الكتب بناء على وحي إلهي.

٣ـ اتصال السند المتواتر لهذه الكتب حتى وصولها إلينا.

٤ـ نقل متونها دون تغيير أو تبديل.

٥ـ صحة ترجمتها من لسان النبي المعين إلى اللغات الأخرى. بالإضافة إلى نقد المتن كمقياس عظيم الشأن في بيان صدق دعوى الوحي أو الإلهام أو كلتاهما معا.

فهل تنطبق تلك المعايير على العهد القديم في صورته الحالية؟

ذلك ما سيتضح بعد دراسة العهد القديم من الزوايا الأربع التالية:

أولاً: القانون

وهو قائمة الأسفار المقدسة، المعترف بسلطتها كوحي، ومرجع للعقيدة وتنظيم حياة المجتمع[1].

والقانون بهذا المفهوم يشير إلى وجود ثلاث مشكلات مختلفة الطبيعة استوجبت البحث والنظر، وهي:

١ ـ المشكلة التاريخية، وتتمثل في بحث الدوافع والبواعث التي أدت إلى تحديد هذه القائمة رسمياً.

وهذه الدوافع ما هي إلا قصة الصراع بين الحقيقي والزائف من الأسفار

---

(١) تعود كلمة القانون كاصطلاح إلى استخدام مسيحي بدءاً من القرن الرابع الميلادي، فهي كلمة يونانية: انظر في مفهوم القانون وتاريخ الاصطلاح:

- Neues Bibel - Lexikon , Hersgvon : Manfred Gorg, S : 440 - 449.

- Theologische Realenenzyklopudie, Band X V I1, S : 562 - 570 .

- Bibel - Lexikon, Hersg von : Herbert Haag, S : 915 - 924. .

المتوارثة في بني إسرائيل، التي اقتضت حث الجهود وإثارة الهمم للفصل بين ما يتصور حقيقياً من الأسفار وتقنينه، وعزل ما يظن زائفاً، وعدم الأخذ به[1].

إذ إن ما بأيدينا الآن من أسفار العهد القديم ما هو إلا مجموعة مختارة من الكتابات الإسرائيلية من بين مئات من المؤلفات والمصنفات التي نشأت عبر تاريخ طويل يمتد حوالي ألف عام تقريباً، وأن هذا الاختيار تم دون أية خطة أو نظام واضح بواسطة عملية جمع وتدوين عشوائية للتراث الديني والأدبي[2].

٢ـ مشكلة علمية، تمثلت في المعايير التي بحسبها تُقنن الأسفار وتنضم إلى اللائحة. وقد حددها يوسفس المؤرخ اليهودي الشهير في المعايير التالية[3]:

- الأصالة، وتفيد أن الكتب التي تحويها هذه القائمة هي فقط الكتب التي تلقيت عن الأنبياء من موسى، وحتى الأنبياء زمن أرتاكسيركس (٤٦٥ ـ ٤٢٤ ق. م) (Artaxerxes).
- الوحي، ويعني أن كتب القائمة هي الموصى بها فقط.
- التوافق والانسجام فيما بينها.
- الصحة، أي عدم المساس بالنصوص.

٣ ـ مشكلة عقائدية، تمثلت في صاحب سلطة الحكم على الأسفار وبأنها إلهامية تنضم إلى اللائحة، أو الحكم بأنها ليست إلهامية تخرج عن القانون.

وقد يتبادر إلى الذهن أن الأنبياء أو أحدهم قد قام بهذا، لكن الحقيقة أن الرابيين وسدنة الهيكل هم الذين احتكروا هذا الحق، وأصدروا قرارهم في

---

(1) Theologische Realenenzklopode , Band X V II , S : 6 - 8 .

(2) H . Irsigler , Litertur und Glaubensgeschichte im AT , S : 6 - 8 .

- Rudolf Smend , Die Entstehung des Alten Testamant S : 13 .

(3) Josephus Flavius , Against Apion (1 . 37 - 42) .

مجمع «جمنيا» (تبعد عشرين كيلو متر جنوب يافا) في نهاية القرن الأول الميلادي ـ وسوف نفصل هذا الأمر بعد قليل ـ بتمام اللائحة وإغلاق باب القانون.

واحتكار مثل هذا الحق وهذه السلطة في تحديد الحقيقي والزائف من الأسفار يستند إلى تعليم التلمود:

«أن الله قد أعطى التوراة لموسى في سيناء، وموسى سلمها ليوشع، ويوشع سلمها إلى الشيوخ الاثنين والسبعين، والشيوخ إلى الأنبياء، والأنبياء سلموها إلى رجال الهيكل»[١].

فهل كان إعلان مجمع جمنيا باستكمال اللائحة وتمام القانون إقراراً باجتماع الكلمة على قانون مقدس واحد يجمع اليهود تحت حروفه، لا يزيد عليه ولا ينقص منه أحد؟.

هذا ما تقطع بنفيه نظرة عاجلة على أشكال القانون التالية لدى اليهود:

١ ـ القانون العبري:

وهو الذي تطالع محتوياته في النسخة المسورية[٢]، وتقرأ في ما يسمى بالعهد القديم العبري[٣].

وهو أشهر أشكال القانون اليهودي، وعليه تقاس قوانين العهد القديم لدى الطوائف الأخرى، وأظن أن سبب شهرته راجع إلى طائفة الفريسيين التي شكلته، بما لها من نفوذ وسطوة.

(1) Babilonscher Talmud (Traktat Baba batra, fol . 146 - 150) .

وانظر شرح دلالتها لدى:

- Glaus Schedl, Talmud Evangelium Synagoge, S : 27 - 28.

(٢) تطلق عبارة (النص المسوري) على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد الميلاد وكتبت وضبطت بواسطة الحركات وعلامات الترقيم والفصل والتنقيط.

(3) Biblia Hebraica Stuttgartensia .

ويرجع الباحثون مراحل تكوين هذا القانون إلى ثلاث(١):

ـ المرحلة الأولى، وهي التي تم فيها تثبيت التوراة على يد عزرا في القرن الرابع قبل الميلاد(٢).

ـ المرحلة الثانية، وهي التي تم فيها إنجاز وتدوين كتب الأنبياء في القرن الثالث قبل الميلاد.

ونستدل على استكمال هذه المرحلة من خلال شهادة حفيد يشوع بن سيراخ في مقدمته لسفر جدِّه في الحكمة نهاية القرن الثاني قبل الميلاد(٣).

ـ المرحلة الثالثة، وهي التي استكملت بإعلان أعضاء مجمع (جمنيا) نهاية القرن الأول الميلادى: أن سفري الجامعة ونشيد الأناشيد كتابان قانونيان من تأليف سليمان(٤).

وهذا القانون العبري ـ كما هو معروض في صورته ـ لا يصادم كغيره من أشكال قانون العهد القديم معايير وشروط الكتب الإلهية فقط، بل يخالف أيضا معايير القانون التي تواضع عليها اليهود وعرضها يوسفس في مجالادته مع «أبيون»، وذلك ما سنعرض له تفصيلاً عند الحديث عن قضية المتن والسند والإلهام في العهد القديم، إلا أن ما يعنينا الآن نقطة جوهرية تتعلق بكتاب دانيال الذي أُدخل القانون، على الرغم من أن تاريخ تأليفه متأخر عن عصر أرتاكسيركسس (Artaxerxes) بحوالي ثلاثة قرون، ولا يعلم عنه ابن سيراخ

(1) R. Smend , Die Entstehung des A . T S : B - 20 .

- H . lrsigler , Literatur und Glaubensgeschichte im A . T . S : 21 - 24 .

(٢) راجع سفري: عزرا (٧ ـ ١٠)، نحميا (٨ ـ ١٠).

(٣) مقدمة سفر ابن سيراخ بقلم حفيده / ١ ـ ٢٥، ص: ١٤٣٩ من العهد القديم للكاثوليك.

(4) Babilonischer Talmud, Mischnatraktat . Jada Jim lll Kap . 5 (pargr) [Yad 3, 5].

شيئاً، ويذهب (جو بوكستورف Joh . Buxtorf) إلى أن هذه المشكلة لا تقتصر على كتاب دانيال، بل تتعداه إلى أكثر من كتاب يرجع تاريخه إلى ما بعد عصر أرتاكسيركسس[١].

فإذا ما أضفنا إلى تلك المخالفة اختلافاً أكثر جوهرية يتمثل في عدد الكتب المقدسة التي يتضمنها القانون العبري، لاتسعت هوة الشك حول القدسية المزعومة لهذه الكتابات:

إذ يبين يوسفس في مناظرته لأبيون مكونات قانون العهد القديم كما يراه العبرانيون، بقوله: (لا توجد لدينا أعداد لا تحصى من الكتب المختلفة التي يعارض بعضها بعضا، «بل فقط اثنان وعشرون كتاباً»، تعرض الماضي بأكمله، وهي بحق الكتب الإلهية)[٢].

بينما يحصي التلمود مكونات القانون ويحصرها في أربعة وعشرين كتاباً في ثلاثة أقسام هي على الترتيب التالي[٣]:

- التوراة (كتب موسى الخمسة):

التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، التثنية.

- الأنبياء (ثمانية كتب):

يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك، إرميا، حزقيال، أشعيا، الأنبياء الاثنا عشر: «هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي».

- الكتابات (أحد عشر كتاباً):

(1) R . Smend , Die Entstehung des A . T , S : 17 .

(2) Josephus Flavius , Against Apion, 1 . 37 .

(3) Babilonischer Talmud , Traktat . Baba batra . 146 .

راعوت، المزامير، أيوب، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، المراثي، دانيال، استير، عزرا (نحميا)، الأخبار.

ويحاول الباحثون المعاصرون التوفيق بين اختلاف أعداد الكتب في القائمتين، فيذهبون إلى أن يوسفس أدمج سفر راعوت في سفر القضاه، وسفر المراثي في سفر إرميا[1].

إلا أن تلك المحاولة تظل تخميناً لا يمكن إثباته أو البرهنة عليه، بل يقف دونه حائلاً عدد من المعطيات التالية:

١ـ أن الاختلاف بين قائمة يوسفس وقائمة التلمود ليست قاصرة على أعداد الكتب فقط، بل تشمل ترتيب الكتب وتصنيفها بين الأقسام أيضاً[2]:

فقسم الأنبياء لدى يوسفس يشمل ثلاثة عشر كتاباً، بينما في التلمود ثمانية كتب، أما قسم الكتابات في قائمة يوسفس فيضم أربعة كتب، بينما في التلمود أحد عشر كتاباً.

٢ـ أن سفري راعوت والمراثي ضمن مجموعة الكتابات في كلتا القائمتين بينما ينتمي سفرا القضاة وإرميا إلى مجموعة الأنبياء.

٣ـ أن المألوف في ذلك الزمان كان إدماج سفري عزرا ونحميا في كتاب واحد وكذلك إدماج كل من سفري صموئيل، وسفري الملوك، وسفري الأخبار، كل في كتاب. أما سفرا: راعوت والمراثي فلم ترد أية قائمة تحويهما مدمجين في سفري القضاة وإرميا.

فإذا تقدمنا قليلاً وأضفنا إلى تلك المعطيات عدداً من الشواهد الآتية:

(1) R . Smend . Die Entstehung des A . T , S : 14 .

- H . Irsigler, Literatur und Glaubensgeschichte im A . T, S : 24 .

(2) Josephus Flovius, Against Apion, 1 . 37 - 38 .

١ـ أن أسفار القانون المطبوعة تستدل بآيات من أسفار أخرى ليست ضمن أسفار القانون العبري وذلك مثل:

ـ سفر «المستقيم»(١).

ـ سفر «أخبار سليمان»(٢).

ـ سفر «أخبار الأيام لملوك إسرائيل»(٣).

ـ سفر «أخبار الأيام لملوك يهوذا»(٤).

٢ ـ أن بعض الأسفار من خارج القائمتين، كان يستشهد بها كأسفار قانونية في محيط الحاخامات والربانيين اليهود، وذلك كسفر ابن سيراخ(٥).

٣ ـ أن التراث قد حفظ عددا من قوائم القانون العبري التي أوردها علماء المسيحية المبكرة مثل: إبيفانوس Epiphanius، والتي يذهب جيان باول أوديت Jean Paul Audet إلى أنها أقدم من قائمة التلمود(٦).

وسواء أكان أوديت مصيباً في رأيه، أم كان الحق مع يبسن A. Jepsen الذي يذهب إلى أن قائمة التلمود أقدم(٧)، فالأهم أن تلك القائمة تحصي سبعة

(١) يشوع (١٠ / ١٣)، صموئيل الثاني (١ / ١٨).

(٢) ملوك أول (١١ / ٤١).

(٣) ملوك أول (١٤ / ١٩).

(٤) ملوك أول (١٤ / ٢٩).

(٥) مقدمة العهد القديم للكاثوليك، ص: ٥، وانظر:

- Luis Alonso - Schokel, Das Alte Testamrent als Menschenwort und Gottes wort, S: 6610, in : Wort und Botschaft . herusg von : joset Schreiner (1- 13) .

(6) Jean Paul Audet, A Hebrew - Aramic List of Books of the old Testament in Greek Transciription, Journal of Theol. Studes, N. S, l, S: 135 - 154 .

(7) A. Jepsen, Zur Kanongeschichte des Alten Testaments, in Zeitschrift fur die Alttestamentliche Wissenschaft . Herasg . Von : Otto Eissfeldt Band 71. S : (114 - 136) Berlin 1959.

وعشرين كتاباً قانونياً مقدساً بين الجماعة العبرية التي خالطها إبيفانوس.

ويمكننا إذن أن نتحدث لا عن اختلاف أعداد بين قائمتين، بل عن وجود عديد من قوائم القانون العبري المختلفة كماً وتبويباً وتصنيفاً، وكانت تعيش جنباً إلى جنب بين اليهود في تجمعاتهم، وأن الأمر لم يكن بالإحكام الذي يباهي به يوسفس مناظره، بل إن لائحة القانون ظلت مفتوحة ليس إلى تاريخ كتابة يوسفس مناظرته مع أبيون، بل كما يذهب يسن حتى القرن الرابع الميلادي[1].

٢ ـ قانون السامرة:

كان انقسام جماعة اليهود عقب موت سليمان إلى طائفتين: شمالية (السامرة) قِبْلتها جبل جرزيم، وجنوبية (يهوذا) قبلتها بيت المقدس عاملاً فعالاً؛ في لفت الأنظار إلى وجود قانون مبكر للجماعة اليهودية خلاف قانون العبرانيين المتداول.

فقد كانت تلك الجماعة، التي تذهب بتاريخ نشأتها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، عندما كُرّس إيلي بن إشمار بن هارون كاهناً أعظم على جبل جرزيم[2]، حريصة على التميز عن بقية الطوائف في سعيها للحفاظ على دعوة موسى كما تلقتها: التوحيد مضمونها، الختان علامة على العهد المقطوع بواسطتها، التوراة كتابها، موسى العظيم الذي لا تقر بعده بنبي إمام لها[3].

ولم يكن قانون تلك الجماعة يزيد عن التوراة (أسفار موسى الخمسة)، أما

(1) A. J epsen, Zur Kanonsgeschichte des A . T, S : 139 .

(2) P . Sigal , Judentum , S : 73 .

(٣) السابق.

سفرا يشوع والقضـاة، اللذان تتضمنهما نسخة العهـد القديم للسامرة[١]، فهما سفران تاريخيان غير مقدسين[٢].

٣ ـ قانون الصدوقيين:

لم تعترف جماعة الصدوقـيين التي يعود تاريخ نشأتها إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد، بسلطة الفريسيين ولا نفوذهم[٣].

ورغم قلة المعلومـات المؤكدة عن الصـدوقيين والتي يمكن الحـصول عليـها بصعوبة نتيـجة محاولة الرابيين من الفريسيين طمس كل حقيـقة للصدوقيين أو تشويهها[٤]. فإن الحقيـقة الخالصة هي أن قانون الصدوقـيين لا يتضمن سوى التوراة (كتب موسى الخمسة) فقط[٥].

٤ ـ قانون قمران:

إن جماعـة اليهود التي عاشت في قمـران قريباً من الشاطىء الغـربي للبحر الميت منذ القرن الثـاني قبل الميلاد وحتى عـام ثلاثة وسبعين للميـلاد، وكانت ترى أنها البقية الصالحة، وتلقب نفسها «بإسرائيل الحقيقي» أو «أبناء النور» في مقابل «أبناء الظلمة» الذين يعـيشون في القدس[٦]، كانت لاتأبه كثـيراً بقانون اليهـود العبرانيين، بل كان لهـا قانونها الخاص، ذلك القـانون الذي يقول عنه

(١) راجع نسخة العهد القديم للسامرة. طبع دار الأنصار ـ القاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(2) R. Smend , Die Entstehung des A . T , S 19 .

- J . W . Rothstein , Juden und Samaritaner , BWAT3 . 1908 .

(3) P . Sigal , Judentum, S : 95 .

(٤) السابق.

(5) H . lrsigbr , Literatur . und Glaubensgeschichte in A . T . S : 27 .

(6) P . Sigal , Judentum , 69 .

يوهان ماير Johann Maier وكورت شوبرت Kurt Schubert في كتابهما عن الطائفة: (لا شك أن قانون قمران أكبر وأوسع من القانون المسوري، لكن ما هي حدود هذا القانون تماماً؟ ذلك ما لا نستطيع القطع به. إلا أن ما نستطيع تأكيده هو أن كتاب اليوبيلات المشتمل على تقويم عام شمسي عبارة عن ٣٦٤ يوماً، أي ٥٢ أسبوعاً، كان يعد كتاباً قانونياً لدى مجتمع قمران؛ لأن الفريسيين والصدوقيين كانوا يتبعون النظام القمري. كذلك بكل تأكيد فإن أسفار الأدب الرؤوي، وتعاليم العدالة والحق، كانت تعد إلهاماً نبوياً كما يبين المعلق على سفر حبقوق)[١].

إلى جانب ذلك، فإن جماعة قمران كانت تستعمل سفر طوبيا، وابن سيراخ، وعلى الأرجح سفر باروخ أيضاً، ولعلها كانت تُعوِّل كذلك على بعض المؤلفات الصادرة تحت أسماء مستعارة كسفر أخنوخ، وعلى المؤلفات الرسمية التي كانت تنظم حياة الطائفة: كقواعد الجماعة، والحرب المقدسة، ومجموعة الأناشيد الخاصة، وسفر أورشليم الجديدة[٢].

٥ ـ قانون السبعينية:

ترجع قصة ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية LXX كما يظهر من رسالة ارستياس الشهيرة إلى قيام اثنين وسبعين يهودياً من فلسطين بترجمة النص المقدس إلى اليونانية في اثنين وسبعين يوماً في جزيرة فرعون بالإسكندرية، بناء على تكليف من الإمبراطور بطليموس

(1) Johann Maier / Kurt Schubert , Die Qumran - Essener , S : 27 .

(٢) مقدمة العهد القديم للكاثوليك / ص: ٤٩.

فيلاديفوس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م)(١).

وبالرغم من كون هذه الأسطورة المروية تخلو من أية قيمة تاريخية، إلا أنها تكشف عن تولد حاجة جماعية للمجتمع اليهودي بالإسكندرية إلى ترجمة لكتابه المقدس من لغته الأصلية إلى اللغة التي يستطيع فهمها وقراءتها، كما حدث في فلسطين من شروح وتراجم بالآرامية للعهد القديم(٢).

وبغض النظر عن التساؤلات المطروحة حول شرعية ترجمة كتاب مقدس من لغته الأصلية التي لا يستطيع أحد ـ كما يرى حفيد ابن سيراخ(٣) ـ أن يحاكي وينقل ألفاظها بدقة، إلى لغة أخرى، وبصرف النظر عن التساؤلات حول طبيعة السبعينية: هل هي نسخة أصلية أم هي خلاصة ترجمات كثيرة سبقتها واختيرت وفق معايير معينة؟؟ وبصرف النظر عن صحة تاريخ هذه الترجمة بعد

---

(١) راجع قصة الترجمة السبعينية لدى ارستياس في:

Aristeas to Philocrates " Letter of Aristeasr" , Edited and Translated by Moses Hodas .

ولدى فيلو الإسكندري مجموعة الأعمال الكاملة:

Die Werke Philos von Alexandria, Herausg von : Prof . Dr . Leopold Cohn, 1 . 29 - 44 S : 304 - 308.

وانظر ملاحظة R . Hanhart أن فيلو لم يعتمد على مصدر آخر خلاف رسالة أرستياس أو بالأصح قد نقل حرفياً نص أرستياس.

R . Hanhart , Fragen um die Entstehung der LXX , in : Vetus Testamentum . XII 1962. S : 146

وبالعربية: الدراسة الجيدة التي أعدتها الأستاذة الدكتورة سلوى ناظم بعنوان «الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة» ـ مطابع المستقبل ببور سعيد. بدون تاريخ.

(2) R . Hanhart , Fragen um die Entstehung der LXX , S : 162 - 163 .

(٣) مقدمة سفر ابن سيراخ بقلم حفيده / ٢٠. ص: ١٤٣٩ من العهد القديم.

ثبوت عدم تاريخية خطاب أرستياس الذي تستقى منه المعلومات عنها.

فإن السبعينية تظل قيمة تاريخية وعلمية كبرى للباحثين في قانون العهد القديم؛ لأنها:

١ ـ أقدم نص كامل ومكتوب للعهد القديم[١].

٢ ـ قوبلت من اليهود ليس فقط بالترحيب، بل بالتبجيل والتعظيم، لا كنصٍ مقدس فحسب، وإنما كوحي وإلهام نبوي جديد من الروح المقدس التي حلت على المترجمين وعصمتهم من الأخطاء والاختلافات[٢].

أما عن عدم إقرارها في مجمع جمنيا كقانون يهودي، فيرجع إلى محاولة اليهود مخالفة النصارى الذين كانوا يعتمدون هذه الترجمة ككتاب مقدس لهم[٣].

وتُعدُّ قائمة السبعينية أكبر وأضخم قوائم العهد القديم، إذ تضم إلى جانب أسفار القانون العبراني، مجموعة عرفت باسم الأسفار المنحولة (الأبوكريفا)، ومجموعة أخرى عرفت باسم القانونية الثانية وهي التي تلقتها الكنائس بالقبول وأقرتها في مجامعها على اختلاف سيتضح في الباب الثاني من البحث.

وهذه الأسفار والمقاطع التي زادت بها السبعينية هي[٤]: ـ

١ ـ سفر يهوديت.

---

(1) R . Hanhart , Die Septuaginta , S : 191 , in : Supplements Vetus Testamentum , Volume xxll .

(2)Philos von Alexandria, Die Werke . 1 , 40 . S : 307 .

(3) R . Hanhart , Die Septuaginta , S : 189 .

(٤) انظر نص السبعينية في مجلدين: Septuaginta , Stuttgart 1982.
وكذلك مقدمة الناشر والمحرر: البروفيسور: Alfred Rahlfs . / : VII - XV

٢ ـ سفر طوبيا.

٣ ـ سفر الحكمة (لسليمان).

٤ ـ سفر يشوع بن سيراخ.

٥ ـ سفر باروك.

٦ ـ خطاب إرميا.

٧ ـ أسفار عزرا الثلاثة (الأول، الثاني، الثالث).

٨ ـ الأسفار الأربعة للمكابيين (الأول، الثاني، الثالث، الرابع).

٩ ـ توسعات في الأسفار التالية:

ـ سفر استير.

ـ سفر دانيال (صلاة عـزريا، نشيد الفتيان الثلاثة، قصـة سوسنة، قصة بال والتنين).

ـ المزامير (مجموعة صلوات منسي).

وهذا الاختلاف والتفاوت الكبير في أعداد الكتب المقدسة في ما بين القانون العبـري والسبعينيـة، تتسع هوّته إذا ما قـارنا قانون السامرة أو الصـدوقيين أو جماعـة قمران بمضمون السـبعينية. مما يمكن مـعه القطع بصعوبة تحـديد قائمة الكتب الصـحيحـة التي أوحى بها الله إلى أنـبيائه، وبتكذيـب كل دعوى من جانب الطوائف اليهودية بأن كتبها هي الموحى بها.

ثانياً ـ النصّ:

وصل إلينا نص العهد القديم في مجموعة من النسخ، التي لا يتعدى تاريخ أقدم مخطوطاتها الكاملة القرن الرابع الميلادي[1]. أما النص المسوري الذي يعد

(1) Ernst Wurthwein , Der Text des Alten Testament , S : 16 .

مرجعاً ونموذجاً مثالياً لنص العهد القديم فيرجع تاريخه إلى القرن العاشر الميلادي[1].

وهذا النص المرجع والنموذج عند مقارنته بالنسخ الأخرى التالية نجد ما يلي:

١ ـ نسخة السامرة: ـ

يستطيع المرء أن يحصي ستة آلاف اختلاف فيما بين نسخة توراة السامرة (التوراة فقط) وبين النص المسوري[2].

ولا شك أن أهم أبرز هذه الاختلافات، هو ما لاحظه الإمام ابن تيمية ـ سابقاً بذلك الدراسات المعاصرة بسبعة قرون من الزمان ـ من الاختلاف في نصوص الوصايا العشر:

إذ لم يرد فيها ذكر لاستقبال جبل جرزيم إلا في نسخة السامرة[3].

وتتفق نسخة السامرة في حوالى ألف وتسعمائة حالة من هذه الحالات مع السبعينية في مخالفتها للنص المسوري[4].

٢ ـ نص قمران: ـ

يقول رودولف سميند: «إن الاختلاف بين نص قمران والنص المسوري، والذي نقف عليه من خلال كتاب أشعيا الذي عثر عليه كاملا، وكذلك من خلال التعليقات التي تورد في الحقيقة نص الكتاب المعلق عليه كاملاً (كما في حالة حبقوق)، ليس فقط على مستوى الكتابة وصياغة الجمل، بل في أشياء جوهرية»[5].

---

(١) السابق، ص: ١٧.

(٢) السابق، ص: ٤٦.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح (١ / ٣٨٠) وانظر موضع الخلاف في: التوارة السامرية (خروج ٢٠ / ١٧).

(4) Ernst Wurthwein , Der Text des A . T , S : 46.

(5) R . Smend , Die Entstehung des A . T , S : 21.

٣ ـ الترجمة السبعينية

الاختلاف بين النص المسوري والترجمة السبعينية أشار إليه العهد القديم نفسه، إذ نطالع في مقدمة سفر ابن سيراخ بقلم حفيده[١]: «ولذلك فأنتم مدعوون إلى أن تطالعوها برغبة وانتباه وأن تتسامحوا فيما قد يبدو أننا لم نقدر، مع ما بذلنا من الجهد، على التعبير عن بعض ألفاظه؛ لأن ما يعبَّر عنه بالألفاظ العبرية ليس له ما يعادله إذا نقل إلى لغة أخرى، ولا يقتصر الأمر على ما نقلناه، بل هناك فرق غير قليل بين الشريعة والنبوات وسائر الأسفار وبين نصها الأصلي».

ويذهب سميند إلى أن هذه الفوارق ومواضع اختلاف نص السبعينية عن النص المسوري لا حصر لها[٢].

ويرجع ذلك، كما يرى فيرت فين الذي يحذر من محاولة الحصول على نسخة يونانية للنص العبري من خلال الترجمة السبعينية[٣]، إلى أن السبعينية نشأت نتيجة عوامل لغوية وتاريخية متعددة شكلت الرؤية الفكرية والثقافية للقائمين على إنجازها، تلك الرؤية التي نتعرف عليها بوضوح عندما نفحص نص السبعينية[٤].

يرجع ذلك أيضاً إلى أن السبعينية ما هي إلا تفسير لنص العهد القديم، الذي لم يستخدمه المترجمون إلا كعامل مساعد على شرح تصوراتهم الخاصة[٥].

---

(١) مقدمة سفر ابن سيراخ بقلم حفيده، ١٥ ـ ٢٥، ص: ١٤٣٩ من العهد القديم.

(2) R . Smend , Die Entstehung des A . T , S : 20 .

(3) E . Wurthwein , Der Text des A . T , S : 70 .

(4) E . Wurthwein , Der Text des A . T , S : 70 .

(5) Georg Bertram , Praeparation Evangelica in der Septuginta , S : 236 - 237 in : VT . Vll . 1957.

وبالإضافة إلى هذه الاختلافات العقائدية والفكرية بين النص المسوري ونص السبعينية، فإن هناك نوعاً آخر من الاختلافات اللغوية العميقة التي تبدأ من الاختلافات في أسماء الأسفار والكتب وتنتهي ببناء الجملة.

وقد صنفت الدكتورة سلوى ناظم وأحصت هذه الاختلافات فيما يلي[1]:-

١ - التصحيف والتحريف.

٢ - الظواهر الصوتية.

٣ - القلب المكاني.

٤ - اختلافات ترجع إلى طبيعة اللغتين.

٥ - اختلافات ترجع إلى ضعف المترجمين.

ثالثاً - السند

ظلت نسبة العهد القديم إلى الأنبياء، وإسناده إلى زمنهم مسلَّمة فكرية وعقائدية عبر قرون طويلة من الزمان، حتى ظهر الإسلام فكشف القرآن عدم صحة هذه النسبة وخطأ ذلك الإسناد: إما جزئياً، يتمثل في التحريف والتزييف العمد؛ كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ [المائدة: ١٣]، وكقوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٧٥].

أو كلياً، كما في بعض الكتب والأسفار الكاملة التي كتبوها، وادعوا نسبتها إلى الله. كما يقول تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٧٩].

---

(١) د: سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، ص: ٤٣ - ٧٠.

ثم تلقى علماء الإسلام هذه الإشارات القرآنية، وراحوا يفحصون إسناد كتب وأسفار العهد القديم والجديد استناداً إلى وجوه من النقد الداخلي والخارجي، قادتهم إلى نتائج باهرة تجعل منهم - بلا شك - المؤسسين الحقيقيين لعلم النقد التاريخي للكتاب المقدس[1]:

(١) ذهب الدكتور حسن حنفي في ترجمته لرسالة سبينوزا إلى أن النقد التاريخي للكتاب المقدس يعد أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، كما يعد من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوارة والإنجيل. (ص ١٨ / الرسالة)، وقد رد عليه الدكتور محمد الشرقاوى - بحق - بأن النقد التاريخي للكتاب المقدس لم يكن وليد الفلسفة الحديثة بحال وليس من أهم مكاسب الحضارة الغربية الحديثة، بل هو وليد الحضارة الإسلامية الإسلامية التي سبقت جهود أبنائها في ذلك الحقل مفكري الغرب بستة قرون من الزمان د. محمد الشرقاوى / في مقارنة الأديان / ص: ٧١ - ٩٠.
وقد بذلت جهود مشكورة في الربع الأخير من القرن العشرين للكشف عن إسهام علماء المسلمين ونتائجهم في هذا الحقل على وجه الخصوص أو في مجال دراسة الأديان على وجه العموم، وذلك بنشر وتحقيق التراث أو بالدراسات والبحوث، انظر مثلاً:
الدكتور بكر عوض: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي (دراسة وتحقيق).
محمد كمال فراج: إظهار الحق لرحمة الله الهندي (ترجمة وتقديم).
الدكتور أحمد السقا حجازى:
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي (دراسة وتحقيق).
- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوارة والإنجيل من التبديل للإمام الجويني (تحقيق).
- هداية الحيارى للإمام ابن القيم (تحقيق).
الدكتور محمد شامة: مقامع هامات الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي (دراسة وتحقيق).
الدكتور محمد حماية:
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان (دراسة وتحقيق).
- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان.
الدكتور محمد الشرقاوى:
- إفحام اليهود للسموأل (دراسة وتحقيق).
- الرد الجميل للغزالي (دراسة وتحقيق).
- الرد على النصارى للجاحظ (دراسة وتحقيق).

فقــرر ابن حزم أن هذه الأســفار الخمــسة المســماة بالتوراة ليــست هي التي أوحاها الله إلى مــوسى عليه السلام، وأنه لم يكتــبها لبني إســرائيل، وأنها لا تثبت إليه بالسند المتصل، وأن الذي كتبها هو عزرا الوراق، وقد استند ابن حزم في تقريره على معطيات كتابية وتاريخية تمثلت في[1]:

١ ـ ما ورد فــيهــا من نصوص يســتحــيل أن يكون موســى كاتبهــا، وذلك كالإخبار عن موته[2]، أو فقد أثر قبره[3]، أو الشهادة بأن تاريخ بني إسرائيل لم يعرف نبياً في مثل قدره[4].

٢ ـ ما احتوت عليه من أغاليط وأكــاذيب وتناقضات بيِّنة لا يمكن دفعها ولا تأويلها. وسنورد أمثلة لذلك عند الحديث عن الإلهام في العهد القديم.

٣ ـ أن توراة موسى بحسب نص العهد القــديم كانت وجيزة بحيث تقرأ في مجلس واحد.

٤ ـ الظروف التاريخية التي أحاطت بحــفظ التوراة وتناقلها في بني إسرائيل والتي تمثلت في ثلاثة عوامل أدت إلى تحريفها وهي:

- حفظ التوراة لدى شخص واحد هو الكاهن الأكبر.
- حالات الكفر والردة التي شملت بني إسرائيل بمن فيهم من الكهان.
- حالات التــشتت وفتــرات السبي والقهــر التي تعرض لهــا بنو إسرائيل والتي شملت هدم الهيكل.

= ـ رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا (دراسة وتحقيق).

ـ النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن عيسى المتطب (دراسة وتحقيق)

وانظر كتابنا: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى.

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٢٨٨ ـ ٣٠٠).

(٢) سفر التثنية (٣٤ / ٥ ـ ٨).

(٣) السابق (٣٤ / ٦).

(٤) السابق (٣٤ / ١٠).

ثم توالت جهود علماء الإسلام في هذا المجال في دراسات نقدية عميقة للكتاب المقدس[1]، إلى أن عكف الإمام ابن تيمية على تلك الدراسة مستوعباً جهود السابقين، مرسياً لمجموعة من الأسس والمعايير المنهجية التي أدار عليها دراسته، وعرض عليها أسفار العهد القديم، فانتهى إلى أن تلك الأسفار قد وقع بها التحريف: إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها وتفسيرها وشرحها وتأويلها.

وذلك استناداً إلى مجموعة من البينات هي[2]: -

١ ـ انقطاع سند العهد القديم (التوراة، وكتب الأنبياء)[3].

٢ ـ اختلاف نسخ العهد القديم وترجماته لدى اليهود والنصارى والسامرة[4].

٣ ـ اختلاف نصوصه وألفاظه[5].

٤ ـ عدم صحة بعض نصوصه[6].

وقد ظلت هذه الدراسات النقدية للكتاب المقدس حكراً على العلماء المسلمين حتى انتقلت مع غيرها من العلوم الإسلامية إلى العالم الغربي عبر الاحتكاك الإسلامي باليهود والنصارى في الأندلس الزاهرة، فكانت الوقود الذي أشعل لهيب الفكر في أوربا وأيقظ القارة المظلمة من سباتها العميق والطويل، لتتلقى أسس العلوم الإسلامية وتبني عليها فلسفتها وحضارتها الحديثة.

---

(١) انظر مثلا ما كتبه: الإمام الجويني، والسموأل، وعلي بن رين الطبري، والقاضي عبد الجبار، والجاحظ، والقرطبي، والقرافي وابن القيم، وغيرهم.

(٢) راجع كتابنا / منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، ص: ٣٩٨ ـ ٤١٢، طبع مكتبة التربية الإسلامية. الهرم: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح (١ / ٣٥٦، ٣٦٠، ٢ / ١٨، ١٩).

(٤) السابق (١ / ٣٦٣، ٣٨٠، ٢ / ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٧).

(٥) السابق (١ / ٣٨٠، ٢ / ٢٢، ٢٦، ٢٨).

(٦) الفرقان بين الحق والباطل، ص: ٨٦.

وكـان إسهـام الغـرب في تطوير مناهج علمـاء الإسـلام في مـجال النقـد التاريخي للكتاب المقـدس كبيراً، وقاد إلى نتائج هائلة، سنتتـبع ما يخص منها سند العهد القديم في أقسامه التالية:

أولاً: التوراة (أسفار موسى الخمسة)

بدأت حركة نقد العهد القديم في الغرب في مسارين[1]:

أولهما عبارة عن بعض الملاحظات النقدية، والشكوك الفردية حول نصوص التـوراة، الـتي تطورت على يد عـلمـاء الجـزويت: بـيـريرا Bento Pereira ١٥٩٤م، بونفرري Jacques Bonfrere ١٦٣١م إلى القـول باستـبعـاد بعض نصوص التوراة التي لا ترجع إلى موسى.

أما المســار الثاني فقـد ذهب في اتجاه معـاكس غايته البـحث عن النصوص الحقـيقيـة التي تنتمي إلى موسى من بين نصـوص التوراة. وقد مـرّ هذا المسار بمراحـل وتطـورات عـديـدة يديـن بفـضل بدايتهـا إلى الفـيلسوف الإنجليـزي توماس هوبس Thomas Hobbes بكتـابه الشهـير: (شكل وسلطة الحكـومة) Form and Authority of Government (London 1651). الذي ذهب فيه إلى أن تسميـة التوراة بأسفار موسى الخـمسة يعود إلى أن موسى مـوضوع الحديث فيها، أما نشأة التوراة فيما عـدا بعض إصحاحات من سفر التثنية، فترجع إلى ما بعد وفاة موسى.

---

(١) سنعتمد في تاريخ حـركة نقد العهد القديم المصـادر الثلاثة الأساسية التالية بخـلاف ما يشار إليه مما تقتضى الحاجة اقتباسه من غيرها:

Hans-Joachim Kraus,Geschichte der historisch - Kritischen Erforschung des Alten Testament.

- Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik

- John Rogerson , Old Testament Criticism in The Nineteen Th Century.

ثم تلقى اثنان من فلاسفة اليهود أطروحة هوبس وراحو يمعنون النظر باحثين عن قرائن ودلائل يمكن الاستناد إليها، فكتب «داكوستا» Da Costa الذي مات منتحراً، وأرشد سبينوزا قبل أن يموت إلى دراسة ابن عزرا وفحصه للتوراة:

«لقد ارتابني الشك مؤخراً في أن الأسفار الخمسة كتاب الله حقيقة؛ لأنه توجد كثير من القرائن التي تقوي هذا الشك، وكثير جداً من الدلائل التي تجبر على اعتناق نقيض هذه الفكرة. وفي النهاية تيقنت أن تلك التوراة ليست إلهية المصدر، بل هي مجرد ابتكار بشري كغيره من آلاف الابتكارات البشرية التي بين أيدينا. وذلك لأن الله خالق القوانين الطبيعية يستحيل أن يوحي إلى البشر بكتاب يناقض تلك القوانين»[1].

ثم بلور سبينوزا في رسالته: (اللاهوت والسياسة) «Tractatus theologico-Politicus 1670» أساساً منهجياً جديداً على الفكر الغربي لدراسة التوراة، قوامه المعرفة التاريخية الدقيقة بظروف تأليفها تلك المعرفة الضرورية التي تقتضيها طبيعة كتاب يتضمن أمورا لا يمكن تصديقها، أو إدراكها، أو المقصود منها.

وبسبب فقدان هذه المعرفة الضرورية لانقطاع سند التوراة ونقص المعلومات التاريخية اللازمة، فلا سبيل لدينا إلى دراستها إلا باستنطاق النصوص نفسها واستقرائها الاستقراء العلمي الرصين.

وبدأ سبينوزا بحثه الاستقرائي بإعادة قراءة تفسير ابن عزرا على التوراة حسب توجيه مرشده داكوستا Da Costa، وقد استخلص من الألغاز والإشارات الرمزية عدداً من الملاحظات النقدية التي بثها ابن عزرا بأسلوب الشفرة في ثنايا شرحه، وهي:

١ ـ أن موسى لم يكتب هذه الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة.

(1) Johanns Hempel , Die althebraische Literatur . S : 3 .

٢ ـ أن تاريخ تأليف هذه الأسفار يعقب وفاة موسى بقرون عديدة.

٣ ـ أن موسى كتب سفراً صغيراً يختلف عن هذه التوراة لكنه متضمن فيها.

ثم يعمق سبينوزا حيثيات ابن عزرا التي قادته إلى تلك النتائج، ويضيف إليها عدداً من الملحوظات التي منها يظهر واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة[١]، تتمثل هذه الملاحظات في:

١ ـ أن الأسفار الخمسة لا تتحدث عن موسى بضمير الغائب فحسب، بل تعطي عنه شهادات لا يصح أن يكون كاتبها.

٢ ـ أن الأسفار الخمسة تقارن بين موسى وأنبياء بني إسرائيل من بعده، وتقرر أن أحداً منهم لم يكن مثل موسى.

٣ ـ أن روايات التوراة تمتد إلى ما بعد موسى.

٤ ـ أن بعض أسماء الأماكن الواردة في التوراة لم تعرف بها إلا في زمن متأخر جداً.

وينتهي إلى أن التوراة نشأت عبر فترات تاريخية طويلة انتهت إلى زمن عزرا الذي يغلب على ظن سبينوزا أن نسبة كتابة التوراة تعود إليه.

وبظهور كتاب الكاثوليكي الفرنسي ريتشارد سيمون Richard Simon «التاريخ النقدي للعهد القديم Histoire Critique Du Viewx Testament» عام ١٦٧٨م، انتقل البحث في التوراة إلى مرحلة جديدة تتجاوز الخلاف حول نسبتها إلى موسى إلى دراستها كتراث تحكمه وتفصل فيه مناهج الروايات والمأثورات بما تقتضيه من البحث وراء قضية التقاليد والروايات الشفهية الكامنة خلف التوراة، التي هي محصلة نهائية لسلسلة طويلة من تطور تلك التقاليد والروايات.

(١) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ٢٧١.

وبسبب جدة هذا الرأي وخطورته طُرد سيمون من منصبه، وتعقبت نسخ كتابه بالحرق والإتلاف، وكاد يلحقه الفناء التام لولا أن وقعت إحدى نسخه مصادفة في يد الألماني يوهان سيملر Johann Salomo Semlers الذي ترجمه إلى الألمانية عام ١٧٧٦م.

لكن أعيد إلى ريتشارد سيمون اعتباره على يد المصلحين الألمان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعدّه فريدرش شتومر Friedrich Stummer في كتابه (قيمة ريتشارد سيمون لنقد التوراة Die Bedeutung Richard Simon fur die Pentateuch Kritik) عام ١٩١٢: مؤسس علم النقد التاريخي[١].

وبفضل ملاحظات ريتشارد سيمون وبتأثير منهجه، وبالاستعانة ببعض الظواهر في التوراة كالتكرار، والازدواجية، وعدم الوحدة الناتج عن تعارض النصوص وتنافرها، بدأ البحث منذ القرن الثامن عشر عن «مصادر التوراة» وهي الطبقات، أو الوثائق أو التقاليد، أو الروافد، التي غذت التوراة وأسهمت في تكوينها.

وإن كان الدرس النقدي اليوم يفضل الحديث عن نسخ توراتية قديمة كمصادر للتوراة ـ وليس مجرد وثائق أو تقاليد ـ تم دمجها معاً فيما عرف بـ «طريقة الجمع في نشأة التوارة»[٢].

(١) في ضوء ما أشير إليه من قبل عن جهود ونتائج علماء الإسلام في هذا الحقل، كان يجب على فريدرش شتومر تخصيص مدحه لريتشارد سيمون بكونه مؤسساً لعلم النقد التاريخي بالغرب، وليس بإطلاق؛ لأن جهود علامة الأندلس ابن حزم الظاهري تجعله رائداً ليس فقط لعلم النقد التاريخي للكتاب المقدس، بل أيضاً رائداً ومؤسساً منهجياً لعلم مقارنة الأديان سابقاً لريتشارد سيمون بما يزيد عن ستة قرون، وسابقاً لابن عزرا الذي كان رافداً لأفكار سبينوزا النقدية بمائة عام.

(2) H . Irsigler , Lteratur und Glaubensgeshicht im A . T , S : 56 .

- Georg Fohrer , Einleitung in das Alten Testament , S : 125 .

ويرجع الفضل في اكتشاف أول هذه المصادر إلى القس الألماني تلننج برنارد فتر Tlennig Bernhard Witter الذي كشف في إحدى كتاباته عام ١٧١١م عن وجود اسمين لله في سفر التكوين (يهوه، إلوهيم) ينتمي كل منهما إلى مصدر مختلف، ويشكلان معاً نسيج سفر التكوين.

لكن جان استروك Jean Astruc طبيب الملك لودفيج الرابع عشر Ludwig XIV استطاع أن يميز مصدراً ثالثاً لسفر التكوين أسماه المصدر (ج)، وهو الذي تعزى إليه بقية آيات السفر التي لا يمكن نسبتها إلى المصدر اليهوي أو الإلوهيمي.

وقد حاول كارل دافيد إيلجن Karl David llgen قبل نهاية القرن الثامن عشر أن يحدد هوية هذا المصدر الثالث، فأرجعه إلى مؤلف إلوهيمي آخر.

وما إن هلّ القرن التاسع عشر حتى بدأ دي فيته De Wette، وهاينرش إيفالد Heinrich Ewald الحديث عن مصادر إضافية ثانوية إلى جانب المصادر الثلاثة الرئيسة المذكورة، تتمثل في (تكملة وزيادات على مصدر معين، أو أجزاء من مصادر تحتفظ بهويتها وشخصيتها).

وأرجع هيرمان هوبفلد Hermann Hupfeld عام ١٨٥٣م هذه المصادر إلى عملية تحرير كبرى شملت التوراة بأكملها.

وحدد تيودور نولديكه Theodor Noldekc في كتابه «دراسات نقديه للعهد القديم» عام ١٨٦٩م مصدراً رابعاً هو المصدر الكهنوتي كأقدم مصادر العهد القديم.

إلا أن فلهاوزن (أهم ناقد للتوراة في العصر الحديث) قلب هذا التصور رأساً على عقب، وقدم في كتابه «مقدمة لتاريخ إسرائيل» ترتيباً آخر لمصادر التوراة يعد حتى اليوم الترتيب الكلاسيكي المقبول لدى معظم المدارس النقدية.

وهو يرى أن هذا الترتيب والتأريخ لمصادر التوراة يعكس التاريخ الديني لبني إسرائيل بمراحله المختلفة، فالمصدر اليهوي ثم الإيلوهيمي يعكسان تاريخ الملكية والأنبياء، سفر التثنية يعكس الحركة الإصلاحية على يد يوشيا عام ٦٢٠ قبل الميلاد ويدعو إلى مركزية العبادة، المصدر الكهنوتي في عصر المنفى وما بعده يحصر العبادة في أورشليم.

وقد تعرضت هذه المصادر بحسب نظرية فلهاوزن لثلاث عمليات تحرير وتعديل كبرى. لكن التأريخ النهائي لنشأة مصادر التوراة يضع في الحسبان أكثر من ثلاث عمليات تعديل لمصادر التوراة، ويطرح التخطيط التالي لنشأة التوراة[1]:

١ ـ المصدر اليهوي (حوالي ٩٣٠ ق.م) (J)

وبدأ عبارة عن بعض القصص والروايات والأغاني والأمثال.

٢ ـ المصدر الإيلوهيمي (حوالي ٧٥٠ ق.م) (E)

٣ ـ المصدر اليهوي الإيلوهيمي (عام ٧٠٠ ق.م) (JE)

وهو عملية إضافة وتكملة للمصدر اليهوي والإيلوهيمي لتكوين قصة وتاريخ بني إسرائيل المبكر، وتمت في القدس.

٤ ـ سفر التثنية (القرن السابع قبل الميلاد) (D)

٥ ـ أعمال مدرسة تثنية الاشتراع (٥٦٠ ق.م) (DtrG)

وقد اتخذت من سفر التثنية أساساً لها، وأنجزت عملية تعديل مختلفة شملت أيضاً كتب الأنبياء.

٦ ـ المصدر الكهنوتي الأساسي (بعد المنفى مباشرة) (PG)

٧ ـ المصدر الكهنوتي الثانوي (القرن الخامس في القدس) (PS)

٨ ـ تحرير التوراة (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد) (RP)

وهي عملية تعديل كبرى شملت جميع أسفار التوراة ومصادرها.

(1) H. lrsiger , Literetur und Glaudensgeschichte im A . T S : 80 - 87 .

ثانياً: أسفار الأنبياء

سار البحث في سند كتب الأنبياء على المنهج النقدي نفسه لسند التوراة معتمداً على: إشارات لأحداث تاريخية متأخرة عن زمن حياة النبي المنسوب إليه السفر، ازدواج روائي، تكرار، تناقض، اختلاف اسم الله بين الروايات، إلخ.

وقد بدأ الشك في صحة سند هذه الأسفار مبكراً على يد ابن حزم الذي قطع بعدم صحة نسبة سفر يشوع إليه[١].

ثم أشار الإمام ابن تيمية إلى انقطاع سند كتب الأنبياء على وجه العموم (وليس سفر يشوع فقط)[٢].

وعكف سبينوزا على استخراج الدلائل والقرائن على عدم صحة نسبة هذه الكتب إلى أسماء الأشخاص التي تحملها، فانتهى إلى أن أسفار: يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك، إرميا. ألفت بعد حياة هؤلاء بقرون طويلة[٣].

ثم أعقبت سبينوزا جهود جبارة من قبل علماء النقد الحديث لتحديد تواريخ احتمالية لأزمان تأليف هذه الكتب، والتخمين بأشخاص المؤلفين الحقيقية انتهت للتالي[٤]:

(١) ابن حزم / الفصل (١ / ١٥٢).

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح (١ / ٣٥٦، ٣٦٠، ٢ / ١٨ ـ ١٩).

(٣) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ٢٦٥ ـ ٢٨٣، ٣٠٧، ٣٢٦.

(٤) راجع في ذلك:

- R . Smend , Die Entstehung des Alten Testament , S : 110 - 186 .

- G . Fohrer , Einleitung in das Alten Testament , S : 212 - 256 , 397 - 515 .

- Otto Kaiser , Einleitung in das Alte Testament , S : 127 - 154 , 195 - 253 .

أ ـ الأنبياء الأوائل

١ ـ يشوع (حوالي ١٢٣٠ ق.م).

على يد محرر من مدرسة تثنية الاشتراع[1]، على أساس من مقطوعة صغيرة تشكلت في الإطار التاريخي لمصادر التوراة.

٢ ـ القضاة (١٢٠٠ ـ ١٠٣٠ ق.م).

مجهول التاريخ، لكن الجزء الأساسي منه (الإصحاح ٢ / ٦ ـ ١٦/ ٣١) يعود إلى عمل مدرسة تثنية الاشتراع.

٣ ـ صموئيل (حوالي ١٠٤٠ ق.م)

من عمل محررين متعددين من محرري تثنية الاشتراع، اعتماداً على مواد مختلفة شفهية ومكتوبة تتراوح تواريخها ما بين عهد داود وبين زمن المنفى.

٤ ـ الملوك (١٠٣٠ ـ ٩٣٣ ق.م)

من عمل كاهن فلسطيني معاصر لخراب الهيكل، أكمله وأضاف إليه محرر ثان من فلسطين (حوالي عام ٥٥٠ ق.م) روايات وتقاليد أخرى يسيطر عليها الاهتمام بالنبوة والأنبياء، ثم في أواخر القرن السادس تعرض لعملية إضافة وتكملة من قبل بعض الكهنة الفلسطينيين.

ب ـ الأنبياء الأواخر

يقول رودولف سميند: «وردت إلينا تعاليم الأنبياء في أربعة كتب، تحمل الثلاثة الأولى منها أسماء أصحابها، أما الرابع فهو كتاب يتضمن تعاليم الاثني عشر (الأنبياء الصغار) التي يتضمن كل منها اسم صاحبها. وقد سارت التقاليد

(١) مدرسة تثنية الاشتراع هي علم على عملية التحرير والتعديل التي تعرض لها العهد القديم زمن المنفى وبعده، لكن أشخاص القائمين بها وسيرتهم مجهولة لا يعرف عنهم إلا الأفكار والأساليب التي ساروا عليها في تعديلاتهم وتحريرهم للأسفار.

على أن مؤلفي هذه الكتب هي الأعلام المسمى بها كل كتاب منها.

لكن الدراسات العلمية قد أثبتت أن هذا المفهوم خطأ فادح؛ لأن جميع هذه الكتب ـ تقريباً ـ تمت صياغتها في عصور متأخرة جداً عن حياة أصحابها الأصلية[1].

وإليك التواريخ الاحتمالية لكل كتاب وتخميناً بشخصية مؤلف كل منها:

١) الأنبياء الكبار:

١ ـ أشعيا، تاريخ الدعوة (حوالى ٧٤٠ ق.م).

وهو يتكون من ثلاثة أقسام:

ـ القسم الأول (من الإصحاح ١ ـ ٣٩)، ويتضمن بعض النصوص التي يرجح أنها تعود إلى زمنه، لكنه لم يكتبها كلها، بل كتبها بعض أتباعه.

ـ القسم الثاني ويسمى «أشعيا الثاني» (من الإصحاح ٤٠ ـ ٥٥) ويرجع تاريخه إلى زمن المنفى.

ـ القسم الثالث، ويسمى «أشعيا الثالث» (من الإصحاح ٥٦ ـ ٦٦) وتأليفه تم بعد العودة من المنفى، وبواسطة أكثر من مؤلف.

٢ ـ إرميا، تاريخ الدعوة (حوالي ٦٠٠ ـ ٥٨٥ ق.م).

تم تحريره زمن المنفى على يد مجهول قام بجمع مواد متعددة في مجلد واحد أضاف إليه بعضاً من التقاليد الشفهية.

٤ ـ حزقيال (؟)

من الصعب تحديد تاريخ بدء دعوته أو نهايتها أو زمن تأليف الكتاب.

٢) الأنبياء الصغار:

١ ـ هوشع (حوالي ٧٥٠ ق.م في مملكة الشمال).

(1) R . Smend , Die Entstehung des A . T , S : 140 .

عبارة عن مجموعة من الأقوال والكلمات التي يمكن أن يرقى بعضها إلى عصر هوشع، لكن يستحيل تحديد قدر مساهمة هوشع في تدوين أقواله.

٢ ـ يوئيل (؟)

سفر مجهول المؤلف، كما أن شخصية المنسوب إليه مجهولة، ولم ينجح أحد في ترجيح تاريخ احتمالي لتأليف الكتاب.

٣ ـ عاموس (دعوته كانت قبل منتصف القرن الثامن في مملكة الشمال، رغم أنه من مملكة الجنوب).

يمكن التعرف على بعض الفقرات التي خطها عاموس، أما بقية السفر فمن تحرير تلاميذه وإضافاتهم في أوقات لاحقة تحديدها موضع جدال.

٤ ـ عوبديا (؟)

يعتقد أنه من عمل ما بعد ٥٨٧ ق.م، أما النبي نفسه فلا يعرف عنه سوى اسمه، أما هويته فمجهولة تماما.

٥ ـ يونان (؟)

يعتقد أنه من عمل ما بعد الجلاء، أما النبي فشخصية غير تاريخية.

٦ ـ ميخا (القرن الثامن ق.م)

تنسب بعض الإصحاحات إليه خاصة الإصحاحات الثلاثة الأول، أما بقية الفصول فترجع إلى عصر ما بعد الجلاء، على وجه التحديد بعد عام ٥٣٦.

٧ ـ نحوم (حوالي النصف الثاني للقرن السابع).

لا جدال في أن الكتاب لا يمكن نسبته إليه، لكن ما هي حدود الإضافات وتاريخها، وما يمكن أن يرجع إليه. ذلك ما لم يحسم بعد.

٨ ـ حبقوق (؟)

يناسب الجزء الرئيس من الكتاب ظروف أواخر القرن السابع، وتمتد بقية

الأجزاء إلى ما بعد ذلك التاريخ بكثير، أما شخصية النبي فليس هناك شيء صريح عنها.

٩ ـ صفنيا (ربما عاصر سقوط السامرة وأورشليم وتابع نشاطه في زمن الجلاء) أثر التدخلات اللاحقة في نص السفر غير خافية، خصوصاً في الإصحاح الثاني منه.

١٠ ـ حجاي (٥٢٠ ق.م)

من العسير نسبة هذا الكتاب إليه، لكن يمكن الحديث عن مذكرة دفاعية عن حجاي كتبت بواسطة أتباعه ثم عدلت فيما بعد.

١١ ـ زكريا (معاصر لحجاي زمن الجلاء)

ينقسم السفر إلى قسمين:

الأول (من الإصحاح ١ ـ ٨)، ويمكن أن ينسب إلى النبي زكريا الذي يحمل الكتاب اسمه والذي لا يعرف شيء عن شخصه.

الثاني (من الإصحاح ٩ ـ ١٤)، ومؤلفه مجهول، ويعود تاريخه إلى زمن المكابيين في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد.

١٢ ـ ملاخي (؟)

النبي مجهول، ويرجع تأليف الكتاب إلى القرن الرابع ق.م، عدا الآيتين الأخيرتين، فتنتميان إلى عام ٢٠٠ ق.م.

ثالثاً: الكتابات

مضى البحث في سند الكتابات أيضاً على المنهج نفسه الذي اتبع في التوراة، وفي سند أسفار الأنبياء.

وأسفر ذلك عن بعض النتائج والملحوظات الشيقة، كتلك التي تخص سفر

المزامير المنسوب إلى داود، وفيهـا يتحدث عن الهيكل الذي لم يُبْنَ إلا في عهد سليمان ابنه، كالمزمور الشهير رقم ١٣٧ :

على أنهار بابل هناك جلسنا　　فبكينا عندما صهيون تذكرنا

علـى الضفـاف فـي وسطها　　عـلّقنـا كنَّـاراتنـــا

هناك سألنا الذين أسرونا نشيدا　　والذيـن عذّبونـا طربـا

أنشِدوا لنا من صهيون نشيدا

كيـف ننشـد نشيـد الـرب　　ونحن فـي أرض الغربة؟

إن نسيتُـك يـا أورشليـم　　فَـلْتُشَـلَّ يـمينـي

الذي يصور آلام وشـوق الغربة في أرض المنفى، وهو ما حدث بعـد موت داود بأربعة قرون.

وإليك تاريخ نشأة كل كتاب[1]:

١ ـ راعوت.

تدور أحداث الكتاب حول جد داود، أمـا تاريخ وضع الكتاب؛ فيرجع إلى زمن الجلاء.

٢ ـ المزامير.

وهي عبارة عن مائة وخمسين مزموراً، ورد اسم داود في مطلع ٧٣ مزموراً ولذلك نسـبت إليه، أما البـاقي فينسب إلى كـتبـة آخرين: إرميـا، حزقـيال، زكريا، حجاي، بني يوناداب.

ويرجع تاريخ جمع المزامير إلى القرن الثاني ق.م.

(1) R . Smend , Die Entstehung des A . T , S 188 - 229 .

- G . Fohrer , Einleitung in das A . T , S : 257 - 365 .

- Otto Kaiser , einleitung in das A . T , S : 211 .

٣ ـ أيوب.

يعتقد أن قصة أيوب التي كانت شائعة في أدبيات الشرق الأدنى رويت بالعبرية في القرن الحادى عشر والعاشر ق.م.

٤ ـ الأمثال.

من العسير جداً أن يرجع أحد أجزاء هذه الأمثال إلى سليمان، ويتأرجح تاريخ تأليف السفر ما بين فترة ما قبل الجلاء حتى فترة ما بعد الجلاء.

٥ ـ الجامعة.

ينسب الكتاب إلى سليمان، ويعود تاريخ تأليفه إلى القرن الثالث قبل الميلاد، ويحتمل أن يكون لأكثر من مؤلف عاش أحدهم زمن استيلاء البطالمة على فلسطين.

٦ ـ نشيد الأناشيد.

تنسب هذه المجموعة من القصائد الجنسية إلى سليمان، وحتى اليوم لا يمكن حتى التخمين بشخصية المؤلف أو تاريخ التأليف أو الهدف الذي تخدمه هذه الأشعار الفاضحة. أما وجوده في القانون اليهودي فمصادفة بحتة.

٧ ـ المراثي

تنسب إلى إرميا، لكنها بكل تأكيد ليست له، لأنها كتبت في فلسطين حيث كان إرميا هارباً إلى مصر، بل إنها كتبت للرد على إرميا وحزبه المناصر لبابل، وذلك قبل نهاية فترة المنفى.

٨ ـ دانيال.

يُنسب الكتاب إلى دانيال، الذي يظهر فيه كنبي معاصر للجلاء البابلي، أما تاريخ تأليفه، فيمكن تحديده في عام ١٦٤ ق.م.

٩ ـ استير.

يدور حول امرأة شجاعة اسمها استير تخلص قومها اليهود من كارثة الإبادة على يد الفرس، والمؤلف مجهول والتاريخ لا يمكن تأكيده.

١٠ ـ عزرا ونحميا.

يعرض لجهود عزرا ونحميا في إعادة وتجديد الحياة الدينية لليهود بعد العودة من المنفى، من الأرجح أن يكون إنجاز السفر فيما بين أواخر القرن الرابع وأواسط القرن الثالث ق.م، لكن ليس هناك ما يدل على شخصية المؤلف.

١١ ـ الأخبار.

وهو عرض للتاريخ الإنساني واليهودي يمتد حتى القرن الخامس ق.م، وهو مجهول الكاتب، لكنه نفس مؤلف سفر عزرا ونحميا، ويعود تاريخ تأليف سفر الأخبار إلى نفس تاريخ إنجاز سفر عزرا ونحميا.

رابعاً: المتن

لأن دعوى كون العهد القديم إلهاماً، أي كتب بواسطة إلهام الروح القدس للكتّاب الذين كان يحركهم كأحجار رقعة الشطرنج، سواء أكان المقصود بذلك الأجزاء غير المنسوبة إلى الأنبياء أم التي نجهل مؤلفيها، أم كان المقصود به محرري العهد القديم أو نساخه الذين لا نعرفهم والذين أضافوا وحذفوا منه ما ارتأوه، أم كان من ينسب إليهم من الأنبياء المرسلين. لكون تلك الدعوى غير منضبطة، فلا يمكن تصديقها، كذلك لا يمكن تكذيبها؛ إذن فهي خارج نطاق البحث العلمي الموضوعي.

أما ما يمكن خضوعه للبحث العلمي الموضوعي فهو العمل المنسوب إليهم، أي متن العهد القديم، فذلك ما يمكن الحكم على مدى إلهاميته بحسب توافقها

مع المعايير التالية:

(أ) انسجام النصوص مع بعضها البعض.

مضمـون هذا المعيار أنه إذا كان الملهم واحـداً والهدف مشتـركاً؛ فلا بد ألا تصطدم النصـوص أو تـتعـارض أو تـختـلف، أمـا إذا اختلفت وتعـارضت النصوص، فذاك دليل على عدم صحة دعوى الإلهام.

ولضيق المقـام سنقتصـر على مثالين لتـنافر النصوص في أهم مـوضعين من مواضع العهد القديم على الإطلاق وهما:

١ ـ العهد

وهو الذي عقده الرب من ناحيته مع بني إسـرائيل، ومقتضاه أصبح الشعب الإسرائيلي شعباً وحيداً ومقدسـاً ومختاراً له، ذلك العهد الذي ـ على حد قول فلهاوزن ـ بموجبه لم تشرك اليهودية اليهود في حياة الألوهية فقط، بل حشرت الألوهية في حياة الشعب الإسرائيلي[١].

وقد أولى العـهد أو الميثـاق من قبل كتاب العـهد القديم عناية كـبرى، بل أصبح ـ كما قيل ـ قلب العهد القديم[٢].

وقد وردت وقائع العهد في روايتين تعارض كل منهما الأخرى، على الوجه التالي[٣]:

١ ـ في الأولى تدور وقـائع قطع العـهد في إطار تجلٍّ إلـهي عبـارة عن ثوران بركاني تصاحبه رعود وبروق وغمام وصوت بوق شديد ودخان كثيف.

(1) J . Wellhausen , Die Judische und israelische Geschichte , S : 36 .

(2) Werner . H . Schmidt , Einfuhrung in das A . T , S : 74 .

(٣) الرواية الأولى في: سفر الخروج (١٩ / ١ ـ ٢٤ / ١٨).
الرواية الثانية في: سفر الخروج (٣٣ / ١٢ ـ ٣٤ / ٣٥).

٢ ـ في الثانية يقطع العهد في إطار تجلٍّ إلهي عبارة عن غمام فقط.

٣ ـ في الأولى يقطع العهد في حضور هارون وناداب وأبيهو وسبعون شيخاً.

٤ ـ في الثانية يقطع العهد في حضور موسى بمفرده.

٥ ـ في الأولى يقطع العهد من خلال مأدبة يحضرها هارون وموسى وناداب وأبيهو وسبعون شيخاً.

٦ ـ في الثانية لا ذكر لشيء من هذا.

٧ ـ يُصدَّق على العهد ـ في الأولى ـ بتقديم ذبيحة ودم يرش على الشعب.

٨ ـ لا ذكر لشيء من هذا في الثانية.

٩ ـ في الأولى يرى موسى وهارون وناداب وأبيهو والسبعون شيخاً الله ويأكلون ويشربون معه.

١٠ ـ في الثانية لا يستطيع أحد أن يرى وجه الله لأنه لا يراه الإنسان ويحيى.

١١ ـ في الأولى يرخص لغير موسى بصعود الجبل.

١٢ ـ في الثانية لا يرخص لغير موسى بصعود الجبل، بل لا يرخص لأحد بمس الجبل على الإطلاق.

فإذا أضفنا إلى ذلك ملاحظة طريفة هي صعود موسى إلى الجبل في كلتا الروايتين ثماني مرات ونزوله خمس مرات فقط، لعلمنا إلى أي مدى جانَبَ الإلهام كتّاب العهد اليهودي.

مما دفع ابن ميمون بالاعتذار عن ذلك التضارب، والقول بأن الوقوف على جبل سيناء من جملة غوامض التوراة، وأن الإدراك فيه خفي جداً[1].

(١) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٣٩٦.

٢ ـ الوصايا العشر

وهي أساس الديانة والشريعة اليـهودية، وقد وردت إلينا أيضاً في روايتين[١] تخالف إحداهمـا الأخرى ـ كما يقول سبـينوزا ـ من جميع النواحي[٢]، نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ تلقي الوصايا .

وفيها تختلف الروايات حول طبيعة الوصايا التي تلقاها موسى: ـ

ـ ففي الرواية الأولى يتلقى مـوسى وصايا مكتوبة، أما في الثانيـة فالوصايا شفهية وتبليغها شفهي أيضاً.

ـ يكتب موسى الوصايا بنفسه مرة[٣]، ويكتبها الله بنفسه مرات[٤].

ـ في الأولى تلقى الـوصايـا من خـلال تجلٍّ إلهي بحـضـرة هارون وناداب وأبيهو وسبعين من شيوخ إسرائيل، أما في الثانية فيتلقاها موسى بمفرده وسيطاً عن الشعب.

٢ ـ صيغة الوصايا

وفيها اخـتلاف جذري بين الرواية الأولى والثانية، وتباين كـبير يشمل الكل والجزء، وقد حصر هوسفيلد أنواع الاختلافات بين الروايتين في ثلاثة[٥]:

(١) الأولى في: سفر الخروج (٢٠ / ١ ـ ١٧).

الثانية في: سفر التثنية (٥ / ٦ ـ ٢١).

(٢) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ٢٧٧.

(٣) خروج (٣٤ / ٢٧ ـ ٢٨).

(٤) خروج (٢٤ / ١٢، ٣١ / ١٨، ٣٢ / ١٦). تثنية (٥ / ٢٢، ٩ / ١٠، ١٠ / ٤).

(5) Frank - Lothar Hossfeld , Der Dekalog , S : 1 - 283 , .

ـ اختلاف في صياغة كل وصية على حدة بين الروايتين.

ـ اختلاف في الإطار العقائدي لكل رواية.

ـ اختلاف في الإطار الشعائري لكل رواية.

ـ اختلاف في الإطار البيئي (الحضاري) لكل رواية.

فإذا أضفنا إلى هذا التباين اختلاف كلتا الروايتين مع رواية النسخة السامرية تبّين مدى تعارض الإلهام في كل رواية.

(ب) توافقها مع معطيات العلم الحديث.

إن المقابلة بين نصوص العهد القديم ومعطيات العلوم الحديثة تكشف عن تعارض بين نصوص العهد القديم ومعطيات العلوم الحديثة، وذلك في المسائل الهامة التالية:ـ

١ ـ مراحل خلق العالم.

حيث وردت إلينا روايتان عن الخلق في سفر التكوين[١]، إلى جانب كونهما غير متطابقتين، ومختلفتين حجماً وموضوعاً، فإن الرواية الأولى تتضمن من وجهة النظر العلمية الأخطاء الآتية[٢]: ـ

أ ـ الإشارة إلى وجود المياه في المرحلة الأولى من مراحل الخلق.

ب ـ ذكر النور في اليوم الأول، قبل أن تخلق النجوم التي هي أدواته.

جـ ـ ذكر الليل والنهار في اليوم الأول، وذلك قبل وجود الأرض ودورانها حول الشمس.

(١) الرواية الأولى وهى كهنوتية وردت في: (تكوين ١ / ١ ـ ٢ / ٣).

الرواية الثانية وهى يهوية وردت في: (تكوين ٢ / ٤ ـ ٢٤).

(٢) موريس بوكاي / القرآن الكريم والتوارة والإنجيل والعلم / ص: ٤١ ـ ٤٥.

د ـ وجـود العالم النبـاتي المتناسل في اليـوم الثالث، وذلك قـبل أن تخلق الشمس في اليوم الرابع.

ذ ـ ترتيب خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض، وذلك يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل النظام الشمسي.

س ـ الإشارة إلى عـالم الحيـوان والطيور في الـيوم الخامس مـع أن التوراة نفســها تذكـر خلق هذا العالم في الـيوم السادس. ويتـضمن هذا أيضـاً خطأ علمياً؛ إذ إن وجود الطيور تالٍ لوجود عالم الحيوان.

ش ـ تحديد مراحل الخلق بسـتة أيام في إطار أسبوع يستـريح الله في نهايته «يوم السبت» الذي أصـبح يوم راحة لليهود، يـخالف معطيات العلوم الحـديثة عن تشكل الكون الذي تم على مراحل تمتد على فترات زمنية شديدة الطول لا يسمح العلم ـ حتى الآن ـ بتحديد مدتها بدقة.

أما الرواية الثـانية، التي وردت قـصيرة ومـقتضـبة، ولا تشـير إلى تشكل الأرض والسماء بشكل واضح؛ فإن الانتقاد الوحيد الذي يمكن توجيهه إليها هو نصها على ظهور عالم النبات في وقت ظهور الإنسان على الأرض، وهذا خطأ علمي، إذ ظهر الإنسان على الأرض حين كـانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات[1].

٢ ـ تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان.

إن تاريخ خلق العالم وظهـور الإنسان بحسب التقدير الـعبري المؤسس على معطيات العهد القديم يحدد تقريباً بسبعة وثلاثين قرناً قبل ميلاد المسيح.

ويحدد العلم الحديث تاريخاً زمنياً تقريباً لعصور تكون النظام الشمسي يقدر

(١) موريس بوكاي / القرآن والتوارة والإنجيل والعلم / ص: ٤٦.

بأربعة مليارات ونصف من السنوات[١].

أما تاريخ ظهور الإنسان، فيرجعه العلم إلى أبعد من التصور الذي وضعه العهد القديم بعشرات الآلاف من السنين[٢].

٣ ـ الطوفان.

تقص الإصحاحات من السادس إلى الثامن من سفر التكوين، بأن الله غضب على البشر والكائنات الحية بسبب شرورهم، فندم على خلقه لهم، وقرر محوهم من على وجه الأرض بطوفان هائل يهلك كل ذي جسد فيه روح حياة إلا نوحاً وأهله وأزواجاً من البهائم والطيور[٣].

وتبعاً للحسابات القائمة على إشارات سفر التكوين، فإن تاريخ الطوفان يرجع إلى القرن الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين قبل الميلاد. وذلك التاريخ ـ تقريباً ـ هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة في مصر، وتاريخ أسرة أور الثالثة في بابل[٤]. وبالتالي فلم يحدث انقطاع في هذه الحضارات، ولم يحدث إهلاك ودمار كامل للبشرية كما يزعم سفر التكوين.

* * *

(١) السابق / ٤٧.

(٢) السابق / ٥١.

(٣) التكوين (٦ / ٥ ـ ٨ / ٢٢).

(٤) موريس بوكاي / القرآن والتوارة والإنجيل والعلم / ص: ٥٣ ـ ٥٤ .

الفصل الثالث

المعجـــــــزة

لقد استطعنا - ليس فقط كعلماء، وإنما ككتاب جادين الوقوف على الأسس التاريخية لحقيقة المعجزة في الكتاب المقدس، وهناك ما يدعونا للشك في مؤرخي حوادث المعجزات الذين لا نعرفهم غالباً، كما أن تلك المعجزات قد دونت بعد وقوعها بحوالي خمسمئة أو ستمئة عام، ويكون مخطئاً وهازلاً من يلزمنا بوجوب الاقتناع بأن هذه القصص لم تتغير ولم تتشوه عبر انتقالها الشفوي من جيل إلى جيل.

أوجيني ميني جوس

تعد مسألة إثبات النبوة والبرهنة على صدق ما جاءت به من ألزم اللوازم، وأولى الأوليات، وكذلك أعتى التحديات في مواجهة إنكار المخالفين، والمكذبين لصحة المعتقدات والديانات والشرائع، ويقتضى إثبات النبوة الاعتماد على ما يؤيد صحتها من علامات وآيات وبراهين.

وقد اصطلح على تسمية تلك العلامات والآيات والبراهين المستلزمة لصدق الأنبياء بالمعجزات، وتدل هذه المعجزات في حال ثبوتها على صدق الأنبياء وما جاءوا به من: الأوامر والنواهي، والأخبار، والعقائد.

وسنتناول موضوع المعجزة في اليهودية في ثلاث نقاط: ـ

١ ـ مفهوم المعجزة.

٢ ـ قائمة بأهم معجزات العهد القديم.

٣ ـ مدى دلالة معجزات العهد القديم على النبوة.

١ ـ مفهوم المعجزة:

المعجزة في اليهودية هي حدوث ما ليس في الطبع والعادة[1]. وهي قسمان اختلف مفكرو اليهود في تصنيفهما: ـ

فالفيومي يقسم المعجزة إلى[2]: ـ

أ ـ قهر طبائع، وذلك كمنع النار أن تحرق، وحبس الماء أن يجري، وإيقاف الفلك عن سيره، وما أشبه ذلك.

(١) سعديا الفيومي / الأمانات والاعتقادات، ص: ٥٣.

(٢) السابق / ص: ١٢٠.

ب ـ قلب أعيان، كما يقلب الحيوان جماداً والجماد حيواناً، والماء دماً والدم ماء.

أما لدى ابن ميمون، فتنقسم المعجزة قسمين[١]: ـ

أ ـ مخالف للطبائع، وذلك كقلب العصا حية[٢]، أو انشقاق الأرض لابتلاع تورح[٣]، أو انفلاق البحر[٤].

ب ـ غير مخالف للطبائع؛ كإطلاق الجراد على مصر[٥]. والطاعون[٦]، والبرد[٧]، وكذلك يتضمن هذا النوع اللعنات المذكورة في سفر التثنية[٨]، والبركات المذكورة في سفر الأحبار[٩].

ووضعت للمعجزة شروط أربعة[١٠]:

١ ـ أن تقع في الوقت الذي حدده النبي كما جاء في سفري صموئيل الأول[١١] والملوك الأول[١٢].

(1) W . Bacher , Die Bibelexegese Moses Maimunis , S : 85 .

(٢) خروج: (٤ / ٣).

(٣) عدد: (١٦ / ٣٢).

(٤) خروج: (١٤ / ٢١).

(٥) خروج: (١٠ / ١٤).

(٦) خروج: (٩ / ٦).

(٧) خروج: (٩ / ٢٤).

(٨) تثنية / الإصحاح الثامن والعشرون.

(٩) الأحبار / الإصحاح السادس والعشرون.

(١٠) الفيومي / الأمانات والاعتقادات / ص: ١٢٢، ١٣٢

W . Bacher , Die bibelexegese Moses Maimunis , S : 87 .

(١١) صموئيل أول: (١٢ / ١٨).

(١٢) ملوك أول: (١٣ / ٥).

٢ ـ أن تكون أمراً غير معتاد.

٣ ـ استمرارها كما في دوام البركات واللعنات السابق ذكرها.

٤ ـ أن يقدر عليها الأنبياء وحدهم ويعجز عنها سائر الناس، كما يقول الفيومي: (إن الأنبياء وحدهم، ووحدهم فقط هم القادرون على إحالة الطبائع كإبطال مفعول النار أو منع انسيابية المياه؛ وذلك لتأييد إرسالهم من قبل الله، ومن ثم تصديق ما أوحى لهم في الكتب المقدسة)(١).

والمعجزة إذا تحققت شروطها دلت وجوباً على النبوة، يقول الفيومي: (فأي رسول اختاره الخالق لرسالة، جعل سبيله أن يعطيه علامة من هذه الأعلام: إما قهر طبائع؛ كمنع النار أن تحرق؛ وحبس الماء أن يجري، وإيقاف الفلك عن سيره، وما أشبه ذلك، أو قلب عين، كما يقلب الحيوان جماداً، والجماد حيواناً، والماء دماً والدم ماء، فإذا دفع إليه علامة من هذه وجب على من رآها من الناس أن يفضلوه ويصدقوه فيما يقول)(٢).

فالنبوة إنما تصح للنبي بالآيات والمعجزات(٣).

جاء في سفر الخروج: (فأجاب موسى، وقال: وإن لم يصدقوني ولم يسمعوا لقولي. بل قالوا: لم يتراء لك الرب؟ فقال له الرب: ما هذا الذي في يدك؟ قال: عصا. قال: ألقها على الأرض. فألقاها على الأرض، فصارت حية، فهرب موسى من وجهها. فقال الرب لموسى: مدَّ يدك وأمسك بذنبها.

---

(1) W.Bacher, Die bibelexegese der Judischen Religionsphilosophen S: 7 - 8

(٢) الفيومي/ الأمانات والاعتقادات / ص: ١٢٠، وانظر كذلك: ص: ١٢٢، ١٣٢.

(٣) السابق / ص: ٥٣، وانظر كذلك دلالة المعجزة على صحة الوحي الموسوي لدى إبراهيم بن داود:
W. Bacher, Die Bibelexegese der Judischen Relligionsphilosophen S : 147

فمد يده وأمسك بها، فعادت عصا في يده.

قال: لكي يصدقوا أن قد تراءى لك الرب إله آبائهم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب.

وقال له الرب أيضاً: أدخل يدك في عبك. فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها، فإذا يده برصاء كالثلج. فقال: رد يدك إلى عبك. فرد يده إلى عبه، ثم أخرجها من عبه فعادت كسائر جسده، قال: فإن لم يصدقوا ولم يستمعوا لصوت الآية الأولى. يصدقون صوت الآية الأخرى، وإن لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك، تأخذ من ماء النيل وتصب على اليابسة فإن الماء الذي تأخذه من النيل يتحول دماً على اليابسة)[1].

وعندما أرسل الرب موسى إلى فرعون تحكى التوراة أنه قال: (إذا كلمكما فرعون وقال: ائتياني بخارقة لصالحكما تقول لهارون: خذ عصاك وألقها أمام فرعون فتصير حية)[2].

ووجه دلالة المعجزة على النبوة كما يرى الفيومي، أنها علامة حية وبرهان مشاهد لا يتسلط عليه الشك، ولا يجد المرء إلى دفعه من سبيل[3].

٢ ـ قائمة بأهم معجزات العهد القديم

١ ـ قلب موسى العصا حية وإعادتها إلى طبيعتها ثانية[4].

٢ ـ عقاب المصريين بـ[5]:

(١) خروج: (٤ / ١ ـ ٩).

(٢) خروج: (٧ / ٩).

(٣) الفيومي / الأمانات والاعتقادات / ص: ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) خروج: (٧ / ٨ ـ ١٢).

(٥) خروج: (٧ / ١٤ ـ ١١ / ٩).

قلب الماء دماً، تكثير الضفادع والجراد والبعوض والذباب والقروح وموت المواشي، وإرسال البرد، وإسدال الظلام، وقتل الأبقار.

٣ ـ عبور بني إسرائيل البحر بعد أن انفلق شطرين[١].

٤ ـ تغذية بني إسرائيل بالمن والسلوى أربعين سنة خلال معيشتهم في صحراء سيناء[٢].

٥ ـ تفجر الماء من الصخرة بعد ضرب موسى لها بعصاه[٣].

٦ ـ رفع موسى يديه بعصاه إلى السماء وانتصار بني إسرائيل بذلك على العمالقة[٤].

٧ ـ سقوط صخرة عظيمة من السماء، وتوقف الشمس في كبدها كي يتمكن بنو إسرائيل من النصر على الأعداء بقيادة يشوع[٥].

٨ ـ حوار بلعام مع دابته[٦].

٩ ـ الغربان تطعم إيليا خبزاً ولحماً صباحاً ومساء[٧].

١٠ ـ تكاثر الدقيق والزيت على يد إيليا[٨].

---

(١) خروج: (١٤ / ١٥ ـ ٣١).

(٢) خروج: (١٦ / ١ ـ ٣٥).

(٣) خروج: (١٧ / ١ ـ ٧).

(٤) خروج: (١٧ / ١١ ـ ١٤).

(٥) يشوع: (١٠ / ١١ ـ ١٣).

(٦) عدد: (٢٢ / ٢٨ ـ ٣٠).

(٧) الملوك الأول: (١٧ / ٢ ـ ٦).

(٨) الملوك الأول: (١٧ / ١٤ ـ ١٦).

١١ ـ إيليا يبعث رجلاً من بين الأموات[١].

١٢ ـ النار تهبط من السماء وتأكل الذبائح والمحرقات التي قدمها إيليا[٢].

١٣ ـ النار تهبط من السماء وتأكل قائد الخمسين وجنده استجابة لمطلب إيليا[٣].

١٤ ـ إيليا يضرب نهـر الأردن بردائه فينفلق النهر فلقين ويعبـر هو وأليشاع على اليبس[٤].

١٥ ـ أليشاع يضرب الماء برداء إيليا فتنفلق المياه ليعبر النهر أمام أعين أتباعه[٥].

١٦ ـ أليشاع يعالج الماء الفاسد[٦].

١٧ ـ تكاثر الزيت على يد أليشاع[٧].

١٨ ـ أليشاع يبعث ابن الشونمية من الموتى[٨].

١٩ ـ أليشاع يعالج القدر المسمومة[٩].

٢٠ ـ تكثير الأرغفة على يدي أليشاع[١٠].

٢١ ـ أليشاع يشفي برص نعمان الأرامي، ويصـيب خادمه جيجزي بالمرض

(١) الملوك الأول: (١٧ / ١٧ ـ ٢٤).

(٢) الملوك الأول: (١٧ / ٣٦ ـ ٣٨).

(٣) الملوك الثاني: (١ / ١٠ ـ ١٢).

(٤) الملوك الثاني: (٢ / ٨).

(٥) الملوك الثاني: ٢٠ / ١٤ ـ ١٥).

(٦) الملوك الثاني: (٢ / ١٩ ـ ٢٢).

(٧) الملوك الثاني: (٤ / ١ ـ ٧).

(٨) الملوك الثاني: (٤ / ٣٢ ـ ٣٧).

(٩) الملوك الثاني: (٤ / ٣٨ ـ ٤١).

(١٠) الملوك الثاني: (٤ / ٤٢ ـ ٤٤).

الذي يعلق أيضاً بنسله[1].

٢٢ ـ أليشاع يصيب الأراميين بالصمم، ثم يشفيهم ثانية[2].

٢٣ ـ جثة أليشاع تبعث رجلاً من الموت[3].

٢٤ ـ أشعيا يعيد الظل إلى الوراء عشر درجات[4].

٢٥ ـ دانيال يخبر نبوكدنصر بالحلم الذي رآه ويفسره له[5].

٢٦ ـ الفتيان الثلاثة يلقون إلى النار فلا تحرقهم[6].

٢٧ ـ دانيال يلقى إلى جب الأسود فلا تؤذيه[7].

٢٨ ـ الحوت يبتلع يونان ليبقى في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم يلقيه الحوت بعد ذلك إلى الشاطىء[8].

٢٩ ـ نبوءة إرميا بعودة السبي بعد سبعين عاماً[9].

ملاحظات على معجزات العهد القديم:

١ ـ تكرار معجزة فلق البحر على يد إيليا، وإن اختلفت أداة المعجزة ما بين العصى لدى موسى، والرداء لدى إيليا.

---

(١) الملوك الثاني: (٥ / ٨ ـ ١٤، ٢٧).

(٢) الملوك الثاني: (٦ / ١٨ ـ ٢٠).

(٣) الملوك الثاني (١٣ / ٢٠ ـ ٢١).

(٤) الملوك الثاني: (١٦ / ٨ ـ ١١).

(٥) دانيال: (٢ / ١ ـ ٤٩).

(٦) دانيال: (٢ / ٨ ـ ٩٤).

(٧) دانيال: (٦ / ١٧ ـ ٢٥).

(٨) يونان: (٢ / ١ ـ ١١).

(٩) إرميا: (٢٩ / ١٠).

٢ ـ تفرد معجزة يشوع بإيقاف الشمس عن الدوران.

٣ ـ حوار بلعام الإعـجازي مع دابته سبق وروده في تقليـد يهوى في حوار حواء مع الحية في وجه غير إعجازي[١].

٤ ـ تطابق معجزات إيليا وأليشاع في:

ـ فلق البحر.

ـ إحياء الموتى.

ـ تكثير الطعام والشراب.

ولا غرو في ذلك، فألـيشاع خليفة إيلـيا ووارث ردائه، ولا شك أن مؤرخ معجزاتهما واحد.

٣ ـ مدى دلالة معجزات العهد القديم على النبوة

تدل المعجزة إذا ما تحققت شروطهـا على النبوة وجوباً كما سلفت الإشارة؛ لأن النبوة إنما تصح بالآيات والمعجزات.

والسؤال الآن: هل تدل المعجزة كما عرضها العهد القديم على النبوة؟

وسبيل الإجـابة عن هذا السؤال هو فحص تلك المعجزات، فـما طابق منها شروط المعجـزة في اليهودية ووافق مقـتضيات العلم والعقل كـان برهاناً ودليلاً على النبوة لا يتسلـط عليه الشك، وما خالف ذلك جرد صـاحب المعجزة من دليل نبوته وبرهان صدقه.

وسنحاول إجابة ذلك السؤال في مقامين:

أولهما: مدى مطابقة معجزات العهد القديم لشروط المعجزات في اليهودية.

(١) تكوين: (٣ / ١ ـ ٥).

لقد تضمنت شرائط المعجزة في اليهودية أربعة شروط خالفتها معجزات العهد القديم في كثير أو قليل كما سيتبين فيما يلي:

أ ـ معجزات خالفت الشرط الأول (أن تقع في الوقت الذي حدده النبي)

وذلك كنبوءة إرميا: (لأن هكذا قال الرب: عند انقضاه سبعين سنة في بابل، افتقدكم وأتم لكم كلمتي الصالحة بإرجاعكم إلى هذا المكان؛ لأني أعلم أن أفكاري التي أفكرها في شأنكم، يقول الرب، هي أفكار سلام لا بلوى، لأمنحكم بقاء ورجاء. فتدعونني وتذهبون وتصلُّون إليَّ فأستمع لكم، وتلتمسونني فتجدونني، إذا طلبتموني بكل قلوبكم، وأدعكم تجدونني، يقول الرب، وأرجع أسراكم وأجمعكم من بين كل الأمم ومن جميع الأماكن التي دفعتكم إليها، يقول الرب، وأرجعكم إلى المكان الذي جلوتكم منه)[1].

إذ تحدد النبوءة فترة السبي والنفي التي بدأت عام ٥٨٧ ق.م بسبعين عاماً، كان يجب أن تنتهي سنة ٥١٧ ق.م.

لكن سفر عزرا يخبرنا أنه: (في السنة الأولى لقورش ملك فارس لكي يتم ما تكلم به الرب على لسان إرميا، أثار الرب روح قورش ملك فارس، فانطلق نداء في مملكته كلها وكتابات أيضاً، قائلاً: هكذا قال قورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض قد أعطانيها الرب إله السموات، وأوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي بيهوذا. فمن كان منكم من شعبه أجمع، فإلهه يكون معه، فليصعد إلى أورشليم التي في يهوذا ويبنِ بيت الرب إله إسرائيل، وهو الإله الذي في أورشليم)[2].

(١) إرميا (٢٩ / ١٠) وقد تكررت هذه النبوءة في ٢٥ / ١١ وفي ٢٧ / ٧ على وجه آخر.

(٢) عزرا (١ / ١ ـ ٣)، وانظر الأخبار الثاني (٣٦ / ٢٢ ـ ٢٣).

فإذا علمنا أن السنة الأولى لملك قورش على المملكة البابلية ترقى إلى عام ٥٣٨ ق.م[١]، تبين لنا أن منشور قورش الذي أنهى فترة السبي والنفي، وأعاد بني إسرائيل إلى بيت المقدس قد صدر بعد تسعة وأربعين عاما فقط من تاريخ سقوط أورشليم ودمار الهيكل وبدء زمن المنفى؛ وليس بعد سبعين عاماً كما تنبأ إرميا.

ب ـ معجزات خالفت الشرط الثاني (أن تكون أمراً غير معتاد)

وذلك كطول العمر لدى بعض من حكى عنهم العهد القديم مثل: آدم، وشيت، وأنوش، وقينان، ومهللئيل، ويارد، وأخنوخ، ومتو شالح، ولامك، ونوح[٢]. والذي يعده ابن ميمون معجزة من معجزات العهد القديم[٣].

ومثل ذلك الطول في عمر من أحصاهم العهد القديم، وعده ابن ميمون معجزة لا يدخل في عداد المعجزات؛ لأنه وجد في فترة فريدة في التاريخ امتازت بخصائص معينة لا تقارن بغيرها من الفترات التاريخية اللاحقة. فكان طبيعياً في تلك الفترة أن يعيش بنو آدم ذلك الزمن الطويل؛ لأن أباهم آدم ـ الذي بدأت به الحياة البشرية على الأرض ـ قد عاش حسب النص التوراتي تسع مئة وثلاثين سنة.

كذلك لأن متوسط العمر البشري لم يكن قد حدد بعد، وإنما حدد هذا المتوسط حينما بدأ الجنس البشري يتكاثر بغزارة قريباً من زمن الطوفان كما تحكي التوراة: (ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات،

(١) هامش (١) من تعليقات محررى العهد القديم للكاثوليك، ص: ٨٣٨.

(٢) سفر التكوين (٥ / ١ ـ ٣٢).

(3) Bacher , Die Bibelexegese Moses Maimunis , S : 86 .

استحسن بنو الله بنات الناس، فاتخذوا لهم نساء من جميع من اختاروا. فقال الرب: لا تثبت روحي في الإنسان للأبد؛ لأنه بشر، فتكون أيامه مئة وعشرين سنة)[١].

جـ ـ معجزات خالفت الشرط الثالث (استمرار ودوام ما يدوم منها كاللعنات والبركات).

وذلك كمواعد الرب لإبراهيم: (لنسلك أعطي هذه الأرض؛ من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات)[٢]، وكذلك: (وأعطيك الأرض التي أنت نازل فيها، لك ولنسلك من بعدك، كل أرض كنعان، ملكا مؤبدا)[٣].

إذ لم يملك إبراهيم هذه الأرض الموعودة على الإطلاق، ولا نسله من بني إسرائيل حتى يومنا هذا، وأعظم فترات ملكهم أيام داود وسليمان، لم تتجاوز فيها مساحة الأرض المملوكة شريطاً ضيقاً محصوراً بين ممتلكات خصومهم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً[٤].

كذلك لم يتجاوز سلطانهم على هذه المملكة الصغيرة فترة خمسمائة عام على أحسن تقدير، بدأت بجلوس داود على العرش عام ١٠١٠ ق د م، وانتهت بالاستيلاء على السامرة وسقوط مملكة الشمال عام ٧٢١ ق.م، والتي أعقبها دمار أورشليم وخراب الهيكل وجلاء السكان إلى بابل وبدء عصر المنفى عام ٥٨٧ ق.م.

(١) تكوين (٦ / ١ ـ ٣).

(٢) تكوين (١٥ / ١٨).

(٣) تكوين (١٧ / ٨) وقد حُصر هذا النسل في إسحاق ومن بعده يعقوب (خروج ٦ / ٨).

(٤) انظر ملحق رقم (١).

د ـ معجزات خالفت الشرط الرابع (ألا يقدر عليها غير الأنبياء)

وهذا الشرط، وإن كان يعد أهم المعايير التي يمكن الاحتكام إلى المعجزة من خلاله، إلا أنه أكثر شروط المعجزة التي خولفت وخرقت.

والغريب أن أول من يخالفه وينبىء بمخالفته مستقبلاً هو رب العهد القديم الذي يؤيد مدعي النبوة بالآيات والخوارق[1].

وقد أتت بالمعجزات في العهد القديم خلاف الأنبياء فئات عديدة من البشر منهم:

١ ـ من لا يرقى إلى درجة النبوة كيوسف (وهو من الآباء) الذي فسر حلم فرعون[2]، ودانيال الذي أخبر نبوكد نصر بما رآه في الحلم، ثم فسره له[3]، والذي ألقي إلى جب الأسود فلم تمسه بسوء[4]، وكذلك الفتيان الثلاثة الذين ألقوا إلى النار فلم تؤذهم[5].

٢ ـ بعض أعداء الله من خارج بني إسرائيل، كبلعام[6].

٣ ـ الكهنة من حاملي تابوت العهد الذين بمجرد أن وطئت أقدامهم نهر

---

(١) سفر التثنية (١٣ / ٢ ـ ٣).

(٢) تكوين (٤١ / ١٥ ـ ٣٦).

(٣) دانيال (٢ / ١ ـ ٤١).

(٤) دانيال (٦ / ١٧ ـ ٢٥).

(٥) دانيال (٣ / ٨ ـ ٩٤).

(٦) بلعام عراف من ضفاف الفرات يؤمن بالرب إلهه، وكان يريد أن يلعن بني إسرائيل، لكن الرب أجبره على أن يباركهم، وقد مات مقتولاً لحمله بني إسرائيل على التمرد على الرب وعبادة البعل في فغور: انظر (سفر العدد ٢٢ / ٢ ـ ٢٤ / ٢٥، ٣١ / ١٨ ـ ١٦)، (تثنية ٢٣ / ٥ ـ ٦)، (يشوع ٢٤ / ٩ ـ ١٠)، (نحميا ١٣ / ٢).

الأردن توقف مجرى النهر يميناً ويساراً، وجفت الأرض تحت أقدامهم وظلوا واقفين في وسط النهر حتى تم عبور الشعب بأكمله نهر الأردن[1].

وهذه المعجزة لا يعادلها إلا معجزة موسى وعبور بني إسرائيل البحر، وهي أكبر معجزات العهد القديم وأهمها، لما ترتب عليها من نجاة بني إسرائيل، وبدء تاريخ جديد بعيداً عن الذل والعبودية في مصر.

٤ ـ مشيدو عبادة الآلهة الأخرى، وذلك كجدعون صانع الأفود الذي اتبعه كل بني إسرائيل[2].

وقد وقعت على يديه معجزتان كمعجزة إيليا، إذ هبطت نار من السماء وأكلت التقدمة التي وضعها على الصخرة، كذلك نزل من السماء ندى بلل الصوف الذي وضعه لذلك، أما سائر الأرض فكان عليها جفاف، ثم سقط الندى مرة أخرى لتبتل سائر الأرض ما عدا قطعة الصوف التي وضعها جدعون لذلك، وكان هذا علامة له على أن الله يخاطبه وسوف يخلص بني إسرائيل على يديه[3].

٥ ـ السحرة، وقد أتوا بنوعين من الخوارق:

النوع الأول: إحياء الموتى كما في معجزة إيليا وأليشاع، وذلك كساحرة عين دور التي أصعدت صموئيل النبي من بين الأموات كي يستشيره شاول في أمر الفلسطينيين[4].

---

(١) يشوع (٣ / ١٤ ـ ١٧).

(٢) قضاة (٨ / ٢٤ ـ ٢٧).

(٣) قضاة (٦ / ١٥ ـ ٢١، ٣٦ ـ ٤٠).

(٤) صموئيل الأول (٢٨ / ٧ ـ ١٩).

النوع الثاني: خوارق قابلوا فيها معجزات الأنبياء على سبيل التحدي. وذلك كسحرة فرعون الذين عارضوا موسى في معجزة العصا: (فدعا فرعون أيضا الحكماء والعرافين، فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم، ألقى كل واحد عصاه، فصارت العصى تنانين)(١).

وفي معجزة الدم: (وكان الدم في كل أرض مصر، فصنع كذلك سحرة مصر بسحرهم)(٢).

ومعجزة الضفادع: (فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر، وصنع كذلك السحرة بسحرهم، وأصعدوا الضفادع إلى أرض مصر)(٣).

ولما كان فعل السحرة يبطل نبوة موسى وهو مثال النبوة في اليهودية فقد حاول الفيومي أن يجد مخرجاً لهذا المأزق فقال: (فإن سأل سائل: كيف قابل السحرة موسى في آياته؟

قلنا إن الآيات التي صنعها عشر؛ قلب العصا والتسع الأخر، ولم تذكر التوراة أنهم قابلوه إلا في ثلاث)(٤).

ولا شك أن تبرير الفيومي واه، إذ لا فرق بين معارضة معجزة واحدة وبين المقابلة في عشر معجزات، أضف إلى ذلك أن السحرة قد قابلوا موسى في

(١) خروج (٧ / ١١ ـ ١٢).

(٢) خروج (٧ / ٢١ ـ ٢٢).

(٣) خروج (٨ / ٢).

(٤) الأمانات والاعتقادات / ص: ١٢٤، هذا وقد أخطأ الفيومي في إحصاء معجزات موسى وحصرها فى عشر، إذ بلغت خمس عشرة معجزة، هي: (اليد، الحية، الدم، الضفادع، البعوض، الذباب، موت المواشي، القروح، البرد، الجراد، الظلام، موت أبكار المصريين، معجزة البحر، انبثاق الماء من الصخرة، النصر على العماليق) راجع: (خروج ٤ / ١ ـ ٨، ٧/ ٨، ١٧ / ١٦).

معجـزة العصا وهي أهم معجـزات العهد القديم ومـوسى على الخصوص، إذ يتوقف علـيها نجـاح بني إسرائيل في الخـروج مصر، وبدء رحلـتهم إلى أرض الميعاد.

المقام الثاني: مدى موافقة معجزات العهد القديم حقائق العلم والعقل

ولأن المقام لا يتسع لإخـضاع جميع معـجزات العهد القديم للاختـبار أمام معطيات البـحث العلمي والعقلي، فإننا سنقـصر هذا الاختبار على مـعجزات موسى ويشوع وذلك للأسباب التالية:

١ ـ مكانة موسـى وأهميتـه للنبوة في اليـهودية بشكل خـاص وفي التاريخ اليهودي بشكل عام.

٢ ـ مكانة يشوع كخليـفة لموسى في النبوة وفي التراث اليـهودي على وجه العموم كفاتح للأرض المقدسة.

٣ ـ أن معجـزاتهما تضمنت أهم وأكـبر معجزات العـهد القديم، ألا وهي عبور البحر وإيقاف الشمس في كبد السماء.

٤ ـ أن التاريخ اليهودي يتوقف على صحـة تلك المعجزات، إذ لولا معجزة عبـور بني إسرائيـل البحر، لأدركـهم فرعـون وجنوده، ولكانت مـياه البـحر مقبرتهم الجماعية، وكذلك انتصار يشوع وفتح جنوب فلسطين الذي تم بواسطة توقف الشمس والقمر في السماء.

٥ ـ أن هذه المعجزات تقع ضمن روايات الأسفـار المجمع على تقديسها من جميع فرق اليهود: عبرانيين، صادوقيين، سامريين.

ونسجل في البـدء ـ وقبل الخوض في الفـحص العلمي والعقلي لمعـجزات العهد القديم أنها تفـتقد شهادة الإثبات التاريخيـة، التي هي أحد أهم مقومات

وجودها؛ إذ كما يقول البروفيسور أويجني ميني جوس: (لقد استطعنا ـ ليس فقط كعلماء، وإنما أيضا ككتاب جادين ـ الوقوف على الأسس التاريخية لحقيقة المعجزة في الكتاب المقدس.

وهناك ما يدعونا للشك في مؤرخي حوادث المعجزات الذين غالباً ما لا نعرفهم، كما أن تلك المعجزات قد دونت بعد وقوعها بحوالي خمسمائة أو ستمائة عام. ويكون مخطئاً وهازلاً من يلزمنا بوجوب الاقتناع الراسخ بأن هذه القصص التي حدثت على مرّ زمن طويل لم تتغير ولم تتشوه عبر انتقالها الشفوي من جيل إلى جيل)[1].

ولا تفوتنا أهمية هذا العامل التاريخي وجدارته بالبحث وإلقاء الضوء عليه، لكننا تناولناه ضمن البحث في تاريخية العهد القديم بأكمله.

أما هدفنا الآن، فهو بحث الحجج والبراهين التي تثبت أو تنفي صحة هذه المعجزات.

إذ كما يرى الفرنسي هنري بون: (فإن معجزات العقيدة لا تقف ـ بكل تأكيد ـ مضادة لعقولنا، ونحن لسنا ملزمين باستبعاد وترك الحجج والبراهين المؤكدة لصحة هذه المعجزات وتلقيها بأعين مغلقة)[2].

وسيكون بحثنا حول صحة المعجزات في العهد القديم على النحو التالي:

أولاً: معجزات موسى

وستفحص من زاويتين:

(1) Euegene Menegoz, Der biblische Wunder begriff, S : 47 . in : Der Wunderbegriff in Neuen Testament , Hrausg . von : Alfred Suhl .

(2)Henri Bon , Wunder , Wissenschaft und Kirche , S : 6 - 7 .

أ ـ أداة المعجزات:

إذ توحي نصوص التوراة بأن العصا هي أداة هذه المعجزات؛ لذلك اقتضت الضرورة الإجابة عن سؤالين:

١ ـ هل العصا أداة أم معجزة؟

وهنا تتضارب نصوص العهد القديم: إذ العصا بذاتها معجزة في انقلابها حية حسب قول التوراة: (وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: إذا كلمكما فرعون، وقال: ائتياني بخارقة لصالحكما، تقول لهارون: خذ عصاك وألقها أمام فرعون فتصير حية)[١].

وتظهر في موضع آخر أداة لتسع معجزات هي:

الدم[٢]، الضفادع[٣]، البعوض[٤]، البرد[٥]، الجراد[٦]، الظلام[٧]، البحر[٨]، انبثاق الماء من الصخر[٩]، النصر على العماليق[١٠].

٢ ـ هل هي عصا واحدة أم أكثر من عصا؟ ومن صاحب العصا؟ موسى أم هارون؟ أم هي عصا الله؟.

(١) خروج (٧ / ٨ ـ ٩) وراجع أيضا (خروج ٤ / ١ ـ ٩).
(٢) خروج (٧ / ٢ ـ ٢١).
(٣) خروج (٨ / ١ ـ ٢).
(٤) خروج (٨ / ١٢ ـ ١٣).
(٥) خروج (٩ / ٢٣ ـ ٢٦).
(٦) خروج (١٠ / ١٣ ـ ١٥).
(٧) خروج (١٠ / ٢١).
(٨) خروج (١٤ / ١٥، ١٧، ٢١، ٢٧).
(٩) خروج (١٧ / ٥ ـ ٦).
(١٠) خروج (١٧ / ٨ ـ ١٣).

إن الإجابة عن هذا السؤال ـ على قـدر أهميتها ـ لتتعذر، وذلك من وجوه ثلاثة:

أولها: التسمية، إذ سميت «بعصا هارون» مرة[1]، و «بعصا الله» مرتين[2]، ولم تسم عصا موسى على الإطلاق.

الثاني: الفاعلية والتأثير، نسب ذلك إلى الرب كإحدى الضربات العشر التي أوقعها على المصريين ولم تخصص العصا بأية فاعلية[3].

الثالث: الاستخدام، وفيه يتساوى موسى وهارون في عدد مرات استعمالها، إذا استخدمها هارون خمس مرات[4]، وكذلك موسى خمس مرات[5].

ولا يمكن تسويغ هذا الخلط والتضارب بالقول إنها عصا واحدة، وهي عصا الله الإعجازية، وفاعليتها غير مرتبطة بشخص موسى، وذلك لسببين:

أولهما: أن مهمة هارون محددة في التحدث أمام فرعون نيابة عن موسى، وموسى هو المنوط به استخدام العصا، وصنع المعجزات التي قد سبق المران عليها أثناء وقائع التكليف النبوي: (فاتقد غضب الرب على موسى، وقال: أليس هناك أخوك هارون اللاوي؟ إني أعلم أنه فصيح اللسان، وها هو خارج للقائك، وحين يراك يسر في قلبه، فتخاطبه وتجعل الكلام في فمه، لأني أكون مع فمك وفمه، وأعلمكما ما تصنعانه، وهو الذي يخاطب الشعب عنك،

---

(١) خروج (٧ / ١٢).

(٢) خروج (٤ / ١٠، ١٧ / ١٩).

(٣) خروج (١١ / ١).

(٤) خروج (٤ / ٣٠، ٧ / ٨ ـ ١٢، ٧ / ١٩ ـ ٢٥، ٨ / ١ ـ ٢، ٨ / ١٢ ـ ١٣).

(٥) خروج (٩ / ٢٣ ـ ٢٥، ١٠ / ٢٢، ١٤ / ٢١ ـ ٢٧، ١٧ / ٥ / ٦، ١٧ / ٨ ـ ١٣).

ويكون لك فماً. وأنت تـكون له إلهاً. وهذه العصا تأخذها بـيدك وتصنع بها العجائب)[١].

الثاني: أن فاعلية العصا لو لم تكـن مقصورة على موسى، لكان قد ناب عنه هارون في حملها أثناء حـرب العماليق خاصة بعـد أن كلّت يدا موسى وأنهكه التعب، ولم يجـد هارون وحور بداً من أن يجلسا موسى على حـجر، ويسندا يديه كل واحد من جهة حتى تظل يداه ثابتتين مرفوعتين إلى مغيب الشمس[٢].

وكان من الطبـيعي ـ نتيـجة هذا الخلط ـ أن تولد عصـا: مجهـولة الهوية، والملكية، والوظيفة.

ب ـ وقائع المعجزات:

يكشف لنا الفحص المدقق لتقـارير العهد القديم عن معجـزات موسى التالية ما يأتي:

١ ـ معجزة الدم:

يحكي سفر الخروج عن معـجزة الدم: (ثم قال الرب لموسى: قل لهارون: خذ عصاك ومد يدك على ميـاه المصريين وأنهارهـم وقنواتهم وأحواضهـم وسائر خـزانات ميـاههم، فتـصيـر دماً، ويكون دم في كل أرض مـصر، حـتى في الأشجار والحجـارة. ففعل كذلك موسى وهارون كمـا أمر الرب: رفع العصا وضرب الماء الذي في النيل أمام عـيني فرعون وكل حاشيـته، فانقلب كل الماء الذي في النيل دمـا، والسـمك الذي في النيل مـات، وأنتن النيل فلم يسـتطع المصريون أن يشربوا من ماء النيل وكان الدم في كل أرض مصر. فصنع كذلك سحرة مصر بسحرهم. فتقسّى قلب فرعون ولم يسمع لهما. كما قال الرب.

(١) خروج (٤ / ١٤ ـ ١٧) وانظر كذلك (٤ / ٢٠).

(٢) خروج (١٧ / ٨ ـ ١٢).

ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يأبه لذلك أيضا، وحفر جميع المصريين حول النيل ليشربوا ماء إذ لم يكونوا يستطيعون أن يشربوا من ماء النيل، ومضت سبعة أيام، بعد ما ضرب الله النهر)[١].

ويتضمن هذا التقرير المحالات العقلية والمتناقضات التالية: ـ

١ ـ وجوب موت جميع المصريين وجميع بني إسرائيل؛ لأن جميع الماء الذي في النيل قد تحول دما ومضت سبعة أيام على المصريين والإسرائيليين دون أن يشربوا مما تستحيل معه الحياة.

٢ ـ إما كذب كاتب السفر، وإما كذب الرب تعالى عن ذلك، إذ يخبر الرب موسى بأن الدم سيكون في كل أرض مصر حتى في الأشجار والحجارة، ثم بعد قليل يحكي عن حفر المصريين حوالي النيل ليشربوا ماء. إذ لم يكونوا يستطيعون أن يشربوا من ماء النيل.

٣ ـ وجود نيلين في مصر، قلب هارون أحدهما دماً، وصيَّر السحرة الثاني كذلك؛ لأن السحرة صنعوا كما فعل هارون تماماً، وإلا فمن أين جاؤوا بمثل كمية الماء التي حولها هارون.

٤ ـ أن يكون السحرة حلفاء لموسى، فهم بتحويلهم الماء دماً يعينون موسى على عقاب فرعون والمصريين، وإلا فالمنطق يحتم أن يقلبوا الدم ماء كي يشرب المصريون، ويبطل عمل موسى الإعجازي.

٥ ـ أن يناقض الرب نفسه، إذ يأمر موسى في أثناء وقائع التكليف النبوي والتدريب على المعجزات، بأن يأخذ من ماء النيل ويصب على اليابسة، فيتحول الماء المأخوذ من النيل إلى اليابسة دماً[٢]، ثم عند التنفيذ الفعلي يأمره

(١) خروج (٧ / ١٩ ـ ٢٥).

(٢) خروج (٤ / ٩).

بشيء آخر.

ومن وجه آخر هناك تناقض بين خطاب التكليف وبين فعالية التنفيذ، فإن الله يكلف موسى، أما الذي صنع المعجزة بحسب التقرير ونزولاً على أمر الرب أيضاً فهو هارون.

٢ ـ معجزة الضفادع:

وينسحب عليها ما انسحب على معجزة الدم من صنع السحرة كصنع هارون، مما لا يتضمن قيمة أو معنى، لأن المطلوب في هذه الحالة إعادة الضفادع إلى الماء لإظهار الإعجاز والقدرة على التحدي.

٣ ـ الخروج ومعجزة بحر القصب:

وهي أكبر معجزات موسى وأبعدها أثراً في تاريخ بني إسرائيل، وأوسعها عمقاً في حياة اليهود ونفوسهم، وهذا يفرض سؤالاً تجدر الإجابة عليه: هل كان تقرير العهد القديم عن وقائع هذه المعجزة على مستوى هذا الحدث التاريخي من حيث الواقعية وتقصي الحقائق؟

وسوف نحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال فحص معجزة البحر من الزوايا الآتية:

أولاً: مدى الحاجة إلى المعجزة ؟

إذ يثور شك حول ضرورة هذه المعجزة، يكشف عنه تساؤل يفرضه تقرير المعجزة كما عرضتها التوراة مؤداه:

هل كان الخروج هروباً أم طرداً؟

إن رواية العهد القديم عن هروب بني إسرائيل وتعقب فرعون وجنوده لهم ومن ثم نجاة بني إسرائيل بفضل معجزة البحر، رواية متأخرة أقحمت على

سفر الخروج بدءاً من الإصحاح الرابع عشر[1].

أما الرواية الأولى والأصلية، فهي خروج بني إسرائيل مطرودين بأمر الفرعون وتحت سمع وبصر المصريين جميعاً، ونستدل على ذلك مما يأتي:

١ ـ طول هذه الرواية التي تمتد من الإصحاح الثالث حتى نهاية الإصحاح الثالث عشر.

٢ ـ توافق هذه الرواية مع أهداف الضربات العشر التي أوقعها الله بالمصريين لإجبارهم على إخراج المصريين، وذلك نقرأه في النصوص التالية:

النص الأول: وهو ضمن تعليمات رسالة موسى التي تلقاها في سيناء، وفيه يقول الرب: (وقد علمت أن ملك مصر لن يدعكم تذهبون، حتى ولا بيد قوية، فأمد يدي وأضرب مصر بجميع عجائبي التي أصنعها في وسطها وبعد ذلك يطلقكم)[2].

النص الثاني: (فقال الرب لموسى: الآن ترى ما أصنع بفرعون، فإن يداً قوية تجبره على إطلاقهم ويداً قوية تجبره على طردهم)[3].

النص الثالث: (فقال الرب لموسى: قد بقيت ضربة واحدة أنزلها على فرعون وعلى مصر، وبعد ذلك يطلقكم من ههنا، وعند إطلاقه لكم يطردكم من هنا طرداً نهائياً)[4].

النص الرابع: (فدعا فرعون موسى وهارون ليلاً، وقال: قوما فاخرجا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا واعبدوا الرب كما قلتم وغنمكم أيضاً

(١) راجع: خروج (١٤ / ٥ ـ ٣١).

(٢) خروج (٣ / ١٩ ـ ٢٠).

(٣) خروج (٦ / ١).

(٤) خروج (١١ / ١).

وبقركم خذوها كما قلتم واذهبوا، وباركوني أيضاً)[١].

النص الخامس: (فخبزوا العجين الذي خرجوا به من مصر أرغفة فَطِير، إذ لم يكن قد اختمر، لأنهم طردوا من مصر، ولم يستطيعوا أن يتأخروا، حتى إنهم لم يعدوا لأنفسهم زاداً)[٢].

٣ ـ اتفاق هذه الرواية ومسار الخروج الذي سلكه بنو إسرائيل والموازي لساحل البحر المتوسط، كما تحكى التوراة: (وكلم الرب موسى قائلاً: مر بني إسرائيل أن يرجعوا ويخيموا أمام فم الحيروت، بين مجدول والبحر. أمام بعل صفون تخيمون تجاهه على البحر)[٣].

إذ أمكن تحديد مواقع الأسماء الجغرافية الثلاثة الواردة في النص: فم الحيروت، مجدول، بعل صفون. وذلك بمحاذاة شاطىء البحر المتوسط[٤].

وبحسب هذه الرواية ومسار الخروج المذكور لم يكن بنو إسرائيل بحاجة إلى عبور إعجازي بشق البحر[٥].

ثانياً: مكان المعجزة

يحدد العهد القديم مكان المعجزة في بحر القصب[٦]. وبحر القصب أو بالعبرية والمصرية القديمة (يم سوف Jam Suph) هو المجرى المائي الذي ينبت فيه نوع من البوص أو الغاب يسمى (سوف)، وهذا النوع من النباتات لا ينبت

(١) خروج (١٢ / ٣١ ـ ٣٢).

(٢) خروج (١٢ / ٣٩).

(٣) خروج (١٤ / ١ ـ ٢).

(٤) انظر: ملحق رقم (٢).

(٥) انظر: مسار الخروج ذا اللون البرتقالي، ملحق رقم (٣).

(٦) خروج (١٣ / ١٨، ١٥ / ٤، ١٥ / ٢٢، اعداد ٣٣ / ١٠، تثنية ١١ / ٤ يشوع ٢ / ١٠).

إلا في الماء العذب[١].

وبحسب نصوص العهد القديم لا يبعد هذا البحر عن مسافة مسيرة يومين أو ثلاثة من مدينة رمسيس شرقاً، في دائرة برزخ السويس[٢].

وعلى وجه التحديد يجعل سفر الخروج من البحيرات المرة مسرحاً لمعجزة العبور[٣]. وهو ما يستحيل تاريخياً، وجغرافياً، وجيولوجياً:

فمن الناحية الجيولوجية، لا ينبت «السوف» على ضفاف البحيرات المرة ذات الماء شديد الملوحة[٤].

ومن الناحية التاريخية لا تؤيد الدراسات النقدية ونتائج علماء الحفريات عبوراً إسرائيلياً للبحيرات المرة، والتصور العلمي الذي يوافق رؤية العهد القديم في إمكانية سير الإسرائيليين جنوباً في اتجاه جبل موسى بمحاذاة خليج السويس، يجعل مرور الإسرائيليين أيضاً بمحاذاة البحيرات المرة لا بعبورها[٥].

أما التصورات الأخرى التي تحاول التوفيق بين معطيات الكتاب المقدس والحقائق التاريخية المستخلصة من علم الآثار ونتائج الحفريات، فتجعل مسرح المعجزة (بحر القصب) في مياه البحر المتوسط[٦].

وتذهب أحدث الاقتراحات إلى أن بحر القصب يجب البحث عنه في المكان

(1) Wilhelm Gesenius , Hebraisch und Aramaische Handworterbuch uber das Alte Testament / S : 539.

(2) Lexikon der Agyptologie , V 629 (Hrausg . von : wolfogang Helck) .

(٣) انظر مسار الخروج ذا اللون الأحمر، ملحق رقم (٣).

(4) Lexikon der Agyptologie , V 630 .

(٥) انظر ملحق رقم (٤).

(٦) انظر ملحق رقم (٢).

المسمى اليوم بحيرة البلاح[١].

ومن الناحية الجغرافية، فإن مساحة البحيرات المرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعبرها الفارون وعددهم ستمائة ألف بخلاف الأطفال والنساء؛ أي حوالي مليونين من البشر، بالإضافة إلى مواشيهم وأغنامهم ومنقولاتهم والمسروقات التي سلبوها من المصريين[٢].

ثم من خلفهم المطاردون: وهم جيش كبير يضم ست مائة عربة حربية تجرها الخيول، خلاف جميع العربات والمركبات التي في مصر[٣].

على أن تفصل بين الفئتين مسافة تحول دون إدراك الملاحق للسابق، وكذلك مسافة خلف المطاردين تحول دون بلوغهم الشاطىء عند مد مياه البحر وعودتها إلى طبيعتها، وكذلك مسافة أمام الفارين مسيرة ليلة قطعوها ولم يدركهم فيها المطاردون[٤].

ثالثاً: وقائع المعجزة

يعرض العهد القديم معجزة البحر في روايتين: -

١ - رواية كهنوتية، وفيها يمد موسى عصاه فوق البحر فينشق، منشئاً جدارين من المياه يعبر بنو إسرائيل بينهما على اليبس، ثم بعد أن يدخل المصريون وراءهم ترتد المياه وتبتلعهم.

٢ - رواية يهوية أقدم من الكهنوتية حوالي مائتي عام، وفيها يطمئن موسى

---

(1) Lexikon der Agyptologie , V 633 .

(٢) خروج (١٢ / ٣٥ - ٣٨).

(٣) خروج (١٤ / ٥ - ٧).

(٤) خروج (١٤ / ٢٤ - ٢٧).

بني إسرائيل الملاحقين مؤكداً لهم أنهم لا يحتاجون إلى أية مبادرة: (فقال موسى للشعب: لا تخافوا، اصمدوا تعاينوا الخلاص الذي يجريه الرب اليوم لكم، فإنكم كما ترون المصريين اليوم. لن تعودوا ترونهم للأبد. الرب يحارب عنكم وأنتم هادئون)[1].

وإذا بالرب يدفع بريح تجفف البحر، فيدخل المصريون وترتد المياه وتبتلعهم[2].

وتؤكد هذه الرواية أمرين: -

الأول: تدخل إلهي مباشر عن طريق الرياح، لا عن طريق معجزة.

الثاني: عدم ذكر لعبور إسرائيلي، بل لتدمير المصريين.

ونخلص مما سبق إلى أن معجزة بحر القصب تفتقد أهم عناصر وجودها الممثلة في:

١ - الفاعل.

٢ - الموقع الجغرافي.

ثانيا: معجزات يشوع

يحكي سفر يشوع عن أهم معجزاته التي سنتناولها بالفحص ما نصه:

(حينئذ كلم يشوع الرب، يوم أسلم الرب الأموريين بين أيدي بني إسرائيل، فقال أمام عيون إسرائيل:

يا شمس: قفي على جبعون ويا قمر على وادي أيالون

(١) خروج (١٤ / ١٣).

(٢) خروج ١٤ / ٢١، ١٥ / ١ - ١٨، ١٥ / ٢١).

فوقفت الشمس وثبت القمر، إلى أن انتقمت الأمة من أعدائها، أليس ذلك مكتوباً في سفر المستقيم؟ فوقفت الشمس في كبد السماء، وأبطأت عن الغروب نحو يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده)[1].

وترفض معطيات العلوم التجريبية معجزة يشوع للأسباب التالية:

١ ـ أن مؤرخ المعجزة بناها على أن الشمس تدور حول الأرض وهذا غير علمي وغير صحيح بالمرة؛ لأن الأرض هي التي تدور حول الشمس وحول محورها [2].

٢ ـ أن كاتب المعجزة بناها على أن القمر يدور حول الأرض في حالة إضاءة، وهذا خطأ؛ فالقمر لا يكون مضيئاً بالنسبة للأرض إلا إذا استقبلت الأرض انعكاس أشعة الشمس منه.

٣ ـ أن اجتماع الشمس والقمر في حالة إضاءة كاملة أمر مستحيل؛ لأن القمر ذاته جسم معتم لا يضيء إلا بانعكاس ضوء الشمس منه؛ لهذا فإن منتصف الكرة الأرضية الذي يضيئه القمر تغيب عنه الشمس ويكون ليلاً، أما منتصف الكرة الآخر فيكون نهاراً لكنه لا يرى القمر.

فإذا افترضنا أن وقت المعركة كان قريباً من الغروب، وأن القمر كان مكتملاً وأمكنت رؤيته، فإن ضوءه في هذه الحالة غير متوهج لا يبدد ظلمة؛ لعدم غروب الشمس بعد وعدم حلول الظلام، أما وكاتب المعجزة يؤكد على أن الشمس وقفت في كبد السماء مما لا حاجة معه لضوء القمر على الإطلاق، فلا يتيح ذلك مجالاً إلا لطرح هذه المعجزة جانباً لفقدان الأهلية اللازمة لكونها

---

(١) يشوع (١٠ / ١٢ ـ ١٤).

(2) Henari Bon / Wunder , Wissenschaft , und Kirche S : 9 .

دليلاً وبرهاناً.

ننتهي من هذا الفحص المطول إلى أن معجزات العهد القديم تخالف في عمومها ما تواضع عليه رابيو اليهودية وعلماؤها ومفكروها من شروط للمعجزة، وتخالف في أعيانها التي عرضناها مطالب العقل والعلم، مما يجعلنا نقرر ـ باطمئنان ـ عجزها عن إثبات نبوة من نسبت للوقوع على يديه. وما علينا إلا أن نلتمس صدق المعتقدات الدينية اليهودية في مظنة أخرى.

* * *

الفصل الرابع

المسيح المنتظر وختم النبـوة

كـان زوال الملكيـة ودمـار الهيكـل نقطة بدء فكرة المسيح المنتظر وميلادها.

مورتس تسوبيل

إن الصعوبة التي تكتنـف البحث في نهاية النبوة اليهـودية ليست أقل بحال من الصعوبات التي واجهت البحث في تحديد بدايات تلك النبوة.

ولا شك أن العنوان الذي ستدرس تحته هذه المسألة يشير إلى شيء من ذلك بتعارض ألفاظه وتناقض مدلولاته، بين الختم والإتمام والترقب والانتظار.

لكن ما حـدث من خلط ـ بقصد ـ بين الاصطلاحين عبـر تاريخ طويل وما ترتب عليه من زج وإقحـام لمفردات أولهما في بنيـان الثاني، وخلع زي الخاتم على المنتظر، أو حـشوه في قالبـه، اقتضى بيـان حقيـقة كل منهمـا، وكشف النقاب عن مراحل وحلقات الخلط والإدماج وبـيان ما بين خاتم النبيين ومنتظر اليهود من وشائج أو أرحام.

وسيفصل القول في ذلك في نقاط ثلاث:

أ ـ حقيقة ختم النبوة في العهد القديم

تستند فكـرة ختم النبوة في العـهد القديم على نـصين بهما تزول المؤسـسة النبوية من بني إسرائيل، وهما نصًا:

١ ـ زكريا الثاني:

حـيث يقول: (في ذلك اليـوم، يكون ينبـوع مفـتوح لبـيت داود ولسكان أورشليم، للخطيـئة والرجس، ويكون في ذلك اليوم يقـول رب القوات: إني أستأصل أسـماء الأصنام من الأرض، فلا تذكر من بعد، وأزيل الأنبـياء أيضاً والروح النجس عن الأرض، فيكون إذا تنبـأ أحد فيما بـعد، أن يقول له أبواه اللذان ولداه: لا تحيا لأنك نطقـت بالزور باسم الرب. في حين يتنبأ يطعنه أبوه

وأمه اللذان ولداه.

ويكون في ذلك اليوم أن الأنبياء يـخزون، كل واحد من رؤياه إذا تنبأ، ولا يلبسـون رداء الشعر ليكذبوا. وإنما يـقول: لست أنا نبيـاً، أنا رجل حراث في أرض؛ لأن إنساناً اقـتناني عبـداً منذ صبـاي. فيـقال له: ما هـذه الجروح في صدرك؟ فيقول: هي التي جرحتها في بيت محبي)[1].

٢ ـ دانيال:

حيث جاء فيه: (إن سبعين أسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لإفناء المعصـية، وإزالة الخطيـئة، والتكفـير عن الإثم، والإتيـان بالبر الأبدي، وختم الرؤيا والنبوءة، ومسح قدوس القدوسين)[2].

ويلاحظ على النصين ما يلي: ـ

١ ـ أن النصين يتحدثان عن ختم نبوة عام وليس محدداً بخاتم معين.

٢ ـ أن زكريا لم يذكر تاريخاً لخـتم النبوة، بل الختم يكون (في ذلك اليوم) على إطلاقه دون قـيد، أما دانيـال فيحدد أمـداً قدره «سبـعون» وهو على أي الحالات غيـر دقيق، إذ تدور هذه الرؤيا حول عودة أسرى اليهـود المسبيين من منفاهم وإعادة بناء أورشليم[3].

فلو فسر هذا الأمد حرفياً بسبعين أسبوعاً، لكان غير مطابق لفترة الأسر التي هي ثلاثة أضعـاف هذا الرقم، وإن فسر هذا الأمد على أنه سـبعون عامـاً كما

(١) زكريا (١٣ / ١ ـ ٦).

(٢) دانيال (٩ / ٢٤).

(٣) دانيال (٩ / ١ ـ ٢) وأصل البـشارة لدى إرميا (وتكون هذه الأرض خـرابا ودهشا، وتستبـعد هذه الأمم لملك بابل سبعـين سنة، وعند انقضاء السبعين سـنة افتقد ملك بابل وتلك الأمة، بـسبب إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها دمارا أبديا)، راجع: إرميا (٢٥ / ١١ ـ ١٢) وانظر كذلك: إرميـا (٢٩ / ١٠).

يرى شراح العهد القديم، فتكون الرؤيا أيضاً غير صادقة؛ لأن فترة الأسر والمنفى استمرت فقط تسعة وأربعين عاماً، إذ تمتد من عام خراب أورشليم وهدم الهيكل ٥٨٧ ق.م حتى صدور منشور قورش بالإذن لليهود في العودة وإعادة بناء أورشليم عام ٥٣٨ ق.م[١].

٣ ـ تاريخ كتابة النصين لا يتفق وتاريخية الأنبياء المراد تكريس وجود الفكرة من خلالهم:

فنص زكريا يفترض أنه على لسان زكريا النبي الذي عاصر زمن إعادة بناء الهيكل حوال عام (٥٢٠ ـ ٥١٥ ق.م)، بينما تاريخ تأليف النص وكتابته يرجع إلى عام (٣٣٠ ـ ٣٠٠ ق.م) ونسب إلى زكريا الثاني[٢].

أما نص دانيال الذي يفترض أنه يروي أحداث المنفى ونبوءات العودة في شكل رؤى إعجازية، فإنه كتب حوالي عام ١٦٤ ق.م[٣].

ويعني هذا من ناحية أخرى أن الفترة الزمنية فيما بين حياة هؤلاء الأنبياء وبين تاريخ تأليف ما نسب إليهم من كتابات، كانت تعيش إما في ظل وحي وإما في انتظار نبوة كما سنتبين بعد قليل، أو على الأقل لم تكن تعرف شيئاً عن انتهاء النبوة.

٤ ـ أن هذين النصين تعارضهما نصوص أخرى معاصرة وتالية لهما تحكي عن وجود أنبياء أو تتحدث عن ترقب وحي وانتظار نبي، وذلك كما جاء في الأسفار التالية:

(١) الأخبار الثاني (٣٦ / ٢٢ ـ ٢٣) تحريرا (١ / ١ ـ ١١).

(٢) راجع مقدمة سفر زكريا / ص: ٢٠٠٧.

(٣) راجع مقدمة سفر دانيال / ص: ١٨٥٤.

أ ـ المزامير[١]:

(آياتنا لم نعد نراها ولم يبق نبي وليس عندنا من يعلم إلى متى)[٢].

ب ـ المكابيين الأول[٣]، ويتضمن ثلاثة نصوص:

أولها: (ووضعوا حجارته في جبل البيت في مكان لائق، إلى أن يأتي نبي يجيب عن أمرها)[٤].

الثاني: (فحلَّ بإسرائيل ضيق شديد لم يحدث مثله منذ لم يظهر فيهم نبي)[٥].

الثالث: (وأن اليهود وكهنتهم قد حسن لديهم أن يكون سمعان قائداً وعظيم كهنة للأبد، إلى أن يقوم نبي أمين)[٦].

جـ ـ دانيال:

(وليس لنا في هذا الزمان رئيس، ولا نبي، ولا قائد)[٧].

فإذا ما أضفنا إلى هذه الملحوظات النقدية على النصين حقيقتين تاريخيتين فحواهما:

---

(١) يعود تاريخ جمع المزامير إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد انظر مقدمة سفر المزامير / ص: ١١٠٦.

(٢) مزامير (٧٤ / ٩).

(٣) يحكى سفر المكابيين الأول أحداثاً جرت فيما بين عام ١٧٦ ق.م وحتى ١٣٤ ق.م وترجع تاريخ كتابة السفر إلى عام ١٠٠ تقريباً. انظر مقدمة السفر / ص: ٩٤٩.

(٤) مكابية أول (٤ / ٤٦).

(٥) الكابين الأول (٩ / ٢٧).

(٦) الكابين الأول (١٤ / ٤١).

(٧) دانيال (٣ / ٣٨).

أولاً: ظهور اثنين من الأنبياء في بني إسرائيل في القرن الأول الميلادي، هما: يوحنا المعمدان الذي عدَّ اليهود قتله على يد هيردوس سبباً في حلول غضب الرب عليه وعقابه بانهيار قوته العسكرية[1]، وكذلك المسيح عيسى ابن مريم.

والاثنان وإن كانا قد قوبلا بكثير أو قليل من الرفض الذي سنوضح دوافعه فيما بعد، إلا أن ذلك يؤكد أن فكرة ختم النبوة لا تستند إلى أسس كتابية. وإلا ما استطاع واحد من هذين النبيين الظهور في وسط اليهود ودعوتهم إلى تجديد الإيمان بالله والعودة إليه في ظل وجود نص كتابي ثابت.

ثانياً: أن جماعة قمران لم تكن تعترف بشرعية نصوص إنهاء النبوة في سفري زكريا أو دانيال، وكانت تعيش عصر وحي ونبوة، إذ ظهر فيها عدد من الرائين والناظرين ومفسري الأحلام الذين قدموا أنفسهم كأنبياء لقيت دعوتهم قبولاً وتصديقاً، أمثال: (يوداس، ميناخيم، سيمون)[2].

فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى البحث عن أسس أخرى خارج نطاق العهد القديم لفكرة ختم النبوة، وهذا هو موضوع النقطة الثانية.

ب ـ إعلان ختم النبوة في التلمود

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد اجتمعت كلمة الأحبار والكهنة اليهود، وأعلنوا على لسان الرابي أبا «Abba» إغلاق باب النبوة اعتباراً من القرن

(1) Josephus / Judische Altertumer / XV III . 5,2 .

(2) Otto Bertz / Offenbarung und Schrifftforschung in der Qumran Sekte / S : 99 - 105 .

وراجع ما يحكيه يوسفس عن هؤلاء الأنبياء في:

Josephus / Judische Altertumer / S : (8 , 14.5) , (10, 6.2) , (9,1.2).

السادس قبل الميلاد وذلك في نص التلمود القاطع:

(بموت الأنبياء: حجاي، زكريا، ملاخي، ارتفع الوحي من إسرائيل، ولم يبق له صوت يسمع، إلا صدى عبر الشروح والتفسيرات)[١].

وهذا الإعلان يحد بدقة أمرين:

أولهما: عصر نهاية النبوة.

والثاني: شخصية خاتم الأنبياء الجماعية (حجاي، زكريا، ملاخي).

لذلك يرجع فلهاوزن ـ بحق ـ فكرة إنهاء النبوة وإغلاق بابها إلى طغيان سلطان الكهنة الذين نجحوا في تشكيل وتوجيه الروح الديني لليهود[٢].

وأعتقد أن نجاح الكهنة في تكريس فكرة إغلاق باب النبوة في اليهودية قد ساهمت فيه نجاحات أخرى سابقة تمثلت في:

ـ حصر العبادة في أورشليم[٣].

ـ فرض تصورهم الكهنوتي من خلال نسختهم التي أعدوها وأدمجوها في نصوص التوراة[٤].

وإلى جانب هذه العوامل التي أسهمت في نجاح الكهنة توجد عوامل تاريخية كخراب أورشليم ودمار الهيكل عام ٥٨٧ ق. م، والذي كان له أبلغ الأثر في ظهور أشكال وصور أخرى للنفوذ الكهنوتي سنقف عليها في النقطة الثالثة.

(1) Der babylonische Talmud / ll (Joma l,i fol . qb . S : 773) Herusgeber : L . Goldschmidt .

(2) J . Wellhausen / Prologomena zur Geschichte Israels / S : 411 .

(٣) سفر التثنية (١٢ / ١ ـ ٣) الملوك الثاني (الإصحاح الثالث والعشرين).

(4) Irsigler / Literatur und Glaubensgeshichte im Alten Testament . S : 71 . I

ج ـ خاتم الأنبياء والمسيح المنتظر

عقيدة المسيح المنتظر من أهم العقائد اليهودية، إذ تحتل مكاناً عظيم الشأن في عقل اليهودي ووجدانه، وقد أصبحت من أركان الإيمان في اليهودية من خلال البناء النظري والتصور العقائدي الذي وضع أصوله وصاغ مبادئه في شكلها النهائي الحبر العلامة ابن ميمون، وذلك في المبادئ الثلاثة عشر التي جعلها أساساً للدين اليهودي وهي: الاعتقاد في وجود الخالق ووحدانيته، وتنزيهه، وأبديته، وأحقية العبادة له وحده، والاعتقاد في الوحي النبوي، وأن موسى أعظم الأنبياء، والاعتقاد في الوحي بالشريعة إلى موسى في سيناء، وثبات الشريعة الموحى بها، والاعتقاد في أن الله عالم، والاعتقاد في الثواب والعقاب في هذه الدنيا وفي الآخرة، والاعتقاد في قدوم المسيح، وفي بعث الموتى[1].

وهي عقيدة عنصرية تقوم على أساس انتظار قدوم مسيح[2] يحقق الخلاص

(1) Louis Finkelstein, The Jewish Religion its Beliefs and Pracices, in : The Jews, Their Religin and Culture ed L . Finkel stein, Schocken Books, N . Y, New York 1970.

- Moses ben Maimoni, Sein Leben, seine Werke und sein Einfluss / Hrsg von : W . Bacher / S : 112.
- Maimonide's messianische Vorstellung, S : 67 . in : Messias Vorstellengen bei Juden U . Christen . Berlin 1993 .

(٢) كلمة «مسيح» بمعنى ممسوح أو مكرس لعمل ما قد وردت في العهد القديم كثيرا، إذ كانوا يمسحون الكهنة (خروج ٢٨ / ٤١)، والأنبياء (اخبار أول ١٦ / ٢٢)، والملوك (صموئيل الثاني ١٩ / ١٠، والملوك الأول ١ / ٣٩، ١٩ / ١٥ ـ ١٦) بالزيت أو الدهن المقدس. أما كلمة «مشيح» (العبرية) بمعنى المخلص فلم ترد على الإطلاق في العهد القديم ولم تستخدم إلا في الكتابات غير القانونية التي نشأت عام ١٠٠ ق. م، وفي الآداب التي ترجع إلى عصر التلمود.

انظر في ذلك: MoriTz Zobel / Gottes Gesalbter / S : 10 / Berlin 1938 .

القومي للشعب اليهودي، ويقيم مملكة الله على الأرض جاعلاً اليهود في أرقى منازلها وقد وضعت له في التراث اليهودي شروط ومواصفات شخصية، وكذلك علامات تصاحب مجيئه، تختلف ماهيتها وأنواعها باختلاف الطوائف والفرق ومدارس الفكر اليهودية[1].

وكما اختلفت شروط مجيء المنتظر وعلاماته فيما بين الفرق والطوائف اليهودية، اختلفت كذلك أشكاله التي ينتظر اليهود ظهوره فيها، والتي اتخذت ثلاثة أشكال:

١ ـ الملك

وذلك استنادا إلى النصوص التالية:

أ ـ من المزامير:

(ملوك الأرض قاموا، والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا: لنكسر قيودهما ولنلق عنا نيرهما. الساكن في السموات يضحك والسعيد بهم يهزأ بغضبه حينئذ يخاطبهم وبسخطه يروعهم: إني مسحت ملكي على جبلي المقدس صهيون. أعلن حكم الرب:

(١) راجع في ذلك:

- Gershom Scholem / Ueber einige Grundbegriffe des Judentums .
- Gese . H / Der Messias .
- Ekkehard Stegemann (Hrsg) Messias - Vorstellungen bei Juden und Christen.
- A . S . Van der Woude / Die messianische Vorstellungen der Gemeinde Von Qumran/ Assen 1957 .

وانظر في العربية الدراسة القيمة للدكتورة منى ناظم الأستاذة بجامعة عين شمس (المسيح اليهودي) التي حصلت بها على درجة الدكتوراة، ثم نشرتها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر بدولة الإمارات العربية المتحدة في سلسلة ـ نحن وهم ـ عام ١٩٨٦.

قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. سلني فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي الأرض ملكاً. بعصا من حديد تكسرهم، وكإناء من خزاف تحطمهم)[١].

وفي المزمور ١١٠:

(قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك يمد الرب من صهيون صولجان عزتك فتسلط في وسط أعدائك)[٢].

ب ـ في إرميا:

(ها إنها ستأتي أيام، يقول الرب: أقيم فيها لداود نبتاً باراً، ويملك ملك يتصرف بفطنة، ويجري الحكم والبر في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل في أمان)[٣].

ج ـ في زكريا:

(ابتهجي جداً يا بنت صهيون، واهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك آتياً إليك، باراً مخلصاً وضيعاً راكباً على حمار وعلى جحش ابن أتان، وأستأصل المركبة من أفرائيم والخيل من أورشليم، وتستأصل قوس القتال، ويكلم الأمم بالسلاح، ويكون سلطانه من البحر إلى البحر. ومن النهر إلى أقاصي الأرض)[٤].

ومن أشهر الشخصيات التي كانت محط آمال اليهود كمسيح مخلص وأشير إليه على أنه الملك المسيح المنتظر هي شخصية «زربابل» الرجل الذي عينه الامبراطور الفارسي داريوس (٥٢٢ ـ ٤٨٦) عام ٥٢٠ ق. م حاكماً على

(١) المزامير (٢ / ٢ ـ ٩).

(٢) المزامير (١١٠ / ١ ـ ٢).

(٣) إرميا (٢٣ / ٥).

(٤) زكريا (٩ / ٩ ـ ١٠).

يهوذا، كما كان قائداً للمجموعة الثانية من السبايا العائدين من بابل[(١)].

ولسنا بحاجة للخوض في مشكلات هذه النصوص وآراء النقاد فيها، فهذا أمر لا يتسع له المقام، بل تكفي الإشارة إلى أن:

١ـ انتظار مسيح ملك ليس وارداً في التوراة باستثناء نص سفر العدد (يخرج كوكب من يعقوب. ويقوم صولجان من إسرائيل)[(٢)]، وهذا النص يرجع تاريخه إلى عام ٩٣٠ ق. م أي عقب تأسيس الملكية[(٣)].

٢ ـ جميع هذه النصوص وغيرها قد كتبت بعد سقوط أورشليم ودمار الهيكل، في أثناء المنفى أو بعده.

وهذا يقودنا إلى أن زوال الملكية ودمار الهيكل كان نقطة بدء وميلاد فكرة المسيح المنتظر[(٤)].

تلك الفكرة التي بدأت بانتظار مسيح ملك من نسل داود للربط بين شكل الملكية المنتظر وبين شخصية داود وملكيته في الماضي؛ لذلك عُدّ زربابل مسيحاً منتظراً.

ونتيجة للفشل السياسي والعسكري في إعادة تشييد الملكية المأمولة في أرض الواقع، اتجه الفكر اليهودي إلى انتظار خلاص من نوع آخر يتمثل في تدخل إلهي يدمر فيه العالم بكارثة شاملة ليحل محله عالم آخر يسوده الخير، يقيم فيه

(1) Beyse , K. M / Serubbabel und Konigserwartungen der Propheten Haggai und Sacharia .

وانظر ما ورد عنه في سفرى: حجاى (إصحاح: ١، ٢)، زكريا (الإصحاح ٤).

(٢) سفر العدد (٢٤ / ١٧).

(3) Irsigler / Literatur und Glaubensgeschichte im Alten Testamant / S : 72 .

(4) Moritz, Zobel / Gottes Gesalbter / S : 149 .

الرب بمملكته الأبدية، ويتخذ من القدس عاصمة له، ويحكم العالم من جبل صهيون[1].

وقد يصاحب ذلك أو يسبقه مجيء ملك يهودي ترسله السماء، يتميز بقدرات قتالية خاصة، يقود اليهود ويحررهم، ويضعهم على قمة السلم البشري[2].

ومما يؤكد أن فكرة المسيح المنتظر كملك فكرة سياسية ألبست ثوباً دينياً ما يأتي:

١ ـ ليس لها وجود قبل زمن المنفى.

٢ ـ خلع صفة المسيحانية على قورش الملك الفارسي بالرغم من أنه وثني كافر لا يعرف الرب، لا لشيء إلا لأنه أطلق اليهود وحررهم من سبيهم[3].

٣ ـ اختفاء الفكرة في فترات الهدوء السياسي والاستقرار التي عاشها اليهود، فلا وجود لهذه الفكرة في أسفار كل من: ابن سيراخ، طوبيا، يهوديت، حكمة سليمان، المكابيين.

٤ ـ تغير الرداء الذي ترتديه المسيحانية، إذ أصبحت في عصرنا الحاضر ـ مثلاً ـ هي الصهيونية كما يقول الرباني ليفنتال:

(تمثل الصهيونية الرداء الحديث للأمل المسيحاني القديم الذي حفظ اليهود أحياء خلال العصور الماضية، إنه الأمل الذي يهدف إلى تحقيق شقين كما يقول الأنبياء، فهو يهدف إلى إعادة اليهودي لحياته القومية في أرضه الوطنية في فلسطين، كما أنه يهدف كذلك إلى إعادة إنشاء إسرائيل الذي يساعد على إعادة

(1) Moritz , Zobel / Gottes Gesalbter / S : 220 .

(٢) السابق / ٢٢٥، وانظر ما جاء عن هذا الملك السماوي في سفر دانيال (٧ / ١٣ ـ ١٤) وعن كونه ابن يهوه. مزامير (٢ / ٧، ٨٠ / ١٥ ـ ١٩).

(٣) أشعيا (٤٥ / ١ ـ ٧).

خلق البشر جميعاً)[١].

٥ ـ تغير الصفات المخلوعة على الملك المخلِّص، فهو تارة الملك المقاتل الجبار[٢]، وتارة ملك السلام[٣].

فإذا ما أضفنا إلى كون فكرة ملوكية المخلِّص المنتظر سياسية الجذور عاملين آخرين، خلاصتهما:

١ ـ أن الأنبياء ينتظرون خلاصاً يحققه الله بنفسه، وليس عن طريق ملك[٤].

٢ ـ أن أحرار الفكر من فلاسفة اليهود كفيلو الإسكندري لا ينتظرون ملكاً مسيحاً مخلصاً[٥].

لأمكننا ذلك من المطالبة باستبعاد تناول مسألة المسيح المنتظر كملك في حقل الأديان، وقصر ذلك على مجال الدراسات السياسية التي تُعَدُّ المجال الملائم لمثل هذه القضايا.

٢ ـ الكاهن

ويستند هذا الشكل من أشكال المسيح المنتظر على نوعين من النصوص:

أ ـ نصوص متقدمة عامة وردت في سفر زكريا الأول المؤلف على (هيئة مجموعة من الرؤى)، وهما نصان:

---

(١) نقلا عن الدكتورة منى ناظم / المسيح اليهودي / ص: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) المزامير (٢١ / ٦ ـ ١٣، ١١٠ / ٥ ـ ٦).

(٣) أشعيا (٩ / ٥ ـ ٦، ١١ / ١ ـ ٨).

(٤) أشعيا (٢٦ / ٢٠ ـ ٢١، ٢٧ / ١، ٤٠ / ١٠، ٤٣ / ٣، ٤٣ / ٥ ـ ٦، ٤٣ / ١١ ـ ١٢) هوشع (١٣ / ٤).

(5) Philo von Alexandrien / Die Werke im deutscher Ubersetzung / S : 163 -165, 188 - 169 / herausg von L . Cohn und I . Heinemann.

النص الأول: (فكلمني قـائلاً: ألا تعلم مـا هذان؟ فـقلت: لا ياسيـدي. فقال: هذان هما المسيحان الواقفان لدى رب الأرض كلها)[١].

النص الثاني: (هكذا تـكلم رب القوات، قائلاً: هو ذا الرجل الذي اسـمه «النبت». إنه ينبت من حـيث هو. ويبني هيكل الرب. هو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجـلال، ويجلس ويتسلط على عرشـه، والكاهن أيضاً يكون على عرشه، وسلام تام يكون بينهما)[٢].

ب ـ نص متأخر يحدد صفة هذا الكاهن ورتبته:

(لك الرئاسـة يوم ولدت في بهاء القـداسـة من الرحم، من الفجـر ولدتك أقسم الرب ولن يندم، أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق)[٣].

وملكيصادق هذا الذي سيظهـر المسيح المنتظر على رتبته هو شخصـية غريبة وغـامضـة تظهر كـملك لأورشليم وكـاهن عظيم يبـارك إبراهيم عليه السـلام ويحصل منه عشر الغنائم، وذلك بالطبع قبل أن ينشأ الكهنوت اللاوي[٤].

وتؤكد هذه النصوص على سمتين للمسيح الكاهن:

أولاهما: أنـه يتلقى امتـيازاته وعطاءاته من الله مـباشـرة وليس عن طريق تنصيب أرضي.

والثاني: أن مرتبته تساوي تماماً رتبة المسيح الملك.

(١) زكريا (٣ / ١٣ ـ ١٤).

(٢) زكريا (٦ / ١٢ ـ ١٣).

(٣) المزامير (١١٠ / ٣ ـ ٤).

(٤) تكوين (١٤ / ١٧ ـ ٢٠) وعن طبيعته السماوية انظر:

- A . S . Van der Woude , Melchisedek als himmlische Erlosergestalt in den neugefundenen eschatologischen Midraschimaus Qumran Hohle xl / in : OTS 14 (1965) , 5 : - 354 - 373.

وترجع بعض الدراسات نشأة هذا الشكل إلى نجاح الثورة التي قامت بها أسرة الحشمونيين الكهنوتية[1]، وأسفرت عن إقامة حكم مستقل عن الإمبراطورية اليونانية استمر قرابة قرن من الزمان[2].

لكن هذا الرأي قد جانبه الصواب لاعتماده فيما أرى على نصوص العصر التلمودي وحدها، مغفلاً حقيقتين:

الأولى: أن حدث المنفى كان يتجاوز زوال ملكية وسقوط دولة ودمار محل عبادة، إلى تحطيم وضياع هوية كيان بشري، راح يبحث ويعيد تشكيل هذه الهوية والذاتية على أسس جديدة، وتحت قيادة جديدة أخذ بزمامها الكهنة والأحبار، بديلاً عن الأنبياء الذين سيطر على اليهود الإحساس بفشلهم في إنقاذ الشعب من مصيره المحتوم.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت السطوة للتصور الكنهوتي، وقيادة الشعب في يد الكهنة لأنهم الذين (يعلمون يعقوب أحكامك وإسرائيل شريعتك)[3].

الثانية: أن نصوص العهد القديم التي أوردناها ترجع إلى تواريخ تسبق عصر التلمود، وكذلك فترة حكم الحشمونيين بقرون:

إذ يرجع تاريخ جمع المزامير ـ كما أشرنا ـ إلى القرن الثالث قبل الميلاد، أما نص زكريا الأول فيرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد[4].

---

(١) أسس هذه الأسرة سمعان المكابي، وقاد كفاحها إلى النصر أخوه يهوذا المكابي مدة ست سنوات (١٦٦ ـ ١٦٠) ق. م وكان لهم أخ ثالث يدعى ناتان عظيم الكهنة الذي كان فاتحة الملوك الحشمونيين، راجع سفرى المكابيين الأول والثاني اللذين يحكيان تاريخ هذه الأسرة.

(٢) د. منى ناظم / المسيح اليهودى / ص: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) سفر التثنية (٣٣ / ١٠).

(٤) مقدمة سفر زكريا الأول / ص: ٢٠٠٥.

كذلك تقص هذه الأسفار أحداثاً تاريخية تواكب زمن المنفى أو بعده بقليل، عندما تولى زربابل مقاليد السلطة في يهوذا، وشرع في إعادة بناء الهيكل.

لكن يمكن القول إن حكم أسرة الحشمونيين الكهنوتية قد ساهم في زيادة النفوذ الكهنوتي ودفع التطور الذي مرت به شخصية المسيح الكاهن، وذلك بالرفع من شأنه على حساب شخصية المسيح الملك، ذلك التطور الذي نلمسه من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى: حيث عاش الشكلان (المسيح الكاهن، والمسيح الملك) جنباً إلى جنب في رتبة واحدة ودرجة متساوية، وذلك ما تكشف عنه النصوص السابق ورودها.

المرحلة الثانية: هي التي أعقبت وفاة الملك زربابل، وما واكب ذلك من تداعيات وإحساس بخيبة الأمل في قدرة الملوك على إعادة ملكية داود مرة أخرى. حيث تركزت الأضواء على شخصية المسيح الكاهن، وخفتت الأنوار المسلطة على شخصية المسيح الملك أو انطفأت، ويدلنا على ذلك نصان من سفر زكريا الأول:

النص الأول: ورد في الرؤيا الثامنة من رؤى زكريا: (خذ فضة وذهباً، واصنع تاجاً. واجعله على رأس يشوع بن يوصاداق الكاهن العظيم)[1]. حيث استبدل اسم يشوع الكاهن العظيم باسم زربابل، وهو ما توضحه الآيتان التاليتان مباشرة واللتان تفصلان وظيفة صاحب التاج الذي سيجلس على عرش الحكم ويبني الهيكل وهو زربابل[2].

(١) زكريا الأول (٦ / ١١).

(٢) راجع: هامش (٥) ص: ٢٠١٥ من العهد القديم للكاثوليك.

النص الثاني: وهو عبـارة عن مجمل الرؤيا الرابعة من رؤى زكريا، وفـيها يخلع التاج على الكاهن يشوع عبر محكمـة عدل في السماء، ويصبح أصحابه من البشراء[1].

المرحلة الثالثة: وهي آخر المراحل، وفـيها يعود الشكلان إلى الظهـور جنباً إلى جنب، لكن يأتي المسيح الكاهن في المرتبة الأولى، ثم يليه المسيح الملك إذ جاء في النص الأول من نصوص مجـتمع قمران IQSA2, 18F الذي يقنن نظام مأدبة الطعام في آخر الزمان: (المسيح الكاهن يجب أن يمد يديه إلى الخبز أولاً، تم بعدها يستطيع مسيح إسرائيل أن يمد يديه إلى الخبز)[2].

نخلص من كل ما سبق إلى أن نشأة هذا الشكل من أشكال الخلاص المنتظر وتطوره، ترجع إلى أسبـاب وعوامل تاريخية مـحضة، وليس للدين فيـها من نصيب إلا بالقـدر الذي جعل المؤلفـات الدينية اليهـودية تستقـر في يد الكهنة وتخضع لسلطانهم، بما يفتح الباب أمام إضافة وتكريس مفاهيم وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان.

٣ ـ النبي

يستند هذا الشكل من أشكال المسيح المنتظر إلى نص سفر التثنية: (سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مـثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخـاطبهم بكل ما آمره به، وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فـإني أحاسبه عليه)[3]، الذي يحدد الشرط الواجب تحققه في هذا النبي المنتظر وهو مثلية موسى.

(١) زكريا الأول (٣ / ١ ـ ١٠).

(2) E . Lohse . Die Texte aus Qumran .

(٣) سفر التثنية (١٨ / ١٨ ـ ١٩)، وانظر كذلك: (١٨ / ١٥).

ونلتقي بالمسيح المنتظر، النبي، في وثيقة واضحة لأول مرة، في نصوص قمران. ففي النص 1 QS 9, 10-11 من دستور المجتمع الإيماني في قمران، جاء ما ترجمته: (على الأبرار أن يحيوا بحسب اللائحة القديمة، التي وضعت لتنظيم حياة المجتمع الأول، وذلك حتى يأتي النبي والمسيحان من هارون وإسرائيل)[١].

وتفرض علينا الفجوة التاريخية الهائلة بين نص سفر التثنية[٢] وبين زمن وجود المجتمع القمراني ـ التي تصل إلى ستة قرون من الزمان ـ سؤالاً مؤداه:

متى خلع لقب النبوة على المسيح المنتظر؟

وبصدد الإجابة عن هذا السؤال أطلق ألفريد يبسن Alfred Jefsen الجواب ولم يحدد تاريخاً، فقال: (في نهاية الأمر أسند لقب النبوة إلى المسيح المنتظر)[٣].

أما العلامة كارستن كولبي Carsten , Colpe أستاذ الأديان في جامعة برلين الحرة، فقطع في كتابه «خاتم الأنبياء» بأن عقيدة المسيح المنتظر كنبي مجهولة التاريخ وغير قابلة للتخمين[٤].

لكني أعتقد أن إعادة قراءة ما بين أيدينا من حقائق سيساعد على فتح باب التخمين مرة أخرى، وربما الوصول لتاريخ محتمل لعقيدة المسيح المنتظر كنبي.

وأول خطوات هذه القراءة هي الفصل بين عقيدتين: انتظار نبي، وانتظار نبي مسيح. فلا شك أن انتظار نبي قادم كان أمراً راسخاً في قلوب اليهود

(1) E . Lohse , Die Texte aus Qumran.

(٢) يرجع تاريخ كتابة سفر التثنية إلى القرن السابع قبل الميلاد.

(3) Alfred Jepsen , Nabi, S : 294 .

(4) Carsten Colpe , Das Siegel der Propheten , S : 19 .

ووجدانهم نظراً لطول العهد بنص سفـر التثنية المبشر به؛ لذلك فلم تكن هناك حاجة إلى ابتـداع نص جديد في فترة السبي التي شهـدت إعادة تشكيل الهوية اليهودية ومولد عـقيدة المسيح المنتظر؛ لأن عقيدة المنتظر حيـة في نفوس اليهود ومسطرة في توراتهم. إنما كانت الحاجة إلى إضافة وظائف أو مهام أخرى لهذا المنتظر، تلائم الظروف التاريخية الطارئة.

ونستطيع أن نتقـدم خطوة أخرى، فنقول: إن عقيـدة المسيح النبي لم تتولد جنباً إلى جنب مع المسـيح الملك والمسيح الكاهن فحسب، بل إن عـقيدة النبي المنتظر كانت هي الأساس الذي بنيت عليه فكرة المسيح المنتظر.

بعبارة أخرى: لم يسند لقب النبوة إلى المسيح المنتظر، بل خلع ثوب المسيح المنتظر على النبي، أو ألبس النبي ثوب المسيح.

ويبدو أن السبب في صـعوبة تعيين تاريخ احتمـالي لميلاد فكرة المسيح النبي لدى الباحثين هو عدم وجود نص يتحدث عن المسيح النبي سابق لنص قمران. وهذا لا يمنع ـ بداية ـ من وجود الفكرة وحـياتها في قلوب اليهـود وعقولهم، الذين لم يكونوا ـ كمـا سبقت الإشارة ـ بحـاجة إلى نص جديد للتأكـيد على عقيدة حية بينهم منذ زمن طويل.

أما عـدم وجود نص خارج مـجتمع قـمران، فأمـر طبيعي إذا مـا أخذ في الحسبان أمران:

أولهـما: أن السلطات الدينيـة اليهـودية (كهنة، ومـعلمين، وكتّـاب) التي أخذت على عاتقهـا جمع أسفار العهد القديم وتحريرها، كـانت أسيرة التصور المثـالي لنبوة مـوسى (عـديم النظير والـشبـه، ومؤسس الشـخـصيـة والديانة اليهودية)، والذي فـرض بوساطة هذه السلطات على أسفار العـهد القديم لفظاً

ومعنى[١].

ومن ثم فلم يكن من المنطقي الحديث عن شبيه ونظير لموسى، وإن كان مسيحاً مخلصاً، بل كان من المنطقي ترك الاعتقاد الساري بانتظار نبي قادم مسيح أو ليس بمسيح، لكن الأهم هو عدم المساس بمثالية موسى.

والثاني: أن مجتمع قمران، الذي لم يكن خاضعاً لنفوذ سلطات يهوذا الدينية والروحية، بل كان يرى في نفسه أبناء النور، والبقية الأمينة، وإسرائيل الحقيقي[٢]. هذا المجتمع لم يكن أسير التصور الكهنوتي لتفرد النبوة الموسوية بل كان يرى في معلم الطائفة (معلم البر) نبياً في مكانة موسى تماماً لتمتعه بالمزايا التالية:

١ ـ جعله الله وسط هذا المجتمع كموسى[٣]. 1 QP Hab 2, 8f

٢ ـ تلقيه الوحي من فم الرب مباشرة[٤]. 1 QP Hab 2, 2f

٣ ـ لُقِّب بعبد الرب كموسى[٥]. 1 Q H7, 4F, 13, 18-14, 25. 16, 20

لذلك فليس بمستغرب ظهور نص واضح يجاور فيه النبي المسيحين من هارون وإسرائيل.

وهذا ما يجعلني ـ في ضوء الحرية الفكرية والدينية والجو الإيماني الخاص الذي عاش فيه مجتمع قمران ـ أحيل إلى أنه كان ينتظر نبياً وليس مسيحاً نبياً،

(١) سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن مراتب النبوة في الفصل الأول.

(2) Phillip Sigal , Judentum , S : 69 .

(3) E . Lohse , Die Texte aus Qumran .

(٤) السابق.

(٥) السابق.

فالقراءة المتأنـية لنص قمران 1 QS 9, 10-11 توحي بذلك؛ إذ تفصل بوضوح بين النبي المنتظر والمسيحان (حتى يأتي النبي والمسيحان).

كما أن يوسفس مـؤرخ اليهود يخبرنا أن الواقع التاريخي لجماعـة قمران قد عرف عدداً من الرائين والناظرين ومفسري الأحلام، الذين ظهروا فيها، وقدموا أنفسهم كأنبياء، وذلك أمثال: يوداس ميناخيم سيمون[١].

فإذا ما أضفنا إلى أن المجتمع القمراني كان يعيش في انتظار نبوة، عدداً من الحقائق التاريخية الأخرى، وهي:

١ ـ أن التاريخ الديني لليهود يخبر عن ظهور عدد ممن ادعوا النبوة، ولقيت دعوتهم كثيراً أو قليلاً من القبول والأتباع، منهم قديماً:

ـ ياشيل، وظهر في بيت المقدس[٢].

ـ يوناتان النسـاج، الذي قاد مجـموعة من اليـهود عبـر صحـراء سيناء في خروج إعجازي كخروج موسى[٣].

ـ تيوداس، وعبر بأتباعه نهر الأردن في معـجزة كمعجزة يشوع، وذلك عام ٤٤ تحت حكم فادوس[٤].

ـ نبي السامرة، الذي ظهر عام ٣٦ بعد الميلاد، زمن حكم بيلاطس[٥].

وفي التاريخ الحديث:

---

(١) راجع موضع هذه الاقتباسات، وكذلك مصادرها عند التعليق على ختم النبوة في العهد القديم.

(2) Josephus, Judische Altertumer, 9 , 1 . 2 .

(3) Josephus, Der Judische Krieg (DE Bello Judoica) 2 / 7 , 437 Hrsg , von : Otto Michel .

(4) Josephus, Judische Altertumer , 20 , 5 . 1 .

(5) Josephus, Judische Altertumer , 18 , 4 . 1 .

ـ ناتان، الذي أعلن نبوته عبر وحي إلهي عام ١٦٦٨، واتخذ منه المسيح الكذاب (شبتاي تسفي Sabbatai Zwi) نبياً وداعياً له، ومبشراً به[١].

٢ ـ أن اليهود عندما ظهر يوحنا المعمدان أرسلو إليه وفداً من الكهنة، فسألوه: (من أنت؟ فاعترف ولم ينكر: لست المسيح. فسألوه: من أنت إذاً؟ أأنت إيليا؟ قال: لست إياه. أأنت النبي؟ أجاب: لا. فقالوا له: من أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ ماذا تقول في نفسك؟ قال: أنا صوت مناد في البرية؛ قوّموا طريق الرب. كما قال النبي أشعيا. وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه أيضاً: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا النبي، فلماذا تعمد إذاً؟)[٢].

فالسؤال هنا يحدد ثلاثة أشكال من المنتظرين: مسيح، نبي، إيليا العائد.

٣ ـ أن ظهور المسيح عليه السلام قد قوبل بإيمان بعض اليهود بدعوته، وإن كانوا قلة.

٤ ـ إيمان بعض الأحبار وكذلك بعض العامة من اليهود بمحمد ﷺ، كابن سلام.

لتأكد لنا أن اليهود جميعا كانوا يتنظرون نبياً، لكن يتفاوت في اللقب المسمى به ما بين: نبي، ومسيح. وهذا ما يقطع بأن ختم النبوة في اليهودية لم يكن يتجاوز تأثيره حدود السطور التي خط عليها، وحدود من قاموا بخط هذه السطور سواء في التلمود، أو فيما أضيف إلى نصوص أسفار العهد القديم.

لكن مثل هذه النتيجة تثير سؤالاً هاماً:

---

(1) Gershom Scholem, Sabbatai Zwi , S : 247.

(٢) يوحنا (١/١٩-٢٥).

إذا كان اليهود ينتظرون نبياً، فلماذا لم يؤمنوا عامة برسالة كل من: يحيى، عيسى، محمد، عليهم صلوات الله أجمعين؟.

والجواب على ذلك أن وظيفة النبي المنتظر قد شابها واختلط بها ما شاب مجمل العقائد اليهودية، وهو الصبغة العنصرية، إذ حُمِّل هذا النبي المنتظر أيضاً مهمة خلاص الشعب اليهودي وحمله إلى قمة السلم البشري، وهو ما لم يدع إليه على الإطلاق واحد من هؤلاء الأنبياء الثلاثة:

فيوحنا دعاهم إلى التوبة والخلاص من أسر الخطيئة، والمسيح أخبرهم أن مملكته ليست من هذا العالم، ومحمد ﷺ، بكَّتهم على تبديلهم كلام الله وسبِّه جلَّ وعلا، ودعاهم إلى دين الإسلام الذي يستوي فيه الأبيض والأسود، ولا يتفاضل العربي فيه على الأعجمي إلا بالتقوى.

* * *

البـــاب الثانـــي

المعتقدات الدينية المسيحية

لئن كان تناول المعتقدات الدينية اليهودية قد واجهته صعوبات الفصل بين الوحي والأسطورة، فإن تناول المعتقدات الدينية المسيحية تعترضه إلى جانب ذلك عقبات أشد، تتأرجح بين اختلاف المرجعيات العقائدية المسيحية، وتوزعها بين عدد من الجهات المسكونية التي تكاد كل واحدة منها تمثل ديناً مستقلاً بذاته؛ مثل: كنيسة الإسكندرية القبطية، وكنيسة روما الكاثوليكية، وكنيسة الأرثوذكس الشرقية، والكنيسة البروتستانتية.

كذلك تواجه دراسة المعتقدات الدينية المسيحية مشكلة التأسيس؛ فنحن إن قارنا تلك المعتقدات بما كان يدين به نبي الجليل عيسى الناصري، ذلك النبي المتواضع رقيق الخلق، الذي دعا قومه للعودة إلى توحيد الإله الذي عبده الأجداد، وحثّهم على مكارم الأخلاق استعداداً لحلول مملكة الرب، وبشرهم بالنبأ الطيب، فإننا لا نكاد نجد رابطة تذكر بين هذا وذاك.

فهناك آخر يعود إليه الفضل في تأسيس المعتقدات، وصناعة مبادئ اللاهوت المسيحي، وتأليف أكبر قسم من رسائل العهد المسيحي الجديد، بل لم يقتصر دوره على ذلك، ولكن تعداه إلى التبشير بمسيح جديد لا يعرفه عيسى الناصري، بل ويتضاءل بالقياس إليه.

ألا وهو بولس الطرسوسي منشىء المستقبل للمعتقدات المسيحية، وبدونه كان من المحتمل ألا توجد، فقد كوّن المسيحية على حساب عيسى، وهو مؤسس المسيحية الحقيقي.

الفصل الأول

النُّبُـــــــــوَّة

(المحبة لا تسقط أبداً، وأما النبوات فستبطل، والألسنة لا ينتـهي أمـرها، والمعـرفـة تبطل لأن مـعـرفـتنا ناقـصـة ونبواتنا ناقصة).

بولس الرسول

الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس ٨/١٣

مدخل

لا شك أن البحث في ظاهرة النبوة في المسيحية ينطوي على جانب كبير من الصعوبات والمشكلات التي يرجع نصيب منها إلى طبيعة الظاهرة نفسها كحدث فوق طبيعي.

ويعود جانب آخر إلى أسباب علمية بحتة تتمثل في ضآلة حجم المعرفة المتاحة عن النبوة، والمكتسبة من خلال عدد معدود من المصادر المسيحية، المختلف في تصنيفها، وتقويمها، ومدى مرجعيتها، ودلالتها على الظاهرة.

أما القدر الأكبر من تلك الصعوبات فمرجعه إلى طبيعة الديانة المسيحية ذاتها، التي تعاني مآزق أربعة:

أولها: الانشقاق: إذ تنقسم المسيحية من داخلها إلى ثلاثة أديان مستقلة لا تختلف فقط في قانون الإيمان وطبيعته، بل حول قانون الكتاب المقدس.

الثاني: قضية الأصالة، حيث تضرب جذور المسيحية في اليهودية، وإليها تستند، ومنها تنطلق، فتستلهم تراثها وتقاليدها، وتتبنى كتابها المقدس، الذي لم تعرف في عصورها الأولى سواه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ترفض الإقرار بسلطة هذا الكتاب، وتبطل مفعول شريعته ولا تألو جهداً في مناقضتها وتبديلها وإحلال دين جديد محل ديانته.

الثالث: اضطراب قضايا أصول الدين وتداخلها تداخلاً يسمح باختلاط الألوهية بالنبوة اختلاطاً يصعب معه الفصل بينهما، فضلاً عن تقديم أحدهما على الآخر.

الرابع: بناء المسيحية القائم على شخصية المسيح، ليس موسساً للديانة فقط، بل ربّاً لها، فيه وبه كابن للعلي يعلن الله عن نفسه للبشر في صورة عهد جديد، لا سبيل إلى الارتباط به والخلاص عن طريقه واللحاق بالملكوت الذي افتتحه، إلا بالإيمان بذلك الابن المنقذ المخلص، وحيد أبيه، الجالس عن يمينه، الذي سيعود في مجد فائق ليدين الأحياء والأموات.

ذلك البناء الذي جعل من المسيح سماء المسيحية وأرضها، ألفها وياءها، دنياها وأخراها؛ مما أدى إلى حصر العقيدة فيه وحده: إيماناً واعتقاداً، تأملاً وتدبراً، نظراً وتفكراً، منافحة ومناظرة، بحثاً ودراسة.

فكانت النتيجة أن خبت في المسيحية وتضاءلت أهمية كل ما سوى «المسيح ابن الله المصلوب».

فلم يكن غريباً والأمر كذلك أن تختفي عقيدة النبوة، لا من قانون الإيمان المسيحي (الأمانة المقدسة) فقط[١]، بل من الفكر المسيحي عموماً بنهاية القرن الثاني، فلم يسمع لها صدى إلا بظهور الإسلام، وبدء حركة الجدل الديني ضده من جانب مسيحي المشرق، الذين أسهموا بعدد من المؤلفات الجدلية التي لمست موضوع النبوة بطريق مباشر أو غير مباشر[٢].

---

(١) راجع عقيدة الإيمان المسيحي وشرحها المطول في أهم وأوسع، وأحدث كتاب عن الديانة المسيحية أصدرته دار البابوية في روما، وبعناية وإشراف من البابا يوحنا بولس الثاني نفسه استمر ثمانية أعوام، واعتمد فيه على قرارات المجامع المسيحية بدءا من مجمع نيقية، وتبنت فيه صيغة قرار مجمع الفاتيكان الثاني:

- Katechismus der katholischen kirche , Leipzig . Schweis 1993 .

(٢) راجع سجلاً لهذه المؤلفات لدى جراف:

Georg Graf , Geschichte der christlichen arabischen Literatur .

وبجمود هذه الحركة الجدلية التي واكبت العصر الذهبي للازدهار والتنوير الحضاري والتسامح الإسلامي، خيم الصمت مرة أخرى على الساحة المسيحية، وظل الأمر كذلك حتى انشقاق مارتن لوثر عن كنيسة روما الكاثوليكية وتأسيس المذهب البروتستانتي الذي تدين له النبوة في المسيحية بإعادة اكتشافها (عقائدياً وعلمياً):

فعلى المستوى العقائدي بأطروحة كالفن (Johannes Calvin 1509 - 1564): الوظائف الثلاثة للمسيح (١ ـ النبي ٢ ـ الكاهن ٣ ـ الملك)[١]. تلك الأطروحة التي لم تجد مكاناً لها في الوثائق الكاثوليكية إلا في قرار الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م[٢].

وعلى المستوى العلمي بريادة البحث التاريخي النقدى في مجال النبوة بمرحلتيه:

الأولى: بدأت بمقال الألماني بونفتش ناتان Natan Bonwetsch: (النبوة في عصر الرسل وما بعده)[٣] عام ١٨٨٤م، وبعد عام فقط من نشر كتاب الديداكي على يد مكتشفه فيلوتيوس برينيوس Philotheos Bryennios عام ١٨٨٣م.

وفي العام نفسه أيضا أسهم العلامة أدولف هارناك Adolf Von Harnack بمقاله المطول الهام: (تعاليم الرسل الاثني عشر)[٤]، الذي أتبعه عام ١٩٢٤

(1) Theologenlexikon , Hrsg von : Wilfried Harle u . Harold Wagner, S : 54 - 55

(٢) راجع مقررات مجمع الفاتيكان الثاني في كتاب التعليم المسيحي المشار إليه في هامش (١) بالصفحة السابقة.

(3) Zeitschr . F. Kirchl . Wissens und kirchl . Leben 5 (1884) S : 408 - 424, 477.

(4) Adolf Von Harnack , Die Lehre der Zwolf Apostel, TU ll , 1 - 2, 93 - 158 .

بمقال آخر: (التبشير ونشر المسيحية في القرون الثلاثة الأولى)[١].

وإلى هذه المرحلة ينتمي أيضاً عدد من الأعمال الأقل شهرة مما سبق: مثل ما صدر في اللغة الإنجليزية في لندن عام ١٩٠٠ بعنوان: (أنبياء المسيحية وأدب الرؤى النبوي)[٢].

وبالفرنسية: (النبوة المسيحية منذ البدء حتى الراعي هرماس)[٣]، وكذلك: (دراسة حول النبوة المسيحية منذ بدايتها حتى عام ١٥٠ م)[٤].

لكن الدفعة الحاسمة قد قدمها بكل تأكيد الألمانيان: جونكل Gunkel بكتابه: (عمل الروح القدس بحسب الاعتقاد الشعبي في عصر الرسل وحسب تعليم بولس الرسول)[٥]، وفينل Weinel بمؤلفه: (عمل الروح والفكر في عصر ما بعد الرسل حتى إيرينوس)[٦].

وختمت هذه المرحلة بكتاب فاشيرز Faschers: (النبي: فحص لغوي، ديني، تاريخي)[٧].

(1) Adolf Von Harnack, Mission und Ausbreitung des Christenteum in den ersten drei Jahrunderten, 346 - 357 . (ders .) .

(2) E . G . Selwyn, The christian Prophets and the Prophetic Apocalypse .

(3) J . Benazeck, Le Prophetisme chretien depuis les Origines Jusqu'au Posteur d, Hermas .

(4) J . Alizon , Etude sur le Prophetisme chretien depuis les Origines . Jusqu'au L'an 150 .

(5) H . Gunkel , Die Wirkung des Heiligen Geistes nach den Populaeren Anschaung der apostolischen zeit und Lehre des Apostels Paulus, .

(6) H . Weinel , Die Wirkungen des Geistes und der Geister im nachapostolischen Zeitalter bis Irenaeus, .

(7) E . Faschers, Der Prophet eine Sprach und religionsgeschichtliche Untersuchung, .

الثانيـــة: بـدأت بتفريق العـلامة البروتسـتانتي رودولف بولتـمان Rodulf Bultmann بين المســيح التاريخي (شــخصيــة، تعاليــم، أفعال) وبين المـسيح التبشـيري (أي المسيح القائم من بين الموتى بطبيـعته الإلهية، ووظائفـه وأعماله المرتبطة بها كما تنص عليها عقيدة الإيمان المسيحي)[١].

وعلى ضوء من تلك التفرقة بنى كيزمان E . Kasemann بحثيه: (نصوص القانون المقدس في العهد الجديد)[٢]، و(بدايات العقيدة المسـيحية)[٣]، اللذين كشـفا أن وظـيفة الـنبوة في المسـيحـية المبكرة كـانت تكريس عقـيدة المسـيح التبشيري.

وبفعل مدرسة بولتمان وبتأثير حركة نقد نصوص العهد الجديد دخل البحث النبوي في المسيحـية مرحلة هامة قادت إلى ظهور مؤلفـات تدور بأكملها حول المسـيح النبي من واقع الأناجـيل، ولعل أشهـرها وأشـملهـا كتـاب (عيـسى الناصـري) الذي صدر بالعـبرية عـام ١٩٥٢م[٤]، وكتـاب (نبي الجليل) الذي صدر بالألمانية عام ١٩٧٠ [٥]:

وبدافع من هذه الصعـوبات والعوامل سالفـة الذكر، مضـافاً إليها صـعوبة

(1) R . Bultmann, Die Geschichte der synoptischen Tradition.
- R . Bultmann, Jesus .

(2) E . Kasemann , Satze heiligen Rechts im Neuen Testament, in : ders, Exegetische Versuche und Besinnungen I, 69 - 82 .

(3) E . Kasemann, Die Anfange christlischer Theologie, in : ders, Exegetische Versuche I , 82 - 104 .

(4) Joseph Klausner , Jesus von Nazareth (Seine zeit, sein Leben und seine Lehre) 69 - 82 .

(5) R . Meyer, Der Prophet aus Galilaa, .

منهجية أخرى مرتبطة بطريقة تناول الدراسات الحديثة والمعاصرة لقضية النبوة في المسيحية، وذلك في إطار إما وصفي وإما عقائدي، ينطلق من مُسَلَّمة خاطئة مؤداها: أن العهد الجديد يحوي صورة واضحة، كافية، مطابقة لحقيقة النبوة في المسيحية[1]، نجد أنفسنا ملزمين بعدم الاقتصار على هذا المنهج الوصفي إلا في حدود العرض الموضوعي التام للظاهرة محكوماً بالمنهج التحليلي التاريخي الذي غايته تقديم صورة موضوعية منطقية لظاهرة النبوة في المسيحية.

كذلك نجد لزاماً علينا عدم الانسياق وراء التناول التفتيتي لظاهرة النبوة في المسيحية، الذي يفصل قسراً بين النبوة في المسيحية المبكرة وبين نبوة المسيح[2].

لكن سنسلك في تناول الظاهرة الطريق المنطقي الشمولي الذي يهدف إلى عرض الظاهرة في إطار تاريخي متكامل، وذلك في مبحثين:

* المبحث الأول: ماهية النبوة.

* المبحث الثاني: مراتب النبوة.

(1) Gerhard Dautzenberg, Urchristliche Prophetie, S : 19 .

(٢) انظر مثلا ما صدر من مؤلفات في العشرين عاماً الأخيرة، والذي إما أنه يحمل العنوان «النبوة في المسيحية المبكرة» كالمصدر المذكور فى الهامش السابق، وإما يحمل عنوان «المسيح النبي» أو «نبي الجليل» أو «نبي الناصرة» كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة. . . .

المبحث الأول
ماهيــة النبــوة

يُصدم البـاحث خلف ماهية النبـوة في المسيحيـة بعقبـة عدم وجود مفـهوم واضح، أو تحديد دقيق، أو تعريف جامع مانع لماهية النبوة المسيحية، سواء في العهد الجديد نفسه، أم في الدراسات التي دارت حوله [1]، مما يجعل الحصول على تصور علمي شامل لظاهرة النبوة في المسيحية أمراً شاقاً، ينطوي على كثير من المصاعب[2].

ولمواجهة هذه المصاعب سنعمد إلى اتباع سبيلين مختلفين:

الأول: نفرق فـيه بين ثلاثة عناصـر رئيسـة شكلت أساس بناء المسـيحـية، وأسهمت في تشكيل وتحديد أبعاد النبوة إلى حد بعيد، ويقصد بها [3].

١ ـ حياة المسيح التاريخية، ودعوته، ومتلقيها.

٢ ـ الجماعة المسيحية الأولى، وعقيدتها، ودور رسل المسيح فيها.

٣ ـ الكنيسـة، وسلطتها ونفـوذها، ورؤيتها الجديدة للـمسيحـية ممثلة في: (عقيدة: التثليث والصلب والفداء).

(شعائر: تعميد، عشاء مقدس، ثم بقية الأسرار السبعة المقدسة).

(سلطة روحـية: تـقنين الكتب المقـدسة، احـتكار الروح القـدس، إضفـاء القداسة على الأساقفة).

---

(1) G . Dautzenberg, Urchristliche Prophetie, S : 18 - 79 .

(2) Franz Schnider, Jesus der Prophet, S : 67.

(3) Johanng Panagopoulos, Die urchristliche Prophetie, S : 2, in : Supplements to Novum Testamentum , Edited by : J , Panagopoulos .

Karl Heussi, Kompendium der kirchengeschichte , S : 23 .

وبفعل هذه العناصر الثلاثة التي أثرت بأقدار متفاوتة في بناء النبوة المسيحية، يلزم كذلك التفرقة بين أبعاد ثلاثة يمكن تمييزها في البناء المسيحي للنبوة، وهي:

١ ـ الفهم التقليدي للنبوة في بني إسرائيل، الذي ورثته المسيحية.

٢ ـ النبوة كما يطرحها مؤلفو العهد الجديد، وعليها يطغى التصور الفلسفي والتأثير الوثني السائد في ذلك العصر، مما أدى إلى المطالبة بوجوب دراسة ظاهرة النبوة المسيحية في إطار ديانات العالم القديم، وعلى وجه الخصوص عالم حوض البحر الأبيض المتوسط[١].

ليس ذلك فقط، بل إن جميس روبنسون أستاذ الأديان ومدير معهد التاريخ القديم والمسيحية في كلاريمونت بالولايات المتحدة الأمريكية قد انتقد بشدة اليابانى ميجاكو ساتو الذي بحث عن جذور النبوة المسيحية في ثنايا تراث العهد القديم فقط[٢].

٣ ـ النبوة كما تفهمها الكنيسة، وما أدى إليه من حصرها الروح القدس داخل عباءة أربابها.

الثاني: استقصاء ملامح الظاهرة فيما بين أيدينا من نصوص تضم شيئاً قل أو كثر عن النبوة، ثم تقويم هذه الملامح في محاولة للخروج بمفهوم مُرْضٍ للظاهرة.

(١) راجع في ذلك:

- D . E . Aune , Prophecy in Christianity and The Ancient Mediterranean World, Grand Rapids, Mich, 1983. S : 43 F . 73 - 77 .

وللمؤلف نفسه:

- Christian Prophecy and the Sayings of Jesus, in : Society of Biblical Literatur 1975, II 131 - 142 .

(2) James M . Robinson, Die Logienquelle : Weisheit oder Prophetie ? Evang . Theol 53 JG , Heft 4 , S : 370 (1993) .

وباستقــراء نصوص العهد الجديد حــول النبوة، نستخلص العلامــات التالية التي تميز النبي:

أ ـ أنه المتكلم من قِبلَ الله بواسطة الروح القدس [1].

ب ـ القدرة على كشف المستقبل [2].

ت ـ معرفة الماضي الذي يعايشه أو يسمع به [3].

ث ـ كشف الخفايا[4].

ج ـ ذو سمات باراقليطية:

ـ الوعظ[5].

ـ التعزية[6].

ـ تشديد العزائم[7].

ـ التعليم[8].

د ـ التبشير[9].

س ـ امتلاك نصيب من المعرفة الإلهية[10].

ش ـ حامل سر المسيح[11].

ص ـ أنه يبني الجماعة.

---

(١) رسالة بطرس الثانية (١ / ٢١).

(٢) أعمال الرسل (١١ / ٢٧ ـ ٢٨، ٢١ / ١٠ ـ ١٤).

(٣) يوحنا (٤ / ١٦ ـ ١٩) لوقا (٧ / ٣٦ ـ ٥٠).

(٤) السابق.

(٥) أعمال الرسل (١٥ / ٣٢).

(٦) السابق.

(٧) السابق، الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس ١٤ / ٣.

(٨) أعمال الرسل (١٥ / ٣٢ ـ ٣٥).

(٩) السابق.

(١٠) قورنتى الأولى (١٣ / ٢).

(١١) أفسس (٣ / ١ ـ ٥).

ومن خلال هذه الملامح والعلامات التي تميز بها النبي في المسيحية نلمح تأثيرات مختلفة وتصورات متعددة تداخلت معا لتشكل صورة النبي المسيحي:

فتأثير العهد القديم يظهر في إضفاء القدرة على التنبؤ بالمستقبل والتحدث نيابة عن الله باسم الروح القدس(١).

وتأثير الهللينية والغنوصية واضح في مشاركة النبي في الأسرار والمعرفة الإلهية؛ لذلك اختلفت التعريفات التي طرحت لمفهوم النبي والنبوة في المسيحية:

١ ـ فالقديس أوغسطين يعرف النبي بأنه من يعلن كلمات الله للناس(٢).

٢ ـ أما يوحنا فم الذهب، فيرى أن النبوة ليست سوى الإنباء مقدماً بأمور مستقبلة(٣).

وواضح أن كلا التعريفين يتبني المعنى الحرفي لمفهوم النبوة في اليهودية والذي استعمله بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين (١ / ١).

لكن هذا التعريف، وإن كان ينطبق على إحدى مراتب النبوة المسيحية إلا أنه لا يطابق مجمل الظاهرة التي تتجاوز النبوة في اليهودية.

٣ ـ والمعجم اللاهوتي للعهد الجديد يعرف النبي كما يفهمه العهد الجديد بأنه مبلغ رسالة إلهية موحى بها(٤).

ومثل هذا التعريف تنقضه نسبة النبوة إلى اثنين من الوثنيين اللذين لا يمتلكان رسالة إلهية، وهما: بلعام المحسوب نبياً في رسالة بطرس الثانية (٢/١٦)، والشاعر الكريتي إبيمنيدس الكنوسي، حوالي القرن السادس قبل الميلاد، والمذكور نبياً في الرسالة إلى طيطس (١ / ١٢).

---

(١) ذلك المفهوم الذي أرسته رسالة يشوع بن سيراخ، كما تقدم في الباب الأول من البحث.

(٢) جرهاردوس فوس / اللاهوت الكتابي / ص: ٣٠٤.

(٣) السابق.

(4) Theologisches Worterbuch zum Neuen Testament , Hrsg- von: Gerhard Friedrich, Band V1 S : 829,.

٤ ـ يعرف قاموس العقيدة الكاثوليكية النبي بأنه معلن حادث الخلاص الذي تم بواسطة المسيح[1].

وإن كان هذا التعريف يتفق ووظيفة طائفة أو أكثر من طوائف أنبياء المسيحية، إلا أنه لا يتناسب مع مهمة المعلمين كما سنرى في المبحث التالي عند الحديث عن مراتب النبوة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا التعريف يخرج المسيح من دائرة النبوة، إذ يجعله موضوعاً لها، وليس حلقة في سلسلتها.

أما التعريف الذي أظنه يناسب المفهوم المسيحي لظاهرة النبوة، وكذلك مراتبها الآتي تفصيلها بعد قليل، فهو: «أن النبوة هي التحدث باسم الروح»، كتعريف شامل للظاهرة تنضوي تحت ظلاله جميع عناصرها، وهو ما يدل عليه نص بولس الهام الذي لم يلتفت إليه من قَبْلُ الباحثون الراغبون في تقديم تعريف للنبوة، وهو: «إن المواهب على أنواع، وأما الروح فهو هو وإن الخدمات على أنواع، وأما الرب فهو هو، وإن الأعمال على أنواع، وأما الله الذي يعمل كل شيء في جميع الناس فهو هو. كل واحد يتلقى ما يظهر الروح لأجل الخير العام:

فأحدهم يتلقى من الروح كلام حكمة، والآخر يتلقى وفقاً للروح نفسه كلام معرفة، وسواه الإيمان في الروح نفسه، والآخر هبة الشفاء بهذا الروح الواحد، وسواه القدرة على الإتيان بالمعجزات، والآخر النبوءة، وسواه التمييز ما بين الأرواح، والآخر التكلم باللغات، وسواه ترجمتها، وهذا كله يعمله الروح الواحد نفسه موزّعاً على كل واحد ما يوافقه كما يشاء»[2].

(1) Lexikon der katholischen Dogmatik, Hrsg . von : Wolfgang Beinert, S : 426,.

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٢ / ٤ ـ ١١).

المبحث الثاني
مراتب النبوة

يخضع تقسيم مراتب النبوة في المسيحية لطبيعة بناء المسيحية ذاتها الذي يتخذ من المسيح محوراً وأساساً للديانة؛ فعليه وبه تقاس الأشياء، ولأجله تخلق وتجري الحادثات، وعنه تحكي الأخبار، وفيه تتجسد النبوءات.

لذلك جاءت مراتب النبوة على النحو الآتي: ـ

أولاً: نبوات العهد القديم

كان من الطبيعي أن تتلقى المسيحية نبوات العهد القديم بالقبول، لكون المسيحية حلقة في سلسلة نبوات بني إسرائيل أو مذهب يهودي، أو نحلة خرجت من عباءة اليهودية إن صح القول.

لكن هذا القبول لنبوات العهد القديم كان على المستوى النظرى فحسب، أما من الناحية العلمية فقد أدخلت المسيحية تعديلات على نبوات العهد القديم شملت النواحي التالية:

أ ـ مهمة أنبياء العهد القديم:

جعلت المسيحية وظيفة أنبياء العهد القديم، وهدف بعثهم الرئيس، ومحور نبواتهم، هو التمهيد لمجيء المسيح، الذي فيه تجسدت الأحداث والنبوءات[1].

يقول إبراهيم مطر: «ولا تقتصر أهمية أنبياء العهد القديم على كونهم تنبأوا عن المسيح فحسب، بل الأكثر على كونهم مهدوا الطريق إليه، وقد وجدت النبوة عند العبرانيين هدفها الأعلى وتحققت الآمال فيما يتعلق بملكوت السماء عن طريق المسيح»[2].

(١) جون طمسن ـ بطرس عبد الملك / قاموس الكتاب المقدس / ص: ٩٤٩ ـ ٩٥١.

(٢) إبراهيم مطر / الأنبياء والنبوة / ص: ٢٩.

ب ـ سلطة الأنبياء

على الرغم من إقرار العهد الجديد بأن أنبياء العهد القديم مدعومون بسلطة تشريعية قوية، على أساسها قام عيسى بطرد الباعة من الهيكل، كما يحكي مرقس: «فدخل الهيكل وأخذ يطرد الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام، ولم يدع حامل متاع يمر من داخل الهيكل، وأخذ يعلمهم، فيقول: ألم يكتب: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[١].

وأن هذه السلطة لم تُلْغ من قِبَل عيسى الذي أكد ضرورة مراعاتها وإمضائها: «لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل، بل لأكمل. الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض. فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا وعلم الناس أن يفعلوا مثله عُدَّ الصغير في ملكوت السموات. وأما الذي يعمل بها ويعلمها فذاك يعد كبيراً في ملكوت السموات»[٢].

فإن الرسل والأنبياء المؤتمرين في أورشليم قد أصدروا مرسوماً ألغوا فيه ناموس وشريعة الأنبياء، وجعلوا الخلاص في الإيمان بيسوع لا في اتباع شريعة موسى[٣].

وذلك بدعويين:

---

(١) مرقس (١١ ـ ١٧).

(٢) متى (٥ / ١٧ ـ ١٩)، وانظر قوله في متى (٢٣ / ١ ـ ٣): ((وكلم يسوع الجموع والتلاميذ. قال: إن الكتبة والفرنسيين على كرسي موسى جالسون، فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه)).

(٣) أعمال الرسل (١٥ / ١ ـ ٣٣).

١ ـ أن الشريعة نِيرٌ لم يقووا هم ولا آباؤهم على حمله [١].

٢ ـ أنها عاجزة أن تجعل الذين يتقربون بها كاملين[٢].

جـ ـ تفرد نبوة موسى وأفضليتها

بينما يحتل موسى في تقاليد العهد القديم مكاناً فريداً لا يقاربه أو يدانيه نبي سابق أو لاحق، فإن العهد الجديد قد ألغى هذا التفرد وتلك الأفضلية المطلقة، وخلعها على المسيح. يقول بولس: «أيها الإخوة القديسون المشتركون في دعوة سماوية، تأملوا رسول شهادتنا وعظيم كهنتها يسوع، فهو مؤتمن للذي أقامه كما كان شأن موسى في بيته أجمع. فإن المجد الذي كان أهلاً له يفوق مجد موسى بمقدار ما لباني البيت من فضل على البيت»[٣].

ولا تُنتقض أفضلية نبوة موسى بنبوة عيسى فقط، بل إن رسل عيسى يفضلون موسى، لكونهم يعكسون صورة مجد الرب الفائق الذي لا يزول، بخلاف موسى الذي أعطي مجداً زال في المسيح[٤].

د ـ ختم النبوة

لا يقر العهد الجديد بكون ملاخي آخر الأنبياء، الذي بموته ارتفع صوت الوحي من بني إسرائيل، إذ يلحق العهد الجديد بنبوة ملاخي نبوة زكريا [٥]، ونبوة حنة ابنة فانوئيل [٦].

---

(١) أعمال الرسل (١٥ / ١٠).

(٢) الرسالة إلى العبرانيين (١٠ / ١).

(٣) الرسالة إلى العبرانيين (٣ / ١ ـ ٣).

(٤) الرسالة الثانية إلى قورنتس (٣ / ١ ـ ١٨).

(٥) لوقا (١ / ٦٧ ـ ٨٠).

(٦) لوقا (٢ / ٣٦).

وتضاف إلى ذلك الملحق نبوة يوحنا المعمدان، لكن دورها ومكانتها يختلفان باختلاف طبقات العهد الجديد، فيتنازعها تصوران:

أولهمـا: التصور الذي تضمنتـه طبقات العـهد الجديد الأولى، وفيـه يبدو يوحنا المعمـدان نبياً تقليدياً من أنبيـاء بني إسرائيل [١]، أو خاتماً لنبوات العهد القديم[٢].

والثاني: التصور الذي تضمه الطبقات الكـيرجماتية المتأخرة التي تلي حادثة الفصح، وفيه يصبح يوحنا إما: إيليا المنتظر رجوعه[٣]، أو الممهد لطريق الرب يسوع، والذي أخبر به ملاخي[٤] في قوله: «هائنذا أرسل رسولي قدامك ليعد الطريق أمامك»[٥].

هـ ـ قائمة الأنبياء

أضافت المسيحية إلى قائمة أنبياء العهد القديم النبوات التالية: ـ

١ ـ نبوة آدم

جاء في رسالة كليمنص أن: «آدم نبي حقيقي» [٦].

٢ ـ نبوة أخنوخ

يقول صاحب رسالة يهوذا: «وقد تنبأ عنهم أخنوخ سابع الآباء من آدم»[٧].

(١) متى (١١ / ٩).

(٢) متى (١١ / ١٣)، وانظر: لوقا (١٦ / ١٦).

(٣) متى (١١ / ١٤).

(٤) ملاخي (٣ / ٢٣ ـ ٢٤).

(٥) متى (١١ / ١٠).

(6) B . Rehm, Die Pseudo Klementienss l , S : 99, Brlin 1953 .

(٧) رسالة يهوذا / ١٤.

٣ ـ نبوة إبراهيم

ذكر مؤلف رسالة كليمنص أن: «إبراهيم كان نبياً حقيقياً»(١).

٤ ـ نبوة داود

جاء في سفر أعمال الرسل: «إن إبانا داود مات ودفن، وقبره عندنا إلى هذا اليوم، على أنه كان نبياً» (٢).

ثانياً: نبوات العهد الجديد

احتل المسيح في المسيحية مكان يهوه في العهد القديم، فأصبح هو مصدر الوحي، وواهب النبوة، ومرسل الأنبياء، وباعث الرسل، ومانح سلطان المعجزة.

يقول يوسف الحداد(٣): «بقيامته وارتفاعه إلى المجد الإلهي، يسوع يتمتع بسلطان إلهي يجعله يعمل أعمال الله:

١ ـ وعمل المسيح الأكبر في مجده الإلهي وسلطانه الإلهي هو تنزيل الروح القدس على كنيسته، ففي العنصرة افتتح المسيح عهد الروح القدس في البشرية.

٢ ـ غفران الخطايا باسمه بعد أن كانت تتم باسم الله وحده، وهذا ما قامت عليه دعوة الرسل.

٣ ـ التكفل بمهمة الخلاص الذي هو عمل الله.

٤ ـ منح الرسل سلطان إجراء المعجزات باسمه بعد أن كانت تجري باسم الله.

٥ ـ تقديم الصلاة دليل العبادة له.

---

(1) B . Rehm, Die Pseudo Klementiness I , S : 98 ,.

(٢) أعمال الرسل (٢ / ٣٠).

(٣) يوسف الحداد / مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية) ص: ٥١٥ ـ ٥١٨.

وقد تلقت الوحي المسيحي عدة طوائف وجماعات يحكي بولس عن بعضها قائلاً: «كل واحد منا أُعطي نصـيبه من النعمة على مقدار هبـة المسيح فقد ورد في الكتاب: صعِد إلى العلي فـأخذ أسرى وأعطى العطايا. . . . . . وهو الذي أعطى بعضهم أن يكونوا رسلاً، وبعضهم أنبيـاء، وبعضهم مبشرين، وبعضهم رعاة ومعلمين» [(١)].

إلا أن ثلاثاً منها كان لها الصدارة والامتياز رتبها بولس حسب أهميتها ترتيباً صارمـاً في قوله: «والذين أقامـهم الله في الكنيسة هم الرسل أولاً، والأنبـياء ثانياً، والمعلمون ثالثاً» [(٢)].

وسوف نتناولها بنفس ترتيب الأهمية الذي طرحه بولس على النحو التالي:ـ

الفئة الأولى: رسل المسيح

ويشترط في الرسول [(٣)]:

أولاً: أن يكون قد اتصل بالمسيح وعاشره.

ثانياً: أن يكون المسيح قد دعاه إلى هذه الخدمة.

ويتبوأ الرسل مكانة عظيمة لا تدانيها إلا مكانة أنبـياء العهد القديم كما يبدو من تسوية لوقـا بين الطائفتين[(٤)]، ومن تسوية بولس بين وظيـفتيهـما في تبليغ البشارة[(٥)]. بل إن مكانة رسل المسيح لتـسمو على مكانة أنبياء العـهد القديم،

(١) الرسالة إلى إفسس (٤ / ٧ ـ ١١).

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٢ / ٢٨).

(٣) جون طمسن ـ بطرس عبد الملك / قاموس الكتاب المقدوس / ص: ٤٠٣.

(٤) لوقا (١١ / ٤٩).

(٥) الرسالة إلى رومة (١ / ١ ـ ٢).

وذلك وفق المنظور الكيرجماتي[1] للمسيح، الذي يرى فيه الله المتجسد والمعلن عن نفسه في صورة حية ومشاهدة، ومن ثم يـكون أنبياء العهد القديم قد تلقوا وحياً وإعلاناً ورؤى لا بمعاينة ومباشرة الرب، أما الرسل فقد تلقوا التكليف من الإله نفسه مباشرة.

ويشير بولس إلى ذلك قائلاً: «فإننا نتصرف برباطة جأش عظيمة لا كموسى الذي كان يضع قناعاً على وجه لئلا ينظر بنو إسرائيل نهاية ما يزول»[2].

وقد امتاز الرسل عن أنبياء العهد القديم بخصائص وسلطات؛ منها:

١ ـ منحهم مغفرة الخطايا وإمساك الغفران[3].

٢ ـ ما يربطونه في الأرض يربط في السماء وما يحلونه يحلُ[4].

وبفضل هذه الميزات والسلطات التشـريعية تمكن الرسل من إدخال تعديلات جوهرية في الديانة المسيحية شملت:

١ ـ إلغاء الشريعة[5].

٢ ـ التبشير بالمسيحية بين الأمم[6].

٣ ـ تعطيل الختان[7].

٤ ـ تحليل لحم الخنزير[8].

(١) سيأتى شرح مفهوم الكيرجما في مبحث المسيح الكيرجماتي.

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (٣ / ١٢ ـ ١٣)، وانظر: ٣ / ٤ ـ ١١.

(٣) يوحنا (٢٠ / ٢٣).

(٤) متى (١٨ / ١٨ ـ ٢٢).

(٥) أعمال الرسل (١٥ / ١ ـ ١١)، الرسالة إلى رومة (٧ / ١ ـ ٦).

(٦) أعمال الرسل (١١ / ١ ـ ١٨).

(٧) الرسالة إلى غلاطية (٥ / ٦، ٦ / ١٥)، الأولى إلى قورنتس (٧ / ١٩) إلى رومة (٣ / ٢٩).

(٨) أعمال الرسل (١١ / ١ ـ ١٠، ١٠ / ٩ ـ ١٦).

لكن على الرغم من تلك المكانة الكبرى التي يحتلها الرسل والأهمية العظمى التي يتمتعون بها، تظل قضيتهم من أكثر المسائل التي تحير الباحثين في تاريخ المسيحية، بسبب ما يكتنفها من اختلافات، وتناقضات، واضطرابات، تنأى بها عن الدقة والموضوعية.

يقول القمص شنودة السرياني: «موضوع حياة الرسل، وكرازتهم، وأعمالهم أمر يكتنفه كثير من الغموض، وما أكثر القصص الذي كتب عنهم، وعن جهودهم الكرازية وأعمالهم المعجزية، وفي بعض هذه القصص نلمس بوضوح شطحات بعض الكتاب والنساخ في الخيال، الأمر الذي يصطدم بالحقيقة والواقع، ومن هنا كانت مهمة المؤرخ شاقة، إذ عليه أن يستخلص الحقائق خالصة بعد تنقيتها مما علق بها من الشوائب الدخيلة التي استحدثتها يد الزمان وبعض المعجبين برواد المسيحية الأوائل»[1].

وتشمل هذه الصعوبات التي تلقي بظلال الشك وفقد الثقة في هيئة الرسل النواحي التالية: ـ

أ ـ شروط الرسول:

فإن كانت شروط الرسول تقضي بوجوب صحبته للمسيح ومعاشرته له، فإن هناك ثلاثة من الرسل لم يتوافر فيهم هذا الشرط، وهم: متياس الذي اختير خلفاً ليهوذا الخائن، وبرنابا الذي كان نبياً ثم عيِّن رسولاً، وشاول الطرسوسي (بولس) الفريسي.

ب ـ عدد الرسل وقوائم أسمائهم:

يقترن عدد اثني عشر دائماً بأسماء الرسل إذا ما أريد إحصاؤهم، يرصد

(١) شنودة السرياني / الكنيسة المسيحية في عصر الرسل / ص: ٣٠٨.

ذلك تصريحاً مرة: «وهذه أسماء الرسل الاثني عشر»[1]. وعلى سبيل الإشارة مـرة: «فـقال لـه بطرس ها قـد تركنا نحن كل شيء وتبـعناك، فـمـاذا يكون مصيرنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: أنتم الذين تبعوني، متى جلس ابن الإنسان على عرش مـجده عندما يحدد كل شيء تجلسـون أنتم أيضاً على اثني عشر عرشاً، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر» [2].

وبالتلميح أخـرى في رؤيا يوحنا لأورشليم السمـاوية: «وسور المدينة له اثنا عشر أساساً، عليها الأسماء الاثنا عشر لرسل الحمل الاثني عشر»[3].

لكن هذا الرقم لا يطابق عدد الرسل الحقيقي الذي يزيد ثلاثة هم: متياس، برنابا، بولس، بل إن حـقيـقة عدد الـرسل تظل قيـد المجهول إذا وضـعنا في الحسبان معايير اختيار الرسل التي سنعرض لها عند الحديث عن جهة التكليف.

ولم يقتصـر الاختلاف على عدد الرسل، بل تجاوزه إلى أسـمائهم ذواتها، وكذلك ترتيب قوائمها، كما يتضح من الجدول الآتي: ـ

(١) متى (١٠ / ٢).

(٢) متى (١٩ / ٢٧ ـ ٢٨)، وانظر: مرقس (١٠ / ٢٨ ـ ٣١)، لوقا (١٨ / ٢٨ ـ ٣٠).

(٣) رؤيا يوحنا (٢١ / ١٤).

أسماء الرسل وترتيبها حسب الأسفار				ملحوظات
إنجيل متى (٤-٢/١٠)	إنجيل مرقس (١٩-١٣/٣)	إنجيل لوقا (١٦-١٣/٦)	سفر اعمال الرسل (١٦-١٣/١)	
١- سمعان (بطرس)	× ✓	✓	✓	–
٢- أندراوس أخوه	يعقوب بن زبدي	✓	يوحنا	×
٣- يعقوب بن زبدي	يوحنا أخوه	✓	يعقوب	×
٤- يوحنا أخوه	أندراوس	✓	أندراوس	×
٥- فيلبس	✓	✓	✓	–
٦- برتلماوس	✓	✓	توما	×
٧- توما	متى	متى	برتلماوس	×
٨- متى العشار	توما	توما	✓	×
٩- يعقوب بن حلفي	✓	✓	✓	–
١٠- لباوس	تداوس	سمعان الغيور	سمعان الغيور	××
١١- سمعان الغيور	✓	يهوذا بن يعقوب	يهوذا بن يعقوب	×
١٢- يهوذا الإسخريوطي	✓	✓	متياس بدلاً من الإسخريوطي	××

تفسير علامات الجدول:

– ليست هناك ملحوظات.

× هناك ملاحظة.

× × ملحوظة هامة نظراً للاختلاف الشديد.

ويلاحظ على هذه القوائم ما يأتي:

١ ـ أنها تختلف في الرسول رقم (١٠)، فهو لدى متى لبَّاوس، ولدى مرقس تداوس، ولدى لوقا يهوذا بن يعقوب.

٢ ـ أنها تختلف في ترتيب أسماء ابني زبدي أيهما أسبق، وهل تلي اسم أندرواس كما لدى متَّى ولوقا أم تسبقه كما لدى مرقس.

٣ ـ تختلف في ترتيب توما ومتَّى العشار أيهما أسبق، وهل يليان برتلماوس حسب قائمة متَّى أم يتوسطها حسب قائمة أعمال الرسل.

٤ ـ تختلف في ترتيب سمعان الغيور بالنسبة للرسول المختلف فيه رقم ١٠.

٥ ـ لا تذكر قوائم متَّى ولوقا ومرقس شيئاً عن متياس الذي عين بدلاً من يهوذا الإسخريوطي.

ويضاف إلى الاختلاف الواقع في أسماء الرسل وترتيب قوائمهم، اختلاف في قدر الأخبار الواردة عنهم، فبينما يكتظ العهد الجديد بأخبار بطرس وبولس، لم يتحدث مطلقاً عن خدمات: أندراوس، لباوس، فيلبس، برتلماوس، توما، متى العشار، متياس.

جـ ـ مصدر التكليف وطبيعته:

لتحديد مصدر تكليف الرسل وطبيعة هذا التكليف يتطلب ذلك الإجابة عن التساؤلات التالية:

من هم الرسل؟ هل هم الذين اختارهم المسيح وعيّنهم وأرسلهم؟ وإذا كان المسيح قد اختارهم فمتى؟ أقبل القيامة أم بعدها؟

أم الرسل هم شهود القائم من الموتى مخلصاً ومصلوباً لأجل خطايا العالم؟

لكن محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات تعدُّ مطلباً عسيراً؛ لأن العهد

الجديد يتبني تصورين لتحديد الرسل:

أولهـما: أن الرسل هم الذين اختـارهـم المسيح، ويتـردد هذا التصـور بين تكليف المسـيح لهم زمن خدمتـه الأرضية، وبين تكليـفه لهم عـقب قيامـته، ويختلف في وقت التكليف عقب القيامـة أكان قبل الصعود أم بعده عن طريق إرسـال الروح القدس يوم العنصـرة[١]، ويخـتلف كذلك مكان هبـوط الروح القدس أكان في الناصرة كما يروي لوقا أم في أورشليم كما يحكي سفر أعمال الرسل[٢].

والثاني: أن الرسل هم شـهود قيامـة المسيح[٣]، وبذلك يرتفع عدد الرسل إلى ما يجاوز الخمسمائة وفق تحديد بولس للرسل ولشهود قيامة المسيح، وذلك في قوله: «سلمـت إليكم قبل كل شيء ما تسلمـته أنا أيضـاً؛ وهو أن المسيح مات من أجل خطايانـا كما ورد في الكتب، وأنه قـبر، وقام في اليـوم الثالث كما ورد في الكتب. وأنه تـراءى لصخر، فالاثني عشـر، ثم تراءى لأكثر من خمسمائة أخ معاً، لا يزال معظمهم حياً، وبعضهم ماتوا، ثم تراءى ليعقوب، ثم لجميع الرسل، حتى تراءى آخر الأمر لي أيضاً أنا السقط، ذلك بأني أصغر الرسل»[٤].

---

(١) متى (٢٨ / ١٨ ـ ٢٠)، مـرقس (١٦ / ١٤ ـ ١٥)، لوقا (٢٤ / ٤٨ ـ ٥٠)، يوحنا (٢٠ / ٢١) أعـمال الـرسل (٢ / ١ ـ ١٣) إلى جانـب المواضع المشار إلـيهـا عند الحـديث عن قـوائم الرسل وأسمائهم.

(٢) لوقا (٤ / ١٦ ـ ٣٠)، أعمال الرسل (٢ / ١ ـ ١٨).

(٣) أعمال الرسل (١ / ٢٢، ٢ / ٣٢، ٣ / ١٥، ٤ / ٢٠، ٨ / ٢٥، ١٠ / ٣٩ ـ ٤٢، ١٣ / ٣١ وما بعدها).

(٤) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٥ / ٣ ـ ٨).

د ـ جوهر الدعوة:

ظهر يوحنا المعمدان في برية اليهودية ينادي بدعوته التي ورثها المسيح، قائلاً: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات»[١].

فأخذها عنه المسيح وبدأ دعوته ـ كما يحكي متّى ـ منادياً: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات»[٢]. وكان يسير في الجليل كله يعلّم في المجامع ويعلن بشارة الملكوت[٣].

وحينما أرسل رسله حدد لهم في خطاب التكليف طبيعة المهمة التي انتدبهم لها، وألزمهم عدم تجاوزها. يقول متى: «وأوصاهم. قال: لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل، وأعلنوا في الطريق أن قد اقترب ملكوت السموات»[٤].

لكن الرسل خالفوا وصية المسيح بعدم التبشير بين الأمم، ولم يكتفوا بتوسيع مجال الدعوة وإخراجها من دائرة دعوة لليهود إلى رسالة عالمية، بل غيّروا طبيعة التكليف الذي تلقوه وجوهر رسالة المسيح، وهو «الدعوة للتوبة والتبشير باقتراب الملكوت»، وراحو يروجون لمذهب جديد يلخصه بولس في قوله: «أذكركم أيها الإخوة البشارة التي بشرتكم بها، وقبلتموها ولا تزالون عليها ثابتين، وبها تنالون الخلاص إذا حفظتموها كما بشرتكم بها، وإلا فقد آمنتم باطلاً. سلمت إليكم قبل كل شيء ما تسلمته أنا أيضاً، وهو أن المسيح مات من أجل خطايانا كما ورد في الكتب، وأنه قبر، وقام في اليوم الثالث

(١) متى (٣ / ٢).

(٢) متى (٤ / ١٧).

(٣) متى (٤ / ٢٣).

(٤) متى (١٠ / ٥ ـ ٧)، لوقا (١٠ / ٩ ـ ١١).

كما ورد في الكتب»[1].

وبذلك يكون الرسل قد أقاموا الكنيسة، وأسسوا الجماعة المسيحية على غير ما أراد المسيح، بل يمكن القول: إنهم أنشئوا دعوة جديدة غير رسالة الملكوت التي بشر بها المسيح في الإنجيل.

وقد عبر أرنست رينان عن ذلك في عبارته الساخرة: «بشّر المسيح بملكوت الله، فجاءت الكنيسة» [2].

وبدافع من هذه الاضطرابات والشكوك التي تكتنف قضية الرسل فإن العقلانيين قد سبقوا رينان إلى القول بعدم تاريخية الرسل، وأرجعوا السبب في وجودهم إلى كتّاب العهد الجديد الذين نسجوا قصصهم وحكاياتهم على غرار تلاميذ إيليا وإليشاع[3].

الفئة الثانية: الأنبياء

وهم الذين يبشرون ويدعون إلى انتظار حلول مملكة الرب، ويفسرون العلامات السابقة على قدوم المنتظر، وينظرون إلى المستقبل فيتمكنون من كشف الأحداث الآتية بمساعدة الروح القدس[4]. ومن مهامهم أيضاً إقامة وقيادة شعيرة الصلاة في الكنيسة[5].

وهم يتحدثون باسم الروح كنواب لله في الأرض لكنهم لا يحوزون سلطة

(١) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٥ / ١ ـ ٤).

(٢) يوسف الحداد / تاريخ المسيحية / ص: ٥٥٣.

(3) A . Schweizer , Geschischte der Leben - Jesu - Forschung , S : 119 .

(4) Heinrich Kraft, Von Ende der urchristlichen Prophetie, S , 168 - 169 . in : Supplements to Novum Testamentum Volume XLV,.

(٥) السابق ١٧٠ .

التفـويض المطلق كأنبـياء العـهد القـديم، إذ هم كغـيرهم من المعمّـدين الذين بإمكانهم الطموح إلى النبوة[١].

ولا يعرف على وجه التـحديد تاريخ بداية عمل الأنبياء في العـهد الجديد، وإن كان النصف الثاني من القرن الثاني يقترح كـتاريخ لاختفاء وظيفة النبي من الجماعة المسيحية[٢].

وهذا التاريخ هو المواكب لتـاريخ وفاة ماكسـيميللا Maximilla آخر نبيات المونتـانسـتيـة، تلك الحـركـة النبوية التـي ظهرت حـوالي عـام ١٦٠م على يد مونتانوس في آسـيا الصغرى، والذي اعـتقد أنه الباراقليط المبـشر به في إنجيل يوحنا (١٤ / ١٦)، ودعـا هو ونبياته الأخـريات بريسكا Priska، بريسـللا Priscilla إلى مغـادرة المدن واللجوء إلى جبل بيبـوتسا Pepuza في فريجين Phrygien حيث حلول أورشليم السـماوية وعودة المسيح، والتي معـها ينتهي العالم، وذلك عقب وفاة ماكسيمللا التي تعد موعداً نهائياً متنبأ به لبدء أحداث نهاية العالم[٣].

ويرجع ارتباط هـذا التاريخ بنهاية النـبوة في المسيـحية، لكونـه يمثل إعلاناً بإخفاق فكرة عودة المسـيح ونهاية العالم الوشيكة، والتي قامت وظيـفة الأنبياء على الاحتفاظ بها حية يقظة[٤].

وتجدر الإشارة إلى عدم وجود مقـاييس حقيقية، ومعايير موضـوعية للتفرقة بين الأنبياء الحقيقيين والكذبة في العهد الجديد، فالنص الوحيد الذي بين أيدينا

(1) Gerhard Friedrich, Die Propheten und Prophezeien in N. T, S : 850. in : Th. W. NT .

(2) Heinrich kraft, Von Ende der urchristlichen Prophetie, S : 184 .

(3) Karl Heussi, Kompendium der Kirchengeschichte, S : 56 - 57,.

(4) H . Kraft, Vom Ende der urchristlichen Prophetie, S : 176 .

من كتاب «الديداكي» والذي يعـرض للتفرقة بين الكاذب والحقيـقي من الأنبياء لم يقدم لنا سوى أسلوب حياة النبي كمعيـار وحيد لمحاولة التفرقة بين الصدق والكذب في دعوى النبوة.

يقول النص: «لا تضع النبي الذي يتحدث باسم الروح على محك الاختبار ولا تصدر عليـه حكماً؛ لأن كل الذنوب تغـتفـر إلا ذنباً كهـذا. ليس كل من يتحدث باسم الروح نبـياً، لكنه من يعيش حسب تعليمـات السيد (Kyrios)، فعلى هذا المحك يمكن التفرقة بين الحقـيقي والزائف من الأنبياء. وليس نبياً من يطلب وجـبة طعـام باسم الروح. ثم يأكل منهـا، من يفـعل ذلك فليس بنبي حقيقي، بل نبي كاذب.

كل نبي يعلّم الحـقيقـة ولا يفعل مـا يعلّم، فإنه نبي كـاذب. كل نبي أمين صادق يعيش وفق سـر الكنيسة الأرضي، لكنه لا يأمر بمحاكـاة صنيعه، فليس عليكم أن تحكموا عليه؛ لأن مرجعه إلى الله. فهكذا صنع قدامى الأنبياء.

لكن من يقول باسم الروح أعطوني مالاً أو شيئاً آخر، فلا تسمعوا له، لكن إن قـال: يجب على المرء أن يعطي هذا المال لأشـيـاء أخـرى، فليس لكم أن تحاكموه» [1].

ولا يقتصر الأمـر على عدم وجود معايير للتـفرقة بين الصادق والكاذب من أدعياء النبـوة في العهد الجديد، بل إننا نعدم أية إشارات عن أسلـوب استدعاء وتعيينهم الأنبياء لتلقي الوحي وإعلانه، باسـتثناء دعوة بولس المسيحيين للسعي والتطلع والـطمـوح إلى النبـوة[2]، والتي تنال بوضـع يدي الرسـول على من

(1) Die Didache , Erklaert von : Kurt Nieder Wimmer, S : 217,

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٤ / ١ ـ ٢، ١٢ ـ ١٤، ٣٩).

يختاره كما يقص سفر أعمال الرسل: «فلما سمعوا ذلك اعتمدوا باسم الرب يسوع، ووضع بولس يديه عليهم، فنزل الروح القدس عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون»[١].

وبالإضافة إلى مشكلة الأنبياء الكذبة في العهد الجديد، تبرز مسألة نبوة النساء، إذ يشير العهد الجديد إلى وجود نبيات من النساء إلى جانب نبيات المونتانستية اللاتي سبقت الإشارة إليهن[٢].

ومشكلة نبوة النساء في المسيحية ترجع إلى أن المرأة تحتل في المسيحية مكانة دونية، فهي مجرد وعاء لممارسة الجنس وإفراغ الشهوة، إلى جانب النظرة المسيحية التقليدية لها كشيطان أغوى آدم وأخرجه من الجنة، وقدراتها العقلية لا تسمح بتأهيلها للجاد من الأمور فضلاً عن عظائمها كالنبوة.

فكيف لها أن تقوم بمهام وأعباء النبوة وهذا شأنها؟ وكيف يمكنها إعلان كلمة الوحي وهي مأمورة بلزوم الصمت في الجماعات؟ يقول بولس: «ولتصمت النساء في الجماعات شأنها في جميع كنائس القديسين، فإنه لا يؤذن لهن بالتكلم. وعليهن أن يخضعن كما تقول الشريعة أيضاً، فإن رغبن في تعلم شيء، فليسألن أزواجهن في البيت، لأنه من غير اللائق أن تتكلم في الجماعة»[٣].

وكيف تستطيع كنبية قيادة الجماعات وهي غير القادرة على تزعُّم الرجل؛ لأنها دونه بحكم طبيعتها؟ كما يقول بولس: «وعلى المرأة أن تتلقى التعليم وهي صامتة بكل خضوع، ولا أجيز للمرأة أن تُعلِّم ولا أن تتسلط على

(١) أعمال الرسل (١٩ / ٦).

(٢) يذكر العهد الجديد من النبيات: حنة بنت فنوئيل (لوقا ٢ / ٣٦)، بنات فيلبس الأربع (أعمال الرسل ٢١ / ٩) ويشير إلى وجود نبيات كاذبات، مثل إيزابل (رؤيا يوحنا ٢ / ٢٠ ـ ٢٣).

(٣) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٤ / ٣٤ ـ ٣٥).

الرجل، بل تحافظ علـى السكوت. فإن آدم هو الذي جبل أولاً وبعـده حواء. ولم يغو آدم، بل المرأة هي التي أغويت فوقعت في المعصية»[1].

بل كيف تقود المرأة الرجل، وهي التي خلقت لأجله، وواجبها الخضوع له؟ كمـا يرى بولس: «ولم يخلق الرجل من أجل المرأة، بل خلقت المرأة من أجل الرجل؛ لذلك يجب على المرأة أن يكون سلطة على رأسها من أجل الملائكة»[2].

وكيف تنال المرأة درجة النبوة، وهي التي حرمت عليـها الكنيسة الكاثوليكية درجة القـسوسيـة؟ بل منعت المرأة من الجلوس على كرسـي الأستاذية بأقـسام العقيدة بكليات اللاهوت الكاثوليكي[3]؟!!

الفئة الثالثة: المعلمـون

على الرغم من الأهمية الكبرى التي تمثلها وظيفة المعلم في المسيحية لتعلقها بأمور حـياتية واعـتقادية كثـيرة[4]، إلا أننا لا نعرف إلا القـليل جداً عن هذه

(١) الرسالة الأولى إلى طيموثاوس (٢ / ١١ ـ ١٤).

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١١ / ٩ ـ ١٠).

(٣) راجع مشكلة الدكتـورة: تيريزا برجر Teresa Berger، التي قبلتهـا جميع الجمـاعات الألمانية. كأستاذة بكليات اللاهوت، إلا ان الفاتيكان رفض الموافقة على تعـيينها أستاذاً لأحد الكراسي بأقسام كليات اللاهوت؛ لكونها امـرأة، ويبدو لي أن مصدر رفض الفاتيكان لتعيـينها راجع إلى الخوف من تجديد مـشكلة «لاهوت المسيح الأنثـوي» وذلك بتكرار تجربة النبـية بريسكا Priska التي ادعت أن المسيح قد ظهـر لها في هيئة امرأة ومنحهـا الحكمة، وأوقفها على مكان المدينة الجديدة التـي سيهبط إليها من السماء.

وفي مشكلة الدكتورة تيريزا راجع:

Publik - Forum, NR . 15 - 12, August 1994 (Report) .

H . Kraft, Die alt kirchliche Prophetie, S : 262 .

(4) F.Hahn, Urcristliche und neutestamentliche Theologie . Exegetiche und Fundamentaltheologiche Ueberlegungen zum Problem christlicher Lehre . in: Die Theologie und das Lehramt (Q D 91) . S . 92 .

الطائفة، بل يكـاد هذا القليل ينحصر في كـون المعلم هو الذي يتمـيز بمعرفـته الفائقة بالكتب المقدسة وتفسيرها، ومهمته هي استخراج وتوضيح وبيان شواهد العهد القديم وبشـائره بقدوم المسيح وبرسالته، وقيادة شـعيرة الصلاة في بعض الأحيان[١].

أما عن زمن بدء وظيفـة المعلم، ومن الذي يُقيمُه، وما علاقـته بالرسول أو النبي؟ فلا نكـاد نعرف عن ذلك شيـئاً اللهم إلا إشـارة بولس إلى أن الرسول يضطلع بمهام المعلم أيضـاً، وذلك في قوله: «وكشف عنها الآن بظـهور يسوع المسيح الذي قـضى على الموت وجعل الحيـاة والخلود مشرقين بالبـشارة، وإني أقمت لها داعياً ورسولاً ومعلماً»[٢].

ويشيـر العهد الجديد إلى المعلمـين الكذابين الذين يهددون مسيـرة الدعوة، لكنه لا يذكر شيئـاً عن كيفية التفرقة بين المعلم الكاذب والمعلم الحـقيقي؛ يقول مؤلف رسـالة بطرس الثانية: «وكـما كان في الـشعب أنبيـاء كذابون، فكذلك يكون فـيكم معلمـون كـذابون يحدثون بدعـاً مهلـكة، وينكرون السيـد الذي افتداهم، فيجلبون لأنفسهم هلاكاً سريعـاً، وسيتبع كثير من الناس فواحشهم، ويكونون سبباً للتجديف على طريق الحق»[٣].

وفي نهاية الحديث عن مراتب النبوة في المسـيحية تجب الإشارة إلى أن هناك جماعات وفئات وطوائف أخرى من الحاصلين على عطايا وهبات الروح القدس والمتحـدثين باسمـه مثل: الشيـوخ، الرعاة، المبـشرين، التلامـيذ، السـبعين، السبعة، المتكلمين باللغات، أصحاب مواهب الشفاء والإسعاف وحسن الإدارة،

(1) H . Kraft , Von Ende der urchristlichen Prophetie, S : 168 - 169 .

(٢) الرسالة الثانية إلى طيموتاوس (١ / ١١).

(٣) رسالة بطرس الثانية (٢ / ١ ـ ٢).

أصحاب المعجزات، المترجمين، المميزين ما بين الأرواح، الحكماء.

إلا أن هذه الفئات والجماعات لا تدرج في مراتب النبوة؛ لكونها ـ كما يقول داوتسنبرج Dautzenberg ـ لا تشكل الأساس الذي بنيت عليه الكنيسة[1].

وهذا يؤكد أن المعيار الحاكم في تعيين مراتب النبوة ليس هو الوحي والإلهام، بل هو عملية تنظيمية خالصة من قِبل الكنيسة.

* * *

(1) Dautzenberg , Prophetie in urchristlichen Gemeinde, S : 153 . Bibel U. Kirche, Heft 4 / 4 1983 .

الفصل الثاني

الكتـــاب المقـــدس

الكتاب المقدس ليس هو كلمة الله.

يوهان سملر

ترى الكنيسة أن الكتاب المقدس المسيحي ليس كتاباً فيه كلام عن الله، بل هو كلام الله، وأن الله هو المؤلف الحقيقي له لفظاً ومعنى، أما من قاموا بتسطيره، فبمثابة الكتبة الذين كانوا كَدُمَى في يد الروح القدس على حد تعبير توما الإكويني[1].

كما أنه كتاب غير قابل للمساس أو الخطأ، إذْ إنه حتى حروفه وعلامات ترقيمه كما يرى مارتن لوتر، وكما أعلن مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م وحي مُوحَى[2].

ليس ذلك فقط، بل إن كل الأعمال المصاحبة لنشأته وتدوينه وتحريره منذ تداوله مشافهة حتى مطالعته مطبوعاً هي أيضاً وحي[3].

وتنسحب هذه القداسة لا على جزء بعينه من أجزاء الكتاب، بل على جميع أسفار الكتاب بأكملها، إذ كما يقول بولس: «فكل ما كتب هو من وحي الله»[4].

وقد تجسد هذا الفهم والاعتقاد المسيحي ليس في هيئة قرارات من مجامع كبار رجال الكنيسة فقط، بل في التيار الفني الذي واكب عصر التنوير الأوربي

(1) Henri Denzinger, Kompendium, S : 1256 - 1257 .

- TRE (6 / 19 - 20 , 57) .

- Lixikon der katholischen Dogmatik, S : 289 .

(2) TRE (17 / 566) .

- Lixikon der kath. Dogmatik, S : 290.

(3) Lixikon der Kath. Dogmatik, S : 290 .

(٤) رسالة بولس الثانية إلى طيموتاوس (٣ / ١٦).

في شكل أيقونات ولوحات فنية تصور اتصال الروح القدس المباشر بكتاب أسفار الكتاب المقدس وإلقاء الوحي إليهم[1].

فهل تنطبق شروط ومعايير الكتب الإلهية التي أشرنا إليها في الباب الأول على الكتاب المقدس المسيحي، مما يجعله جديراً بأن يكون كتاباً إلهياً ووحياً يستدل به على النبوة في المسيحية؟

ذلك ما ستتبينه عندما نفحص الكتاب بعهدية القديم والجديد، وذلك على النحو التالي:

أولاً: العهد القديم

تلقت الكنيسة العهد القديم بالقبول والتصديق كوحي إلهي وكلمة الرب خطها إما بيده كما في الوصايا العشر، أو خطها موسى والأنبياء كما في التوراة وكتب الأنبياء، أو خطها رجال ملهمون بفعل تأثير الروح القدس كما في بقية الأسفار، وذلك على النحو الذي وضحناه في الباب الأول عند الحديث عن العهد القديم في اليهودية.

ولم يكن بالغريب أو المستنكر أن تقبل المسيحية العهد القديم بادىء الأمر كوحي تستمد منه ضوابط للحياة وتسن من شريعته القوانين واللوائح، وتبني عليه أساس الاعتقاد والإيمان، فالمسيحية بدأت كنِحلة أو طائفة يهودية مؤسسها يهودي عاش وفق قوانين توارة إسرائيل وإخوتهم من الأنبياء من آل إبراهيم ونوح وآدم ممن اصطفى الله برسالته.

لكن ما يثير التساؤل حقاً هو احتفاظ الكنيسة بالعهد القديم على الرغم من انسلاخها من عباءة اليهودية، وإعلانها المسيحية ديناً عالمياً مستقلاً خلاصياً،

(١) انظر ملحق رقم (٥).

وبالتالي إبطال مـفعول العـهد القديم، وتفريغـه من مضمـونه، وذلك بتعطيل شريعته وإلغائها، وفتح باب التبشير بين غير اليهود، ذلك التغيير الذي تكفل به بولس، وفرضه في مجمع الرسل بأورشليم(١)؟!!.

بل إنه طالب في رسالتـه إلى أهل غلاطية بوجـوب أن يكون الإنجيل الذي يبشر به بين الوثنيين ليس فقط حراً من العهد القديم، بل صريح العداء له(٢).

وقد تبني مرقيون الذي ـ لم ير نفسـه إلا تلميذاً مخلصاً لبولس(٣) ـ تكريس مهمـة تحرير المسيحيـة من العهد القديم؛ لأنه رأى فيـه روحاً تختلف عن روح العهد الجديد.

كما أن العهـد القديم لم يبين على وجه الدقة ما الذي سيحـققه المسيح من نبوءاته(٤).

إلا أن الكنيسـة أصرت على الاحتـفاظ بالعـهد القديم، فـهل كان الحق مع بولس ومرقيون أم مع الكنيسة؟

ولابد أن يصـاحب الإجابة عن هذا السـؤال طرح سـؤال آخر: هل توجـد عقيدة لا يترتب عليها عمل: واجبات ولوازم، أوامر، ونواهٍ، كما تريد الكنيسة من الاحتفاظ بالعهد القديم دون شريعته؟

---

(١) أعمال الرسل (١٥ / ١ ـ ٣٠).

(2) Adolf von Harnack, Marcion, S : 36 - 37 ,.

(3) Adolf von Harnack, Marcion, S : 40 .

ويرجع هارناك ميلاد مـرقيون إلى عام ٨٥ م في سينوبي إحـدى المدن اليونانية التجـارية الهامة على الساحل الجنوبي للبـحر الأسود، وهو لم يكتف كـما فعل بولس بإبطال شـريعة العهـد القديم، بل طالب بالتخلص من أسره كلية ونهائياً، وكذلك التخلص من رب العهد القديم أيضاً، انظر:

Adolf von Harnack, Marcion, S : 21 - 22 .

(4) Adolf von Harnack, Marcion, S : 64 , 216 .

وهذا يقودنا ضرورة إلى البحث وراء الأسباب الحقيقية التي دفعت الكنيسة إلى هذا المسلك المتناقض الذي يهدم دعوى وحي العهد القديم، إذ كيف تكون الوصايا العشر كلاماً إلهياً خطه الله بنفسه، ثم تنفي الكنيسة صلاحيته وجدواه؟

وتنقسم هذه الأسباب إلى: أسباب معلنة، تتمثل في قبول المسيحية العهد القديم بسبب توحيدها بين إله إسرائيل وأب المسيح (الآب) الذي أعلن عن نفسه في الماضي بوساطة الأنبياء، وأخيراً في ابنه المسيح، وذلك كما يظهر من قول مؤلف الرسالة إلى العبرانيين: «إن الله. بعدما كلم الآباء قديماً بالأنبياء مرات كثيرة بوجوه كثيرة، كلمنا في آخر الأيام هذه بابن جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالمين» [(١)].

ويوضح الأستاذ إبراهيم مطر ذلك بقوله: «قَبِل المسيحيون الأوائل أسفار العهد القديم ككلام وحي من الله، وعندما كتبت أسفار العهد الجديد ضمَّت إلى أسفار العهد القديم، لتؤلف هذه الأسفار بمجموعها الكتاب المقدس الذي هو بين أيدينا الآن، ويربط شخص المسيح الفادي جزئي هذا الكتاب الإلهي، جاعلاً من أسفاره الستة والستين وحدة حقيقية تامة، فالمسيح هو الشخصية الرئيسة في التاريخ الإنساني وفي صفحات الكتاب» [(٢)].

أما الأسباب غير المعلنة فتتمثل في الحاجة العقائدية الملحة إلى البحث عن شواهد ومسوغات لدعاوى المسيحية التالية: ـ

١ ـ عيسى هو المسيح المنتظر

راحت الكنيسة تتصيد آيات العهد القديم التي تخبر بقدوم المنتظر، وتستخدمها كشاهد ونبوءة على مجيء عيسى المسيح.

---

(١) الرسالة إلى العبرانيين (١ / ١ ـ ٢).

(٢) إبراهيم مطر / النبوة والأنبياء / ص: ٢٨ / مكتبة المشعل الإنجيلية بيروت ١٩٥٨ م.

٢ ـ التجسد

أنزل العـهد القـديم الإله من السمـاء إلى الأرض، فـألبس الألوهية ثيـاب البشرية، وجعل الإله يأكل ويشرب، يجـوع ويعطش، يصارع ويحارب، يتخذ من بني إسرائيل الذرية والبنين.

فوجدت الكنيـسة فيه خير شاهـد وأفضل دليل، يقول إبراهيم مطر: «وفي الكتاب المقدس لا سواه نجد الله يقتـرب من الإنسان في يسوع المسيح، والعهد الجديد ليس وحده كتـاب المسيحية، فإن الموضوع الـرئيس في العهدين واحد؛ ألا وهو الرب يسوع الإله المتجسد»[١].

٣ ـ الصلب والفداء

لما كان العهد القديم يكرس الخطيئة في البشر ويعممها، فيجعل جميع البشر خطأة مذنبين آثمين؛ بدءاً من آدم ومـروراً بالأنبياء الذين نسب إليهم مـا يترفع عنه أحط البشـر من رذائل أخلاقية ودينيـة، وجد النصارى في ذلك مـخرجاً، ومسوغـاً لعقيدة صلب المسـيح؛ فداء لخطيئة البـشر؛ وتكفيراً عنهم؛ وتـطهيراً لهم؛ وتخليصاً لأرواحهم.

٤ ـ الجماعة المسيحية هي الشعب الحقيقي المختار من الله

وفي هذا الشأن قـامت المسيحية بـأخذ رموز العهد القـديم مع إجراء بعض التعديل عليها [٢]:

- فأحلت محل الأضحية اليهودية موت المسيح على الصليب كرمز للخلاص.
- وبدلاً من الختان أصبح التعميد علاقة الانتماء للجماعة.
- مكان الخنزير جعلت النجاسة تنحسر في ما يخرج من الفم من أقوال باطلة.

(١) إبراهيم مطر / النبوة والأنبياء / ص: ٢٧.

(2) Schmidt, Einfuhrung in das A . T , S : 340 .

ويقودنا النظر في مجمل هذه الأسباب إلى أن تقديس المسيحية للعهد القديم لا يرجع على الإطلاق إلى كونه وحياً أو إلهاماً؛ لأن الكنيسة نفسها أقرت في الجلسة الثامنة للمجمع الثاني للفاتيكان أن العهد القديم يشوبه عدم الكمال، وبعض الأمور الوقتية التي لا تصلح إلا في زمن مضى(١).

وهذا الإقرار وإن كان أقل مما طالب به هارناك في عبارته الشهيرة: «إن الدعوة إلى نبذ العهد القديم في القرن الثاني الميلادي كان خطأ تجنبت الكنيسة الوقوع فيه. أما قرار الاحتفاظ به في القرن السادس عشر، فكان قدراً لم يستطع الإصلاحيون الفكاك منه بعد، لكن الإبقاء عليه اعتباراً من القرن التاسع عشر، فنتيجته شلل ديني وكنسي» (٢).

فإذا أضفنا إلى كل ذلك موقف المسيحية من تقنين العهد القديم، لتأكد لنا أن معيار قبوله والاحتفاظ به لم يكن الدافع إليه قط الوحي أو الإلهام، وذلك يظهر من خلال الوقوف على:

١ ـ أسباب التقنين

وهذه يعود بها هارناك Harnacr إلى صراع الكنيسة ضد مرقيون، الذي أعلن أن تصريح المسيح بأن الابن وحده هو الذي يعرف الأب يعني أن كل السابقين له دعاة كاذبون ومزيفون، فعمدت الكنيسة إلى تبني نقيض مقولته بتقنين أسفار أولئك الكاذبين والمزيفين في نظر مرقيون، وسبغ القداسة والإلهام عليها(٣).

(1) Heinrich Denzinger , Kompendim der Glaubensbekentnisse und kirchlichen Lehrentscheidungen , S :1259 .

(2) Adolf von Harnack, Marcion, S : 284.

(3) Adolf von Harnack, Marcion , S : 31 .
- TRE , 6 / 23 .

وهذا الاتجاه الذي أرساه هارناك لا زال سائداً حتى اليوم، ليس له مَرَدٌّ أو داحض.

٢ ـ مراحل تكوين القانون

تلقت المسيحية كتابات العهد القديم بالتقديس، لكن ليس كقانون يضم قائمة محددة من الكتب المقدسة، إذ تحوي أسفار العهد الجديد اقتباسات من أسفار غير مقننة في كتابات العهد القديم[١].

ولقد ظل قانون العهد القديم في كتاب المسيحية المقدس مفتوحاً قرابة ثلاثة قرون من الزمان، وأول محاولة لوضع قائمة له وتثبيتها قام بها ميلتو الساردیسي Melito von Sardes تلك المحاولة التي كانت الدافع وراء رحلته إلى فلسطين في النصف الأخير من القرن الثاني [٢].

وقد أورد في قائمته اثنين وعشرين سفراً من أسفار العهد القديم بوصفها كتباً موحي بها [٣].

أما أوريجينيس Origenes أوائل القرن الثالث، فقد بحث عن القانون في الترجمة السبعينية.

فلما انعقد مجمع نيقية ٣٢٥ م لبحث مسألة الكتب القانونية إلى جانب البت في ألوهية المسيح، قرر إضافة سفر يهوديت إلى قائمة ميلتو الساردیسي.

وبانعقاد مجمع لوديسيا Lodicea عام ٣٦٤ م أضاف المؤتمرون سفر أستير

(١) انظر مثلا: رسالة قورنتس الأولى ٢ / ٩، إنجيل يوحنا ٧ / ٣٨، رسالة يعقوب ٤ / ٥، رسالة يهوذا الآية ١٤ وما بعدها.

(2) TRE . 6 / 27 - 28 .

(٣) هي تلك القائمة التي أوردها يوسفس، والتي كانت معروفة في فلسطين إلى جانب القوائم الأخرى التي فصلنا القول فيها في الباب الأول لدى البحث في قانونية العهد القديم عند اليهود.

إلى قائمة الكتب المقدسة كسفر قانوني موحى به.

ولم تكد تمضي سنوات ثلاث على قرار مجمع لوديسيا حتى أحصى أثناسيوس Athanasius في خطاب الفصح سبعة كتب كاملة هي (يهوديت، طوبيا، باروخ، الحكمة، يشوع بن سيراخ، المكابين الأول، المكابين الثاني) والأجزاء التي زادتها الترجمة السبعينية على سفري دانيال وأستير، بوصفها كتباً لتقوية الإيمان زيادة على القانون العبري ذي الاثنين والعشرين كتاباً.

وقد تبنت المجامع الثلاثة المعروفة بالمجامع الإفريقية ـ بسبب انعقادها في مدينة قرطاج عام، ٣٩٣م، ٤١٩ م ـ قائمة إثناسيوس كقانون لكتب العهد القديم المقدسة، وأطلقت على هذه الأسفار السبعة الزائدة اسم القانونية الثانية، بعد إلحاق سفر باروخ بكتاب إرميا كمتمم له باعتباره كاتبه وتلميذه.

وفي الغرب أعلن البابا إينوتسنس[١] Innozenz عام ٤٠٥ م تبنيه قائمة أثناسيوس، ثم أقرها فيما بعد مجمع فلورينس Florenz عام ١٤٤٢، وثبتها مجمع ترينت Trient عام ١٥٤٦م[٢].

٣ ـ صور القانون

تميز موقف الكنائس المسيحية المختلفة من قانون العهد القديم ليس فقط بعدم

(١) راجع مراحل تقنين أسفار العهد القديم في المسيحية لدى:

- TRE . 6 / 5 , 25 - 28 .

- Lexikon der katholischen Dogmatik, S : 298 - 301 .

(٢) على الرغم من تصنيف أثناسيوس في هذا الخطاب للأسفار السبعة وزيادات سفر دانيال وأستير ككتب ينصح بقراءتها لتقوية الإيمان، فإنه يورد هذه الكتب ومعها سفر عزرا الثالث ككتب الهامية موحاة. وذلك في موضع يفرق بين الأسفار الإلهامية الموحاة وبين غير إلهامية.

Jeon Ruwet , Le Canon alexandrin des ecritures, Saint Athanase .

الوضوح، بل بالتعارض والتضارب[1]؛ فالكنائس ذات الصلة الوثيقة بالجماعات اليهودية قد تبنت القانون العبري في قوائمها كما يظهر من قائمة ميلتو الساردیسي، وإيرينوس Irenaeus، ومن ترجمات العهد القديم المنقولة مباشرة من العبرية إلى السريانية دون المرور باليونانية تلك القوائم التي وجدت مدافعين عنها طوال العصور الوسطى حتى تبناها البروتستانت بصورة نهائية على يد مارتن لوثر.

أما الكنائس غير وثيقة الصلة بالجماعات اليهودية، فقد سلكت مسالك متعددة تختلف باختلاف البيئة الفكرية والإطار اللغوي الذي نشأت فيه، فالكنائس اليونانية تبنت قانون السبعينية كما يظهر من قائمة أوريجنس. وتضمنت قوائم كنائس روما، وشمال إفريقية ـ كما تشهد على ذلك مجامع قرطاجنة ـ الأسفار القانونية الثانية مع إدماج سفر باروخ في إرميا. وبقيت الكنائس الشرقية الناطقة باليونانية دون تنظيم نهائي أو قرار شرعي.

ويجمل أن نلخص الموقف النهائي للكنائس المختلفة من ما يسمى بالأسفار القانونية الثانية التي تشملها الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولجاتا Vulgata، التي قام بها جيروم عام ٤٠٤ م، وهي أسفار: (يهوديت، طوبيا، باروخ، الحكمة، يشوع بن سيراخ، المكابين الأول، المكابين الثاني، الأجزاء التي زادتها السبعينية على سفري: دانيال، أستير)، وذلك في الجدول التالي:

---

(١) راجع:

- TRE, 6 / 25 - 28 , 19 / 605 .

- Lexikon der katholischen Dogmatik, S : 228 - 301 .

أبا البركات المعروف بابن كبر / مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة بتحقيق سمير خليل. القاهرة ١٩٧١م.

الكنيسة	الموقف النهائي من الأسفار القانونية الثانية يهوديت، طوبيا، باروخ، الحكمة، يشوع بن سيراخ، المكابين الأول، المكابين الثاني، الأجزاء التي زادتها السبعينية على سفرى: دانيال، استير
البروتستانتية	هي أسفار غير إلهامية، ولا تصلح لبناء الاعتقاد.
الأرثوذكسية	هي أسفار غير إلهامية حتى تاريخ انعقاد مجمع القدس عام ١٦٧٢م، الذي أبقى على أسفار: باروخ والمكابين الأول والثاني كأسفار غير إلهامية، وقبل إلهامية بقية الأسفار.
الكاثوليك	هذه الأسفار وحي وإلهام، يبني الاعتقاد وينظم الجماعة.
الأقباط	أسفار إلهامية، ويضاف إليها سفر المكابين الثالث.

ويكشف هذا الجدول عن أحكام مختلفة للكنائس، فهي تخلع على الأسفار القانونية الثانية، بل وغيرها مثل سفر المكابيين الثالث، إما سلطة تساوي سلطة سائر الكتب المقدسة، وإما سلطة أقل، وإما لا وجود لأية سلطة قداسة على الإطلاق.

وهذه المواقف العلمية ترتبط بمواقف عقدية تتعلق بالوحي والإلهام:

فهل هذه الكتب شهود يعتمد عليها تماماً بأنها كلمة الله؟ أم أن هناك درجات في الإلهام نفسه؟ أم أن الجدال القائم حول بعض الأسفار يظهرها كأنها تشهد على كلمة الله بشكل ثانوي بقدر ما هي صدى للكتب المقدسة؟!!.

ثانياً: العهد الجديد

يقدس النصارى على اختلاف بين كنائسهم، إلى جانب أسفار العهد القديم ـ على النحو السابق تفصيله ـ مجموعة أخرى من الكتب التي نشأت رويداً رويداً عقب وفاة عيسى، وتدور حول حياته ورسالته وتعاليم أتباعه.

وقد أطلق على هذه المجموعة من الكتب اسم العهد الجديد؛ تمييزاً لها عن العهد القديم الذي تجاوزه حدث المسيح كمرحلة أخيرة في تاريخ الخلاص، اتخذت فيها العلاقات بين الله وشعبه طابعاً جديداً وشكلاً وإطاراً نهائياً.

وتستند هذه التسمية التي لم تستعمل إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي إلى قول بولس: «فهو الذي مكننا أن نكون خدم عهد جديد؛ عهد الروح، لا عهد الحرف؛ لأن الحرف يميت والروح يحيى» (١).

وقد استغرق تكوين العهد الجديد قرابة قرنين من الزمان، بدأت بتناقله شفاهة كروايات لأحاديث عيسى وأقواله من مصادر مباشرة أو غير مباشرة، أو كتبشير من الرسل الذين تحدث القائم من الموتى بلسانهم.

واستحوذ العهد الجديد منذ نشأته على سلطة ومرتبة تفوق سلطة العهد القديم، ويرجع ذلك الاختلاف بين أسلوب الإعلان في العهدين، ذلك الذي كان بوساطة الأنبياء في القديم، وبوساطة الابن في الجديد (٢).

وسوف نفحص العهد الجديد من زوايا ثلاث، نقف من خلالها على مدى صحة دعوى الإلهام والوحي في أسفاره، وذلك على النحو الآتي:

(١) الرسالة الثانية إلى قورنتس (٣ / ٦).

(2) TRE , 6 / 29 .

أ ـ القانون[1]

يعد البحث في نشأة قانون العهد الجديد وتكوينه من أعقد المشكلات العلمية، ويظل الجزء الأكبر والأعظم من هذه القضية بعد مرور عشرين قرناً من الزمان على نشأة المسيحية قيد ظلام دامس لا يبدد حلكته جهود آلاف العلماء والباحثين ومئات الآلاف من الكتب والمنشورات؛ إذ تحيط صعوبات: منهجية، ووثائقية، ومنطقية بجميع جوانب قضية قانون العهد الجديد، والتي تتمثل في:

١ ـ أسباب تكوينه

أول ما يخطر ببال الباحث في حقيقة الكتاب المقدس المسيحي هو التساؤل عن الدافع الذي حمل المسيحية على إدخال مجموعة كتب العهد الجديد، إلى قانون أسفارها المقدسة؟

وقد ظلت الإجابة على هذا السؤال عسيرة حتى أخريات القرن التاسع عشر، عندما احتدم الجدل الفكري بين تيودور تسان Theodor Zahn وأدولف هارناك حول نشأة العهد الجديد [2].

(١) سنعتمد في تناول مسألة القانون بصورة رئيسة على المصادر التالية، بالإضافة إلى ما يشار إليه في موضعه سواها:

- Bruce Metzger, Der Kanon des N . T,.
- E . Kasemann (Hrsg) , Das N . T. als Kanon .
- TRE, 6 / 22 - 49 .
- Brevard S . Childs , the New Testament as Canon,.
- Henry Howorth, The Origin and Authority of the Biblical Canon accorrding to the Continental Reformers : Luther and Karlstadt, in : JTS 8 (1906-1907) 321- 365 .

(٢) انظر تفاصيل هذا الجدل في:

Adalf von Harnack, Das N . T um das Jahr 200,.
- Adolf von Harnack, Marcion.
- Theodor Zahn, Geschichte des neuitestamentlichen kanons,.
- Theodon Zahn Grundriss der Geschichte des neutestamentlichen kanons,.

ذلك الجدل الذي دار على أساس من الوثائق والمخطوطات واللفائف المكتشفة حينذاك، وألقى الضوء على ثلاثة من العوامل المسلَّم بها ـ من قبل الباحثين حتى اليوم ـ كدوافع دعت الكنيسة إلى تقنين أسفار العهد الجديد، وهي:

أولاً: مرقيون

إن مرقيون بإعلانه أن كتاب المسيحية الحق والموثوق به هو النسخة التي نقحها من إنجيل «لوقا»، بالإضافة إلى عشر رسائل منقحة من رسائل بولس (الرسائل التسع إلى الجماعات والكنائس السبع التابعة له، والرسالة إلى فيلمون) لا يكون مؤسساً لقانون العهد الجديد فقط، بل يعد الصانع الحقيقي لكتاب المسيحية المقدس، فقبله لم يخطر ببال كنيسة من الكنائس النص على جمع من الرسائل والأسفار ككتاب مقدس، وتعيينه لذلك.

وعلى ذلك، فإن الكنيسة، وإن كانت قد رفضت قانون كتابه المقدس، وأعلنت حرباً عليه فلعنته، إلا أنها أخذت فكرته وبنت عليها قانون الكتاب المقدس الخاص بها كسلاح لها في حربها ضده.

ثانياً: الغنوصية

إن الغنوصية، وإن كانت في الواقع منبعاً من منابع العهد الجديد والعقيدة المسيحية، إلا أنها أضحت خصماً لدوداً لها يشكل خطراً حقيقياً على وجودها، وذلك بتكوينها الفكري ونظامها العقائدي الذي أثمر رؤى ثلاثاً، رأت فيها الكنيسة نذيراً يوجب اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لمجابهة تلك الرؤى التي تمثلت في:

١ ـ رفض العهد القديم وتنحيته، أو على الأقل تفسيره تفسيرات خاصة لدى جماعات أخرى.

٢ ـ بشارة المسيح اختص بها المقربون من أخصائه.

٣ ـ ضُمِّنت هذه البشارة في عدد من الأناجيل بحوزة أتباع الغنوصية وهذه الأناجيل فقط هي مصدر الخلاص والحقيقة، وتدور أحداث هذه الأناجيل فيما بين فترة قيامة المسيح من بين الموتى حتى حين صعوده إلى يمين الأب، وتتضمن الأسرار التي خص بها المسيح أخصاءه.

ثالثاً: المونتانستية

من أكثر العوامل أثراً وفعالية في تكوين قانون العهد الجديد كانت المونتانستية، تلك الحركة النبوية الحماسية، التي لم تقتصر على نبذ بعض الأسفار المقدسة أو توسيع رقعتها كما هو الشأن لدى مرقيون والغنوصيين. لكنها نسبت لنفسها الحق في امتلاك الحقيقة وطريق الخلاص بالتلقي مباشرة من الروح القدس، الذي أوحى إلى أنبيائها البشارة الحقيقية المسجلة فيما بين أيديها من كتب ورسائل.

من ناحية أخرى شككت المونتانستية في أن يكون مصدر أدب الرؤى مما تمتلكه الكنيسة كرؤيا يوحنا وحياً إلهامياً، بل وقطع بعض روادها ببطلان الرسالة إلى العبرانيين. فدفع ذلك الكنيسة ـ بالطبع بالإضافة إلى العاملين السابقين ـ إلى السعي في تكوين قانون للأسفار المقدسة تحدد فيه الكتب التي تراها ذات سلطة دينية يجب التسليم بها.

٢ ـ معايير تقنين أسفار العهد الجديد

اختلفت معايير التقنين من كنيسة إلى أخرى ومن بيئة إلى أخرى، مما لا يمكن معه القطع التام بجدارة أحد المعايير عما سواه، كذلك لما تنضوي عليه هذه المعايير من عدم انضباط ودقة يقدح في عمومها، على ما سيستبين بعد فحص المعايير المقترحة كمقاييس لقانون العهد الجديد، وهي:

أولاً: المضمون العقائدي

ويقصد به موافقة محتوى الرسالة أو الكتاب لقانون الإيمان الكيرجماتي الذي ورثته الكنيسة عن الرسل بالإضافة إلى الموروثات العقائدية الأخرى.

لكن هذا المعيار وإن كان يفسر أسباب رفض إنجيل توماس مثلاً لنصه على أن بولس لم يسمع ما قال المسيح، وأنه يفعل مالم يقل، وأن ما يدور على الألسنة بشأن المسيح لا يعرفه عيسى، بل يؤكد الإنجيل على أن قصة صلب المسيح وقيامته من بين الموتى اختراع فلسفي متأخر [١].

إلا أنه لا يفسر أسباب تقنين رسالة يوحنا الثالثة وهي خطاب شخصي من يوحنا إلى صديق له، ذلك الذي لا يخلو فقط من أي مضمون عقائدي، بل من أية قيمة فكرية أو لغوية:

إذ يفتتحها بقوله: مني أنا الشيخ إلى غابس الحبيب الذي أحبه في الحق. أيها الحبيب؛ أرجو أن توفق في كل شيء، وأن تكون صحتك جيدة. كما أنك موفق في نفسك[٢].

ويختمها بقوله: عندي أشياء كثيرة أكتب بها إليك، فلا أريد أن أجعلها حبراً وقلماً، لكني أرجو أن أراك بعد قليل فنشافه بعضنا بعضاً.

السلام عليك. يسلّم عليك الأصدقاء. سلّم على الأصدقاء، كل واحد باسمه[٣].

وكذلك الشأن في خطاب بولس إلى صديقه فيلمون [٤].

(1) J. M . Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi fur die Heutige Theologie und das fruhe Christentum . Bamberg , 22.6.93. (Vortrag)

(٢) رسالة يوحنا الثالثة / ١ ـ ٢.

(٣) رسالة يوحنا الثالثة / ١٣ ـ ١٥.

(٤) راجع الرسالة إلى فيلمون.

ثانياً: رسولية المؤلف

لقد شُـدِّد على أهمية هذا المعـيار عند النظر إلى تقنين سِـفْرٍ ما من أسـفار العهد الجديد، لكن ذلك يبدو غريباً حينما يتأمل المرء قائمة أسفار العهد الجديد وهي تتضمن أعمالاً لكل من: بولس، مرقس، لوقا، يهوذا، ولم يكونوا على الإطلاق من رسل المسيح، بل إن الثلاثة الأول منهم لم يروا عيسى قط.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما ستتبينه بعد قليل، عند فحص سند العهد الجديد من أن أياً من كتب العهد الجديد لا يمكن نسبته إلى رسول من رسل المسيح باستثناء بعض رسائل بولـس الذي سحب الرسوليـة على نفسه ولم يـقلِّدها من أحد، لعلمنا مدى صعـوبة الأخذ بالرسولية كمـعيار لتقنين العهـد الجديد، كذلك لا يفسر لنا الأخذ بهذا المعيار أسـباب استبعاد إنجيل برنابا، الذي وإن لم يكن من الرسل إلا أنه كان نبياً من أنبياء العهد الجديد، ثُم عُين رسولاً.

٣ ـ مراحل تكوين قانون العهد الجديد

كي ندرك مدى أبعاد التطور الكبير الذي مرت به مراحل تكوين القانون التي تعد مرآة تنعكس فيها آثار تفاعلات عوامل ومعايير تكوين القانون، يلزم عرض فهرس بمصادر التراث الديني المسيحي التي تم انتقاء قائمة القانون من بينها.

ويضم هذا الفهرس الأقسام التالية من المؤلفات التي تم العثور عليها حتى الآن[(١)]:

١ ـ الأناجيل:

- متى.
- مرقس.

(١) راجع هذا الفهرس لدى:

Philipp Vielhauer , Geschichte der urchristlichen Literatur ,.

ـ لوقا.

ـ جمع من كلمات المسيح (Agrapha).

ـ توماس.

ـ إنجيل (مجهول المؤلف).

ـ بطرس.

ـ الناصريين.

ـ الإبيونير (Ebionaerevangelium).

ـ العبريين.

ـ المصريين.

ـ أناجيل الطفولة (إنجيل يعقوب الأول، حكايات الطفولة لتوماس).

ـ أناجيل أحاديث القائم من الموتى مع تلاميذه (إنجيل مريم، حكمة المسيح، كتاب توماس الأتلتن؟ Thomas dem Athleten Pistis Sophia هيئة الرسل Epistula Apostolorum، رسالة يعقوب).

ـ برنابا.

٢ ـ رسائل بولس:

ـ الأولى إلى تسالونيقي.

ـ الثانية إلى تسالونيقي.

ـ إلى غلاطية.

ـ الأولى إلى قورنتس.

ـ الثانية إلى قورنتس.

ـ الثالثة إلى قورنتس.

- إلى فيلبي.

- إلى فيلمون.

- إلى رومة.

- إلى قولسي.

- إلى إفسس.

- الرسائل الرعائية (الأولى إلى طيموتاوس، الثانية إلى طيموتاوس، الرسالة إلى طيطس).

- إلى العبرانيين.

- إلى نواديسيا.

- إلى الإسكندرية.

٣ ـ مؤلفات يوحنا

- الإنجيل.

- الرسائل (الأولى، الثانية، الثالثة).

٤ ـ أعمال الرسل

- لوقا.

- بطرس

- بولس.

- اندرياس.

- يوحنا.

- توماس.

٥ ـ قواعد تنظيم الجماعة والطقوس:

ـ سفر الديداكي.

ـ رسالة كليمنص الثانية.

ـ إنجيل الحقيقة.

ـ تراتيل سالوموس (Die Oden Salomos).

٦ـ الرؤى والمشاهدات:

ـ يوحنا.

ـ بطرس.

ـ الراعي هرماس.

ـ رؤيا صعود أشعياء إلى السماء (تكملة وتحوير لنص رؤوي يهودي قديم).

٧ ـ الرسائل:

ـ كليمنص الأولى.

ـ أغناطيوس الأنطاكي.

ـ بوليكارب السمرناتي Polykarp von Smyrna.

ـ يعقوب.

ـ بطرس الأولى.

ـ بطرس الثانية.

ـ يهوذا.

وقد مرت عمليـة انتقاء قائمة أسفار العهـد الجديد ـ من بين عشرات الكتب المشار إليها وغيرها مما سنشير إليه، واختيارها كقانون مقدس ـ بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى (مرحلة البدايات):

يمكن تسميتها «مرحلة القوائم» إذ يغلب عليها طابع المحاولات الجادة من قبل علماء المسيحية لوضع قائمة بالأسفار التي يغلب على ظن مؤلفيها أنها إلهامية، أو لأن الشائع بين الناس عنها أنها كذلك، وإما لأنها تتداول وتقرأ في محيط الكنائس الذي يسمع به المؤلف أو يعايشه.

وتتسم هذه القوائم بالاختلاف والكثرة، مما لا يمكن معه في مقامنا هذا بسطها جميعاً، لكن سيكتفى بتقديم نماذج ممثلة لقوائم الكنائس والبلدان المختلفة في الشرق والغرب:

١ ـ قائمة تيوفيلوس الأنطاكي (سوريا ـ القرن الثالث).

وهي تضم: ـ

- الأناجيل الثلاثة: لوقا ـ متى ـ يوحنا، ويعدها كتابات نبوية ككتب أنبياء العهد القديم.
- سفر أعمال الرسل (على وجه الاحتمال).
- رؤيا يوحنا (على وجه الاحتمال).
- بعض رسائل بولس (لكن ليست ككتب مقدسة)، ويؤكد هارناك أن ذلك ليس قاصراً على تيوفيلوس، بل كان هذا هو السائد في سوريا كلها.

٢ ـ الشهيد بوليكارب (آسيا الصغرى ـ القرن الثاني).

وتضم: ـ

- إنجيل متى.
- بعض رسائل بولس (قورنتس الأولى، رومة، طيطس، فيلبي).
- رسالة بطرس الأولى.

٣ ـ أثينا جوارس (اليونان ـ القرن الثاني).

وتضم: ـ

ـ إنجيل متى.

ـ إنجيل مرقس.

ـ إنجيل يوحنا.

ـ بعض رسائل بولس دون تعيين أو تقويم.

٤ ـ أوريجينيس (مصر ـ القرن الثالث).

وتضم: ـ

ـ الأناجيل الأربعة (متى. لوقا. مرقس. يوحنا).

ـ رسائل بولس الأربع عشرة.

ـ أعمال الرسل (لوقا).

ـ رسالة بطرس الأولى.

ـ رسالة يوحنا الأولى.

ـ رسالة يهوذا.

ـ رؤيا يوحنا.

يرفض رسالة يعقوب، ورسالتي يوحنا الثالثة، والثانية، ورسالة بطرس الثانية.

٥ ـ الشهيد يوستين (روما ـ القرن الثاني).

وتضم: ـ

ـ الأناجيل الأربعة (متى. لوقا. مرقس. يوحنا) ويسميها ذكريات الرسل.

ـ رؤيا يوحنا.

٦ ـ إيرينوس (فرنسا ـ القرن الثاني)

وتضم: ـ

ـ الأناجيل الأربعة (متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا).

ـ رسائل بولس (عدا فيلمون والعبرانيين).

ـ الرسائل الكاثوليكية [١] (عدا: بطرس الثانية، يوحنا الثالثة، يهوذا).

ـ أعمال الرسل.

ـ رؤيا يوحنا.

ـ رؤيا الراعي هرماس.

٧ ـ ترتليان (قرطاجة ـ أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث).

وتضم: ـ

ـ الأناجيل الأربعة (متى ـ لوقا ـ مرقس ـ يوحنا).

ـ أعمال الرسل (لوقا).

ـ الرسالة إلى العبرانيين (ينسبها إلى برنابا وليس إلى بولس).

ـ رسائل بولس الثلاث عشرة الباقية.

ـ رؤيا يوحنا.

ـ رؤيا الراعي هرماس (تتراوح بين الإثبات والنفي).

ـ الرسائل الكاثوليكية عدا (يعقوب، بطرس الثانية، يوحنا الثانية والثالثة).

---

(١) توصف بالرسائل الكاثوليكية الرسائل السبع التالية:

١ ـ يعقوب ٢ ـ بطرس الأولى ٣ ـ بطرس الثانية ٤ ـ يوحنا الأولى ٥ ـ يوحنا الثانية

٦ ـ يوحنا الثالثة ٧ ـ يهوذا.

المرحلة الثانية (مرحلة التقنين الكنسي الرسمي وإضفاء القداسة)

تتولى الكنيسة في هذه المرحلة إصدار الأحكام بإلهامية النصوص أو عدمها، ليصبح الكتاب بعدها سراً مقدساً موحى به، لا يصح الإيمان من مكذب له، أو يصبح الكتاب بعد ذلك الحكم كتاباً مزيفاً يجب الإقلاع عن مطالعته لما يتضمنه من ضلال.

وتعبر عن هذه المرحلة قائمتان تعدان أهم وأقدم قائمتين لقانون أسفار العهد الجديد المعتمدة من السلطات الدينية، وهما:

١ ـ قانون موراتوري.

موراتوري هو العلامة والمؤرخ الإيطالي: لوديفيكو أنطونيو موراتوري، مكتشف وناشر هذه القائمة عام ١٧٤٠ م، والتي تصنف أسفار العهد الجديد في القرن الثاني الميلادي، على النحو الآتي: ـ

أولاً: الأسفار المعتمدة من الكنيسة:

ـ الأناجيل (متى، لوقا، مرقس، يوحنا).

ـ أعمال الرسل (لوقا).

ـ رسائل بولس (عدا العبرانيين).

ـ رسالة يهوذا.

ـ رسالتان من رسائل يوحنا (إما الأولى والثانية، أو الثانية والثالثة).

ـ حكمة سليمان.

ـ رؤى ومشاهدات:

* رؤيا يوحنا.

* رؤيا الراعي هرماس.

* رؤيا بطرس.

ثانياً: أسفار مرفوضة:

يُرجَّح أن تندرج تحتها (وذلك لعدم وضوح النص بسبب تآكل المخطوط) الكتب الآتية: كتاب أرسينوس، وكتاب ميلتيادس، كتاب فالنتينو، كتاب المزامير الجديدة لمرقيون، مؤلفات أنبياء المونتانستية: باسيليدس، وكاتافريجير.

٢ ـ قانون مؤرخ الكنيسة إيسيبيوس

يتضمن الأصناف التالية من أسفار العهد الجديد المنتشرة في أواخر القرن الثالث وحتى منتصف الرابع:

أولاً: أسفار معتمدة ومقبولة من الكنائس كمؤلفات حقيقية ذات سلطة وقداسة؛ وعددها اثنان وعشرون سفرا، هي:

ـ الأناجيل: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.

ـ أعمال الرسل (لوقا).

ـ رسائل بولس الأربع عشرة.

ـ رسالة بطرس الأولى.

ـ رسالة يوحنا الأولى.

أما رؤيا يوحنا، فينسبها مرة إلى الأسفار القانونية ومرة إلى أسفار القسم الثاني.

ثانياً: أسفار غير صحيحة ومرفوضة من الكنيسة.

ـ رؤيا يوحنا.

- أعمال الرسل (بولس).
- رؤيا الراعي هرماس.
- رؤيا بطرس.
- برنابا.
- تعاليم الرسل.
- إنجيل بطرس.
- إنجيل توماس.
- أعمال الرسل (أندرياس).
- أعمال الرسل (يوحنا).

أما إنجيل العبرانيين، فيحصيه مرة ضمن هذا القسم، ومرة أخرى ضمن أسفار القسم الثالث.

ثالثاً: أسفار محل نزاع في الكنيسة:

- إنجيل العبرانيين.
- رسالة يعقوب.
- رسالة يهوذا.
- رسالة بطرس الثانية.
- رسالة يوحنا الثانية.
- رسالة يوحنا الثالثة.

وكان من نتاج هذه المرحلة والمرحلة التي سبقتها أن انفرع التراث الديني المسيحي إلى فرعين:

١ ـ أسفار قانونيـة مقبوله بوصفها كتـباً إلهامية مقدسـة تشكل قانون العهد الجديد.

٢ ـ أسفار غير قانونية لقبت بـ «الأبوكريفا»، وهي كلمة يونانية تحمل معنى الخفي أو السري، وكذلك مـعنى الزائف غير الحقيقي، وهي مـجموعة الكتب التي رفضت الكنيسة ضمها إلى قانون العهد الجديد(١).

ولـم يكن الوحي أو إلهام الروح القدس لمؤلف السفر بالطبع هو معيار تقنين الكتاب، أو ضمـه لقائمة الأبوكريفا، إذ لو كان الأمـر كذلك فلماذا لم يدخل إلى القانون ما خطه القديس جريجور بإملاء الروح القدس في أذنه اليمنى(٢).

المرحلة الثالثة (ختم القانون في صورته الحالية)

ظل قانون العـهد الجديد مـفتوحاً حـتى العصور الوسطى، لكن تفـاعلات المرحلة الثانية عضـدت محاولات ختم القانون في صورة نهـائية، وقد اختلفت صور هذا الختم ومواقيته ما بين الكنائس على النحو التالي:

أولاً: الكنيسة الكاثوليكية

بقيت قائمة هيرونيموس كما تبنتـها الفولجاتا هي قانون العهد الجديد السائد في جميع الكنائس اللاتينية في الغرب.

ذلك القانون الذي ظل مرناً حـتى القرن الخامس عشر، كما يـظهر في أكثر من مائة نسخة من مخطوطات الفـولجاتا، بل وفي نسخ الكتاب المقدس الألماني

(١) للوقوف على هذه الأسفار راجع:

- Wilhelm Schneemelcher , Neutestamentliche Apokryphen,.

- J . M . Robinson, The Nag Hammadi Library in English,.

(٢) انظر ملحق رقم (٧).

الثماني عشرة المطبوعة والمتداولة حتى ظهور مارتن لوثر، كذلك في الكتاب المقدس المطبوع باللغة التشيكية عام ١٤٨٨ م: حيث تضم قائمة هذا القانون رسالة بولس إلى لوديسيا.

كذلك يظهر هذا في الجدل الحاد الذي دار بين توما الإكويني ونيكولاوس الليري (١٣٤٠) Nikolaus von Lyra حول صحة إدراج الرسالة إلى العبرانيين ضمن كتب القانون[١].

إلا أن مجمع فلورنس ١٤٤٢ م، الذي حاول جاهداً توحيد الصف مع الكنيسة الأردوذكسية ـ التي راحت تبحث عن المساعدة والعون في مواجهة جيش الخلافة الإسلامية الزاحف على القسطنطينية ـ في مسألة القانون بقبول قائمة أثناسيوس التي أوردها في خطاب الفصح التاسع والثلاثين، والتي تضم سبعة وعشرين سفراً، هي على الترتيب التالي:

- الأناجيل: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.
- أعمال الرسل (لوقا).
- رسائل بولس (أربع عشرة رسالة، آخرها الرسالة إلى العبرانيين).
- رسالة يعقوب.
- رسالة بطرس الأولى.
- رسالة بطرس الثانية.
- رسالة يوحنا الأولى.
- رسالة يوحنا الثانية.
- رسالة يوحنا الثالثة.

(1) Werner Georg Kummel, Einleitung in das Neue Testament, S : 445 , .

ـ رسالة يهوذا.

ـ رؤيا يوحنا.

وبانعقاد مجمع ترينت عام ١٥٤٦م، الذي اعتمد هذه القائمة وثبتها كقانون نهائي لأسفار العهد الجديد المقدسة في الكنيسة الكاثوليكية، مما لا يجب ـ كما قال أثناسيوس ـ الإضافة إليه أو الحذف منه؛ لأنها هي مصدر الخلاص الوحيد.

يكون بذلك قد تم استبعاد رسالة بولس إلى لوديسيا نهائياً، وكذلك إقرار مجموعة الأسفار المتنازع عليها: الرسالة إلى العبرانيين، رسالة يعقوب، بطرس الثانية، يوحنا الثانية، يوحنا الثالثة، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا.

تلك الأسفار التي أصبحت تحمل اسم «القانونية الثانية»، وأصبح الإيمان بها جزءاً من الإيمان المسيحي، وعدم الإقرار بها موجباً لاستحقاق اللعنة.

ثانياً: الكنيسة البروتستانتية

خالفت الكنيسة البروتستانتية طريقة روما في إضفاء القداسة والإلهام على مصادر التراث المسيحي وإدراجها في قائمة قانون العهد الجديد. وأقرت مبدأ جديداً، خلاصته أن الحكم بإلهامية كتاب واعتباره وحياً لا يكون بقرار مجمع كنسي، بل يكون بما يدل عليه الكتاب، وبما ينطق به، وبما يمكن استخلاصه منه من مفردات وحي وإلهام.

ومن ثم فقد أصدر كارلشتات عام ١٥٢١ كتابه «أي الأسفار مقدس وكتابي؟» وفيه يرد كل قرارات المجامع الكنسية، ويقسم أسفار العهد الجديد بحسب سلطتها الذاتية إلى الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول، ويضم: الأناجيل الأربعة (متى. مرقس. لوقا. يوحنا)، سفر أعمال الرسل.

القسم الثاني، ويضم: رسائل بولس غير المتنازع عليها، رسالة بطرس الأولى، يوحنا الأولى.

القسم الثالث، ويضم: رسالة يعقوب، رسالة بطرس الثانية، رسالة يوحنا الثانية والثالثة، رسالة يهوذا، الرسالة إلى العبرانيين، رؤيا يوحنا.

ويقول عن القسم الثالث: لا يمكن الجزم بأن هذه الرسائل قد صدرت عن الرسل، كما أنه لا توجد أسباب معقولة لإدراج سفر رؤيا يوحنا ضمن أسفار القانون.

ثم أعقب ذلك بعام واحد (١٥٢٢ م) صدور كتاب مارتن لوثر المقدس، والذي يضم ثلاثة وعشرين سفراً من أسفار العهد الجديد، أما الأسفار الأربعة: الرسالة إلى العبرانيين، رسالة يعقوب، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا. فجعلها كملحق للعهد الجديد بدون ترقيم لها، كما فعل في الثلاثة والعشرين سفراً الأخرى. وكتب مقدمة لهذه الأسفار الأربعة ذكر فيها الأسباب التي تقطع باستحالة نسبتها إلى أسماء الرسل التي تحملها.

وفي عام ١٥٩٦ أصدر القس دافيد فولدر David Wolder كتابه المقدس باللغات الثلاثة: اليونانية، اللاتينية، الألمانية، وفيه يضع هذه الأسفار الأربعة تحت عنوان «أسفار غير قانونية».

وقد أعقب ذلك بقليل ظهور نسخة الكتاب المقدس للسويدي جوستاف أدولف Gustav Adolf والذي استمرت طبعاته تتوالى قرابة مائة عام. وفيه يحسم أمر هذه الأسفار بوضعها تحت اسم «الأسفار الزائفة أو المنحولة».

لكن متأخري البروتستانت قد خرجوا على هذا القانون، وظهرت في إعلاناتهم وقوانين إيمانهم بنود تنص على قبول قانون العهد الجديد كما قُبل

قديماً. إلا أن الكنائس اللوثرية الحالية لا تضم في مقررات إيمانها أي حصر بأسماء أسفار قائمة القانون.

ثالثاً: الكنيسة الأرذوذكسية الشرقية.

كان تأثير أثناسيوس وقائمته كبيراً في محيط الكنيسة الشرقية أيضاً، واستمر ذلك حتى نهاية القرن السابع (٦٩١ / ٦٩٢) تاريخ انعقاد مجمع ترولوس (Trullus) في بلاط القيصر يوستينيان الثاني بالقسطنطينية. والذي تبدأ به فترة الاضطراب والتخبط وعدم الوضوح بشأن قانون الكنيسة الأرثوذكسية للأسفار المقدسة.

إذ اتخذ هذا المجمع قراراً باعتماد مقررات المجامع الأرثوذكسية السابقة جميعها العامة والمحلية، وكذلك تعاليم عدد كبير من آباء الكنيسة، ومن بينهم أثناسيوس.

أي أن المجمع قد أقر قائمة أثناسيوس، وكذلك قرارات المجامع الإفريقية الثلاثة المنعقدة في قرطاج، وكذلك مجمع لوديسيا.

ويعني هذا أن المجمع قد قبل رؤيا يوحنا كسفر مقدس حسب قائمة أثناسيوس والمجامع الإفريقية الثلاثة، وفي الوقت نفسه قبله كسفر مزيف منحول حسب قرار مجمع لوديسيا. مما يعضد الظن بأن المؤتمرين لم يقرأوا ما بين أيديهم من نصوص مقررات المجامع السابقة، وقوائم آباء الكنيسة.

وقد ترتب على هذا غموض لم ينجل حتى اليوم، إذ يحصي ويست كوت قوائم مختلفة لقانون الكتاب المقدس في الكنيسة الأردثوذكسية في القرن العاشر الميلادي [1].

كما يخلو قانون الكتاب المقدس للكنيسة الأردثوذكسية من سفر الرؤيا.

(1) B . F . Westcott, The Bible in The church, p . 227 .

رابعاً: قانون الأرمن

يضم قانون العهد الجديد للأرمن الذين يعدون مـدينتهم أول مدينة تقام فيها مملكة مسيحية:

١ ـ الأناجيل الأربعة (متى، لوقا، مرقس، يوحنا).

٢ ـ أعمال الرسل (يوحنا).

٣ ـ رسائل بولس بما فيها الرسالة الثالثة إلى قورنتس.

وفي القرن الثالث عشر أصدر ميشيتار الإيرفانكي Mechitar von Airivank قائمة بأسفـار كتب الأبوكريفا التي تضم عدداً من الأسفـار القانونية التي يجب أن يكون مكانـهـا القـانون وليس الأبوكـريفـا، وهي: إنجيـل برنابا، كـتب كريابوس، نصيحة أم الإله إلى الرسل.

خامساً: قانون الأقباط

ويضم:

ـ الأناجيل الأربعة (متى، لوقا، مرقس، يوحنا).

ـ أعمال الرسل (لوقا).

ـ رسائل بولس (أربع عشرة دون تحديد لأسمائها).

ـ رسالتى بطرس: الأولى والثانية.

ـ ثلاث رسائل ليوحنا: الأولى، الثانية، الثالثة.

ـ رسالة يعقوب.

ـ رسالة يهوذا.

ـ رؤيا يوحنا.

ـ رسالتي كليمنص: الأولى والثانية.

سادساً: قانون كنيسة الحبشة

كانت كنيسة الحبشة تابعة للكنيسة القبطية في مصر، ومن ثم ظل قانون الأقباط هو القانون الرسمي للأحباش حتى عام ١٩٥٩م الذي خلعت فيه الحبشة عباءة التبعية لبطريركية الإسكندرية، متخذة لها قانوناً جديداً للعهد الجديد، يضم الأسفار التالية زيادة على قانون الأقباط:

- مقررات المجامع الكنسية.
- كتاب العهد (وهو جزءان، الأول أحاديث القائم من الموتى مع تلاميذه، الثاني: وصية الرب يسوع).
- كتاب قوانين الكنيسة.

ويلاحظ في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل تكوين القانون دخول عدد من كتب الأبوكريفا إلى قائمة القانون، وكذلك خروج عدد منها إلى قوائم الأبوكريفا لدى بعض الطوائف وثباته في قوائم طوائف أخرى: مما يقود الباحث إلى غياهب حيرة ما لها من سبيل خروج إلا في كنف تساؤل آخر يبحث عن الجواب:

هل السفر وحي مقدس لأنه دخل القانون أم لأنه وحي مقدس فقد دخل القانون؟

وكذلك: ما هي النسخة المقننة من نسخ العهد الجديد: هل هي السينائية أم الفاتيكانية، أم....؟ أم.....؟.

وقد أجاب يوهان سيملر Johann Salomo Semler عن ذلك التساؤل بوضوح قائلاً: القانون مسألة تاريخية بحتة، لا علاقة لها بالوحي أو القداسة[1].

(1) W . G . Kummel , Das Neue Testament , Geschichte der Erforschung seiner Propleme , S : 74 , 81 .

ب ـ السند[1].

تمتاز مسألة السند في العهد الجديد بالوضوح الشديد من ناحية، وبالغموض والاختلاف والتضارب الشديد من جوانب أخرى؛ فعدم نسبة أي سفر أو رسالة من محتويات العهد الجديد إلى نبي الجليل هي المسألة الوحيدة التي لا خلاف عليها، ومن ثم لا جدال حول عدم إمكان الاحتجاج بالعهد الجديد كدليل نبوة لعيسى عليه السلام.

فالجزء الوحيد هو (مصادر المواعظ هو) الذي يتضمنه العهد الجديد كمصدر يمكن الحصول منه على معرفة تاريخية حقيقية عن رسالة نبي الجليل، وهذا الجزء لا يتجاوز صفحات معدودة تتضمن عدداً من المواعظ التي يمكن نسبتها إلى المسيح عيسى، ولكنها لا زالت محل اجتهاد وأخذ وردٍ من الباحثين، ولم ينته الجدل الدائر حول تعيينها ـ من بين نصوص الأناجيل، وما مقاييس ذلك الاختيار ـ حتى اليوم.

وفي حالة ثبوت صحة صدورها عن المسيح، فإنها لا ترقى إلى كونها دليلاً على النبوة، وذلك لحكايتها ونقلها عن غير طريق أصحابها الذين لم يكتبوها، ولم يحتجوا بها في حياتهم.

أما الجانب الغامض وموضع التناقض والتضارب والاختلاف فهو نسبة

(١) سيعتمد في دراسته موضوع السند على المصادر الأساسية التالية، بالإضافة إلى ما يشار إليه في موضعه:

- Eduard Lohse , Die Entstehung des Neuen Testamants .
- W . G . Kummel , Das Neue Testament., Geschichte der Erforschung seiner Propleme , S : 74 , 81 .
- W . G . Kummel, Einleitung in das Neue Testament.
- TRE 10 (1982) 570 - 636 .

كتابات العهد الجديد وإسنادها إلى رسل المسيح، ذلك الإسناد الذي طرح كأحد معايير تقنين الأسفار المقدسة.

ومن ثم كان البحث في صحة هذا الإسناد أهم شواغل الباحثين عن حقيقة الإلهام والوحي في العهد الجديد، خاصة أن هذا الإسناد لم يطف إلا عام ٢٠٠ ميلادية لأول مرة لدى إيرنيوس، وبدون تحديد مكان أو زمن التأليف.

وقد بدأ الطعن في صحة هذا الإسناد مبكراً جداً، ربما من قبل أن تجف أخبار هذه المكتوبات:

فمرقيون تلميذ بولس وأول ناقد للعهد الجديد، انتهى من فحصه إلى أن[1]:

١ ـ تلاميذ عيسى لم يكتبوا شيئاً على الإطلاق.

٢ ـ أسماء الرسل التي تحملها الأناجيل مزورة وغير حقيقية.

٣ ـ الأناجيل بصورتها المعروضة فيها هي من تزييف اليهود ووضعهم.

٤ ـ المسيحية قد فرضت عليها أربعة أناجيل مزيفة، تحت أربعة أسماء مزورة، وكذلك مجموعة من الكتابات المنسوبة إلى تلاميذ المسيح وإلى بولس لا تمت لهم بصلة.

٥ ـ هذه الكتابات تتضمن بعضا من كلمات الوحي الصحيحة، ومن ثم فمن الواجب جمع هذه الكلمات لتأليف الإنجيل الصحيح منها.

وقد قام مرقيون بالفعل بتأليف الإنجيل المنشود، وبتعديل عشر من رسائل بولس مع التمهيد لكل منها بمقدمة من تأليفه يشرح فيها ما يراه من دوافع وأغراض وراء كتابة بولس لهذه الرسائل وكذلك الجهات والأشخاص الموجهة

(1) A . Harnack , Marcion , S : 40 - 42 .

إليها، وأماكن تأليفها.

وقد دخلت هذه المقـدمات المرقيونيـة إلى نص الرسائل البولسـية عن طريق نسخة الفولجاتا إلى قانون الأسـفار المقدسة كوحي من الروح القدس هبط على القديس بولس.

ولـم يمض عـهد طويل من الزمـان حتى أعلن أوريجـينيس استـحالة نسـبة «الرسالة إلى العبرانيين» لبولس بسبب الاختلاف البين في الأسلوب.

وأعقـبه تلمـيذه ديونيـسيـوس الإسكندري Dionysius von Alexandrien أسقف الإسكندرية حوالي ٢٤٧ ـ ٢٦٥ م، بالقطع بعدم صحة نسبة سفر الرؤيا إلى يوحنا تلميذ المسيح.

وروى هيرونيموس عما شهده القرن الرابع من:

١ ـ نسبة إسناد إنجيل مرقس إلى بطرس الرسول.

٢ ـ نسبة إسناد «الرسالة إلى العبرانيين» إما إلى برنابا كما يرى ترتليان، وإما إلى لوقا أو كليمنص السكندري.

٣ ـ الشك في صحـة إسناد الرسائل التاليـة: رسالة بطرس الثانيـة، رسالة يعقوب، رسالة يهوذا، رسالتى يوحنا الثانية والثالثة.

ذلك الشك الذي قطعه الإصلاحيون البروتستـانت باليقين؛ فأكد كارلشتات عدم صحة نسبة كل من الرسائل الآتية: بطرس الثانية، يعقوب، يهوذا، يوحنا الثانية والثالثة، الرسالة إلى العبرانيين.

وأخرج لوثر من قـانون الأسفار والمقدمـة كلاً من: رسالة يعقـوب، رسالة يهوذا، الرسـالة إلى العبـرانيين، رؤيا يوحنا، وذلك لعدم إمكان نسـبتـها إلى الرسل.

ثم أعقبت حركة الإصلاحيين جـهود علماء النقد التاريخي ونقد النصوص، وروائدهم في الغرب كان الفرنسي ريتشارد سيمون(١)، بأعماله: «التاريخ النقدي لنصوص العهد الجـديد»، «التاريخ النقدي لترجمات العـهد الجديد»، «التاريخ النقدي لشروح العهد الجديد». والتي انتهى في أولها إلى أن:

ـ أناجيل العهـد الجديد الأربعة ليست من تأليف مـتى أو لوقا أو مرقس أو يوحنا.

ـ نهاية إنجيل مرقس غير صحيحة (١٦ / ٩ ـ ٢٠).

ـ نهايـة الإصحـاح السـابـع وحتى الآية الحادية عشرة من الإصـحاح الثامن (٧ / ٥٣ ـ ٨ / ١١) من إنجيل يوحنا غير صحيحة.

ثم جاءت الإضـافة الحاسـمة من الألماني يوهان سـيملر الذي أرسى قـاعدة جديدة في حقل منهج النقد التاريخي لدراسة الكتاب المقدس في الغرب، وهي معالجـة الكتاب المقدس كـمصدر ومؤلَّف تراثي أدبي خـالص، وذلك بكتابه: «بحث في الفحص الحر للقانون» عام ١٧٧١ م.

وإلى جانب هذه القاعـدة المنهجية توصل سملر إلى مجـموعة الآراء النتائج التي عدت معول هدم حقيقى للديانة المسيحية، وهي:

ـ أن معظم أجزاء العهد الجديد ذات وظيفة وأهداف تاريخة تعبر عن الماضي

(١) يجب التنويه في هذا الموضع أيضاً إلى أن جهـود علماء الإسلام في نقد سند العهد الجـديد، وتقعيد قواعد منهج النقد التاريخي، ونقد نصوص أسفار قـد سبقت جهود الإصلاحيين البروتستانت ورواد الحركة النقـدية في الغرب، فكان السبق في هذا المجال لعلمـاء الإسلام، كما كان في مجـال العهد القديم ودراساته النقدية كذلك. ومن ثم تظل الـريادة في هذا الحقل مقرونة باسم كل من الجاحظ، ابن حزم، الجويني، القرطبي، الغزالي، الخزرجي، عبد الله الترجمان، نصر بن يحيى، ابن تيمية، ابن القيم راجع كتابنا: منهج أهل السنة والجماعة فى الرد على النصارى.

البعيد، ولا تفيد في البناء الروحي والأخلاقي للبشرية في عهدنا الحاضر.

ـ مؤلف سفر رؤيا يوحنا ليس هو يوحنا الرسول.

ـ الفصلان الأخيران من الرسالة إلى روما عبارة عن خطابين ملحقين بنص الرسالة.

وقد وجدت آراء ونتائج ومنهج سيملر امتداداً لها في الألماني يوهان دافيد ميشائيل Johann David Michaelis ١٧٥٠م، والذي جسد تلك الآراء في كتابه «مدخل إلى الأسفار الإلهية للعهد الجديد» وليكون بذلك مؤسساً لهذا الفرع من الدراسات (المداخل) التاريخية للعهد الجديد.

وقد قادته طريقته المنهجية إلى مجموعة من النتائج المبتكرة، فكان أول من يقف من علماء الغرب على علاقة إنجيل يوحنا بالغنوصية[1].

ثُمَّ شكك فيلهم دى فيته في صحة نسبة «الرسالة الثانية إلى تسالونيكي» و«الرسالة إلى إفسس» لبولس الرسول.

وبظهور كتاب أيشهورن J . G . Eichhorn عام ١٨٠٤ م «مدخل إلى العهد الجديد» بمجلداته الخمسة، يكون النقد التاريخي لسند العهد الجديد قد خطا خطوات بعيدة، إذ يتتبع أيشهورن في هذا الكتاب أسفار العهد الجديد سفراً سفراً بفحص صحة الإسناد وحقيقة النص، مع استبعاد مسألة إلهامية الأسفار وطرحها جانب الطريق، فيقرر:

أولاً: أن العهد الجديد كمجموعة من الكتب لم يكن له وجود قبل منتصف القرن الثاني.

(١) لقد سبقه القاضي عبدالجبار إلى ذلك بقرون طويلة حينما قرر أن النصرانية ترومت، ولكن روما لم تتنصر.

ثانياً: أن هناك كتابات كثيرة من التي استبعدتها الكنيسة يجب أن تأخذ مكانها في قائمة القانون.

ثالثاً: أن هناك عدداً من الكتب التي يتضمنها القانون يجب إخراجها منه لعدم صحة نسبتها إلى الرسل الذين تحمل أسماءهم مثل:

١ـ رسائل بولس الثلاثة المسماة بالرسائل الرعائية: الأولى إلى طيموتاوس، الثانية إلى طيموتاوس، إلى طيطس.

٢ـ رسالة بطرس الثانية.

ومن جانب مدرسة تاريخ الأديان جاء إسهام فرديناند باور Ferdinand Baur الذي بدأ مع توليه كرسي الأستاذية في أقسام التاريخ بجامعة تيبنجن الألمانية ١٨٢٦ م محافظاً، ثم انتهى ليبرالياً خالصاً قادته فحوصه لأسفار العهد الجديد كوثائق وسجلات لنشأة المسيحية وتطورها كقصة تطور جماعة بشرية بهمومها وأحلامها وتصوراتها، إلى النتائج التالية:

١ ـ العهد الجديد عبارة عن سجل لمجريات الصراع الحزبي والشخصي في صفوف الجماعة المسيحية الأولى، فالحزب اليهودي تعبر عنه رؤيا يوحنا ورسائل كليمنص، وحزب بولس تعبر عنه رسائله بالإضافة إلى أعمال مرقيون، أما حزب التوفيق بين الحزبين، فتعبر عنه رسالة يعقوب ورسالة بطرس، بالإضافة إلى إنجيل متى.

٢ ـ سفر أعمال الرسل لا يمكن الاعتماد عليه كشاهد عيان تاريخي لتفاعلات المسيحية بسبب تحيزه وانحيازه لرؤية بولس، خصوصا انتصاره لرأي بولس في مجمع الرسل، واعتباره هو الصحيح الحق.

٣ ـ إسقاط إنجيل يوحنا كشاهد تاريخي أو كمصدر لحياة المسيح؛ لأنه

لا ينتمي إلى تلك الفترة على وجه الإطلاق، وعليه فقد قرر المبدأ الذي أصبح معروفا به «إما يوحنا وإما الأناجيل الإزائية» [1].

٤ ـ استبعاد رسالة بطرس الأولى لعدم صحتها.

٥ ـ جميع رسائل بولس مزيفة عدا: الرسالة إلى رومة، الرسالة الأولى والثانية إلى قورنتس، الرسالة إلى غلاطية.

وقد ظلت آراء باور ونتائجه سائدة في محيط أبحاث العهد الجديد حتى أتاها مدٌّ جديد على يد فلهاوزن بكتابه «مقدمة في الأناجيل الثلاثة الأولى»، والذي انتهت به التصورات والمفاهيم القديمة عن ارتباط الأناجيل بالوحي، لتصبح كما يرى فلهاوزن مصدراً لتاريخ الكنيسة القديمة من جهة، ومن جهة أخرى مصدراً لتاريخ عيسى النبي اليهودي الذي لم ير نفسه قط مسيحاً أو اسخاتولوجياً أو عائداً بعد قيامته، أو مؤسساً لدين جديد، أو ابناً إلهياً ذا طبيعة فوق بشرية.

وقد أصبحت هذه النتائج السالفة أشبه بالمسلَّمات والمقررات في مجال نقد العهد الجديد، ينطلق منها كل مؤرخ وباحث في تاريخ نشأة كتاباته وأسفاره.

وإليك ما انتهت إليه الدراسات النقدية الحديثة عن تاريخ نشأة ونسبة كل سفر من أسفاره حسب ورودها في قائمة الكاثوليك:

أولاً: الأناجيل

١ ـ إنجيل يوحنا نسيج وحده يختلف عن الثلاثة الأخرى.

٢ ـ الأناجيل الثلاثة: متى، مرقس، لوقا، تجمعها عناصر شبه وأواصر قرابة، مما يجعل من تسميتها بالإزائية (أي إمكان وضعها في أعمدة متوازية للمقارنة بينها) أقرب إلى الدقة.

---

(١) سيأتي تعريف الإزائية والإزائيين في الأسطر التالية.

وترجع هذه التسمية بالإزائية إلى يوهان جريسباخ Johann Griesbach الذي جعلها عنواناً للقسم الذي درس تحته تلك الأناجيل الثلاثة: متى، مرقس، لوقا.

وقد أعقبت كشف جريسباخ لإزائية هذه الأناجيل محاولات حل لغز تلك الإزائية التي تمثلت في الاقتراحات (الافتراضات) التالية:

١ ـ الإنجيل القديم

اقترح جوت لوب شتور Gottlob Storr اعتماد متى ولوقا على مرقس، على أساس أن افتراض العكس لا يمكن تفسيره: أي لماذا يترك مرقس هذه الأجزاء الكبيرة من متى ولوقا.

أما يوهان ميشائيل، ففسر تلك الإزائية باعتماد الإزائيين على مصدر مشترك هو أحد الأناجيل المنحولة.

ورأى جوت هولد ليسنج Gotthold Lessing في كتابه الهام بعنوانه ذى المغزى الكبير والدلالة العميقة «رؤية جديدة للإنجيليين كمجرد مؤلفين بشريين فقط» عام ١٧٧٨ م، في هذا الإنجيل القديم «إنجيل الناصريين».

وأضاف أيشهورن أن هذا الإنجيل القديم قد تلقاه الإزائيون في لغات مختلفة كالآرامية والعبرية بعد أن لحقته تعديلات عديدة، وهذا ما يفسر سر الاختلافات اللغوية وغير اللغوية التي نجدها لدى الإزائيين.

لكنه عدل ذلك الافتراض فيما بعد في كتابه «مدخل إلى العهد الجديد» الصادر عام ١٨٠٤ م، وذهب إلى أن الإزائيين قد اعتمدوا على تسع نسخ نشأت عن إنجيل آرامي قديم، والتي شكلت ـ إلى جانب مصادر أخرى اعتمد عليها الإزائيون كل على حدة ـ منابع الأناجيل الإزائية.

٢ ـ الشذرات

اعتقد ج. بولس G. Paulus أن إنجيلي متّى ولوقا قد نشأا من مجموعة من المذكرات المدونة عن بعض نشاطات عيسى اليومية.

وذهب شلاير ماخر إلى أن تلك المذكرات كثيرة العدد تدور حول ألوان متعددة؛ كالمعجزات، والمواعظ، والأمثال، وأن تلك المذكرات قد شملتها توسعات كبرى جعلت منها مجموعات مستقلة اعتمد عليها الإزائيون.

٣ ـ التقاليد

يرى صاحب هذا الفرض يوهان هيردر Johann Herder عام ١٧٩٦م أن الإزائية مصدرها اعتماد الإزائيين على عدد من التقاليد الشفهية الثابتة، والتي ظلت تتناقل شفاهة حتى تلقاها مرقس أقدم الأناجيل وأقربها إلى هذه التقاليد، إذ تنعكس فيه على وجه أفضل مما تنعكس لدى متى ولوقا.

وهذا الافتراض يقدم تفسيراً معقولاً لوجوه الاختلاف الكثيرة بين الإزائيين، فطالما أن التقاليد الموروثة شفاهية، فلا سبيل إلى تجنب الاختلافات والزيادات المترتبة على ذلك.

٤ ـ الإفادة والتبعية

يقوم هذا الفرض على أن سر الإزائية يكمن في إفادة الإزائيين من بعضهم البعض، فذهب فريق من الباحثين إلى أن متى هو أقدم الأناجيل ومرقس يعد اختصاراً له، وأن لوقا قد اعتمد على الاثنين معاً. ورأى آخرون أن لوقا هو الذي اعتمد على متى، أما مرقس فهو مستخرج من الاثنين.

ولـمّا كان مثل هذا الفرض يفسر التشابه في نصوص الإزائيين وتوزيع المجموعات والفقرات لديهم، لكنه لا يفسر سر الاختلاف بينهم، فقد تطور

هذا الفرض مرة أخرى على يد: ب. بينويت P. Benoit في ترجمته لإنجيل متى عام ١٩٥٠م، وصاغ فيها الفرض على النحو الآتي:

المادة الأساسية المكونة للأناجيل الإزائية مأخوذة من نسخة أرامية قديمة لإنجيل متى نشأت ما بين ٤٠ ـ ٥٠ م، الذي ترجم ترجمات عدة إلى اليونانية، عن إحداها أخذ مرقس مادته مع عملية اختصار شديد، وإعادة تشكيل للصيغ والنظام العام للمادة.

كذلك فعل لوقا، وكذلك صاحب نص متى اليوناني الحالي، أخذا مادة إنجيل متى القديم من ترجمته اليونانية، وجعلاها أساساً لإنجيليهما إلى جانب الإفادة من إنجيل مرقس، ومن مادة أخرى.

٥ ـ المصدران:

والقول بالمصدرين هو الحل الذى يجد قبولاً عاماً في أوساط دراسات العهد الجديد حتى اليوم، كأفضل الفروض التي تشرح الإزائية لدى الإنجيليين الثلاثة.

ويبدأ هذا الفرض بإثبات عالم اللغويات المشهور كارل لاخمان Karl-Lachmann عام ١٨٣٥ أن مرقس كان مصدراً وأساساً لإنجيل متى ولوقا.

ثم قام عام ١٨٣٨ كل من: القس كريستيان فيلكه Christian Wilke والفيلسوف كريستيان فيسه Christian Wisse، كل على حدة ببلورة واستكمال أبعاد هذا الفرض الذي تبناه ونادى به كحل لا بديل له كل من: هـ. هولتزمان H. Holtzmann، سي. فيتسيكر C. Weizoacker.

ويتضمن هذا الفرض العناصر التالية:

١ ـ أولوية إنجيل مرقس، والذي كان مصدراً وأساساً لمتى ولوقا، لكن هناك خلاف حول أصول مرقس، هل نشأ عن إنجيل قديم لمرقس، أم عن مصدرين

مستقلين آخرين.

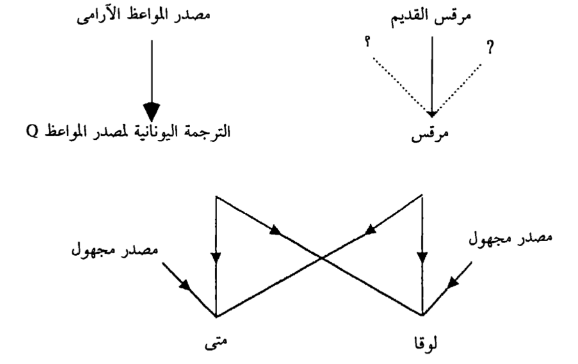
٢ ـ اعتماد متى ولوقا إلى جانب مرقس على مـصدر آخر عبارة عن مجموعة من «الخطب، والأمثال، والحكم» المروية عن عيسى والتي أطلق عليها المصطلح «مصدر المواعظ» ويرمز لها بالرمز (Q) اختصاراً للكلمة Logien Quelle.

٣ ـ إفادة متى ولوقا كل على حدة من مصادر أخرى مجهولة.

٤ ـ ليس هناك إفادة متبادلة بين متى ولوقا.

٥ ـ وهذا المصدر (Q) قد قـام متى بجمـعه وصياغـته باللغة الآرامـية، ثم ترجم إلى اللغة اليونانية، وعلى هذه الترجمة اعـتمد لوقا وكذلك مؤلف إنجيل متى اليوناني الذي بين أيدينا.

ويوضح المخطط التالي أبعاد هذا الفرض:



أما عن تاريخ ومكان وشخصية مؤلفي الأناجيل، فهي كالآتي:

١ ـ متًى

المؤلف مجهول الشخصية، لكنه يجيد اليونانية ويكتب لبيئة يونانية، يحتمل أن تكون أنطاكية أو سورية، وزمن التأليف ما بين ٨٠ ـ ٩٠ م على وجه الاحتمال لا القطع.

٢ ـ مرقس

المؤلف مجهول الهوية، أما الكتاب، فيحتمل أن يكون قد ألف فيما بين عامي ٦٥ ـ ٧٠ م في روما.

٣ ـ لوقا

يبدو أن المؤلف ينتمي إلى العالم الهلينستي لكن ليس هناك في الإنجيل ما يدل على شخصية المؤلف أكثر من هذا، ويرجع تاريخ تأليفه للإنجيل إلى ما بين عامي ٨٠ ـ ٩٠ م ميلادية، وهو موجه إلى بيئة يونانية.

٤ ـ يوحنا

ليس هناك في الإنجيل ما يدل عليه، إلا أنه بكل تأكيد ليس يوحنا الرسول أو أحد تلاميذه، لكنه عمل قام به أكثر من مؤلف صدر في بيئة هللينستية تقريبا فيما بين ١١٠ ـ ١٣٠ م.

ثانياً: سفر أعمال الرسل

لا يمكن الاهتداء إلى مؤلفه، ويعود تاريخ تأليفه على وجه الاحتمال إلى العام ٨٠ م، أو قبله أو بعده بعشرة أعوام.

ثالثاً: رسائل بولس

١ ـ إلى رومة

لم يشكك في نسبتها إليه، عدا الفصلين الأخيرين، ويرجع تاريخها إلى عام ٥٧ أو ٥٨ ميلادية.

٢ ـ الأولى إلى قورنتس.

لم ينازع في صحة سندها، وتاريخ تصنيفها فيما بين عامي ٥٣، ٥٥ م.

٣ ـ الثانية إلى قورنتس.

لم يشك في نسبتها إليه أحد، ويعود تاريخها إلى ما بين عامي ٥٤-٥٧م.

٤ ـ إلى غلاطية.

أقدم رسائله، وبعث بها نحو عام ٤٩ م حسبما يرى القائلون إنها إلى جنوب غلاطية، وكتبت عام ٥٦ ـ ٥٧ م حسب رأي القائلين إنها موجهة إلى شمال غلاطية.

٥ ـ إلى إفسس.

يختلف حول مؤلفها: فيرى فريق أنه بولس، ويرى آخر أنه تلميذ مقرب منه، ويرى ثالث أن كاتباً نقح نسخة من رسالة لبولس كانت موجهة لإفسس، ويرجع تاريخها بحسب رأى الفريق الأول إلى ما بين عامي ٥٤ و ٥٧ م، وبحسب مخالفيهم إلى ما بين عامي ٦١ و ٦٣ م.

٦ ـ إلى فيلبي.

مطعون طعناً خفيفاً في نسبتها إليه؛ لعدم وحدتها، وعدم القدرة على إثبات مكان أو زمن تأليفها.

٧ ـ إلى قولسي.

تتشعب الآراء في نسبة هذه الرسالة وتاريخها، كما يلي:

ـ يرى فريق أن بولس مؤلفها، ما بين عامي ٥٤-٥٦ ميلادية أو ٦١-٦٣م.

- يرى آخرون أن أحد تلاميذه أو أمين سره هو المؤلف.

- يرى فريق ثالث أنها من عمل المدرسة البولسية في الجيل التالي للرسل.

٨ ـ الأولى إلى تسالونيقي.

تعد أول رسائل بولس وأقدم مؤلفات العهد الجديد، إذ يرجع تاريخ إرسالها إلى عام ٥١.

٩ ـ الثانية إلى تسالونيقي.

مشكوك في صحتها وفي تاريخ تأليفها.

١٠ ـ الرسائل الرعائية.

(الأولى إلى طيموتاوس، الثانية إلى طيموتاوس، إلى طيطس).

لا يمكن إثبات نسبتها لبولس، والتكهن بتاريخ تأليفها عسير، لارتباطه بالكشف عن شخصية مؤلفها وهو طيٌّ المجهول.

١١ ـ إلى فيلمون.

يرتبط الشك في صحة سندها بالشك في صحة سند الرسالة إلى قولسى، ويعود تاريخ تأليف الرسالتين إلى زمن واحد.

١٢ ـ إلى العبرانيين.

لا يتردد أحد في عدم نسبتها لبولس، وتتأرجح نسبتها فيما بين كل من: لوقا، اقليمنضس الروماني، برنابا، أبلس. أما تاريخها فيتأرجح فيما بين عام ٥٠ إلى ما بعد القرن الأول.

رابعاً: الرسائل الكاثوليكية

١ ـ رسالة يعقوب

يعود تاريخها إلى ما بعد منتصف القرن الأول، وكاتبها مجهول.

٢ ـ رسالة بطرس الأولى

يرجح تاريخها إلى ما بعد وفاة بطرس (ت ٦٤ م تقريباً) بزمن طويل، إذ لا يمكن الرجوع بتاريخها إلى ما قبل عام ٨١ ـ ٩٦ م.

٣ ـ رسالة بطرس الثانية

لا جدال في عدم نسبتها لبطرس أو لجيله عامة، ويقترح لإنشائها عام ١٢٥م.

٤ ـ رسائل يوحنا (الأولى ـ الثانية ـ الثالثة).

لا تحتوي على ما يخبر عن ظروف إنشائها وهوية كاتبها.

٥ ـ رسالة يهوذا

ترجع إلى عصر ما بعد الرسل، ويقترح لتاريخ إنشائها عام ٨٠ ـ ٩٠ م.

خامساً: رؤيا يوحنا

هناك افتراضان بشأن تاريخ التأليف أحدهما ٦٥ ـ ٧٠ م، والثاني ٩١ ـ ٩٦م، أما الكاتب فقد رأى كثيرون منهم ديونيسيوس الإسكندري تلميذ أوريجينيس وجماعات مسيحية قديمة أن مؤلف سفر الرؤيا وكذلك الإنجيل الرابع هو الغنوصي كيرنت.

تقودنا تلك الفحوص إلى النتيجة التي انتهى إليها ريتشارد سيمون الكاثوليكي، وهي أنه: «من البعيد جداً أن يسمح المرء لنفسه بالاعتقاد أن الطريق الطبيعي والأكيد لتقرير مسائل الاعتقاد هو الرجوع إلى الكتاب المقدس. بل على العكس من ذلك، سيجد المرء في هذا المؤلَّف أن الاعتماد على الكتاب المقدس وحده سيجعل من المستحيل الحصول على شيء مؤكد في أمور الدين»(١).

وما ذلك إلا أن الكتاب المقدس كما يقول سملر: «ليس هو كلمة الله»(٢).

(1) W . G . Kumnel, Das N . T : Geschichte der Erforschung seiner Problem , S : 43 .

(٢) السابق، ص: ٧٤.

وهذه النتيجة لم تعد اليوم مجرد استنتاجات علمية فقط، بل ترتب عليها بناء اعتقاد جديد لدى الأحرار من مفكري المسيحية، يلخص ذلك هانز كينج Hans Kung البروفيسور بجامعة تيبنجن الألمانية، والذي فقد كرسيه في كلية اللاهوت عام ١٩٧٩م بسبب آرائه الحرة، فيقول: «توافرت الدلائل في القرنين الأخيرين - بشكل لم يسبق له مثيل - على عدم إلهامية أسفار الكتاب المقدس، بل وتخمتها بالمغالطات والأخطاء الشائنة لها كعمل أدبي، وهذا ما لا يستطيع عاقل اليوم أن ينازع فيه»(١).

ثم يضيف: «ولأن هذا الكتاب كذلك فأنا لا أعتقد بإلهاميته ولا بحقيقة الدعوة التي يروج لها»(٢).

جـ - النص(٣).

إن نص أسفار العهد الجديد الذي تحتويه مخطوطاته المحفوظة بمكتبات العالم شرقه وغربه، عبارة عن نسخ، أو نسخ النسخ لما خطته يد المؤلف أو أملاه إملاء، وليس في هذه المخطوطات كتاب واحد بخط المؤلف نفسه.

إذ فُقِدَ النص الأصلي مبكراً جداً؛ لهذا لم يتهم أحد مرقيون بتحريف نص العهد الجديد، ولم يستند أحد إلى النسخ الأصلية من النص لكشف التبديل

(1) Hans Kung, Christ Sein, S : 55 . Munschen - Zurich 1974 .

(٢) السابق، ص: ٤٥٧.

(٣) راجع في ذلك:

- Eduard Lohse , Die Entstehung des N . T , S : 145 - 155 .
- W . G . Kummel , Einleitung in das N. : T. S : 454 - 490 .
- Alfred Wikenhauser, Einleitung in das N . T, S : 46 - 109 .

الواقع في نسخة مرقيون، أو إثبات الفوارق بينها وبين النص الأصلي.

ويرجع الباحثون أسباب فقدان النص الأصلي إلى طبيعة المواد التي كتب عليها نص العهد الجديد كأوراق البردي وبعض أنواع الجلود، والتي كانت تتعرض للتلف بسرعة، عكس الرق الذي كان يعمر طويلاً، لكنه كان باهظ الثمن، ولم ينتشر إلا في عهد قسطنطين الأكبر في بداية القرن الرابع.

لكن لا يمكن الاستناد إلى طبيعة المادة المستخدمة للكتابة كحل للمشكلة، إذ هناك نصوص أقدم من نص العهد الجديد مازالت محفوظة بحالة جيدة حتى اليوم.

أما السبب الرئيس، فيرجع إلى قيمة النص نفسه؛ إذ لم ير فيه أحد وحياً مقدساً يجب الاحتفاظ به والإبقاء عليه، بل تُلُقِّي كما تتلقى سائر الكتب الأخرى بقليل أو كثير من العناية، ويتوقف ذلك على تقدير القارىء لأهمية الكتاب.

وأقدم الكتب التي تحوي النص الكامل للعهد الجديد أو معظمه هو المحفوظ بمكتبة الفاتيكان، ويسمى بالنسخة «الفاتيكانية»، ويعود تاريخه إلى ما بعد القرن الرابع الميلادي.

والمخطوط الثاني الذي يضم نص العهد الجديد كاملاً هو الذي عثر عليه في دير القديسة كاترينا بسيناء، ويعرف بالنسخة «السينائية»، وهو محفوظ في المتحف البريطاني في لندن.

وتختلف النسختان فيما بينهما اختلافاً كبيراً ناهيك عن الاختلاف بينهما وبين بقية النسخ والمخطوطات الأحدث منهما. وهذه الاختلافات والفوارق تشمل قواعد الصرف والنحو والألفاظ وترتيب الكلام ومعاني الفقرات

والجمل. ومنها ما وقع دون قصد، كأخطاء في الإملاء والنقل والقراءة، ومنها ما وقع عمداً بغرض تصويب وتصحيح التعبيرات غير الدقيقة.

فكانت المحصلة النهائية لهذه التدخلات التي تراكمت على مرّ القرون أن كان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل والتحريف، الذي يجعل من الحصول على نسخة من النص الأصلي أو قريب منه ضرباً من المستحيلات.

إلا أن غاية ما يمكن الوصول إليه هو تقسيم تلك المخطوطات والنسخ إلى مجموعات وفئات من الأصول التي تجمعها وجوه شبه، وهذه المجموعات هي:

١ ـ النص الإسكندري.

وينسب إلى الإسكندرية، وترجع بعض وحداته إلى القرن الثالث، وأهم مثال له النسخة الفاتيكانية والسينائية.

٢ ـ النص الغربي.

وسمى بذلك لانتشاره في الغرب كما يتضح من الترجمات اللاتينية القديمة وبعض المخطوطات اليونانية، على أن هناك الكثير من الشواهد التي تؤكد استعماله في الشرق، خصوصاً في شمال إفريقية ومصر، كما يظهر من استخدام كليمنص الإسكندري، وكذلك من الترجمة الصعيدية التي تضم نماذج كثيرة جداً من القراءات التي يستعملها النص الغربي.

٣ ـ نص قيصرية (فلسطين).

ويرجح أن يكون قد نشأ في مصر، ونقله أوريجينيس إلى قيصرية بفلسطين أثناء رحلته إليها، ويُظن أن أويسبيوس قد استعمل هذا النص الذي هو خليط من النص الغربي ونصوص أخرى، وقد نشأ حوالي القرن الثالث تقريباً.

٤ ـ النص الشائع (العام) Koine.

وهو خليط من النص الإسكندري ونص قيصرية، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ نشأته أو من قام بذلك، فيعتقد بعض الباحثين أنه لوقيان الأنطاكي من القرن الرابع؛ لذلك أطلق عليه النص الأنطاكي.

ويطلق عليه آخرون اسم النص الأنطاكي لتداوله في أنطاكية، ولهذا السبب نفسه يسمى أيضا النص السوري، ويسميه آخرون النص البيزنطي لأن بعض صيغه كانت متداولة في المملكة البيزنطية.

بينما يسميه فريق آخر بالنص العام أو الشائع أو الكنسي، على الرغم من عدم اعتماده من الكنيسة اليونانية قط، لكن بسبب انتشاره في العصور المتأخرة دون منازع في مناطق الكنيسة اليونانية.

ونخلص من هذا إلى أن الزعم بإلهامية نص العهد الجديد الذي بين أيدينا تقف دونه عقبتان:

أولهما: أن نص العهد الجديد الحالي ليس هو النص الأصلي، ولا نسخة منه، ولا نسخة تقاربه.

والثانية: أن نص العهد الجديد الذي قنَّنته الكنيسة وعدَّته إلهامياً يظل قيد المجهول، فلا أحد حتى يومنا هذا يعلم: هل هو: النص الشائع، أم نص قيصرية، أم النص الإسكندري، أم النص الغربي؟!.

* * *

الفصل الثالث

المعجـــــــزة

معجزات المسيحية يجدها المرء مسطورة في كل مكان من تاريخ أمم الشرق القديم أحياناً باللفظ نفسه وأحياناً بالمعنى.

جوتفريد تراوب

لا شك أن المسيحية من أكثر ديانات العالم حاجة إلى ما يثبت عقائدها ودعاواها ويؤيدها؛ نظرا لما تنضوي عليه تلك العقائد والدعاوى من غموض واضطراب وتناقض وتباين يستحيل معه على العقل البشري الصائب أن يحيط أو يُلِمّ بها ناهيك عن تصديقها وقبولها.

لذلك أعلن كبار رجال المسيحية ـ منذ بكارة عهدها ـ كالقديس أوغسطين، والقديس «أنسلم» أسقف كانتر بوري مبدأ عدم توافقها مع العقل: فيقول أوغسطين: أنا أؤمن لأني لا أعقل.

ويقول أنسلم: أنا أؤمن لكي أعقل (آمِنْ كي تعقل)(١).

ومن ثم فقد باتت الحاجة ماسة إلى اللجوء لمظان أخرى تلتمس فيها الدلائل والحجج على صحة عقائد الديانة، ومن هذه المظان النبوة بالطبع.

وربما كان بولس أقدم من أشار إلى هذه المظان في قوله: «فإذا كان الكلام الذي أعلن على لسان الملائكة قد أثبت فنالت كل معصية ومخالفة جزاء عادلاً!!. فكيف ننجو نحن إذا أهملنا مثل هذا الخلاص الذي شرع في إعلانه على لسان الرب، وأثبته لنا أولئك الذين سمعوه، وأيدته شهادة الله: بآيات، وأعاجيب، ومعجزات مختلفة، وبما يوزع الروح القدس من مواهب كما يشاء»(٢).

(1) Karl Heussi, Kompendium der kirchengeschichte, S : 200.

وانظر ترجمة الدكتور: حسن حنفي لمحاورة المعلم للقديس أوغسطين، «آمن كي تعقل» للقديس أنسلم، ضمن نماذج من الفلسفة المسيحية / مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

(٢) الرسالة إلى العبرانيين (٢ / ٢ ـ ٤).

فهــو في هذا النص يجـعل من المعجـزة وما يهــبه الروح القــدس (الوحي) دليلين ملزمين لصدق وإثبات ما يخبـر به ويعلنه الموحى إليهم من حاملي درجة النبوة في المسيحية.

فهل تصح المعــجزات المسيــحية دليلاً على صــدق المعتقــدات؟ هذا ما يمكن معرفته عقب تحديد مفهوم المعجزة، وبيان موقف الدراسات النقدية منها:

فالمعجـزة فـي المسيحية هي كما يقول توما الإكويني: «عمل إلهي تتعطل به ـ حقيقة ـ قوانين الطبيعة المحركة لنظام الكون»[1].

وقد تبنى التـعليم الكاثوليكي مفهوم الإكــويني في تعريفه للمعــجزة بأنها: «خرق الظواهر الطبيــعية في الحقيقــة، إلا أنها أمر غير معتــاد، وليست تدخلاً إلهياً مفاجئاً في العالم المحفوظ بواسطته»[2].

وذلك في مخــالفة واضحة لمفــهوم المعجزة لدى القــديس أوغسطين، الذي يرى أن القول بأن المعــجزات تعمل ضــد نظام الطبيعــة غير صــحيح بالمرة، إذ كيف يعمل شيء أوجدته الإرادة الإلهــية ضد قوانين الطبيعة، فالطبــيعة ما هي إلا أحد الموجودات التي ليــست بالمعنى الدقيق شيئاً أكــثر من إرادة الذات العليا الخالقة[3].

ويوافق الفكر الغربي الحديث في فهمه لطبيعة المعجزة ما استقر عليه التصور الكنسي، كما يبدو ذلك في شرح الفرنسي هنري بون في كتابه «المعجزة والعلم

(1) Hermann Jordan, Was Verstand das alteste Christentum unter Wunder? S: 178.
in : Der Wunder begriff im Neuen Testament, Hrsg von: Suhl . Alfred

(2) Henri Bon, Wunder , Wissenschaft und Kirche, S : 2.

(٣) السابق، الموضع نفسه.

والكنيسة» لكيفية وقوع المعجزة، بقوله: «الجسد الإنساني تسيطر عليه الروح التي ترتبط بعلاقته مع الله تلك الذات العليا الروحية الكاملة. هذا الرب الأكبر يحفظ ويوجه نمو وتطور مادة العالم الذي أوجده، وكذلك التي تخص الجسد الإنساني، وبدوافع أو بواعث ذاتية عبر الصلاة الإنسانية يسمح الله بخرق القوانين الطبيعية التي تسير هذا العالم»[١].

إلا أنه ينكر على الكنيسة احتكارها حق الحكم على حدثٍ ما أنه فوق طبيعي أم لا، وفي استبيان حقيقته الدينية واعتباره معجزة أم لا، وذلك استناداً إلى تفسيرها نص إنجيل متى[٢]: فسيظهر مسحاء دجالون، وأنبياء كذابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب، حتى إنهم يضلون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر. فها إني قد أنبأتكم»[٣].

ويبدو أن دعوى الكنيسة انفرادها بحق الحكم على مدى إعجاز فعلٍ ما من عدمه، محاولة للخروج من مستنقع الخلاف العميق غير المنضبط حول وجه دلالة المعجزة في المسيحية، إذ تفترق الآراء إلى ثلاثة:

أولها: من يقول بأن: «المعجزة دليل النبوة، ولا نبوة بلا معجزة ! فالدعوة الدينية برهان إلهيتها الأوحد إنما هو المعجزة»[٤].

---

(١) السابق، الموضع نفسه.

(2) Henri Bon , Wunder . Wissenschatf und Kirche, S : 9 .

(٣) متى (٢٤ / ٢٤)، وانظر: مرقس (١٣ / ٢٢).

(٤) يوسف درة الحداد / مصادر الوحى الإنجيلى (تاريخ المسيحية) ص: ٦٢٥، ٦٢٦.

وانظر: مقالة حنين بن إسحاق (كيفية إدراك حقيقة الديانة) ص: ١٨١.

ودلالة المعجزة على النبوة لدى الطبيعيين الإنجليز في:

Bernhard Bron, Das Wunder, S : 38 .

ولا شك أن أولئك ممن وقف على الفكر الإسلامي، وتربى في أحضانه أو اطلع على شيء منه.

الثاني: رأي الكنيسة الذي أُرسي في المجمع الفاتيكاني عام ١٨٧٠م، وبلوره منشور البابا بيوس العاشر Pius X عام ١٩٥٠م، ومؤداه أن المعجزة تخدم إثبات إلهية مصدر الديانة المسيحية؛ لمناسبتها كل البشر، فهي بذلك علامات على الوحي الإلهي[١].

الثالث: يجعل الهدف من المعجزة التدليل على ألوهية عيسى[٢]. يقول نقولا يعقوب غبريل: «فالمسيح بقوته الإلهية عمل المعجزات والأشياء الخارقة بخلاف الأنبياء؛ لأنهم عملوا المعجزات بقدرة الله، لا بقدرتهم»[٣].

ويستند الرأي الأخير فيما يبدو إلى أمرين هما:

أ ـ أن دافع المعجزة في العهد الجديد ـ كما يظهر من الطريقة التي يحشرها فيه كتّابه ويعرضونها ـ هو تأكيد إعلاء بدء زمن الخلاص الأخروي على يد الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد[٤]، ذلك الدافع الذي يتجسد في عرض المعجزات على النحو الآتي:

(1) Hermann Lais, Was sagt die Kirche zum Wunder ? in : Wunder und Magie, Gesammelte Beitrage .

وانظر قاموس العقيدة الكاثوليكية:

Lexikon der Katholischen Dogmatik, Hrsg von : Wolfgang Beinert , S : 426 .

(2) Henri Bon, Wunder . Wissenschaft und Kirche, S : XVL .

- RGG , SP : 1838 .

(٣) نقولا يعقوب غبريل / أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين / ص: ٥٦.

(4) RGG , SP : 1836 .

١ ـ مسبوقة لدى مرقس بإعلان صوت سماوي، وأن عيسى هو ابن الله[١].

٢ ـ مشفوعة لدى يوحنا بسجود الأعمى الذي أبصر لعيسى وإقراره بأنه الرب[٢]، ولدى مرقس بتعرف الجن على أن عيسى هو قدوس الله[٣].

٣ ـ مقرونة لدى متى بالهتاف «أنت ابن الله حقاً»[٤].

٤ ـ محشورة لدى لوقا في إطار الإجابة عن سؤال المعمدان: أأنت القادم أم ننتظر آخر[٥]؟ للإيحاء بإعلان بدء زمن الخلاص الأخروي.

ب ـ بعض النصوص التي تصرح بالقول بألوهية عيسى وربوبيته بسبب ما أتى به من معجزات، كما جاء في:

١ ـ يوحنا: «وأتى يسوع أمام التلاميذ بآيات أخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب، وإنما كتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله»[٦].

٢ ـ الرسالة إلى العبرانيين: «فكيف ننجو نحن إذا أهملنا مثل هذا الخلاص الذي شرع في إعلانه على لسان الرب، وأثبته لنا أولئك الذين سمعوه، وأيدته شهادة الله بآيات وأعاجيب ومعجزات مختلفة»[٧].

لكن حجة هذا الرأي واهية، وينقضها ويعارضها أمور؛ منها:

١ ـ بعض النصوص التي تقطع وتصرح بدلالة المعجزة على الإيمان المجرد،

(١) مرقس (١ / ١١).

(٢) يوحنا (٩ / ٣٥ ـ ٣٩).

(٣) مرقس (١ / ٢٣ ـ ٢٥).

(٤) متى (١٤ / ٢٢ ـ ٣٣).

(٥) لوقا (٧ / ١٨ ـ ٢٣).

(٦) يوحنا (٢٠ / ٣٠)، وانظر (٢ / ٢١).

(٧) الرسالة إلى العبرانيين (٢ / ٣ ـ ٤).

كما جاء في يوحنا: «إذا لم تروا الآيات والأعاجيب لا تؤمنوا»[١].

٢ ـ نصوص تنص صراحة على أن الله هو الذي يجري المعجزات على يد عيسى نفسه، كما في: «يا بني إسرائيل ! اسمعوا هذا الكلام ! إن يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيده الله لديكم بما أجري عن يده بينكم من المعجزات، والأعاجيب، والآيات كما أنتم تعلمون»[٢].

وكذلك ما يجري على يد غيره من دعاة المسيحية، كما في «فذهب أولئك في كل مكان، والرب يعمل معهم ويؤيد كلمته بما يصحبها من الآيات»[٣].

٣ ـ أن القول بألوهية أو نبوة أو مسيحانية عيسى استناداً إلى ما نسب إليه من معجزات يلزم منه القول بألوهية أو نبوة أو مسيحانية غيره من رسله وتلاميذه وأتباعه ممن نسب إليهم القيام بنفس أعماله الخارقة ومعجزاته وعلى وجه الخصوص الرسولان: بطرس وبولس، فكلاهما:

- يقيمان الموتى[٤].
- يشفيان المرضى والمقعدين[٥].
- يطردان الجن والشياطين[٦].
- تصاحبهما الملائكة وتعاونهما في القيام بالمعجزات[٧].

---

(١) يوحنا (٤/ ٤٨) .

(٢) أعمال الرسل (٢/ ٢٢).

(٣) مرقس (١٦ / ٢٠).

(٤) أعمال الرسل (٩/ ٤٠، ٢٠/ ١٠ ــ ١٢).

(٥) أعمال الرسل (٣/ ٢ ـ ٧، ١٩ / ٧ ـ ٩).

(٦) أعمال الرسل (٥/ ٦، ٨ / ٢٠، ١٣ / ١١، ١٦ / ١٨، ١٩ / ١٣).

(٧) أعمال الرسل (١٢ / ٧، ١٦ / ٢٦).

بل إن قدرة بطرس على المعجزة فاقت مقدرة عيسى، إذ انفرد بطرس بالقدرة على شفاء المرضى بنظام التحكم عن بعد، فكان يكفي أن يقع ظله على مريض فيشفى تلقائياً من لحظته. كما يقص ذلك سفر أعمال الرسل: «وجرت على أيدي الرسل آيات ومعجزات كثيرة في الشعب! وكان المؤمنون بالرب ينضمون أكثر فأكثر جماعات من رجال ونساء، حتى إنهم كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع، ويضعونهم على فرش وأسرة، ليقع ولو ظل بطرس عند اجتيازه على بعض منهم»(١).

لذلك وبسبب سلطان المعجزة الممنوح لهما، أقرّ معاينو معجزاتهما بألوهيتهم(٢).

وهذا ما لا يقول به أحد في المسيحية أو غيرها، كما أنه يصادم عقيدة التثليث التي تدعو إلى ثلاثة آلهة فقط، ليس من بينهم بطرس أو بولس.

إذن يتبقى لدينا خياران؛ أن تدل المعجزة على النبوة، أو على إلهية مصدر الدعوة !!.

وذلك ما ينفيه بشدة البروفيسور هانز كينج Hans Kung أستاذ العقيدة المسيحية بجامعة ميونخ، والذي طردته الكنيسة بسبب آرائه الحرة من منصبه، وفقد بسبب جرأته كرسي العقيدة المسيحية بكلية اللاهوت الكاثوليكي، فيقول: «إن معجزات عيسى ليست دليلاً كافياً لتأسيس الاعتقاد أو إثبات صحته»(٣).

ومثل هذا التأكيد على عدم كفاية المعجزة في المسيحية أو قدرتها على إثبات صحة الاعتقاد، تؤيده الدلائل والقرائن والشواهد التالية:

---

(١) (٥/ ١٢ ـ ١٦).

(٢) أعمال الرسل (١٠/ ٢٥ ـ ٣٣، ١٤ / ١١).

(3) Hans Kung , Christ Sein , S : 227 , Munschen - Zurich 1974 .

أولاً: نتائج العلم الحديث

على الرغم من حساسية موضوع المسيحية والعلم، نظراً لأزلية وأبدية الخصومة بينهما، بسبب تشبث الأولى بتصورات تصطدم بأصول ونتائج ومكتشفات العلم الحديث، والتي أبرزها اعتقاد الكنيسة أن الأرض محمولة على قرني ثور، وأن الشمس تدور حولها، ذلك الاعتقاد الذي قاومه جاليليو بجملته الشهيرة «إنها ـ أي الأرض ـ تدور بالفعل» حول نفسها وحول الشمس، فكان جزاءه وغيره ممن عارضوا معتقدات الكنيسة التكفير والمطاردة والقتل، ربما استناداً إلى قول بولس: «حكمة هذا العالم حماقة عند الله. إن الرب عليم بأفكار الحكماء ويعلم أنها باطلة»[1]؟

وعلى الرغم من أن المسيحية ليست في وضع يسمح لها بإباحة البحث العلمي التجريبي والنظر الحرّ في الكون والآفاق للوقوف على الأسباب والعلل وكشف قوانين الطبيعة الحاكمة[2].

وعلى الرغم من أن الكنيسة قد تعين عليها أن تسلّم بخطأ تصوراتها وعقائدها عن الكون والإنسان، وذلك في مواجهة العلم ونتائجه[3].

وعلى الرغم من أن معجزات المسيحية ليست مثل المعجزات الكبرى في الإسلام واليهودية، التي فيها تداخل مع قوانين الطبيعية وظواهرها، كفلق البحر لموسى وشق القمر لمحمد عليهما السلام.

فإن تحري الدقة يلزمنا فقط الإشارة إلى وجه تصادم ما يتعلق بمعجزات

---

(١) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٩/٣ ـ ٢٠) وانظر: (١/١٩، ٢٠، ٢٧).

(2) Wiltī Born , Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , S : 4 .

(٣) السابق / ص ٣ .

الطبيعة في المسيحية مع نتائج العلوم الطبيعية، آخذين بعين الاعتبار أن فكرة مؤلفي العهد الجديد عن العالم غير علمية بالمرة[1].

إذ إن مشكلة المسيحية الكبرى والرئيسة مع العلم والحضارة، تلك التي تتعلق برفض العلم لروايات العهد الجديد عن طبيعة المسيح ومعجزاته من منطلق تصادمها مع معطيات التاريخ والعلوم[2].

فمن المؤكد أننا لا نجد في أية ديانة خارج المسيحية هذا الكم الهائل من المعجزات التي تحدث حتى يومنا هذا، والتي لا يستطيع العلم أن يؤكد صحتها[3].

مما أدى بالعلامة ماكس بلانك لإصدار حكمه الشهير عام ١٩٤٧ بأنه: «للإبقاء على قيمة ما للمسيحية للعالم المعاصر، ومن ثم للعالم الغربي، يجب على الإنسان أن يقرر بإخلاص التخلي عن المعجزات التي تشكل عائقاً شائكاً أمام وصول المسيحية إلى إنسان الحضارة المعاصرة؛ بسبب تعارضها مع العلم»[4].

ولعل أبرز الأمثلة على ذلك، وأكثرها تعارضاً مع قوانين الطبيعة ومعطيات العلم هو منطلق المعجزة في المسيحية، والقائم على الاعتقاد بتسلط المسيحي على الكون، كما بين ذلك بولس الرسول بقوله: «فكل شيء لكم: أبولس كان أم أبلس أم صخرا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الحاضر أم المستقبل، كل شيء لكم»[5].

---

(١) السابق / ص ١٠.

(2) Ninian Smart , Die grossen Religionen , S : 259 .

(3) Henri bon , Wunder . Wissenschaft und Kirche , S : 8 .

(4) Hermann Lais , Was sagt die kirche zum Wunder ? S : 18 .

(٥) الرسالة الأولى إلى قورنتس (٣/ ٢١ ـ ٢٢).

ثانياً: معطيات النقد التاريخي.

وهو ـ في الحقيقة ـ أحوج ما تكون إليه مسألة المعجزات في العهد الجديد، لكونها ليست معجزات كونية يمكن التثبت من صدقها بإخضاعها للفحص العلمي التجريبي، بل هي ـ باستثناء معجزة عيسى بتسكين البحر الهائج ـ من قبيل الروايات والقصص والأخبار التي هي من صميم علم النقد التاريخي.

وفي هذا الشأن يقرر علماء النقد التاريخي أن ما حكي من معجزات مسيحية لم يقع ـ بالتأكيد ـ على الرغم من وجود القصص والروايات، لكن هذه الروايات غير دقيقة علمياً، بل مجموعة من الظنون والتخمينات المفتقرة إلى الأدلة[١].

إذ لا توجد معجزة في العهد الجديد يمكنها الثبات أمام معطيات النقد التاريخي[٢].

ويقوم هذا الحكم النقدي الصارم على اعتبارين[٣]:

١ ـ أن تلك المعجزات ليس فيها شيء من التواتر، بل هي نقل أفراد.

٢ ـ أن وظيفتها ليست تقوية الإيمان وتأكيده أو الهداية وتقريبها، بل قد صيغت ونسجت في إطار كيرجماتي هدفه الكشف عن بدء زمن الخلاص الأخروي، الذي تتجلى فيه قدرة الله العلي وسلطانه في عيسى المسيح.

(1) Willi Born , Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , S : 14 .

(2) RRG , S P : 1837 .

(٣) الموضع السابق نفسه، وانظر:

- Karl - Kertelge Trier , Die Uberliferung der Wunder Jesu und die Frage nach dem historischen Jesus , S : 192 - 193 . in : Ruckfrage nach Jesu , Hrsg.von: K.K.Trier .

لذا لا يراها فرانز موسنر Franz Musser ملزمة للإيمان، بل ليس فيها أكثر من حث على الإيمان، إذ إنهـا تفـتـرض من ناحـية أخـرى الإيمان، وعلى وجـه التحديد الإيمان بيسوع الذي يعلن الله فيـه عن نفسه بقدرته وعظمته، والذي يظهر معه الملكوت؛ أي يسوع الكيرجما الذي بشرت به الجماعة المسيحية الأولى[١].

وهنا يجب التأكيد على أن ما ذهب إليه موسنر وغيره من عدم إلزام المعجزة ـ كما عرضها العهد الجديد ـ الإيمان، وذلك استناداً إلى معطيات النقد التاريخي.

وإن كان يصح عـلى سبيل الإجـمال، إلا أنه لا يجـوز لنا بحال اسـتبـعاد وحذف كل مـعجزات عـيسى التي تلبي مطالب البحث الـتاريخي، أعني تلك التي ارتبطت بشـخصـية عـيسى التـاريخي، وكانت دافـعاً لإيمان الشـعب من معـاصريه بنبوته، كمـا يظهر ذلك في مبـحث «عيسى التـاريخي» في الفصل القادم، وربما يكون البروتستانت قد اقتربوا من تبني ذلك علمياً، حينما اعتبروا معجزات الشفاء فقط هي الصحيحة أما سواها فهو خرافات وأساطير[٢].

وواجبنا فقط محاولة الوصول إلى هذه المعجزات وفصلها عن إطار معجزات العهد الجـديد الكيرجماتي، فـذلك ما تفرضه مقـتضيات الموضـوعية ومطالب البحث العلمي الحر والدقيق.

ثالثاً: بحوث تاريخ الأديان

وهي تقطع بأن معـجزات المسيـحية يجدها المـرء مسطورة في كل مكان من تاريخ أمم الشرق القديم أحيانا باللفظ نفسه وأحياناً بالمعنى[٣]:

(1) Franz Mussner , Die Wunder Jesu, S : 72 .

(2) Gottfried Traub, Die Wunder im N. T , S: 140 , in: Der Wunderbgriff im N .T.

(٣) الموضع السابق نفسه، وانظر أيضا:

Gard petzke , Historizitat und Bedeutsamkeit von Wunderberichten, S : 384. in : N . T und christliche Existenz, (F . S) Hrsg von : Hon Betz.

١ ـ فمعجزات عيسى في طرد الشياطين والجن نجدها تطابق ما ورد في التاريخ المصري القديم، وكذلك لدى البابليين[١].

٢ ـ معجزات إطلاق سراح السجناء وإسكات البحر الهائج معجزات هلينستية تقليدية[٢]، فعقيدة رجل الله الهلينستية قد انتقلت ـ بدون شك ـ إلى المسيحية فسحبت على عيسى وتلاميذه ورسله، وبالقوالب والصيغ اللغوية القديمة نفسها[٣].

ويحصي لنا القاموس العقائدي للعهد الجديد أسماء بعض رجال الله في الهلينستية من أصحاب المعجزات المطابقة لشخصيات عيسى وتلاميذه، فيذكر منهم[٤]: إيبداوروس Epidauros، أبولونيوس فون تيانا Apollonios von Tyana، بيرجامون Pergamon.

٣ـ معجزات تكثير الطعام، وهبوط الروح القدس على هيئة حمامة عقب تعميد المسيح في نهر الأردن، والمشي على الماء، وبلبلة الألسن في أحداث العنصرة، لمعجزات ذات صبغة يهودية لا تنكر[٥].

مما حدا بالبعض إلى نسبة الدعوة المسيحية كلية وإرجاعها إلى أصل يهودي قمراني، خاصة بالنظر إلى التشابه الكبير بين أسلوب جماعة رهبان قمران في الدعوة إلى التوبة بطريقة الغسل في الماء الجاري وبين العماد المسيحي بالإضافة إلى دعوات التقشف والرهبانية[٦].

(1) Gottfried Traub , Die Wunder in N.T, S : 160 .

(2) RGG , SP : 1835 .

(٣) السابق.

(4) Th WNT , lll , S : 205 - 207 .

(5) RGG , SP : 1836 .

(٦) يوسف الحداد / مصادر الوحى الإنجيلى (تاريخ المسيحية)، ص: ٦٠٦ ـ ٦١٠.

رابعاً: مقررات العقول

إذا كانت وجهة نظر الفلسفة والعقل أنه لا يمكن إثبات حقيقة كلية أو جزئية في العهد الجديد[1]، فإن إثبات حقيقة المعجزة كعمل خارق يجريه الله ـ تعالى ـ على يد نبي إثباتاً وتأكيداً لإلهية مصدر دعوته تظل عسيرة المنال كغيرها من حقائق العهد الجديد.

لذا لا يفتأ العقلانيون، مثل روسو وفولتير، الذي لا يرى في عيسى إلا نبياً كبيراً، من التأكيد على رفضهم المطلق لقصص المعجزات في العهد الجديد. والتي يعدونها مجرد اختلاقات من قبل دهاة القساوسة الذين استغلوا جهل مواطنيهم، فلفقوا هذه القصص لإثبات مسيحانية عيسى التي ربطوها باسمه فجعلوها لقباً له[2].

ويرجع رفض العقل قبول المعجزة المسيحية دليلاً على النبوة، لما يلي:

١ ـ وقوع المعجزة على يد الفسقة والكذابين ومدعي النبوة، كما حكى متى: «فسيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب، حتى إنهم يضلون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر»[3].

٢ ـ أن سلطان المعجزة ليس قاصراً على عيسى ورسله وتلاميذه فقط، بل يتعداهم إلى غيرهم من الأعوان كفيلبس: «وانحدر فيلبس إلى مدينة في السامرة، وأخذ يبشرهم بالمسيح، وكان الجموع يصغون بقلب واحد لأقوال فيلبس؛ لسماعهم ومعاينتهم المعجزات التي كان يجريها، فإن كثيرين من

---

(1) A . Schweizer , Geschichte der Leben - Jesu - Forschung , S : 149 .

(2) Joseph Klausner , Jesus von Nazareth, S : 98 .

(٣) متى (٢٤ / ١١ ـ ١٢) وانظر: مرقس (١٣ / ٢٢)، لوقا (٩ / ٤٩)، متى (٧ / ٢١ ـ ٢٣).

المقعدين والعمي قد برئوا، فكان في المدينة فرح جزيل»[1].

ولم يقتصر الأمر على زمن الرسالة والوحي، بل تعداه إلى عصرنا الحاضر، فدعاة المسيحية ـ كما يقول مؤرخ المسيحية يوسف الحداد ـ ينشرون المعجزات كما ينشر الشجر أوراق الخريف[2].

يحكي هنري بون أن معجزة تكثير الطعام والخمر على يد المسيح قد حدثت في دير للراهبات في فرنسا عام ١٨٨٣م، حيث كانت الراهبات تحتفظ بكمية من القمح والشعير لا تكفي في العادة إلا لمدة شهر ونصف، فاستنجدت الراهبات في صلواتهن بالأموات المقدسين، فتكثرت كمية القمح والشعير حتى كفتهن لمدة ثلاثة أشهر كاملة[3].

٣ ـ عدم رواية معجزة واحدة عن يوحنا المعمدان رغم إقرار العهد الجديد بكونه نبياً بل أعظم من نبي.

٤ ـ أنها تجري غالب الأحيان لخدمة هدف شخصي، أو إثبات براعة ومقدرة على السحر، وليس لإثبات حقيقة دينية أو حق إلهي. وذلك كمعجزة السمك المحمل بالإستار، ومعجزة بولس في شفاء مرضى جزيرة مالطة، وأمر بطرس لسمكة الرنجة بالسباحة وأخرى كثيرة غيرها علق عليها فيلبي مينود Philippe Menoud قائلاً: «نحن أمام قائمة من المعجزات يمكن إطالتها، وهي تجعلنا أمام أعمال لا غرض لها إلا إثبات قدرة سحرية، تماماً كما يفعل أبولونيوس فون تيانا»[4].

---

(١) أعمال الرسل (٨ / ٢ ـ ٨).

(٢) يوسف الحداد / مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية) ص: ٦٢٥.

(3) Henri Bon , Wunder, Wissenschaft und kirche , S : 15 .

(4) Philippe - H . Menoud, Die Bedutung des Wunders , S : 297 in : Der Wunderbegriff im N . T .

خامساً: ملاحظات «نقد النص».

وتذهب في ثلاثة اتجاهات تلقي بظلال الشك الكثيفة على قيمة المعجزة المسيحية وإمكان دلالتها على الوحي، وهي على النحو التالي:

١ ـ صاحب المعجزة

وهو الذي تعد شهادته من أكبر الدلائل على وقوع المعجزة وأدق المعايير في الحكم عليها، وهناك نصان من الأهمية بمكان:

أولهما: ينفي فيه المسيح إمكان وقوع أية معجزة على يديه. يقول مرقس: «فأقبل الفريسيون وأخذوا يجادلونه، فطلبوا آية من السماء ليحرجوه. فتنهد من أعماق نفسه، وقال: ما بال هذا الجيل يطلب آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية!»[١]. وقد حرص على أن يبدد شكوك الجموع الذين ظنوا أنه أقام ابنة يائيرس من الموتى، فبين لهم أن الصبية «لم تمت، إنما هي نائمة»[٢].

والثاني: يؤكد فيه بولس أن برنامج الرسل في التبشير لا يتضمن الإتيان بالمعجزات، ويعتذر فيه عن عدم تلبية رغبة اليهود في رؤية المعجزات، وكذلك رغبة اليونانيين الباحثين عن الحكمة، فيقول: «ولما كان اليهود يطلبون الآيات، واليونانيون يبحثون عن الحكمة، فإننا نبشر بمسيح مصلوب، عثار لليهود وحماقة للوثنيين»[٣].

لذلك لا تلعب المعجزة أى دور يذكر في برنامج بولس التبشيري، بل إنه لم

(١) مرقس (٨ / ١١ ـ ١٢)، وانظر: متى (٨ / ١٠، ١٢ / ٣٨ ـ ٣٩، ١٦ / ١ ـ ٤) لوقا (١١ / ١٦ ـ ١٩) يوحنا (٦ / ٣٠ ـ ٢٣).

(٢) متى (٩ / ١٨ ـ ٢٦)، مرقس (٥ / ٢٢ ـ ٤٣)، لوقا (٨ / ٤٠ ـ ٤٨).

(٣) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١ / ٢٢ ـ ٢٣).

يحفل على الإطلاق بحكاية أيٍّ من قصص معجزات عيسى ورسله التي اكتظت بها صفحات العهد الجديد[1].

٢ ـ رواة المعجزة.

وهؤلاء تحيط بروايتهم الشكوك من جهتين:

الأولى: أن المسيح كان يستكتم خبر المعجزة، ويحرص على بقائها سراً، لدرجة أن أقرب أقربائه لم يكونوا يؤمنون به، فقالوا له: «اذهب من ههنا وامض إلى اليهودية، حتى يرى تلاميذك أيضاً ما تعمل من الأعمال، فما من أحد يعمل في الخفية إذا أراد أن يعرف. وما دمت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم. ذلك بأن إخوته أنفسهم لم يكونوا يؤمنون»[٢].

فمن أين أتى هؤلاء بأخبار هذا العدد الهائل من المعجزات؟ وكيف خالفوا رغبة المسيح في إبقائها سراً وتحذيره لهم: «إياكما أن يعلم أحد»[٣]؟

الثانية: يقظة أولئك الرواة الذين تحدثوا بما توهموا وقوعه، كما حدث في معجزة لقاء التجلي بين موسى وإيليا وعيسى، والتي يصف مؤلف إنجيل لوقا رواتها بقوله: «وكان بطرس واللذان معه قد أثقلهم النعاس، ولكنهم استيقظوا فعاينوا مجده والرجلين القائمين معه، حتى إذا همَّا بالانصراف عنه قال بطرس ليسوع: يا معلم حسن أن نكون ههنا، فلو نصبنا ثلاث خيم، واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا. ولم يكن يدري ما يقول»[٤].

(1) Gottfred Traub, Die Wunder im N . T , S : 129 .

(٢) يوحنا (٧ / ١ ـ ٥).

(٣) متى (٩ / ٣٠).

(٤) لوقا (٩ / ٣٢ ـ ٣٣).

٣ ـ روايات المعجزة

وهي تنطوي على قدر عظيم من الاختلاف والتناقض الذي تكذب فيه كل رواية أختها مما يستحيل معه القطع بصحة إحداها؛ وذلك في الأمثلة التالية:

أ ـ قيامة المسيح من الموتى وظهوره للتلاميذ.

وهي الحدث الذي لا يقوم عليه إثبات نبوة وإلهية مصدر الدعوة المسيحية فقط، بل يقوم عليه أساس وجود ومشروعية المسيح عامة، ويختلف كتاب العهد الجديد في رواية هذا الحدث من جانبين[١]:

أولهما: القيامة

فلا يتفقون على شيء من العناصر الرئيسة لقصة زيارة النسوة للقبر الخالي، فيذكر مرقس أن الزائرات كن ثلاثة من النسوة، لكن متَّى يذكر اثنتين فقط، بينما يقول لوقا: إنهن كن جميعاً من النساء ومعهن أناس، أما يوحنا فيجعل بطلة الزيارة مريم المجدلانية وحدها.

ويختلفون حول الشاب المتواجد عند القبر، فبينما هو في متَّى ملاك الرب ومنظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج، يروي لوقا أنهما كانا رجلين بثياب براقة، ويجعلهما مرقس رجلاً واحداً، أما يوحنا فيذكر ملاكين يجلس أحدهما عند الرأس والآخر عند القدمين.

الثاني: الظهور

يختلف الإنجيليون فيمن كان أول من رأى القائم من الموتى، فيجعله مرقس ومتَّى ويوحنا من نصيب مريم المجدلانية، بينما جعل لوقا الظهور الأول من نصيب اثنين كانا منطلقين إلى قرية عمواس.

---

(١) احمد عبد الوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية / ص: ٢٩٠ ـ ٢٩٩.

ويختلفون في مكان وقوعه للأحد عشر؛ إذ يحدث الظهور في الجليل لدى مرقس ومتى، ويجعله لوقا ويوحنا في أورشليم. وكذلك يختلفون في مرات الظهور، فيحكي يوحنا عن ثلاث مرات، أما الباقون فيتحدثون عن مرة واحدة فقط.

ب ـ شفاء الأبرص

يشفى عيسى أبرصَ عقب انتهائه من خطبة الجبل[١]، يتحول هذا الأبرص لدى لوقا إلى عشرة برصان[٢].

جـ ـ تكثير الطعام في بيت صيدا

يطعم عيسى أربعة آلاف رجل خلاف النسوة والأطفال بسبعة أرغفة وبعض سمكات صغار، فأكلوا حتى شبعوا، وفضل عن حاجتهم سبع سلال ممتلئة[٣].

بينما يتحول الآكلون لدى لوقا إلى خمسة آلاف رجل، أطعمهم عيسى بخمسة أرغفة وسمكتين فقط، وكان المتبقي بعد شبعهم اثنتا عشرة قفة[٤].

د ـ إنقاذ الرسل من السجن:

وتختلف رواية سفر أعمال الرسل بشأنها في العناصر التالية: ـ

١ ـ آلية فتح باب السجن.

ـ ففى (١٢ / ١٠) ينفتح الباب من نفسه.

ـ في (٥ / ١٩) يفتح ملاك أبواب السجن ليلا.

---

(١) متى (٨ / ١ ـ ٤).

(٢) لوقا (١٧ / ١١ ـ ١٩).

(٣) متى (١٥ / ٣٢ ـ ٣٨).

(٤) لوقا (٩ / ١٠ ـ ١٧).

ـ في (١٦ / ٢٦) ينفتح الباب في أعقاب زلزال.

٢ ـ الهاربون.

ـ في (٥ / ١٩) جميع الرسل.

ـ في (١٢ / ٧ ـ ١١) بطرس وحده.

ـ في (١٦ / ٢٦) جميع السجناء.

سادساً: وقائع التاريخ

وقد أثبتت وقائع التاريخ أمرين:

أولهما: عدم تحقق نبوءات العهد الجديد الإعجازية، والتي من أبرزها:

أ ـ تنبؤ المسيح بعودته ونهاية العالم في عصر الجيل الأول من تلاميذه. يقول متّى: «وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتى الغروب، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان، وحيث تكون الجيفة تتجمع النسور، وعلى أثر الشدة في تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يرسل ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماء، وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان، فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتياً على غمام السماء في تمام العزة والجلال، ويرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير، فيجمعون الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع من أطراف السموات إلى أطرافها الأخرى.

من التينة خذوا العبرة، فإذا لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب، وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور كلها، فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب، الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجيل حتى تحدث هذه الأمور كلها»[1].

---

(١) متى (٢٤ / ٢٦ ـ ٣٤) وانظر: مرقس (١٣ ـ ٣٠)، لوقا (٢١ / ٢٥ ـ ٣٢).

وقد مضى عشرون قرناً من الزمان ولا يزال العالم قائماً، ولم يأت المسيح على الرغم من نهاية الموعد المضروب لذلك !!

وتجدر الإشارة إلى أن عدم تحقق هذه النبوءة قد شكل مشكلة كبرى للمسيحية منذ بدايتها، إذ بدأ الشك والتشكيك في إلهية مصدرها بسبب عدم تحقق هذه النبوءة منذ عصر الجيل الأول، فسجل بطرس ذلك في رسالته الثانية قائلاً: «فاعملوا أول الأمر أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزؤون كل الاستهزاء، تقودهم أهواؤهم، فيقولون: أين موعد مجيئه؟ لقد مات آباؤنا ولا يزال كل شيء منذ بدء الخليقة على حاله !!»[١].

ب ـ نبوءة أغابوس بحدوث مجاعة عامة في الأرض

يحكى سفر أعمال الرسل: «وفي تلك الأيام نزل بعض الأنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. فقام أحدهم واسمه أغابوس، فأخبر بوحي من الروح أن ستكون مجاعة شديدة في المعمور كله»[٢].

ويعلق كرافت على ذلك قائلاً: «تاريخياً لا يعرف العالم مجاعة من هذا القبيل»[٣].

الثاني: وقوع خلاف المتنبأ به.

من ذلك مثلاً:

أ ـ تنبؤ المسيح بقتل ابني زبدي: يعقوب ويوحنا[٤].

(١) رسالة بطرس الثانية (٣ / ٣ ـ ٤).

(٢) أعمال الرسل (١١ / ٢١ ـ ٢٨).

(3) H . Karaft , Die altkirchliche Prophetie, S : 521 - 252 , in : Thz 11 .

(٤) متى (٢٠ / ٢٠ ـ ٢٣)، مرقس (١٠ / ٣٩).

وقد قتل يعقوب فعلاً حوالي ٢٤ ميلادية في أورشليم[١]، أما يوحنا فإنه قد مات في أفسس في حكم تراجان حوالى ٩٨ ـ ١٠٠ ميلادية[٢]، ولم يُقتل كما تنبأ المسيح.

ب ـ نبوءة عيسى بأن الاثني عشر تلميذاً سيصحبونه في العالم الآخر، ويجلسون على اثني عشر كرسياً ليدينوا أسباط إسرائيل.

يحكي متَّى على لسان بطرس سائلاً المسيح: «ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك، فماذا يكون مصيرنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم؛ أنتم الذين تبعوني متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عندما يجدُّ كل شيء، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر عرشاً، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر»[٣].

ومن المعلوم أن يهوذا الخائن قد قتل، واختار الرسل بالقرعة متّيا ليكون أحد الاثني عشر، ويجلس على كرسي إدانة سبط إسرائيل الثاني عشر، بدلاً عن يهوذا[٤].

جـ ـ تنبؤ المسيح بأن من يمنح سلطان المعجزة أو يجريها باسمه، فلن يستطيع إساءة القول فيه.

يحكي مرقس قائلاً: «قال يوحنا: يا معلّم ! رأينا رجلاً يطرد الشياطين باسمك، فأردنا أن نمنعه لأنه لا يتبعنا. فقال يسوع: لا تمنعوه، فما من أحد

(١) أعمال الرسل (١٢ / ٢).

(٢) قاموس الكتاب المقدس / جون طمسن ـ بطرس عبد الملك وآخرون / ص: ١١١٠ ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٩١، تاريخ الكنيسة / جان كمبى / ص ٣٩٥ ـ دار المشرق، بيروت ١٩٩٤ م.

(٣) متى (١٩ / ٢٧ ـ ٢٨)، وانظر: مرقس (١٠ / ٢٨ ـ ٣١) لوقا (١٨ / ٢٨ ـ ٣٠).

(٤) أعمال الرسل (١ / ٢١ ـ ٢٦).

يجري معجزة باسمي يستطيع بعدها أن يسيء القول فيَّ»[1].

ومعلوم أن يهوذا الإسخريوطي قد خان المسيح وأسلمه مقابل حفنة من الذهب، أما بطرس فقد أنكر صلته بعيسى أو معرفته به، وهما اللذان قد منحا سلطاناً مطلقاً على المعجزات.

ننتهي مما سبق إلى أن المعجزة في المسيحية كما يعرضها العهد الجديد لا تدل على الوحي أو النبوة؛ لمصادمتها معطيات العلوم ومقررات العقول، ولا يستثنى من هذا التعميم إلا معجزات معدودة تلك التي وردت في سياق الإخبار عن المسيح التاريخي، والتي تعرف عليها علماء النقد التاريخي ومدرسة الأشكال الأدبية، وهي التي يجب تتبعها وفصلها خارج إطار معجزات العهد الجديد.

* * *

(١) مرقس (٩ / ٣٨ ـ ٣٩)، وانظر: لوقا (٩ / ٤٩ ـ ٥٠).

الفصل الرابع

المسيـــــــح

كان المسيح نبياً كبيراً،
ولم يكن قط شيئاً آخر.

فولتير

مدخل

على الرغم من الأهمية البالغة والقيمة الكبرى لنبوة المسيح عند البحث في حقيقته ودوره في تأسيس الديانة، فإنها لا تحظى بالمكانة ذاتها في معتقد النصارى حول المسيح، إذ لا تلعب هنا إلا دوراً جانبياً، ولا تمثل إلا منظوراً هامشياً متوارياً في ظلال عناصر التبشير التي شكلت هيئة المسيح في قالب جديد، جعلته موضوعاً للديانة والعقيدة.

ومن ثم اختفى دور المسيح النبي من قانون الإيمان المسيحي، ومن مقررات المجامع النصرانية، بدءاً من مجمع الرسل وحتى مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م.

ولما سُمح لدور المسيح النبي بالطفو على سطح مقررات مجمع الفاتيكان الثاني، كإحدى وظائف عيسى الأرضية الثلاث: الملِك، الكاهن، النبي. كان ذلك لخدمة أحد عناصر التبشير بعيسى «كمسيح» تحققت فيه شروط ومواصفات المسيح المنتظر[1] في أشكالها النهائية الثلاثة الموروثة من اليهودية كما بُسط هذا في الباب الأول. وقد سمح لهذا الدور بالظهور لكن ليس بإطلاق، بل مصحوباً بالتحذير من تقنين المسيح أو معاملته أو تصنيفه كنبي، لأنه رب التاريخ.

ولذلك يكاد يستحيل الوقوف على حقيقة المسيح ـ بسبب هذا التداخل ـ

(1) Heinrich Denzenger , Kompendium der Glaubensbekenntnise und kirchlichen Lehrentscheidungen, S : 1393.

دون عرض متكامل لعناصر العقيدة المسيحية في المسيح، حتى يمكن رصد تيارات التأثير والتأثر، وعلاقات التبادل المكاني والسبق التاريخي بين هذه العناصر، كي يتسنى الحكم التاريخي العلمي على حقيقة هذه العناصر، وبيان الزائف من الحقيقي منها.

لهذا يأتي هذا الفصل في المباحث التالية: -

١ - المسيح الكيرجماتي.

٢ - عيسى النبي.

٣ - المسيح التاريخي.

المبحث الأول

المسيح الكيرجماتي

الكيرجما Kerygma كلمة يونانية تعني الإعلان أو التبشير، وفي الاصطلاح: هي خلاصة عقيدة أتباع ورسل المسيح ومؤلفي العهد الجديد في عيسى، والتي دعوا إليها، وبشروا بها، ودونوها في صفحات كتابات العهد الجديد بأسفاره القانونية والزائفة، ثم تلقتها الكنيسة بالقبول والتصديق، وبنت عليها مجمل الاعتقاد المسيحي[١].

والبداية المؤكّدة للكيرجما هي حادثة عيد الفصح[٢] الأخير في حياة عيسى[٣]؛ لذلك يطلق على مسيح الكيرجما اسم «المسيح الفصحيّ»، أو «مسيح ما بعد الفصح»، وعلى الكيرجما اسم «عقيدة الفصح».

إذ تمّ في هذا اليوم القبض على عيسى تمهيداً لتقديمه إلى المحاكمة بتهمة التجديف ضد الدين اليهودي، وكان هذا إيذاناً بنهاية دعوته واختفائه من الحياة الدنيوية، ذلك الحدث الذي كان بمثابة إعلان بإخفاقه في رسالته، مما شكّل خطورة كبيرة على حياة أتباعه وعقيدتهم، فكان لابد من العثور على مخرج من هذه الأزمة، وكان المسيح الكيرجماتي هو الحل الأمثل لتلك الأزمة:

فذلك المسيح كائن إلهي أرسله أبوه السماوي إلى الأرض كي ينقذ أهلها من أسر الخطيئة التي وقع فيها أبو البشرية آدم، وتوارثها أبناؤه من بعده.

---

(1) Lexikon Fur Theologie und kirche , (Hrsg) von : Josef Hofer U. Karl Rohrer . S: 122 - 126.

(٢) عيد الفصح هو الاحتفال الذي يعقب فترة الصوم اليهودي.

(3) Klaus Berger, Theologiegeschichte des Urchristentums , S : 55 .

وقد وُعد بمجيئه بمجرد سقـوط آدم في الخطيئة، فحبلت به العذراء مريم من الروح القدس، وولد في بيت لحم في أيام هيردوس الكبير حاكم إقليم الجليل.

وقد اعتمـد عن يد النبي يوحنا المعمدان، وبدأ دعوته عقب اعـتقاله، تلك الدعـوة التي لم تستـمـر إلا حوالي ثلاثة أعـوام، انتهـت بموته على الصّليب ولكونه مات ظلماً، أقامه أبوه من بين الموتـى بعد ثلاثة أيام من دفنه؛ لتتم فيه نبوءات العهد القديم عن المسيح المنتظر المـتألم والقائم من بين الموتى، وليتحقق به خلاص البشرية والانتصار النهائي على الشيطان.

ثم تراءى هذا القائم من الموتى لتلاميذه مدة أربعين يوماً، لقنهم فيها تعاليمه ورسالته الجديدة التي كلفهم بحملها وتبليغها إلى جميع الأمم.

ثم تركهم وصعـد إلى يمين أبيه في السماء، واعداً إياهم بمجيـئه مرة أخرى على الغمام في مجد فائق كقاضٍ للبشر. وذلك قبل أن ينتهوا من تبليغ رسالته إلى أسباط إسرائيل[١].

(١) راجع تفاصيل حادث الفصح ومفردات الكيرجما لدى:

C. F . Evans : The Keryma, JTS . 1956 , P . 22 - 32 .

- William Baird, Waht is the Kerygma, JBL Lxx . V.1 , 1957 , 181 - 191 .

- Rudolf Bultmann, Theologie des Neuen Testaments, Tuebingen 1954 .

- H . Conzelmann, Grundriss der Theologie des Neuen Testaments . 1968.

وعلى وجه الخصوص، ص: ٥٥ ـ ٨٦.

- Klaus Berger, Theologiegeschichte des Urchristentums .

- Andreas Lindemann, Jesus in der Theologie des Neuen Testaments , in : Jesus Christus in Historie und Theologie . S : 31 - 57 . (Hrsg) Georg Strecker .

- Ninian Smart, Die grossen Religionen, S : 121 - 125 .

وكذلك انظر: قانون الإيمان المسيحى الذي قننت فيه هذه العقيدة وشرحت بتفصيل جيد في: =

ولا شك أن هناك عوامل أخرى بالإضافة إلى الإحساس بإخفاق المسيح قد ساهمت في نشأة الكيرجما واستمرارها وتطويرها، منها:

أولاً: الرفض اليهودي لرسالة المسيح، الذي لم يقف عند حدود عدم قبول دعوته والإيمان به، بل تطرف إلى قذف المسيح، وأمه، وأتباعه، ووصمه بألقاب قاسية تحط من شأنه وتطعن في شخصه، فما كان من أتباع المسيح إلا أن واجهوها بألقاب ترفع من قدره وتسمو به فوق جميع البشر:

إذ زعمت اليهود أنه[1]:

- ولد من الزنا.
- أبوه العسكري الروماني بانديرا.
- دجّال ودعيّ.
- صلب بواسطتهم لتجديفه ضد الدين اليهودي، وخروجه على شريعة موسى.

فغلت النصارى فى المسيح بقولها إنه:

- ولد من الروح القدس.

= - Katechismus der katholischen kirche.

وبالعربية انظر:

- تاريخ ابن البطريق / ١٢٧ ـ ١٤٥.
- تفسير الأمانة / ساويرس بن المقفع / باريس ١٩١٠م.
- اللآلى النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة / يوحنا سلامة (١ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣) مكتبة مارجرجس بشبرا. بدون تاريخ.
- مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة / لأبي البركات المعروف بابن كبر. تحقيق الأب سمير خليل (١ / ٤٩ ـ ٩٥).

(١) راجع ملخص اعتقاد اليهود في المسيح في الفصل الذي خصصه يوسف كلاوزنر في كتابه عن المسيح وأفرد له عنوان: «المصادر اليهودية لحياة المسيح»، ص: ١٧ ـ ٧٥.

Joseph Klausner , Jesus von Nazareth,.

- الله أبوه.

- ابن الإنسان، والمسيح المنتظر.

- فاعل المعجزات والأعاجيب.

- صلب لفداء البشرية وخلاصها.

ثانياً: نشأة المسيحية في بيئة يهودية مشبعة بآمال الترقب، والانتظار، والخلاص، والعودة، ودنو آخر الأزمنة، تلك التي عبرت عنها موجة عاتية من الأدب الرؤوي (الأبوكاليبسي)[١]، ذلك الذي يعد أصل اللاهوت المسيحي[٢].

ثالثاً: تأثير الحضارات والفلسفات والبيئات الوثنية على الجماعة المسيحية الأولى التي تشكلت من عناصر مختلفة تنتمي إلى الآرامية واليونانية والرومانية والفلسطينية، تلك العناصر التي تعيش في إطار ثقافات: هللينستية، وغنوصية مصرية، وشرقية، غنية بالأساطير الدينية والعقائد الشعبية التي وجدت فيها الكيرجما المنبع الثري للنشأة، وكذلك المناخ الملائم للنمو والازدهار[٣].

وهذا ما يعكسه بوضوح الاستخدام اللغوي والاصطلاحي القديم لكلمة الكيرجما، إذ هي الإعلان عن أو التبشير باعتقاد ديني شعبي مصدره الأساطير والخرافات[٤].

(١) للوقوف على خصائص أدب الرؤى (الأبوكاليبس) انظر مقال: Apokalyptik في:
Theologische Realenzyklopadie.

(2) Rudolf Baltmann, lst die Apokalyptik die Mutter der christlichen Theologie ? in : Exegetica , S : 476 - 482

- Ernst kasemann, Die Anfange christlicher Theologie, S : 132 , in : Exegetsche Versuche und Besinnungen .

(3) R . Bultmann, Das Urchristentms im Rahmen der Antiken Religionen,
حيث درس فيه الاعتقاد المسيحى في إطار الديانات القديمة، بينما دعوة المسيح في إطار اليهودية.

(4) kurt goldammer, der KERYGMA-Begriff in der altesten christlichen Literatur, S : 95 - 100 , ZNW . 48 .

رابعاً: دور بولس

إذ هو المؤسس الثاني للمسيحية[1]، فإن كان المسيح قد أرسى الدعائم الأخلاقية، فإلى بولس يعود الفضل في تأسيس اللاهوت المسيحي، وذلك بصياغته وتطويره لأسطورة موت المسيح على الصليب، على أنها نهاية الشريعة والقوانين اليهودية، وبذلك فَصَل المسيحية عن اليهودية نهائياً، وحوَّلها إلى ديانة عالمية بعد أن كانت شيعة يهودية.

وإلى بولس يعود الفضل في تكريس عقيدة: موت المسيح لأجل خلاص البشر ولأجل خطاياهم، وأن ابن الله القائم من بين الموتى هو مخلص العالم.

ذلك الدور الذي كان عبارة عن صهر دعوة المسيح بالتصوف الهلينستي والأساطير الشعبية في الشرق القديم.

وبسبب دور بولس وأهميته في تأسيس العقيدة المسيحية يحرص الباحثون في إلهيات العهد الجديد على إفراد مكان لإلهيات بولس الخاصة، فيرتبون إلهيات العهد الجديد على النحو الآتي[2]:

- دعوة المسيح.
- كيرجما الجماعة المسيحية الأولى.

(1) Joseph Klausner , Von Jesus zu Paulus, S : 535 - 536 . Amsterdam 1950

- R , Bultmann , Jesus und Paulus, S : 210 - 211 , in : Exgetica .
- Arnold Meyer, Wer hat das Christentum begrundet, Jesus oder Paulus? S: 95 .
- Karl Heussi, Kompendium der kirchengeschichte, S : 3 .

وبالعربية شارل جينيبر / المسيحية، ص: ١٠٨، ١٤٠.

(2) R . Bultmann, Theologie des Neuen Testament .

- H . Conzelmanns , Grundriss der Theologie des NT., .
- E . Lohse, Grundriss der neutestamentlichen Theologie,.

- إلهيات بولس.

- إلهيات الإنجيليين.

- إلهيات يوحنا.

وإذا وضعنا في الاعتبار ما آلت إليه المسيحية الآن من حصر الديانة في الاعتقاد بألوهية المصلوب لأجل خطايا البشر والقائم من الموتى، وتكريس سرّيّ التناول والتعميد كوسيلة اتحاد بالمسيح، وهو ما أضافه بولس، لجاز القول مع نيتشه بأن بولس هو مخترع المسيحانيات(١).

وقد تجسدت الكيرجما في مجموعة من التصورات والاعتقادات التي اكتست بأسماء وألقاب سامية خُلعت على المسيح، وشكلت أساس ما يعرف بالمسيحانية Christologie، أي ما يخص المسيح (البحث في شخصه وتعاليمه)(٢).

وهذه الألقاب يختلف عددها، وتصنيفها، وترتيبها، ومدى أهميتها، ومدلولاتها، وظروف استخدامها، ومصدرها:

---

(1) F . Nietzsche , Morgenrote, 1 . 68 . Leipzig 1906 .

(٢) حاولت الدكتورة منى ناظم التفرقة بين المسيحانية في اليهودية [وهي انتظار المخلص] وبين المسيحانية في المسيحية [وهي ما يختص بالمسيح] بتسمية الأولى «مشيحانية» والثانية «مسيحانية»، متبنية بذلك ترجمة الآباء اليسوعيين أنطوان أودو، ورينيه لافنان، وصبحي الحموي، لمداخل وحواشي الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس. وهذه التفرقة تخلط لغوياً ما بين جذر عبري (مشح) وجذر عربي (مسح)، فتدخل إلى العربية ما لا تحتاج إليه، بالإضافة إلى أن هذه التفرقة تغفل أموراً منها:

أولاً: إن المسيحانية في المسيحية تجعل من فكرة المسيح المنتظر أهم عناصر وجودها.

ثانياً: إذا سمحنا لأنفسنا بإدخال مصطلحات جديدة، فالأولى أن تنقل كلمة (المسيحانية Christologie) كريستولجى كما هي.

ثالثاً: ماذا نفعل عندما نحاول التعبير عن فكرة المسيح المنتظر في الإسلام؟ هل نخلق مصطلحاً جديداً؟ لذلك فالأصوب توحيد الكلمة (مسيحانية) ويبقى الدور للسياق في التفرقة.

١ ـ فمن حيث العدد:

يحصرهـا كرامر[١] في ثلاثة هي: المسيح، الرب، ابن الله. بينـما يحددها فـرديناند هان بخـمسـة: ابن الإنسـان، الرب، المسـيح، ابن داود، ابن الله. ويجعل لقب النبي كملحق لها[٢].

أما كولمان فيجعلها عشرة؛ هي: النبي، المتألم، عبد الله، الكاهن الأعظم، المسيح، ابن الإنسان، الرب، المخلّص، الكلمة، ابن الله[٣].

والأسماء الأساسية لدى فينسنت تايلور تسعة: ابن العذراء، الرابي، النبي، المسيح، ابن داود، ابن الإنسان، عبد الله، الرب، ابن الله[٤].

٢ ـ ومن حيث التصنيف والأهمية:

يقسمها كولمان بحسب وظائف المسيح[٥]:

أ ـ الوظيفة الأرضية يتبعها: النبي المتألم، عبد الله، الكاهن الأعظم.

ب ـ عمل عيسى في المستقبل. ويتبعه: المسيح، ابن الإنسان.

جـ ـ عمل المسيح الحالي ويتبعه: الكلمة، ابن الله.

أما تـايلور فينهج نهـجاً مـغايراً، إذ يقـسِّم أسمـاء المسيح وألقـابه قسـمين رئيسين:

---

(1) W . Kramer , Christos, kyrios . Gottessohn.
Untersuchungen zu Gebrauch u. Bedeutung der christologischen
Bezeichnungen bei Paulus und den vorpaulinischen Gemeinde . Ath ANT 44) .

(2) Ferdinand Hahn, Christologische Hoheitstel.

(3) O . Cullmann, Die Christologie des NT.

(4) Vincent Toylor, The Names of Jesus, p . 5 - 66 .

(٥) O . C ullmann المصدر السابق نفسه، ص: ١١ ـ ١٠٧، ١٠٩ ـ ١٩٨، ٢٥٣ ـ ٣٢٣.

١ ـ أسماء أساسية وهي التسعة السابق ذكرها منذ قليل.

٢ ـ أسماء أخرى عددها اثنان وثلاثون (٣٢)، وتنقسم بدورها إلى[١]:

أ ـ ألقاب خاصة باسم المسيح، وهي: الملك الآتي، قدوس الله، البارّ، الديّان، [الأسد من سبط يهوذا ـ ذرية داود ـ الكوكب الزاهر في الصباح ـ من عنده مفتاح داود] ويعد هذه الأربعة اسماً واحداً؛ لأنها تدور حول داود.

ب ـ ألقاب خاصة بالمسيح وعلاقته بالجماعة المسيحية، وهي:

العريس، الراعي، سيد الحياة، الحجر الذي صار رأس الزاوية، رأس الجسد، الكرمة، الحق.

جـ ـ ألقاب خلاصية، وهي:

المخلص، الفادي، الكاهن الأعظم، حمل الله، الشفيع، الكفّارة.

د ـ ألقاب مميزة للمسيحانية، وهي:

صورة الله، وشعاع مجده، نور العالم، خبز الحياة، باب الخراف، القيامة والحياة، الطريق والحق والحياة، البكر، قدرة الله وحكمة الله، آدم الأول، الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية.

٣ ـ ومن حيث المصدر

يرجعها هان، وهنجل إلى أربعة منابع[٢]:

١ ـ عيسى.

---

(١) V . Taylor المصدر السابق نفسه، ص: ٧٥ ـ ١٦٨.

(2) F . Hahn, Christologische Hoheitstitel, S : 347 - 350 .

- M . Hengel , NT und Geschichte, S : 52 - 53 in Christologie und neutestamentliche Chronologie, (Hrsg) Bo Reicke, (43 - 67) .

٢ ـ المسيحيون اليهود في فلسطين.

٣ ـ المسيحية اليهودية الهللينستية.

٤ ـ المسيحية الوثنية الهللينستية.

بينما يميز إدوارد لوسي بين استعمال مختلف لألقاب عيسى وأسمائه في الجماعات المسيحية[١]:

فالجماعة المسيحية التي عاش فيها مؤلف أعمال الرسل تداولت لقب ابن الله، والمسيح معاً. أما جماعات كتّاب الأناجيل الإزائية[٢]، فأضافت إليهما صفة المولود من العذراء، والذي سيدعى ابن العلى.

والمجتمع المسيحى الهلليني يبرز لديه اسم «الكلمة» ذو الوجود الأزلي.

ويرجعها تايلور إلى ثلاث مراحل زمنية[٣]:

١ ـ خدمة المسيح.

٢ ـ زمن الجيل المسيحي التبشيري الأول (ويمتد من عام ٣ م حتى عام ٦٥ ب. م) ويمثله رسل المسيح، وينعكس في رسائل بولس وسفر أعمال الرسل والأناجيل الإزائية.

٣ ـ زمن الجيل المسيحي التبشيري الثاني (ويمتد من عام ٦٥ حتى عام ١٠٠ ب. م) وتعبر عنه: رسالة بطرس الأولى ـ الرسالة إلى العبرانيين ـ كتاب يوحنا. والمرحلة الأخيرة من هذه الفترة ممثلة في مجموعة الرسائل الكاثوليكية والرعائية، وسفر رؤيا يوحنا.

---

(1) E . Lohse, Grundriss der neutestamentlichen Theologie, S : 58 - 59.

(٢) الأناجيل الإزائية هى أناجيل متى، لوقا، مرقس.

(3) V . Taylor , The Names of Jesus, p . 169 - 170 .

لكني أعتقد أن محاولة نسبة استخدام أو نشأة لقب أو اسم معين إلى جماعة بعينها أمر تعوزه المصادر الدقيقة التي يفتقدها البحث العلمي حتى اليوم، كما أنه مغالاة في الاستنباط والتخمين، إذ إن المسيحانية قد أسهمت فيها عوامل وجماعات متعددة بأقدار متفاوتة في وقت واحد، مما يصعب معه القطع بحصر سبب نشأة عنصر أو آخر من عناصر المسيحانية في جماعات بعينها.

لكن ما يجب النظر فيه هو أعداد وتصنيف الألقاب المسيحانية، إذ يمكن للمرء أن يقنع بأن الجماعة المسيحية لم تستخدم كل هذه الألقاب والأسماء كأعلام أو مسميات لعيسى، بل الأرجح أنها استخدمت اسمين فقط له، وراحت تبحث عن تكييف لهذه الأسماء باستعارة وابتداع مهمات، وأدوار، وأعمال، وأوصاف، وخصائص لهذين الاسمين تؤيد بها تصوراتها واعتقاداتها في هذين الكائنين، وذلك يظهر بوضوح إذا ما استحضرنا إلى الأذهان التصور الأساسي للعقيدة المسيحية في عيسى ككائن ذي طبيعتين: طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية، متحدتين، لكل طبيعة وظيفة وخصائص، ومن ثمّ اسم به تعرف وتتميز.

فالطبيعة اللاهوتية هي طبيعة ابن الله الذي يكوِّن مع أبيه السماوي، والروح القدس، الكيان الإلهي ذا الأقانيم الثلاثة التي هي واحد، كلٌّ لا يتجزأ.

والطبيعة الناسوتية هي عيسى الذي أصبح اسم المسيح أو Christus عَلَماً عليه، فهو عيسى المسيح، أو المسيح بإطلاق.

ولإضفاء المشروعية على كل اسم منها، اضطرت الجماعة المسيحية الأولى إلى الحديث عن ابن الله الذي هو:

١ ـ الرب (السيد).

٢ ـ الكلمة.

٣ ـ المخلّص.

٤ ـ ابن الإنسان، كموجود أزلي سابق في أدب الرؤى اليهودي، وكمخلص آتٍ إلى الأرض مستقبلاً من موطنه السماوي الأزلي في الفكر الهللينستي.

وراحت تخلع عليه من الأوصاف ما سبقت الإشارة إليه كالأول والآخر والديان والشفيع، والبار، والقدوس، والفادي، وصورة الله، ونور العالم، وخبز الحياة، وحمل الله، وشعاع مجد الله. فكلها أدوار ووظائف لكيان إلهي سماوي.

وكذلك تحدثت الجماعة المسيحية عن المسيح الناسوتي الذي هو:

١ ـ كاهن.

٢ ـ نبي.

٣ ـ ملك.

٤ ـ ابن داود.

٥ ـ المتألم.

٦ ـ عبد الله.

ويلاحظ أن كل هذه الأسماء والألقاب الستة هي شروط ومواصفات للمسيح المنتظر في اليهودية، وقد خُلعت على عيسى للتأكيد على أنه ذلك المسيح، وفقط لخدمة هذا الدور.

كما يزيد هذا التصور وضوحاً أن هذه الألقاب والأوصاف ما هي إلا تفسير لنهج عيسى، وشخصه كمبعوث خلاصي من قبل الآب، والسلطان الفريد الممنوح له من قبل البشر[1]، وأنها انضمت إلى العهد الجديد كمخاطبات

(1) Alois Grillmeier, Jesus der Christus im Glauben der kirche, S : 16 . Band 1.

وعظية إنشائية لإحاطة القارىء بوقائع الخلاص، وليس كتعاليم وعقيدة مبدئية مبثوثة وفق خطة ونظام وبرنامج[١].

كذلك فإن هذين اللقبين هما أقدم ما خُلع على عيسى: فبالنسبة للجماعة المسيحية في فلسطين، فقد بدأ الاعتقاد في عيسى بأنه المسيح بمجرد سريان دعوى قيامته من الأموات، فالقائم من الأموات لديهم هو المسيح[٢].

أما بالنسبة للجماعة المسيحية الهللينية، فإن القائم من الموتى هو ابن الله المرسل لأجل الخلاص[٣].

ولأهمية هذين اللقبين المحوريين سنعرض لهما بشيء من التفصيل، وذلك على النحو التالي:

١ ـ ابن الله.

تلقف النصارى لقب ابن الله من مصدرين أولهما العهد القديم: حيث أطلق على عدد من الشخصيات الكتابية:

داود[٤]، سليمان[٥]، مسيح الرب[٦]، كما أطلق على شعب بني إسرائيل بأكمله[٧]، ولكن اللقب المستخدم في العهد القديم لا يزيد عن معنى البنوة

(1) Herbert Braun, Der Sinn der neutestamentlichen Christologie, S : 34 . Zth k 54 (1957) .

(٢) السابق، ص: ٣٤٨.

(٣) السابق، ص: ٣٥٣.

(٤) المزامير ٨٩ / ٢٠.

(٥) صموئيل الثاني ٧ / ١٤.

(٦) المزامير ٢ / ٧.

(٧) خروج ٤ / ٢٢، تثنية ١٤ / ١، إرميا ٣١ / ٩.

بالتبني[1]، أو كما فسرت في موقع آخر بعلاقة المخلوق بالخالق، كما قيل في سفر التثنية: [أليس هذا الآب الذي صنعك وبرأك واقتناك][2].

والثاني من البيئات المحيطة بعالم المسيحية القديم:

١ ـ ففي مصر حمل الفراعنة بدءاً من الأسرة الرابعة لقب «ابن إله الشمس رع» المتجسد في أبي الهول[3].

٢ ـ في «تيانا» بآسيا الصغرى لقب «أبولونيوس» بابن تيوس[4].

٣ ـ يحكي هوميروس في الإلياذة والأوديسا عن «تيرو» التي تحمل من الآلهة، وتنجب ابناً لها[5].

٤ ـ في المجتمع الهلليني حمل لقب «ابن الله» عديد من الشخصيات والنماذج: كالأبطال؛ مثل هيرقل، الفلاسفة؛ كفيثاغورس وأفلاطون، الحكام الفراعنة؛ كالإسكندر وبطليموس، إلخ[6].

ويلاحظ على الاستخدام المسيحي لمفهوم الابن ولقبه ما يلي:

١ ـ أن الدليل على بنوة المسيح هو قيامته من الموتى، فبها يبدأ ويمارس عمله البنوي إلى جوار أبيه.

٢ ـ أن المسيح لم يطلق أو يسم نفسه على الإطلاق ابن الله، بل لم

(1) Bibel Lixkon, S : 1612 .

(٢) تثنية (٣٢ / ٦).

(3) S . Morenz, Agyptische Religion , S : 33,

(4) Fiavius philostratus, Werke, S : (1 / 4 , 6) .

(5) Homer, Odyssee, Ubersetzt von Johann Heinrichvoss, S : 140 .

(6) Herbert Braun : Gesammelte Studien zum Neuen Testament und seiner Umwelt, S : 255 . ff,.

يستخدم هذا المصطلح بتاتاً. [لكن الأناجيل تحكي أنه استعمل لقب الابن].

٣ـ أن المسـيح لم يأمر بالتـالي أتباعـه ورسله بالتبـشيـر باسم الآب والابن والروح القدس بين الوثنيين.

٤ ـ أن الابن المتجسد في عيسى يعرض التثليث لخطر عظيم، إذ فيه أقنومان في شخص، مما يؤدي إلى ضرورة القول بإضافـة الأقنوم الرابع المختص ببشرية المسيح إلى الأقـانيم الثلاثة لتصبح أربعـة؛ كي يُحكم القول بالتجـسد والاتحاد وعدم الانفصال.

٢ ـ المسيح.

مما لا شك فـيه أن لقب المسـيح يشكل حـجر الزاويـة في الرؤية العقـائدية المسيحية للمسيـح، ولا أدل من ذلك على أنه أصبح عَلَماً على المسيح، واسماً له «يسوع المسيح»[١].

وتنبع أهمية هذا اللقب من الدور الخطير الذي تلعبـه عقيدة المنتظر في حياة المجتمـع اليهودي الذي ظهر فـيه عيسى، ونشـأ وتربى بين ظلاله رسل المسيح وتلاميذه، ذلك المجتمع الذي كان متشبعاً بالآمال والمواعد وانتظار المنقذ القادم، مخلص إسرائيل ومحقق آماله، ومنجز مواعده.

لذلك فإن حـشر عيـسى في ذلك اللقب كان أشغل شـواغل وأولى أوليات الكيرجما؛ لبلورة شخصية عيسى في إطار مقنع للمجتمع اليهودي والهللينستي في فلسطين وخارجهـا، بأن ذلك هو القادم الذي تتحقق فيه وتتـجسد نبوءات الأنبياء، وتنجز به آمال شعب الله ومواعده.

وقد تم ذلك ـ في اعتقادي ـ على مرحلتين:

---

(١) مرقس ١ / ١، يوحنا ١٧ / ٣، قورنتس الأولى ١ / ١، رومة ١ / ١.

أ ـ «المسيح» الارضي.

وفيها حُمِّل عيسى هذا اللقب كمخـلِّص قومي لإسرائيل، وما استتبعه ذلك من التحلّي بمواصفات بشرية تناسب شخصية المسيح اليهودي، وذلك بكونه:

١ ـ من نسل المرأة[١]، ومولده من عذراء[٢].

٢ ـ من نسل داود ووارثاً لعرشه[٣].

٣ ـ نبياً[٤].

٤ ـ كاهناً على رتبة ملكياً صادق[٥].

وبدء عـمل هذا المسـيح هو اعتـمـاده على يد يوحنا ونزول الروح القـدس عليه.

ب ـ «المسيح» السماوي.

وفيه يلعب المسيح دوراً عالمياً كونياً أهم عناصره ووظائفه:

الخلاص، والانتصار النهائي على الخطيئـة والموت والشياطين، والقيام بأعباء الفداء والتـضحية مـن أجل البشر. وذلك في الماضي، أمـا الحاضر فإخـضاع الملائكة وأصحاب القوة والسلـطان في السماء لأمره، أما عمله المستـقبلي فهو العودة مرة أخرى كقاضٍ للـبشر، ورب يحقق مملكة الله على الأرض في نهاية الزمان.

وأهم ملامح هذا المسيح هي:

(١) غلاطية ٤ / ٤، لوقا ٢ / ٧.

(٢) متى ١ / ١٨، لوقا ١ / ٢٦ ـ ٣٥.

(٣) متى ١ / ١، ١ / ٦.

(٤) يوحنا ٦ / ١٤، أعمال الرسل ٣ / ٢٢.

(٥) عبرانيين ٦ / ٢٠.

١ ـ ارتباطه بـالوجود الإلهي وخطة الخـلاص التي دبرها الله، كمـا يشرح ذلك الشهيد «يوستين» الذي يعد أهم مفسري مفهوم المسيح[١]:

فلأن المسيح هو الله، وابن الله، فقد تمّ تنصيبه مسيحاً في الوجود الأزلي السابق، وما يتـطلبه ذلك من ألقاب أخرى وصفـات: كالملك والكاهن والملاك والنبي، وهذا باعتـبار وجوده متوازيـاً مع الوجود الإلهي، أما عن مسـحه مرة ثانية على يد يوحنا، فذلك قد تم طبقاً لدوره الأرضي كمسيح بشري تبدأ بموته وقيامته المهام التنفيذية للمسيح.

وهنا يلاحظ أن «يوستين» يربط بين لقب المسيح وبين تـاريخ الخلق: ماضيه وحاضره ومستقبله.

٢ ـ ارتباطه بأدب الرؤى، إذ المسـيح الآتي في أخر الزمـان هو ابن الإنسان القادم على غمام السماء[٢].

٣ ـ ارتباطه بوظيـفة الخـلاص عقائدياً ولغـوياً، وذلك باقتـران لقب المسيح باسم يســوع المأخوذ من الاسم العـبري «يشـوع» وهو مخلّص إسـرائيل، لكن باقترانه بيســوع يحمل أبعاداً خلاصية أخرى، إذ هو اسم الله نفســه كما أطلقه عليـه العـهد القـديم، ويؤكـد يوسـتين على أن اسم يســوع اسم عزة وقـدرة وسلطان، لكنه يستمد هذه المعاني فقط من كونه علماً على الله وابنه[٣].

وكـذلك أيضـاً في اقتـرانه بلقب الرب كـمـا لدى بولس[٤]: وبطرس[٥]،

(1) Alois Grillmeier, Jesus der Christus im Glauben der kirche, I : 10 - 71 .

(٢) السابق ص: ٦١، وانظر رؤيا يوحنا (١٤ / ١٤ ـ ١٦).

(3) Alois Grillmeir, Jesus der Christus im Glauben der Kirche, S : 63 - 64 .

(٤) رومة (٥ / ٢١، ٦ / ٢٣، ٧ / ٢٥، ٨ / ٣٩) قورنتس الأولى (١ / ٩، ١٥ / ٣١).

(٥) رسالة بطرس الثانية ١ / ٢، ١٤، ١٦.

وبلقب ابن الله كما لدى بطرس في عقيدة إيمانه الشهيرة: (أنت المسيح ابن الله الحي)[١].

٤ ـ تعليق الإيمان المسيحي على مجرد الإقرار بكون عيسى هو المسيح: (كل من آمن بأن يسوع هو المسيح، فهو مولود من الله)[٢].

كذلك فإن إنكار أن عيسى هو المسيح علامة على الكذب: (من الكذاب إن لم يكن ذاك الذي ينكر أن يسوع هو المسيح)[٣].

وتبقى ملاحظة أخيرة فيما يخص لقب المسيح، وهي أن عيسى تحاشى أن يطلق أو يسمى نفسه مسيحاً. فتحت عنوان «هل عيسى هو المسيح المنتظر؟» ينتهي أوتفريد هوفيوس في دراسته النقدية إلى أن[٤]:

١ ـ عيسى لم يسم نفسه مطلقاً مسيحاً.

٢ ـ أعمال عيسى وكلماته لا تسمح بالتخمين أنه المسيح.

٣ ـ يفتقد عيسى إلى صفات المعلم المسيحاني.

٤ ـ ليس لعيسى الحق في دعوى المسيحانية، ولا تسمح المصادر بالحديث عن عيسى كمسيح.

---

(١) متى (١٦ / ١٥).

(٢) رسالة يوحنا الأولى (٥ / ١).

(٣) السابق ٢ / ٢٢.

(4) Otfried Hofius, Ist Jesus der Messias ? S: 119 - 120, in: der Messias (Jahrbuch fur biblische Theologie .Band 8) .

المبحث الثاني

عيسى النبي

تحتل صورة عيسى الناصري نبي الجليل مكانة بارزة في نظر معاصريه، لكنها تظل محصورة في نطاق عقيدة الشعب ورأيه، أما مؤلفو العهد الجديد، فلم يشاءوا الحديث قط، وكذلك لم يفسحوا المجال في رواياتهم لتلاميذ المسيح ورسله للحديث عن عيسى النبي(١).

إذ يخبرنا العهد الجديد ـ باستثناء رسائل بولس التي لم تعرض قط لأي شكل من الأشكال أو التصورات التي تقدم عيسى كنبي ـ أن اعتقاد الشعب في عيسى قد تمحور في نبوته، وذلك بسبب أعماله النبوية التي تركت كل من يعاينها يقطع بنبوة ذلك القائم بها(٢).

وسوف نتناول هذا الاعتقاد في نبوة عيسى من قبل معاصريه في إطارين:

(١) وذلك على الرغم من أن العهد الجديد يربط مباشرة وفي وضوح تام بين أعمال المسيح وأقواله وبين نبوته، وذلك على لسان اثنين من تلاميذه في حوار أجرياه مع عيسى بعد قيامته من الموتى وظهوره لهما في صورة لم يتعرفا عليه فيها، وقولهما له: (١٨) أنت نازل في أورشليم ولا تعلم الأمور التي جرت فيها هذه الأيام؟ فقال لهما: ما هي؟ قالا له: (١٩) ما يختص بيسوع الناصرى. وكان نبياً مقتدراً على العمل والقول عند الله والشعب كله. لوقا (٢٤ / ١٨ ـ ١٩). إلا أن هذا الحوار بين التلميذين والمعلم يعود إلى إضافة متأخرة، وأن الآية ١٩ هي الجزء الأصلي الوحيد في سياق الحوار، الذي تنتمي بقيته إلى طبقة أخرى شكلتها الكيرجما، وزرعت فيها هذه الآية قسراً، فهي ليست من هيكل الحوار.

Schubert P.,The Structure and Sigificance of Luke 24, p: 170, 177, in:

Studien. Hrsg . von W. Eltester (BZNW 21) , (165 - 186) .

(2) Alois Grillmeir , Jesus der Christus im Glauben der kirche , Band 25

- C .H. Dodd, Jesus als Lehrer und Prophet, in : Mysterium Christy, 74 - 86,

أولاً: علامات نبوة عيسى التي أسست هذا الاعتقاد.

ويمكن تقسيم تلك القرائن والشواهد التي قادت أولئك المعاصرين للقول بنبوة عيسى الناصري، والتي يرجع الفضل في الوقوف عليها وتصنيفها إلى جهود مدرسة «الأشكال الأدبية[١] Formgeschichte»، إلى ما يلي:

١ ـ منهج الدعوة:

ذلك الذي يمكن التعرف عليه بوضوح من خلال خطب عيسى الناصري ومواعظه التي تضمنت العناصر الأساسية لمفردات الدعوة النبوية في العهد القديم، وهي: الزجر والتأنيب، والوعد، والوعيد، والتنبؤات، استخدام صيغة البعث والإرسال (هكذا قال الرب).

وهي تلك العناصر التي يعد النص التالي من سفر عاموس مثالاً جيداً لها[٢]:

ـ «فالآن اسمع كلمة الرب: | نداء للفت النظر والتنبيه |

(١) هي إحدى طرق أو مناهج النقد الشكلي للنصوص، وتقوم على تتبع ودراسة التراكيب الأدبية الواردة في العهد القديم والجديد للوصول إلى المناسبات، وكذلك الصور الشفهية الأولى التي استخدمت فيها، في محاولة لتقنينها كقوالب ثابتة وعلامات مميزة لأدبيات الخطاب النبوي.

وقد اسس هذه الطريقة هـ. جونكل H.Gunkel (1862-193) ، بينما طرح المصطلح بواسطة م. ديبيليوس M.Dibelius عام ١٩١٩ م في كتابه «تاريخ الأشكال الأدبية في العهد الجديد».

راجع ذلك في:

- H. Irsigler, Artikel : Formgeschichte / Fomkritik, in : Lexikon fur Theologie und kirche . Band ll. 1994 .

- K . Koch, Was ist Formgeschichte ?

- G.M. Tucker, Form Criticism of the OT., IDB Suppl . lp . 342 - 345 . ph . 1971 .

(2) Franz Schnider, Jesus der Prophet, S : 71 - 72 .

- أنت تقول: لا تتنبأ على إسرائيل، | نداء للفت النظر والتنبيه

- ولا تتكلم على بيت إسحاق.

- لذلك هكذا قال الرب: | تقريع وتأنيب

- إن امرأتك تزني في المدينة

وبنيك وبناتك يسقطون بالسيف | وعيد

وأرضك تُقْسم بالحبل

وتموت أنت في أرض نجسة

وإسرائيل يجلى عن أرضه جلاء[1].

وهذا ما استطاعت مدرسة الأشكال الأدبية تمييزه لدى نبي الجليل عيسى الناصري، ليس فقط في استخدامه لعناصر الزجر والتأنيب، والوعد، والوعيد، والتنبؤ على الأمم والطوائف نفسها، بل أيضاً بتكرار التراكيب اللغوية المصوغة فيها تلك الأغراض الإنشائية نفسها.

وهذا ما أمكن رصده في صيغ الوعيد: -

(١) ضد أورشليم:

«أورشليم أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها؛ فلم تريدوا، ها هو ذا بيتكم يترك لكم»[2].

(٢) ضد الجيل الشرير:

«ولذلك قالت حكمة الله: سأرسل إليهم الأنبياء والرسل، وسيقتلون منهم

(١) عاموس (٧ / ١٦ - ١٧).

(٢) لوقا (١٣ / ٣٤ - ٣٥) وانظر: متى (٢٣ / ٣٧ - ٣٩).

ويضطهدون، حتى يطالب هذا الجيل بدم جميع الأنبياء الذي سفك منذ إنشاء العالم، من دم هابيل إلى دم زكريا الذي هلك بين المذبح والهيكل. أقول لكم: أجل، إنه يطالب به هذا الجيل»[1].

(٣) ضد الهيكل:

«وبينما هو خارج من الهيكل قال له أحد تلاميذه: يا معلم انظر: يا لها من حجارة، ويا لها من أبنية. فقال له يسوع: أترى هذه الأبنية العظيمة؟ لن يترك هنا حجر على حجر من غير أن يُنْقض»[2].

(٤) ضد المدينة:

«ولمّا اقترب فرأى المدينة بكى عليها، وقال: ليتك عرفت أنت أيضاً في هذا اليوم طريق السلام، ولكنه حجب عن عينيك. فسوف تأتيك أيام يلفك أعداؤك بالمتاريس، ويحاصرونك ويضيقون عليك الخناق من كل جهة، ويدمرونك وأبناؤك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي وقت افتقاد الله لك»[3].

(٥) ضد بنات أورشليم:

«يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. فها هي ذى أيام تأتي يقول الناس فيها: طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثُّدي التي لم ترضع. وعندئذ يأخذ الناس يقولون للجبال: اسقُطي علينا وللتلال: غطّينا»[4].

---

(١) لوقا (١١ / ٤٩ ـ ٥١) وانظر: متى (٢٣ / ٣٤ ـ ٣٦).

(٢) مرقس (١٣ / ١ ـ ٢).

(٣) لوقا (١٩ / ٤١ ـ ٤٤).

(٤) لوقا (٢٣ / ٢٨ ـ ٣٠).

وكذلك أمكن رصد تلك الصيغ والتراكيب في مواضع المواعد التالية بِنَيْل الملكوت أو الحياة الأبدية:

(١) نيل الحياة الأبدية:

«الحق أقول لكم: ما من أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أمّاً أو أباً أو بنين أو حقولاً من أجلي وأجل البشارة إلا نال الآن في هذه الدنيا مائة ضعف من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والبنين والحقول مع الاضطهادات، ونال في الآخرة الحياة الأبدية»[١].

(٢) دخول الملكوت:

«لا تخف أيها القطيع الصغير، فقد حسن لدى أبيكم أن ينعم عليكم بالملكوت»[٢].

٢ ـ مضمون الدعوة

ويشمل جوانب ثلاثة:

أ ـ العقيدة

وذلك بموافقته ما أكّد عليه جميع أنبياء العهد القديم في عبادة الإله الواحد، وقد أبرزه عيسى بوضوح تام في بيانه وتوضيحه لأهم أركان الإيمان وأولى الأوليات الاعتقادية، بل والدينية على الإطلاق، وذلك في جوابه الشهير على أحد الكتبة عندما سأله:

«ما الوصية الأولى في الوصايا كلها؟ فأجاب يسوع: الوصية الأولى هي: اسمع يا إسرائيل:

---

(١) مرقس (١٠ / ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) لوقا (١٢ / ٣٢).

إن الرب إلهنا هو الرب الأحد.

فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك

وكل ذهنك وكل قوتك»[1].

ب ـ الشريعة:

وهنا يؤكد عيسى على التمسك بشريعة موسى والسابقين من الأنبياء، مؤكداً أنه مجرد حلقة في سلسلة الأنبياء السابقين في إسرائيل، ودورهُ هو إضافة ما يوكل به إليه من نسخ بعض الأحكام والتشريعات اللازمة:

«لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل، بل لأكمل[2]. الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء أو تزول الأرض والسماء.

فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا، وعلّم الناس أن يفعلوا مثله، عُدَّ الصغير في ملكوت السموات، وأما الذي يعمل بها ويعلّمها، فذاك يعد كبيراً في ملكوت السموات»[3].

جـ ـ الأخلاق:

وفيها يغرز المسيح بذور تعاليم أخلاقية جديدة، إضافة إلى ما زرعه أنبياء

(١) مرقس (١٢ / ٢٨ ـ ٣٠) وانظر:

متى (٢٢ / ٣٤ ـ ٤٠).

لوقا (١٠ / ٢٥ ـ ٢٨).

(٢) استخدمت الترجمة الألمانية كلمة erfuellen بمعنى «يحقق» أي تتحقق فيه نبوات أنبياء العهد القديم، وذلك بدلاً من كلمة ergenzen بمعنى يكمل، راجع الآية في النسخة الألمانية المطبوعة في ميونخ عام ١٩٩٣.

(٣) متى (٥ / ١٧ ـ ١٩) وانظر لوقا (١٦ / ١٧).

العهد القديم من وصايا، مؤسساً بذلك نوعاً من التسامح والبذل والعطاء والسمو، والبر الأخلاقي تجاه البشرية كلها لا عهد به لبني إسرائيل من قبل.

وتجسّد هذه التعاليم الأخلاقية وصية المسيح الشهيرة على الجبل، التي يقول فيها: «فإني أقول لكم: إن لم يزد برّكم على برّ الكتبة والفريسيين، لا تدخلوا ملكوت السموات.

سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل. فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء. أما أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء، ومن قال لأخيه: (يا أحمق) استوجب حكم المجلس، ومن قال له (يا جاهل) استوجب نار جهنم.

فإذا كنت تقرّب قربانك إلى المذبح، وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً، فدع قربانك هناك عند المذبح، واذهب أولاً فصالح أخاك، ثم عد فقرّب قربانك.

سارع إلى إرضاء خصمك ما دمت معه في الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي والقاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن، الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدي آخر فلس.

سمعتم أنه قيل: لا تزن.

أما أنا فأقول لكم: منْ نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه. فإذا كانت عينك اليمنى سبب عثرة لك فاقلعها وألقها عنك...... إلخ»[1].

٣ ـ أعماله:

ويقصد بها الأعمال الرمزية القائمة على الوحي، ذات الدلالات والمعاني

(١) راجع بقية الخطبة لدى متى (٥ / ١ ـ ٤٨).

الكامنة فيها، والتي غالبا ما يفسرها الأنبياء لوقتها. يسوق ج. فورر G . fohrer مثالاً لذلك من العـهد القديم ما قام بـه حزقيال في مواجـهة بني إسرائيل[1]، وحكى عنه في السفر المنسوب إليه:

«وكانت إليَّ كلمة الربّ قائلاً: (أمْر)

يا ابن الإنسان، أنت ساكن في وسط بيت تمرد،
لهم عيون ليروا ولا يرون، ولهم آذانٌ ليسمعوا
ولا يسمعون، لأنهم بيت تمرد. وأنت يا ابن
الإنسان، فأعد العدة للجلاء، واجلُ نهاراً أمام
عيونهم، لعلهم يرون أنهم بيت تمرد.
وأخرج عدتك كعدَّة جلاء نهارا أمام عيونهم، ثم
تخرج أنت مساء أمام عيونهم خروج جلاء أمام
عيونهم انقب لك الحائط واخرج منه وأمام عيونهم
احمل كتفك. اخرج في الظلام، وغط وجهك ولا
تر الأرض، فإني جعلتك آية لبيت إسرائيل.

فصنعت كما أُمرت: أخرجتُ العُدة كعدة جلاء (تقرير وقائع)
نهاراً، وعند المساء نقبت الحائط بيدي وأخرجت
في الظلام وحملت على كتفي أمام عيونهم. (شهود عيان)

وكانت إلى كلمة الرب في الصباح قائلاً: (تفسير)

(1) G . Fohrer , Die symbolischen Handlungen der Propheten, S : 55 . f , (AThANT 54) .

يا ابن الإنسان، ألم يُقَلْ لك بيتُ إسرائيل بيت
التمرد: ماذا تصنع؟ فقل لهم: هكذا قال السيد
الرب: إن هذا القول على الرئيس في أورشليم
وعلى جميع بيت إسرائيل الذين هم في وسطهم.
قل: أنا آية لكم. إنه كما صنعت، كذلك يصنع
بهم: يذهبون إلى الجلاء والأسر.
والرئيس الذي في وسطهم يحمل على كتفه في
الظلام ويخرج، وينقب الحائط للإخراج منه وهو
يغطي وجه، لأنه لا يرى الأرض بعينيه»[١].

ويعد دخول عيسى إلى أورشليم راكباً على جحش أتان[٢]، وكذلك تطهير الهيكل من الباعة والصيارفة من أبرز الأعمال النبوية الرمزية التي قام بها عيسى وسجلها العهد الجديد.

إلا أن الحدث الأول تكتنفه الشكوك القوية بسبب أمرين:

١ ـ إنه الموضع الوحيد الذي يلقب عيسى نفسه فيه بأحد الألقاب المسيحانية (الرب).

٢ ـ إنه سيق للتأكيد على تحقق نبوءة المسيح المنتظر (في شكل الملكية) في عيسى.

فكما سبقت الإشارة عند دراسة مسيح الكيرجما، فإن عيسى لم ير نفسه قط مسيحاً منتظراً.

---

(١) حزقيال (١٢ / ١ ـ ١٢).

(٢) متى (٢١ / ١ ـ ١١)، مرقس (١١ / ١ ـ ١٠)، لوقا (١٩ / ٣٨ ـ ٣٩)، يوحنا (١٢ / ١٢ ـ ١٦).

وإن كان من الممكن أن تُعزى هذه الإضافات إلى أعمال التحرير، إلا أن هذا الفرض أيضاً يخرج النص من سياقه؛ لأن الإضافة جوهرية تمس صلب الحدث، وهذا يدفعني إلى استبعاد دراسة هذا الحدث كأحد أعمال عيسى النبوية؛ لاستحالة نسبة هذا النص إليه.

أما الحدث الثاني والذي يحفل به الإنجيليون الأربعة فهو:

«ووصلوا إلى أورشليم.	توطئة
فدخل الهيكل، وأخذ يطرد الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام. ولم يدع حامل متاع يمر من داخل الهيكل.	تقرير الوقائع
وأخذ يعلمهم فيقول: ألم يكتب:	
(بيتي بيت صلاة يُدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص)»[1].	تفسير

وعلى الرغم من أن عيسى يستند إلى سلطة قول نبوي من أقوال العهد القديم[2]، وليس إلى سلطة أمر إلهي مباشر إليه. إلا أن هذا الفارق لا يحول ـ كما يرى شنيدر Schnider ـ بأي شكل من الأشكال من اعتبار عمله عملاً نبوياً خالصاً[3].

ويعلل شنيدر ذلك بأن في عمل عيسى كما في عمل حزقيال قد أعلنت

(١) مرقس (١١ / ١٥ ـ ١٧)، وانظر: متى (٢١ / ١٢ ـ ١٧) لوقا (١٩ / ٤٥ ـ ٤٨)، يوحنا (٢ / ١٤ ـ ١٦).

(٢) أشعيا (٤٦ / ٧)، إرميا (٧ / ١١).

(1) F . Schnider , Jesus der Prophet , S : 86 .

وبُلِّغت إرادة إلهية عن طريق أمر إلهي مباشر لحزقيال، وبواسطة السلطة المخولة لعيسى بالتصرف والمبادرة[1].

لكن تعليل شنيدر لا يُسلَّم له، إذ إن إقدام عيسى على مثل هذا العمل استناداً إلى قول نبوي سابق يؤكد فهم عيسى نبي الجليل لطبيعة رسالته ودوره كحلقة في سلسلة أنبياء بني إسرائيل، جاء مكمِّلاً لرسالتهم، متلقياً بالقبول جميع ما أمروا به ودعوا إليه، إلا ما أوحي إليه بنسخه وتغييره.

٤ ـ معجزاته

وهي أنواع متعددة من الخوارق التي أجريت على يد نبي الناصرة. وسنكتفي بمناقشة بعض منها مما يمكن التعرف عليه لدى أنبياء العهد القديم، أما الحديث عن مجمل معجزات المسيح وتكييفها العقائدي فمكانه الفصل المخصص للمعجزة في المسيحية، ومن معجزات المسيح المشابهة لمعجزات أنبياء العهد القديم:

١ ـ إحياء الموتى:

ويقص علينا لوقا إحداها، وهي إحياء ابن أرملة نائين، فيقول: «وذهب بعدئذ إلى مدينة يقال لها نائين، وتلاميذه يسيرون معه، وجمع كثير فلما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول، وهو ابن وحيد لأمه، وهي أرملة. وكان يصحبها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب أخذته الشفقة عليها، فقال لها: لا تبكي! ثم دنا من النعش، فلمسه فوقف حاملوه. فقال: يا فتى، أقول لك: قم! فجلس الميت وأخذ يتكلم، فسلَّمه إلى أمه. فاستولى الخوف عليهم جميعاً فمجَّدو الله قائلين: قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه. وانتشر هذا الكلام

(١) السابق.

في شأنه في اليهودية كلها، وفي جميع النواحي المجاورة»[١].

وقد وقف شنيدر على إضافتين من عمل محرري سفر لوقا إلى تفاصيل هذه القصة، وهما حشر لقب «الرب»، والتعليق بجملة: «وانتشر هذا الكلام في شأنه في اليهودية كلها وفي جميع النواحي المجاورة»[٢].

باستثناء هذه الزيادات المدمجة في القصة، فإنها تلتمس بإطارها الممثل في: مكان المعجزة (باب مدينة)، لقاء صاحب المعجزة بالمنكوب (أرملة)، صدور أمر من فاعل المعجزة، ثبت للحدث، ترنيم ختامي، وذلك في رواية سفر الملوك الأول لمعجزة إيليا في إحياء ابن أرملة صرفت: «فقام ومضى إلى صرفت، ووصل إلى باب المدينة، فإذا هناك امرأة أرملة تجمع حطباً فدعاها وقال: . . . .

وكان بعد هذه الأحداث أن ابن المرأة صاحبة البيت مرض، وكان مرضه شديداً جداً، حتى لم يبق فيه روح. فقالت المرأة لإيليا: ما لي ولك يا رجل الله؟ أتيت إليّ لتذكر بذنبي وتميت ابني.

فقال لها: أعطني ابنك. وأخذه من حضنها وأصعده إلى العلّية التي هو نازل بها وأضجعه على سريره. وصرخ إلى الرب، وقال: (أيها الرب إلهي، لتعد روح الولد إلى جوفه). فسمع الرب لصوت إيليا وعادت روح الولد إلى جوفه وعاد إلى الحياة. فأخذ إيليا الولد وأنزله من العلية إلى البيت، وسلّمه إلى أمه وقال إيليا: انظري! ابنك حي. فقالت المرأة لإيليا: الآن علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق»[٣].

---

(١) لوقا (٧ / ١١ ـ ١٧).

(2) F . Schnider , Jesus der Prophet, S : 108 .

(٣) الملوك الأول (١٧ / ٧ ـ ٢٤).

ويلاحظ أنه في كلتا المعجزتين إقرار من شهودهما بفعل وقدرة إلهية خلفهما، وتسليم وشهادة بنُبوة فاعلي المعجزة في الحالتين: إيليا، وعيسى الناصري.

٢ ـ الإخبار بالغيب.

وقد وردت قصة تلك المعجزة في إنجيل يوحنا مرتبطة بشهادة المرأة السامرية بنبوة عيسى، إذ قال لها: «اذهبي فادعي زوجك وارجعي إلى هنا. أجابت المرأة: ليس لي زوج. فقال يسوع: أصبت إذ قلت: ليس لي زوج، فقد كان لك خمسة أزواج، والذي عندك الآن ليس بزوجك، لقد صدقت في ذلك، قالت المرأة: يا رب: أرى أنك نبي»[١].

وفي سياق ارتباط هذا النوع نفسه من المعجزات بشهادة النبوة، ما يقصه لوقا من دعوة الفريسيٍّ لعيسى للطعام ولقائه بالمرأة الخاطئة[٢].

وهي تكاد تطابق أحداث المعجزات التي أوردها العهد القديم، ونسبها إلى عدد من أنبيائه[٣].

٣ ـ شفاء المرضى.

وشمل عديداً من الأمراض والعلل التي توسع العهد الجديد في سرد قصصها؛ كالعمى، والبرص، والشلل، والنزف، والصمم، والاستسقاء والحمى، إلخ.

وتحتل معجزة شفاء البرص قيمة كبرى كعلامة على نبوة عيسى، وذلك لسببين:

---

(١) يوحنا (٤ / ١٦ ـ ١٩).

(٢) لوقا (٧ / ٣٦ ـ ٤٩).

(٣) صموئيل الأول (١٦ / ٧)، ملوك أول (٨ / ٣٩)، إرميا (١١ / ٢٠، ١٧ / ١٠) المزامير (٧ / ١٠، ٣٨ / ١٠، ٤٤ / ٢٢، ٩٤ / ١١، ١٣٩ / ١ / ـ ٤).

أ ـ أن البرص مرض نجس يعد عقوبة إلهية[١]، وعلامة للخطيئة التي تفصل عن الجماعة[٢].

ب ـ أن شفاء البرص من المعجزات النادرة التي حكى العهد القديم وقوعها على يد الأنبياء، وذلك في معجزة إبراء نعمان قائد جيش ملك أرام على يد إليشاع[٣].

وقد وردت معجزة شفاء البرص لدى متّى[٤] ثم بتوسع لدى لوقا مختومة بتمجيد الله[٥].

٤ ـ تكثير الطعام

وردت هذه المعجزة في العهد القديم منسوبة إلى أليشاع. لكنها غير مرتبطة بإقرار بالنبوة[٦].

أما الإنجيليون فقد احتفوا بها جميعاً[٧]، خاصة يوحنا الذي عرضها كعلامة كبرى ومباشرة على النبوة، مؤكّداً في وضوح: «فلما رأى الناس الآية التي أتى بها يسوع، قالوا: حقاً، هذا هو النبي الآتي إلى العالم»[٨].

(١) التثنية (٢٨ / ٢٧ ـ ٣٥).

(٢) الأخبار (١٣ / ١ ـ ١٧، ١٣ / ٤٥ ـ ٥٤).

(٣) الملوك الثاني (٥ / ١ ـ ١٥).

(٤) متى (٨ / ١ ـ ٤).

(٥) لوقا (١٧ / ١١ ـ ١٩).

(٦) الملوك الثاني (٤ / ٤٢ ـ ٤٤).

(٧) متى (١٤ / ١٣ ـ ٢١)، مرقس (٦ / ٣٢ ـ ٤٤)، لوقا (١٠ / ١٠ ـ ١٧)، يوحنا (٦ / ١ ـ ١٥).

(٨) يوحنا (٦ / ١٤).

٥ ـ مصيره

كان التعقب بالمطاردة والقتل هو مصير الأنبياء المحتوم في بني إسرائيل، كما تشير إلى ذلك مصادر الأبوكريفا[١].

وكما يروي العهد القديم على لسان إيليا: «إني غرت غيرة للرب، إله القوات؛ لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك وحطموا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، وبقيت أنا وحدي، وقد طلبوا نفسي ليأخذوها»[٢].

وعلى لسان نحميا: «ثم عصوك، وتمردوا عليك، ونبذوا شريعتك وراءهم، وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم»[٣].

وقد شدد العهد الجديد على تأصل مسلك بني إسرائيل وتواصلهم في قتل الأنبياء واضطهادهم، وقد جاء هذا التشديد على ضروب ثلاثة هي:

الأول: على لسان مؤلفي أسفاره أنفسهم؛ كتقرير وصفي لسمات منهج الشخصية الإسرائيلية: «يا صلاب الرقاب، ويا غلف القلب والآذان، إنكم تقاومون الروح القدس دائماً أبداً، وكما كان آباؤكم فكذلك أنتم.

أيّا من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم!؟ فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البار[٤].

الثاني: على لسان عيسى كتبكيت لبني إسرائيل: «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينون ضرائح الصديقين، وتقولون: لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون

(1) Schoeps H. J,. Die Judischen Prophetenmorde, in : Aus fruhchristlicher Zeit, S : 129 - 132 , (126 - 143).

(٢) الملوك الأول (١٩ / ١٠ ـ ١٤).

(٣) نحميا (٩ / ٢٦).

(٤) أعمال الرسل (٧ / ٥١ ـ ٥٢)، وانظر: رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيقى (٢ / ١٤ ـ ١٥).

على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم»[١].

الثالث: كاستشهادات ونقول من العهد القديم: «أولا تعلمون ما قال الكتاب في إيليا كيف كان يخاطب الله شاكياً إسرائيل، فيقول: يارب، إنهم قتلوا أنبياءك وهدوا مذابحك وبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي؟»[٢].

وقد سلك عيسى نفسه في مسيرة أنبياء بني إسرائيل، وربط بين مصيره ومصيرهم في وضوح تام، وبيان جليّ وذلك بقوله: «ها إنـي أطرد الشياطين وأجري الشفاء اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث ينتهي أمري. ولكن يجب عليّ أن أسير اليوم وغداً واليوم الذي بعدهما؛ لأنه لا ينبغي لنبيّ أن يهلك في خارج أورشليم.

أورشليم ! أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها!»[٣].

ثانياً: خصائص نبوته في اعتقاد معاصريه.

وتدور في فلكين:

أولهما: الهوية

وهي بمثابة بطاقة إثبات الشخصية لعيسى، إذ تنسبه إلى موطنه ومسقط رأسه، وهو قرية صغيرة تسمى الناصرة تتبع إقليم الجليل بفلسطين[٤].

وقد استخرجت هذه البطاقة الشعبية لعيسى في نصٍّ حافل بيوم مشهود لدى دخول عيسى أورشليم محتفى به، مهتوفاً له: «وكانت الجموع التي تتقدمه

(١) متى (٣٣ / ٢٩ ـ ٣٢)، وانظر: متى (٥ / ١٢)، لوقا (٦ / ٢٢، ١١ / ٤٧).

(٢) الرسالة إلى أهل رومة (١١ / ٣).

(٣) لوقا (١٣ / ٣٢ ـ ٣٤).

(٤) انظر ملحق رقم (٥).

والتي تتبعه تهتف: هوشعنا لابن داود ! تبارك الآتي باسم الرب ! هوشعنا في العلي، ولما دخل أورشليم ضجت المدينة كلها، وسألت: من هذا؟ فأجابت الجموع: هذا النبي يسوع من ناصرة الجليل»[١].

والآيتان الأخيرتان ١٠، ١١ تشكلان تقليداً أصلياً مستقلاً[٢]، حاول متّى أن يفيد من عناصره التاريخية الثابتة، ويقيم على أساس منها بناء آخر يتمثل في دخول عيسى الناصري معلوم الهويّة إلى أورشليم كمسيح منتظر أو كمسيح كيرجماتي.

فذيّل الآيتين نصاً طويلا (٢١ / ١ ـ ٩) محتشداً بالألقاب المسيحانية وشواهد العهد القديم المخبرة بالمسيح المنتظر، موحياً لقارئه بأن عيسى الناصري ـ الذي يعرفه وسمع به وعنه ـ هو المسيح المنتظر الذي بشّرت به ما قرأه وما بين يديه من كتب مقدسة.

لكن محاولته جعل الناصرة ـ التي هى مسقط رأس نبي الجليل ـ مدينة المسيح المنتظر، والتي خصها بجهد منفرد، عند عرضه لأحداث طفولة عيسى: «فقام وأخذ الطفل وأمه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيردوس على اليهودية، فخاف أن يذهب إليها. فأوحى إليه في الحلم، فلجأ إلى ناحية الجليل.

وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان الأنبياء: إنه يدعى ناصرياً»[٣].

---

(١) متى (٢١ / ٩ ـ ١١).

(2) Trilling W., Der Einzug in Jerusalem Mt 21 ,7 - 17 , s : 303 in : Neutestamentliche Aufsaetze, (303 - 309) .

(٣) متى (٢ / ٢١ ـ ٢٣).

هذه المحاولة قد باءت بالفشل لأن:

١ ـ الناصرة قرية لا شأن لها، بل على العكس ينظر إليها لا كمصدر خير أو مبعث وحي لإسرائيل، كما حكى يوحنا في إنجيله:

«ولقي فيلبس نتنائيل، فقال له: الذي كتب في شأنه موسى في الشريعة وذكره الأنبياء، وجدناه، وهو يسوع بن يوسف من الناصرة.

فقال نتنائيل: أمن الناصرة يمكن أن يخرج شيء صالح؟»[١]، وكذلك قيل: «ابحث تر أنه لا يقوم من الجليل نبي»[٢].

٢ ـ الناصرة مدينة غير معروفة في العهد القديم.

٣ ـ أن لوقا يجعل من سكنى يوسف النجار ومريم ومعهما الطفل عيسى في الناصرة عودة إلى مسقط الرأس لكن ليس كإتمام أو تحقيق لنبوءة مجهولة في العهد القديم[٣].

وقد أبرز المسيح هويته وانتماءه إلى الناصرة وذلك بتأكيده على عدم احتفاء أهلها به، من باب «عدم إكرام نبي في وطنه»، إذ يحكي لوقا عن المسيح: «وأتى الناصرة حيث نشأ. ودخل المجمع يوم السبت على عادته، وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر النبي أشعيا، ففتح السفر فوجد المكان المكتوب فيه: روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر الفقراء، وأرسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم وللعميان عودة البصر إليهم وأفرج عن المظلومين وأعلن سنة رضا عبد الرب.

ثم طوى السفر فأعاده إلى الخادم وجلس، وكانت عيون أهل المجمع كلهم

(١) يوحنا (١ / ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) يوحنا (٧ / ٥٢).

(٣) لوقا (٢ / ٥١)، وانظر أيضا (٢ / ٤).

شاخصة إليه. فأخذ يقول لهم: اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم.

وكانوا يشهدون له بأجمعهم ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرجه من فمه يقولون: أما هذا ابن يوسف!؟ فقال لهم: لا شك أنكم تقولون لي هذا المثل: يا طبيب اشف نفسك؛ فاصنع هنا في وطنك كل شيء سمعنا أنه جرى في كفر ناحوم.

وأضاف: الحق أقول لكم: ما من نبيّ يُقْبل في وطنه»[1].

وتجدر الإشارة إلى أن تحديد هوية عيسى يتم هنا عن طريق عيسى نفسه كما يرى نفسه نبياً من الناصرة بإقليم الجليل.

الثاني: التصنيف.

ويقصد به النمط أو الشكل النبوي الذي ظهر فيه عيسى، وفي ذلك اختلفت آراء معاصريه بين شكلين من أشكال النبوة التي تندرج تحتها نبوة عيسى الناصري نبي الجليل، وهي:

١ ـ النبي العائد.

وتدور التخمينات حول ثلاثة أنبياء يحتمل أن يكون أحدهم هو الذى قام من الموتى متخذاً صورة نبي الجليل عيسى الناصري، وهم: إيليا، إرميا، يوحنا المعمدان[2].

وقد رأى كولمان في تلك التخمينات اعتقاداً من معاصري المسيح في نبوته بوصفه نبيٍّ آخر الزمان.

وهو رأي ليس له ما يسانده من دلائل، على العكس يعارضه ما يلي:

(١) لوقا (٤ / ١٦ / ٢٤) وانظر / متى (١٣ / ٥٣ ـ ٥٧)، مرقس (٦ / ٤).

(٢) متى (١٦ / ١٣ ـ ١٤) وانظر: مرقس (٦ / ١٤ ـ ١٥)، لوقا (٩ / ٧ ـ ٩، ١٨ ـ ١٩).

١ ـ أن العهد الجديد يذكـر أن يوحنا المعمدان هو إيليا[١]، ومن ثم فهو نبي آخر الزمان وليس عيسى.

٢ ـ أن عيسى نفسه لم يذكر أو يشر أنه نبي آخر الزمان.

٣ ـ أن السبب في حـدس وتخمين الشعب ومـعاصري عيـسى بأنه إيليا أو يوحنا العائد مـرجعه وجه الشبـه في المعجزات التي أجراها الثـلاثة من حيث: النوع، والكيف، والكم.

٤ ـ إذا كان العهـد القديم قد أنبأ في آخر آياته بعودة إيليـا أخر الزمان[٢]، وظن معاصرو يوحنا بقـيامته ثانية من الموتى نتيجة قـتله ظلماً، وإقراراً للعدالة الإلهيـة أخر المطاف وأخـر الزمان، فـلا وجه مطلقـاً للقول بعـودة إرميـا أخر الزمان، بل يدل ذلـك على عدم تميز دعـوة عيـسى عن غيرها من نـبوات بني إسرائيل، مما أدى إلى صعوبة تصنيفها من قـبل المعاصرين، فراحو يبحثون عن وجـه شبـه هنا وهناك كـيفـما اتفق، وهو مـا يؤيده الشكل الثـاني الذي درج المعاصرون نبوة عيسى تحته.

٢ ـ نبي كسائر الأنبياء.

إذا كانـت جمـاعة من مـعاصـري نبي الجليل قد رأت فـيه إيليـا أو يوحنا العائدين لما بين أعـمالهم ومعجزاتـهم من شبه، فإن فريقـاً آخر لم ير هذا في أعمـال عيـسى، بل رأها أعمـالاً ومعـجزات مـألوفة في التـاريخ الديني لبني إسرائيل لا يختص بهـا عيسى الناصري، بل تجري على يد أي نبي يبـعثه الله، لذلك رأت فيه جماعة من هذا الفريق: «أحد الأنبياء»[٣].

(١) متى (١١ / ١٣ ـ ١٤) مرقس (٩ / ١١ ـ ١٣).

(٢) ملاخي (٣ / ٣٣).

(٣) متى (١٦ / ١٤)، مرقس (٨ / ٢٨).

ورأى غيرهم: «إنه نبي كسائر الأنبياء»[١].

ورآه آخرون: «نبي من الأولين»[٢].

ويلاحظ أن تصنيف معاصري عيسى لدوره ودعوته قد جاء مطابقاً لفهم عيسى نفسه، وحقيقته، وطبيعة رسالته، والذي عبر عنه فيما يأتي:

١ ـ أنه نبي من الناصرة بالجليل التي رفضته كما جرت العادة بازدراء الأنبياء في أوطانهم[٣].

٢ ـ أنه حلقة في سلسلة أنبياء بني إسرائيل، تلقى رسالتهم نفسها وعمله متمم لهم؛ لذلك فقد دأب على مقارنة نفسه بهم[٤].

وتبقى من قضية نبوة المسيح مسألتان:

أولهما: أثر الكيرجما على تلك العقيدة.

وهي مسألة قد يستنكر طرحها على بساط البحث، بعدما استبان أن الاعتقاد في نبوة المسيح كان على المستوى الشعبي، ولم يتعده إلى الخاصة من رسله، من كتّاب أسفار العهد الجديد.

لكن سرعان ما ينقشع ضباب هذا الاستنكار إذا وقفنا على نص خطبتين لبطرس الرسول[٥]، واسطفانس[٦] أول شهيد في المسيحية يروِّج فيهما لعنصرٍ

(١) مرقس (٦ / ١٥).

(٢) لوقا (٩ / ٨، ١٩).

(٣) مرقس (٦ / ٤) وانظر: متى (١٣ / ٥٣ ـ ٥٧)، لوقا (٤ / ١٦ ـ ٢٣).

(٤) متى (١٢ / ٣٨ ـ ٤٢، ١١ / ١٢)، مرقس (١١ / ٢٨ ـ ٣٣)، لوقا (١١ / ٢٩ ـ ٣٢، ١٦ / ١٦).

(٥) أعمال الرسل (٣ / ١٢ ـ ٢٦).

(٦) أعمال الرسل (٧ / ١ ـ ٥٣).

كيرجماتي غريب على نبـوة نبي الجليل عيسى ابن مريم، وهو تصويره على أنه النبي الذي بُشِّر به في سفر التثنية:

«سـأقيم لهم نبـيـاً من وسط إخوتـهم مثلك، وأجـعل كـلامي في فمـه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه»[1].

ولا شك أن هذا الترويج لا يستقيم بوجه من الوجوه، إذ إن عيسى يستحيل أن يكون النبي المُبَشَّر به من قَبِل موسى وذلك للأسباب التالية:

١ ـ أن النبي المبـشر به مثل مـوسى؛ أي زعيم وقـائد سياسـي وحربي إلى جانب عمله النبـوي. وعيسى لم يكن زعيمـاً سياسياً ولا قـائداً حربياً، بل لم يتمـتع بأي نوع من المَنَعة والغَلَبَة، فلم تكن له شـيعة تحمـيه وتذود عنه، ولم يستطع أن يدفع عن نفسه أذى المطاردة والملاحقة والقبض عليه ومحاولة قتله.

٢ ـ أن النبي المبشَّـر به مطاع في أمره ونهـيه «فله تسمـعون»[2]. ولم يكن عيسى كذلك.

٣ ـ أنه يحمل تشريعـاً جديداً في قوة تشريع موسـى، ويزيد عليه بما جعل الله من كلمته في فمه النبوي. ولم يكن عيسى إلا مجرد تابع لشريعة موسى، محللاً بعض المحرمات منها.

أما الأصول فيها فتابع لها.

٤ ـ أن هذه الآيات على لسان بطرس واسطفانس جاءت في معرض التبشير بالمسـيح الكيـرجمـاتي؛ الرب وابن الله، الذي هو بلاشك لـيس مثل مـوسى

---

(١) تثنية (١٨ / ١٥، ١٨ ـ ١٩).

(٢) تثنية (١٨ / ١٥).

فقط، بل أفضل من موسى كما ذكر بولس:

«فإن المجد الذي كان أهلاً له يفوق مجد موسى بمقدار ما لباني البيت من فضل على البيت، فكل بيت له بان، وباني كل شيء هو الله. وقد كان موسى مؤتمناً في بيته أجمع؛ لكونه قيماً يشهد على ما سوف يقال. أما المسيح فهو مؤتمن على بيته لكونه ابناً»[1].

٥ ـ أن عيسى لم يذكر قط أنه مثل موسى.

٦ ـ أنه قد تجنب بوضوح الإجابة على سؤال يوحنا المعمدان «أأنت الآتي أم آخر ننتظر؟» بل أجاب بذكر بعض الأعمال والمعجزات التي تجري على يديه[2]، وهي أعمال ومعجزات مألوفة للمعمدان، وكذلك لرجال العهد القديم، مما يؤكد أنه واحد من أولئك، وليس الآتي أو المنتظر، إذ إن النبي الآتي له ما يميزه فضلاً عن هذه الخوارق والآيات.

بل إنه يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، والقول إن عيسى لم يبشر به لا موسى ولا غيره من الأنبياء، وإن آيات العهد القديم التي تُحشد كبشارات[3] بعيسى ابن مريم نبي الجليل لا تصح بوجه، لأنها تبشير بالمسيح اليهودي المنتظر.

نخلص من كل ذلك إلى أن الاعتقاد بنبوة المسيح بقي بعيداً عن تأثير عناصر الكيرجما التي لم تمسه إلا من هذا الوجه الذي أمكن عزله ووضعه في سياقه الكيرجماتي الملائم، وبذلك أمكن تجنب نفوذ أحد عناصر الكيرجما إلى مفردات عقيدة اتفق عليها المعتقد فيه والمقر بها.

(١) رسالة إلى العبرانيين (٣ / ١-٦).

(٢) متى (١١ / ٢ ـ ٦) لوقا (٧ / ١٨ ـ ٢٣).

(٣) انظر قاموس الكتاب المقدس، ص: ٨٦٠ ـ ٨٦٣.

وأن نبوة عيسى قد ظلّت بالنسبة للكيرجما أمراً ثانوياً جانبياً يخدم الوظيفة الخلاصية للمسيح الكيرجماتي(١).

والثانية: ختم النبوة بعيسى.

ترى الكنيسة في المسيح ختماً للنبوة والوحي، ففيه تمت المواعد والنبوات، ومن بعده ارتفع الوحي وتوقفت النبوة، فلن يسمع من بعده لصوت وحي أو حديث نبوة(٢).

ويعني ذلك أمرين:

أولهما: أن عيسى «خاتم الأنبياء».

ويعد أول من تحدث عن المسيح كخاتم الأنبياء هو ترتليان، وذلك من خلال فهمه وتفسيره للنص الوارد في سفر دانيال: «إن سبعين أسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لإخفاء المعصية وإزالة الخطيئة والتكفير عن الإثم والإتيان بالبر الأبدى وختم الرؤيا والنبوءة ومسح قدوس القدوسين»(٣).

إذ عقّب على هذا النص بقوله: «إن كل النبوات تجسدت في المسيح المخلص بآلامه وتبشيره ورسالته، فبعده لا حاجة إلى النبوة، فهو خاتم الأنبياء»(٤).

ويسجل على مقولة ترتليان ما يلي:

١ ـ إن بشارة السبعين أسبوعاً، والتي حللناها في الباب الأول، لا تنطبق كذلك على المسيح لو حسبنا الفترة الزمنية التى انقضت منذ تنبأ دانيال وحتى تاريخ ظهور المسيح سواء أتم حساب السبعين بالأيام أم الأسابيع أم الشهور أم الأعوام أم القرون أم الألفيات.

(1) F . Schnider , Jesus der Prophet, S : 12 .

(2) Katechismus der Katholischen Kirche, S : 56 - 57 .

(٣) دانيال (٩ / ٢٤).

(4) Carstin Colpe, Das Sigel der Prpheten, S : 31 .

٢ ـ إن هذه المقولة تسقط تماماً في الموضع الذي كان يجب ورودها فيه من خلال رد ترتليان على مرقيون، والذي يوضح فيه لمرقيون أن هناك ابناً واحداً للرب وعد به، وقيل فيه: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك [١]». وتحقق الوعد به حينما سُمع صوت من السماء ينادي «هذا هو ابني الحبيب»[٢]، رابطاً بين ذلك الوعد وإنجازه وبين بشارة موسى في سفر التثنية بالنبي الآتي، وذلك بالقول الشهير: «له فاسمعوا»[٣].

٣ ـ إن ختم النبوة وتحقيق مواعد الأنبياء والشريعة لدى ترتليان يتم في الابن وليس في عيسى النبي، كما أكد على ذلك مراراً وتكراراً، وباستشهاده بنص أشعيا[٤]: «إذ قال: إنهم شعبي حقاً، بنون لا يخدعون، فصار لهم مخلّصاً في جميع مضايقهم، تضايق وملاك وجه خلّصهم بمحبته وشفقته افتداهم»[٥].

٤ ـ إن صحت هذه العبارة من ترتليان فإنها بسياقها لا تزيد عن كونها ختماً كيرجماتياً فوق طبيعي للنبوة، إذ الحديث فيه عن المسيح الكيرجماتي، وليس عن عيسى الناصري نبي الجليل. مما يستبعد أي مجال للحديث عن ختم أرضي للنبوة عن طريق عيسى.

٥ ـ إن هذه العبارة إن صحت ـ كذلك ـ فالمقصود منها ليس تقرير حقيقة بل هي من باب الهجوم الجدلي الذي دُفع إليه ترتليان بسبب الصراع ضد حركة المونتانستية[٦].

---

(١) المزامير (٢ / ٧).

(٢) لوقا (٩ / ٣٥).

(3) Alois Grillmeier, Jesus der Christus im Glauben der kirche, 1, S : 36.

(٤) السابق.

(٥) اشعيا (٦٣ / ٨ ـ ٩).

(6) W . Schepelern , Der Montanismus, S : 10,.
- Karl Heussi, Kompendium der kirchengesehichte, S : 58 ,.

الثاني: أن الوحي قد انقطع وارتفع بعد عيسى.

إذ إن «المسيح كلمة الله التي أصبحت بشراً، الكامل، الذي لا يدانيه أحد، المولود من الله، غير المخلوق، فيه قال الله كل شيء، ولن تقال بعده كلمة أخرى»[1].

هذا ما قرره القديس يوحنا الصليب من معلمي الكنيسة وزهادها التقليديين في أسبانيا في القرن السادس عشر[2]، وذلك في شرحه وتفسيره لقول بولس في رسالته إلى العبرانيين:

«إن الله بعدما كلم الآباء قديماً بالأنبياء مرَّات كثيرة بوجوه كثيرة، كلمنا في أخر الأيام هذه بابن جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالمين»[3].

إذ قال معقباً: «منذ أن أرسل الله لنا ابنه الذي هو كلمته لم يعد لديه كلمة أخرى يعطيها، فقد قال كل شيء على وجه خاص في هذه الكلمة؛ لأن كل ما تكلم به للأنبياء قطعة قطعة قاله الآن كله في ابنه، الذي إن سألنا بعده الله رؤية أو وحياً، فإن ذلك لن يكون فقط حماقة، بل سيكون سبًا لله ذاته»[4].

وما من شك في أن الختم الذي يعنيه يوحنا الصليب هو ختم كيرجماتي أيضاً، إذ يجعل كلمة الله ووحيه جوهراً مستقلا عنه، أرسله في صورة ابنه المسيح.

وفضلاً عن أن ذلك يؤدي إلى التعطيل وسلب الله ـ تعالى ـ لصفة الكلام، فإن ما يعنينا أن ذلك الختم ليس ختماً أرضياً ممثلاً في عيسى الناصري نبي الجليل، بل في يسوع المسيح، وذلك للأسباب التالية:

(1) Katechismus der Katholischen kirche, S : 56.

(2) Lexikon Fur Theologie und Kirche, V , S : 57 - 59 ,.

(٣) رسالة إلى العبرانيين (١ / ١ ـ ٢).

(4) Katechismus, S : 57 .

١ ـ إن نبي الجليل عيسى الناصري لم يقل قط أو يشر إلى أنه خاتم الأنبياء واللبنة الأخيرة في بناء الوحي، بل أشار في وضوح إلى معلم ومرشد آتٍ من بعده ومرشداتٍ لقيادة البشرية: «وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكِّركم بكل ما قلته لكم»[1].

٢ ـ إن دعوى ختم النبوة والوحي في عيسى تهدم بناء النبوة في المسيحية وتبطل دعوى استناد الاثني عشر، والأنبياء، والمعلمين، إلى الوحي، واعتمادهم على الروح في عملهم.

٣ ـ إن الكنيسة تقر بوجود نوع من الوحي تسميه «الوحي الخاص»، الذي تقتضيه الضرورة لاستكمال الوحي العام، وذلك بتفسير غير المفهوم منه، وحل المشكلات والمعضلات التي تجِدُّ في أثناء مسيرة المسيحية مما لا يوجد حل لها في ثنايا الوحي العام[2].

٤ ـ إن تلك الدعوى موجهة في الأساس ضد نبي الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، وهذا يستبين من الإيضاح الذي ألحقه كتاب أصول العقيدة المسيحية الذي أصدره الفاتيكان مؤخراً، إذ يقول: «إن العقيدة المسيحية لا تستطيع أن تقبل (تجيز) أي نوع من الوحي يقابل أو يفوق الوحي الذي تم في المسيح، كالوحي الذي تأسست عليه بعض الديانات والطوائف غير المسيحية»[3].

إذ إنه بخلاف نص ترتليان الذي ـ يُرتاب فيه ـ لا يكاد المرء يعثر على نص ديني يستخدم لقب «خاتم الأنبياء» خارج نصوص الإسلام.

(١) يوحنا (١٤ / ٢٦).

(2) Katechismus , S : 57 .

(٣) السابق، وقد عرضنا لهذه الدعوى وغيرها، وقمنا بتفنيدها، وإثبات نبوة محمد ﷺ، وكونه خاتم الأنبياء، وذلك في كتابنا «نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء» طبع الدار العالمية للكتاب الإسلامي بالرياض ١٩٩٨ م.

المبحث الثالث

المسيح التاريخي

يقصـد بمصطلح «المسيح التاريخي» مـا يتعلق بحيـاة ذلك الشخص المعين، الذي وجد، وعاش على هذه الأرض في الزمن المعيّن، بالمكان المعين، مما يمكن إخضاعه للبحث العلمي كواقع فعليّ في تاريخ البشرية[1].

ويهدف إلى رفع الستـار وكشف الحجاب وبيان الجـواب عن السؤال الهام: من هو عيسى؟ ما هي دعوته؟ وما مضمون رسالته؟

وما من سبـيل إلى تلك الإجابة إلا بمعرفة «ماذا قـال؟ وماذا فعل؟». لذلك فقد ارتبط هذا المبحث ارتبـاطاً وثيقاً بدراسات العهد الجديد، باعـتبارها المصدر الوحيد الذي يحكي أخبار عيسى[2].

ويرجع الفضل في ظهور هذا المصطلح إلى جهود الطبيعيين الإنجليز:

جـون تولاند John Toland (١٦٧٠-١٧٢٢)، وبيـتـر أنت Peter Annet المتوفى عام ١٧٦٨، وتوماس ولستون Thomas Woolston (١٦٦٩- ١٧٣١)، والعلامـة الألماني هيـرمان صمـوئيل ريماروس Hermann Samuel Reimarus (١٦٩٤-١٧٦٨) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة هامبورج. الذين اكتشفوا للمرة الأولى بمساعدة منهج النقد التاريخي ما يسمى بـ «عيسى التاريخي»؛ أي عيسى مـا قبل الفـصح، الحقـيـقي والفعلي، عـيـسى ابن مريم الناصـري، وقامـوا باستخـلاص أخباره والمرويات عنه في الأناجيل، وذلك في مـقابل وبمعزل عن

(1) James M. Rodinson, Kerygma und Historischer Jesus, S : 87 - 88,.

(2) Joseph Klausner , Jesus von Nazareth, S : 91 - 92,.

المسيح الكيرجماتي[1].

فبعد ثمانية عشر قرناً من الزمان، كان الفكر المسيحي خلالها على قناعة بأن العهد الجديد يقدم صورة حقيقية لعيسى، أصبح مثل هذا الاعتقاد - على حد تعبير مؤرخ الأديان: نينيان سمارت Ninian Smart - من السذاجة بمكان[2].

ولم يقتصر الأمر على حد الشك في مصداقية العهد الجديد، بل تعداه إلى الشك في وجود عيسى نفسه وذلك في شكل تيار عارم، ينكر الوجود التاريخي لعيسى، ويذهب إلى أن عيسى ما هو إلا نتاج الأساطير، أو الفلسفة، أو الرمزية[3].

ويستند المنكرون لوجود عيسى على عدم وجود شواهد تاريخية تثبت وجوده

(1) Joseph Klausner , Jesus von Nazareth, S : 97 - 101 .

(2) Ninian Smart, Die Grossen Religionen, S : 125, Munschen 1988 .

(3) من أبرز ممثلي هذا التيار الذي حظي بحضور قوى امتد حتى أواسط قرننا العشرين:

الفرنسيون: كارلوس فرانسيز دوبيوس Charles Francois Dupuis (١٧٥٧-١٨٢١) بكتابه «أصل الحضارات والأديان»، كونستانتين فرانسيز فولني Constantin Francois Volney (١٧٥٧-١٨٢٠) بكتابه «من أطلال التأملات إلى الثورة التجريبية»، نابليون بونابرت في حواره الشهير مع الأديب الكلاسيكي فيلاند حول «هل عاش المسيح يوماً؟».

وعلى الجانب الألماني: برونو باور Bruno Bauer (١٨٠٩-١٨٨٢) بمجموعة كتاباته التي كانت سببا في رفض ترقيته إلى درجة بروفيسور؛ ألبرت كالتهوف Albert Kalthoff (١٨٥٠-١٩٠٦) بكتابيه «مشكلة المسيح» و «نشأة المسيحية»، د. كفلسون بكتابه «حول مسألة إذا ما كان عيسى قد عاش» طبع ليبتزج ١٩١٠م، بيتر ينسن Peter Jensen بكتابه «هل مسيح الأناجيل قد عاش حقا» طبع بفرانكفورت ١٩١٠، أ. دريفز A .Drews بكتابه ومقاله «أعاش عيسى» برلين ١٩١٠.

راجع تاريخ البحث في حياة المسيح مفصلا لدى: Albert Schweizer في مؤلفه التاريخي والموسوعي:

- Geschichte der Leben - Jesu - Forschung, S : 451 - 561 .

باستثناء العهد الجديد، والعهد الجديد عديم الفائدة وفاقد للثقة والأهلية، أما ما جاء عن عيسى في مصادر الأدب اليهودي، كما في تاريخ يوسفس، وهو معاصر لحياة المسيح، فذلك إضافات متأخرة بأقلام مسيحية سطرت في روما[١].

لذلك فالبحث عن حقيقة عيسى التاريخية ليس فقط مما تقتضيه طبائع الأشياء والمسلمات والبديهيات العقلية، بل هو من الناحية العلمية كما يرى مارتن ديبيليوس Martin Dibelius: «الطريق الوحيد للحصول على قيمة حقيقية لحدث فعلي»[٢].

وذلك يفسر لنا المكانة البارزة التي احتلها البحث وراء حقيقة عيسى التاريخية لدى طوائف متعددة من العلماء والمفكرين والباحثين عن الحق والحقيقة.

وقد سار البحث حول عيسى التاريخي في المسارات وعلى المستويات التالية:

١ ـ مدرسة الأشكال الأدبية. Die Formgschichtliche Schule

كانت هذه الساحة أكثر الساحات جدلاً حول عيسى التاريخي، وهي كذلك أغزرها وأعمقها نتائج، وأطولها عمراً، فسجلاتها مفتوحة حتى اليوم.

وبدأت بكتاب مارتن كيلر Martin Kahler «ما يسمى بعيسى التاريخي ومسيح روايات الكتاب المقدس» الذي ظهر عام ١٨٩٢م[٣]، وفيه طرح السؤال الآتي:

(١) يستدل على مسيحية مصدر هذا النص بإقرار أو اعتقاد كاتبه في أن عيسى هو المسيح وذلك مالا يمكن نسبته إلى يوسفس.

راجع:

Joseph Klausner, Jesus von Nazareth, S: 68 - 70 .

(2) Martin Dibelius, Geschichtliche und ubergeschichtliche Religion im Christentum, S : 210 . in : Die Frage nach dem historischen Jesus, Hrsg von: Manfred Baumotte,.

(3) Martin Kahler , Der Sogenannte historische Jesus und der geschichtliche biblische Christus,.

هل يمكن حقاً الوصول إلى حقيقة عيسى التاريخي من خلال ضباب وغيوم المسيح الكيرجماتي التي غطت (كست) طبقات العهد الجديد؟

فجاء الجواب بالنفي القاطع من أهم وأشهر وأكبر أعلام هذه المدرسة؛ رودولف بولتمان Rudolf Bultmann، الذي اشتهرت هذه المدرسة عن طريقه وسميت فيما بعد باسمه «مدرسة بولتمان» متخطية حدود الفكر والأدب الألماني إلى آفاق العالمية، وذلك في مقولتيه الشهيرتين:

الأولى: «إننا تقريباً لا نعرف شيئاً عن حياة عيسى وشخصيته، كذلك ليس لدينا حديث مؤكد من فم عيسى»(١).

والثانية: «إن دعوة عيسى افتراض من فروض لاهوت العهد الجديد، لكنها ليست جزءاً من هذا اللاهوت»(٢).

ويرجع سبب ذلك في رأيه إلى أن عيسى التاريخي لم يكن يمثل قيمة كبيرة أو صغيرة لصناع الكيرجما، لذلك فلم يعبأوا به ولم يلتفتوا إليه(٣).

ويستند بولتمان في ذلك إلى بولس الرسول، الذي لا يكاد يكون قد نقل أو استدل أو سطّر جملة من كلمات عيسى التاريخي، فذلك المسيح لا يعرفه

---

(1) Rodolf Bultmann , Jesus, S : 12 .

نفس الجملة أيضا في:

- Die Erforschung der Synoptischen Evangelien, s : 33 ,.

وراجع تفصيل القضية لديه كذلك في:

- Das Verhaltnis der urchristlichen Christusbotschft zum historischen Jesus. in Exegetica Hrsg von : Erich Dinkler.

(2) R . Bultmans, Theologie des Neuen Testaments, S : 1 .

(3) R. Bultmann, Die Bedeutung des geschichtlichen Jesus Fur die Theologie des Pauls Theologie, S : 8 .

بولس كما يقول في رسالته الثانية إلى أهل قورنتس «فنحن لا نعرف أحداً بعد اليوم معرفة بشرية، فإذا كنا قد عرفنا المسيح يوماً معرفة بشرية، فلسنا نعرفه الآن هذه المعرفة»[١]. بل يؤكد بولس في وضوح أنه لا يعرف ولا يريد أن يعرف إلا المسيح الكيرجماتي: «فإني لم أشأ أن أعرف شيئاً، وأنا بينكم غير يسوع المسيح، بل يسوع المسيح المصلوب»[٢].

وقد ساد رأى بولتمان معضّداً برأي كارل بارث[٣] Karl Barth حتى أعقاب الحرب العالمية الثانية، عندما خرجت مجموعة من تلاميذ بولتمان على رأي رائدهم، واجتمعوا على إمكانية وضرورة الوصول إلى عيسى التاريخي[٤].

وقد افتتح هذه المرحلة الجديدة من عمر الدراسات والبحوث في حياة «عيسى» إرنست كيزمان Ernst Kasemann في محاضرة ألقاها عام ١٩٥٣ في مؤتمر قدامى ماربورج بعنوان «مشكلة عيسى التاريخي»، بيّن فيها أن الكيرجما لم تستلهم عيسى التاريخي فقط، بل دخل في بنيانها، وشكلت مفرداته لبنة من لبناتها وتلقت الجماعة المسيحية القديمة عيسى التاريخي والكيرجماتي معاً جنباً إلى جنب، وخلّفتها في رواياتها التي شكلت كتابها المقدس[٥].

---

(١) الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس (٥ / ١٦).

(٢) الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس (٢ / ٢) وانظر: الرسالة إلى أهل غلاطية (٦ / ١٤) حيث يقول: «أما أنا فمعاذ الله أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، وفيه أصبح العالم مصلوبا عندى، واصبحت أنا مصلوبا عند العالم».

(3) Karl Barth, kirchliche Dogmatik, 1, S : 150 - 1938.

(٤) أهمهم: E . Fuchs, G . Bornkamm, G. Ebeling.

راجع تاريخ هذا التطور لدى: J . Robinson, Kerygma und historischer Jesus

(5) E . Kasemann , Das Problem des historische Jesus, in Exegetische versuche und Besinnungen, Hrsg : Wolfgang Schrage, S : 59 - 85,.

وكان ذلك بمثابة إعلان جـديد عن مشروعية البحث عن عـيسى التاريخي، تبعته جهود مكثفة متلاحقة مازالت مستمرة حتى ساعتنا هذه.

وتهدف هذه الجهود إلى الإجابة عن سؤالين:

أولهما: أين يمكن الوقوف على مفردات عيسى التاريخي؟

وهنا كـان لدور مدرسة الأشكـال الأدبية الفضـل الأكبر في صـقل وبلورة وتطوير نتائج نقد العهد الجديد، التي انتهت إلى أن ترتيب طبقات العهد الجديد وكتاباته من حيث علاقتها وارتباطها بالمسيح التاريخي كمصادر تاريخية وثيقة، هو على النحو الآتي[(١)]:

١ - مصدر مواعظ المسيح «Logien Quelle» الأصلي، ويرمز إليه بالرمز Q.

ويعد المصـدر الوحيد الذي يمكن إرجاع تـاريخه إلى حياة عـيسى، ومن ثم الوثوق به كنقل ورواية صـحيحـة لأقوال نبي الجليل عيـسى وتعاليـمه، وذلك للأسباب الآتية[(٢)]:

أ - إنه لا يعرف شيئاً عن عيسى المسيح.

(1) Siegfried Schulz, Der historischer Jesus, S : 6 - 10 . in : Jesus Christus in Historie und Theologie . Hrsg von : Georg Strecker 1 - 25.

(2) Siegfried Schulz, Der Historische Jesus, S: 5 - 13.

- Migaku Sato , Q und Prophetie, S : 375, 382.

- Alois Grillmeier, Jesus der Christus im Glauben der kirche 1 , S : 26.

- M . Hengel, Jesus definiert jesus als Messianischor lehrer der weisheit, S: 183 - 185. in: Sagesse et Religion . Cologue de strasbourg (October 1976).

- Paul Hoffmann: 1) Studien zur Theologie der Logienguelle S: 1- 11 . Munster 1981. 2) Die Anfange der Theologie in der Logien Quelle, in : Gestalt Anspruch des Neuen Testaments , Hrsg. von : Josef Schreiner, S : 134 - 152 .

ب ـ إن عيسى في ذلك المصدر هو نبي مواعظ، ومعلّم حكمة، ومفسّر شريعة. وليس شيئاً آخر.

جـ ـ إن دعوته إنذار إلى بني إسرائيل، وإعلان وتبشير بمملكة السماء.

د ـ إنه لا يتضمن شيئاً عن إلغاء قوانين شريعة موسى (كإبطال الختان)، أو التبشير بين الوثنيين.

هـ ـ لا يعرف شيئاً عن المسيح المصلوب أو القائم من الموتى ويبدو مصير عيسى فيه حلقة من حلقات مصير أنبياء بني إسرائيل.

وينسب ساتو الياباني جمع هذه المواعظ إلى حواري عيسى الذين تبعوه وصاحبوه وعايشوا دعوته، وينفي أن تكون هناك علاقة لهؤلاء الحواريين برسل المسيح الاثني عشر[1].

٢ـ مصدر المواعظ المعدل (المحرر).

وتختلف آراء الباحثين في نشأته على النحو الآتي:

أ ـ يذهب ساتو إلى أن حواريّ عيسى الذين قاموا بجمع أقواله ومواعظه كانوا بمثابة أبناء الأنبياء في العهد القديم، ذلك النموذج الذي نفخت فيه الروح ثانية بالتفاف الحواريين حول نبيهم ومعلمهم عيسى يأخذون عنه ويتعلمون منه، ثم ينقلون كلامه مختلطاً بكلامهم في بعض الأحيان، متخذاً سمة حديث الأنبياء[2].

(1) Sato, Q und Prophetie, S : 375

(٢) السابق ص: ٤١١، هذا وينازع ساتو في ذلك جيمس روبنسون الذي يؤكد أن هذه السمة ليست كلام النبوة، بل سمة كلام الحكمة. انظر المساجلة الشيقة التي دارت بينهما على صفحات مجلة اللاهوت الإنجيلي بعنوان «مصدر المواعظ: نبوة أم حكمة»، ويبدو أن الباحثين قد غاب عنهما التفرقة في الحكم على مصدر المواعظ بين ما أضافه الحواريون وبين ما قاله عيسى. فما نطق به عيسى هو كلام نبوة وحكمة معاً، وما أضيف إلى حديثه، فإن كان بالإمكان نسبته إلى الحواريين، =

ب ـ يرى شولز Schulz أن بنيان مصدر المواعظ مكون من عدة طبقات، أقدمها طبقة اليهود المسيحيين في فلسطين، وهي التي تحوي دعوة عيسى الحقيقة، وآخرها طبقة يهود المسيحية الهللينستية، وفيها تختلط دعوة عيسى التاريخية بالكيرجما[1].

جـ ـ يرجّح ليرمان Luhrmann، وشيرمان Schurmann أنها مجموعة أقوال وحكم ومواعظ تلتها عملية تحرير كبرى[2].

وقد حظيت مصادر المواعظ بعناية فائقة واهتمام بارز وجهود دائبة من قبل الباحثين، وتتركز الآن في ما يسمى بـ «مشروع Q» الدولي، الذي يترأسه واحد من أبرز تلاميذ مدرسة بولتمان البروفيسور جيمس روبنسون مدير معهد العصور القديمة والمسيحية في كلاريمونت بالولايات المتحدة الأمريكية.

ويهدف المشروع الذي بدأ عام ١٩٨٣، متخذاً من المعهد المذكور مركزاً له، ثم اتسع نطاقه بافتتاح مركز ثان في تورنتو بكندا بإشراف البروفيسور «جون. س. كلوبنبورج John S. Kloppenborg»، ومركز ثالث في جامعة بامبرج بألمانيا بإشراف البروفيسور «باول هوفمان Paul Hoffmann»، يهدف إلى

= فهو حديث حكمة مما تعلموه من معلم الحكمة مما لا يخرج دعوة عيسى عن نطاقها.

أما إن كان مما ينسب إلى الرسل الاثني عشر، فهو كيرجماتي الطابع ذات سمة تعلو على سمة الحكمة أو النبوة، بل على قدر المكانة التي يضع الرسل فيها أنفسهم.

راجع تفاصيل المساجلة في:

Evangelische Theologie : 5 : 53 . Jg., S : 367 - 389 , 389 - 404 .

(1) S. Schulz, Der Kerygmatische Entwurf der Q Gemeinde Syriens, S : 57 . in: Das Wort und die Worter (F . S) Hrsg. von : S : Schulz.

(2) D . Luhrmann, Redaktion, S : 15 , 19 , 84.

- H . Schurmann, Beobachtungen zum Menschsohn Titel. in : Jesus und der Menschen Sohn, S : 128 , 140 - 147 .

استخراج نصوص المواعظ من الأناجيل وإعادة ترتيبها وتحقيقها كمصدر مستقل مصحوباً بالتفسير والتعليق الملائم.

ويتم نشر النتائج التي أمكن التوصل إليها سنوياً في مجلة: "Journal of biblical Literature"، وينوى القائمون على المشروع نشر الحلقة الأخيرة من أجزاء نصوص المواعظ ومعها النتائج النهائية للمشروع نهاية حقبة التسعينات، ثم القيام بنشر جميع نصوص المواعظ مرتبة تاريخياً ومبوبة ومرقمة حسب ورودها في إنجيل لوقا، وذلك بنهاية القرن العشرين باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية. تحت اسم: روبنسون، كلوينبورج، هوفمان(١).

ولا شك أن المشروع في حالة نجاحه في استخلاص نصوص المواعظ مما لحقها من تحرير وتعديل كيرجماتي، يكون قد أدى للعلم خدمة جليلة يصبح معها الوقوف على حقيقة عيسى التاريخية ممكناً، كذلك حقيقة دعوته مما يساعد على بيان ما أنزله الله حقيقة في هذه الأناجيل.

لكن المسألة تبقى في النهاية ـ كما يقول سيجفريد شولز ـ ليست يقينيه أو مؤكدة مائة بالمائة(٢).

٣ ـ إنجيل مرقس.

وذلك باعتباره أقدم الأناجيل، كما أنه لا يذكر شيئاً عن القائم من الموتى، وذلك إذا ما وضعنا في الحسبان أنه ينتهى عند الآية ١٦ / ٨، وأن ما يلي ذلك إضافة متأخرة ليست ثابتة في كل نسخ الإنجيل.

(١) راجع تاريخ المشروع لدى:

- F . Neirynck , Chronica The international Q Project, in . Ephemerides Theological Lovanienses 69 (1 / 1993) p : 221 - 225 .

(2) Siegfried Schulz , Der historische Jesus, S : 13 .

أما افتتــاحية الإنجيل، والتي يؤرخ فيها مرقــس لبدء بشارة المسيح ابن الله، فإنها أيضاً ليست ثابتة في كل نسخ الإنجـيل، كما أن شهادة بطرس لعيسى في هذا الإنجيل ليس فيها إثبات النبوة؛ بل إثبات لقب المسيح فقط[1]. بعكس نص الشهادة في إنجيل متى والتي تثبت اللقبين: المسيح، وابن الله[2].

كما أن شــهادة بطرس مصحـوبة في هذا الإنجيل بتأنيب عيــسى وزجره له، وأمره بالانسحاب من خلفه لأن بطرس ـ على حد قوله ـ «شيطان أفكاره ليست أفكار الله، بل أفكار البشر»[3].

٤ ـ النصوص والآيات التي انفرد بإيرادها إنجيل متى ولوقا، كل على حدة.

ويمكن في ختــام استعـراضنا للجهود الســاعية إلى تعــيين مكان البحث عن مفردات عـيسى التاريخي، يمكننا إجمال عـلاقة كتابات العهد الجـديد بعيسى التاريخي في المخطط الآتي:

١ ـ Q الأصلية ———— عيسى التاريخي

٢ ـ Q المعدّلة

٣ ـ مرقس

٤ ـ مادة لوقا

٥ ـ مادة يوحنا

(عيسى التاريخي + عيسى الكيرجماني)

٦ ـ بولس

٧ ـ يوحنا

(عيسى الكيرجماني)

(١) مرقس (٨ / ٢٩).

(٢) متى (١٦ / ١٦).

(٣) مرقس (٨ / ٢٩ ـ ٣٣).

والسؤال الثاني:

ما هي المعايير التي يمكن عن طريقها التعرف على عيسى التاريخي؟

يرجع تاريخ البحث عن معايير لفحص نصوص العهد الجديد في الحقيقة إلى ما قبل نشأة مدرسة الأشكال الأدبية، إذ يرتبط بشكل ما بقضية البحث عن معايير لفحص نصوص الكتاب المقدس عامة[1]:

تلك الرحلة الطويلة التي بدأها العلامة الهولندي إيراسموس روتيرادم Erasmus Von Rotterdam (١٤٦٦ - ١٥٣٦) في مطالبته بضرورة البحث عن هذه المعايير، كي تنسجم تعاليم الكنيسة عن الكتاب المقدس بأسلوب يناسب طبيعتنا البشرية القاصرة، ومن ثمّ يجب علينا أن نبحث عن معايير نفحص بها لغة هذا الكتاب المناسب لطبيعتنا البشرية.

ثم تقدمت خطوات كبرى بفعل حركة التنوير العقلي في أوربا في القرن السابع عشر، مما يظهر جلياً في كتابات الفرنسي رينيه ديكارت Rene Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠).

ثم جاءت قوة الدفع الكبرى من قِبَل مفسري وناقدي الكتاب المقدس من اليهود، وعلى رأسهم باروخ سبينوزا في رسالته الشهيرة: «اللاهوت والسياسة».

أما العلامة البارزة والمؤثرة، فقد وضعها ريتشارد سيمون، والألماني صموئيل ديماروس في مجال العهد الجديد.

(١) راجع في تاريخ البحث عن هذه المعايير:

- H . J . Kraus, Geschichte der historisch - Kritischen Erforschurg des A . T .

- W . G . Kummel, Das Neue Testament : Geschichte der Erforschung seiner Probleme,.

ثم أسهمت مدرسة التاريخ الديني المقارن بريادة مؤسسها ألبرت أيشهورن Albert Eichhorn (١٨٥٦-١٩٢٦) بمعيار وجوب الملائمة بين عيسى وخلفيته اليهودية، كما أسهم ف. بوسيتس W. Boussets الذي يعد أول من أبرز نفوذ الهللينستية على كتّاب العهد الجديد في عصرنا الحديث.

وقد أعقب جهود بوسيتس فترة توقف وركود في البحث عن معايير للوصول إلى عيسى التاريخي في الفترة التي ساد فيها رأي الجيل الأول من مدرسة نقد الأشكال الأدبية.

ثم عاد البحث مرة أخرى بوساطة الجيل الثاني من مدرسة بولتمان، والذي انتهى إلى أن المعايير التي يمكن بها التعرف على عيسى التاريخي من خلال روايات الأناجيل عنه هي[1] :

أ ـ أصالة النص، فكلما كان تاريخ النص قديماً، كلما زاد إمكان إرجاعه إلى تاريخ حياة عيسى، وبالتالي زاد احتمال تضمنه واشتماله على كلمات عيسى التاريخي وأخباره.

ب ـ مطابقة لغة النص لأسلوب ولغة عيسى ابن مريم، الذي هو أسلوب عصره ولغته وبيئته اليهودية.

جـ ـ مطابقة ما يكتسب من النص عن سلوك وأعمال عيسى لبيئته المحافظة والمتشبثة بالتوحيد، وبالتالي إنكار ألوهية من سوى يهوه.

د ـ قياس ما تخبر به النصوص عن أعمال عيسى وأقواله على ما ينطق به

(1) Fritzleo Lentzen - Deis, Kriterien Fur die historische Beurteilung der Jesus uberlieferung in den Evangelien, S : 95 - 102 , in : Ruckfrage nach Jesus , Hrsg. von: karl kertelge, (97 - 117).

هو نفسه فـي مواعظه وليس العكس، فمن بين خطبه ومـواعظه يمكن الوصول إلى رسم تخطيطي لشخصـية عيسى التاريخي وحقيـقته تكون هي الميزان الذي توزن به بقية أخباره.

وهذا المعيار يتأتى بالـطبع بعد تطبيق المعايير الأخرى التي بهـا تثبت تاريخية النص.

ذ ـ الاحتكام إلى ضوابط القـصص التاريخي باستبعـاد كل هالات التقديس والإجلال التي يحاط بها أبطال الأساطيـر والسير، وعليه فكل نص يحكى عن عيسى أو يجري على لسانه، وهو خال من هذه الهالات فهو تاريخي.

هـ ـ فهم عيسى لنفسه، وهذا المعيـار يعدّ خاصاً بالبحث في حالة عيسى، وليس عاماً في فحص تاريخية النصوص.

ومؤداه أن عيسى إن تحدث عن نفسه في نصٍّ ما، أو فهم منه أنه يرى نفسه مسيحاً، فهذا النص ليس تاريخياً ولا يقدم شيئاً عن عيسى التاريخي[1].

وذلك لأن عمل عيـسى وفهمه لنفـسه لا يسمحـان بإسناد لقب المسيح له، ذلك اللقب الذي لم يسم به نفسه ولم يدّع حقا فيه[2].

ويجدر بـالذكر أن إسهـام مدرسـة الأشكال الأدبية في مـجال البـحث عن عيسى التاريخي ودعوته لم يقتصـر على مجرد الإجابة عن السؤالين: أين؟ وما المعاييـر التي يمكن بها الوصول إلى عيـسى التاريخي؟ بل كان لهـا الفضل في

(1) Andreas Lindemann, Jesus in der Theologie des Neuen Testaments, S : 50, in : Jesus Christus in Historie und Theologie (27 - 57) .

(2) Otfried Hofius, Ist Jesus Messias ? S : 119 - 120 , in : Der Messias (Jahrbuch fur biblische Theologie, Bund. 8) .

إعادة رسم وتخطيط هيكل إلهيات العهد الجديد، على النحو التالي[١]:

١ ـ تعاليم عيسى.

٢ ـ لاهوت الإنجيليين.

٣ ـ لاهوت بولس.

٤ ـ لاهوت يوحنا.

قاطعة بذلك أي نوع من الروابط بين دعوة المسيح ولاهوت العهد الجديد، تأكيداً لمقولة بولتمان: «إن دعوة عيسى افتراض من فروض لاهوت العهد الجديد لكنها ليست جزءاً من هذا اللاهوت».

٢ ـ مدرسة اللاهوت الحُرّ

كان من الطبيعي أن يشتغل اللاهوتيون الأحرار الذين أسسوا مدرستهم في منتصف القرن التاسع عشر، تحدوهم آمال كبار في إثبات: وحدة التاريخ البشري في مقابل تاريخ الخلاص، وجوب تطابق العقل والاعتقاد، التفرقة بين الدين الخاص والعام، وكذلك ما بين آراء الكنيسة والتدين الداخلي، وجوب تاريخية الكتاب المقدس وما يرتبط به من التفرقة ما بين جوهر الدين وما أضافته الكنيسة وفرضته من تعاليم[٢].

كان من الطبيعي أن يشتغلوا بعيسى التاريخي، لكن ذلك لم يتم بكثافة

(١) انظر مثلا كتب لاهوت العهد الجديد التي أصدرتها هذه المدرسة:

- R . Bultmann , Theologie des Neuen Testament .

- W . G Kummel, Die Theologie des Neuen Testament nach ihren Hauptzeugen.

- E . Lohse, Grundriss der neutesamentlichen Theologie .

(١) راجع تاريخ مدرسة اللاهوت الحرّ في:

Theologische Realenzyklopadie [21] S : 41 - 68 .

وفعاليـة إلا في الجيل الجديد من مدرسـة اللاهوت الحر، بفضل الدفعـة القوية التي قدمهـا ألبرشت رتشل Albrecht Ritschl (١٨٢٢-١٨٨٩) من متأخري الجيل القديم في اتجاه العناية بالروايـات التاريخية، وعلى الأخص الروايات عن عيسى التاريخي، وتاريخـية المسيحية، مما يسـاعد على إبراز دورها في الحضارة الإنسانية كحدث وإسهام تاريخي.

وقد وجد اتجاه رتشل في أدولف هارناك خيـر ممثل يحافظ على هذا التوجه ويدفعه للأمام قدمـاً، مضيفاً إليه وجوب التفرقة التـاريخية ما بين جوهر الدين وقشوره.

تلك التـفرقـة التي تبين أن جوهر المسـيحـية هو دعـوة عيـسى نبي الجليل الأخلاقية، وتبشيره باقتراب بالملكوت في إطار الديانة اليهودية، إلا أنه لم يقل إن الملكوت قـد جـاء معـه، أمـا ما عـداه ممثـلاً في الغـلاف الأبوكالـيبـسي الاسخاتولوجي، الذي حُشرت فيه هذه الدعـوة، فهو «قشرة» نجدها في العديد من الديانات السابقة للمسيحية[1].

وبذلك تكون مـدرسة اللاهوت الحـر قد تبنَّت هي أيضـاً عيسى التـاريخي اعتقاداً وبحثاً[2].

جـ ـ العقلانيون

وهم أصحاب الاتجـاه الداعي إلى عقلنة المسيحيـة، برفض كل ما لا يطابق العقل منها، وبالتالي فلا يمكن الحكم عليه.

(1) A . V. Harnack, Das Wesen des Christentums.

(2) Eduard Lohse, Die Frage nach dem historischen Jesus in der gegenwartigen neutestamentlichen Forschung , S : 162, in : Th LZ 87 (1962) 161 - 174.

وقد دفعهم ذلك إلى الإحساس بضرورة إعادة كتابة تاريخ حياة عيسى ودعوته وفق مقتضيات العقل والمنطق كمعيار وحيد للتصديق والقبول[١].

فقادهم معيارهم واتجاهم العقلي إلى معرفة عيسى الناصري ابن مريم الذي كان نتاج عصره وبيئته، ككل البشر عاش ومات كما يحيا الناس ويموتون[٢].

ويرجع انشغال العقلانيين بعيسى التاريخي إلى فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) الذي وقف على المصطلح والمفهوم نتيجة احتكاكه وتأثره بالطبيعيين الإنجليز أثناء إقامته بإنجلترا عام (١٧٢٦ ـ ١٧٢٨)[٣]، مما أدى به إلى أن يؤكد مراراً في وضوح: «إن المسيح كان نبياً كبيراً، لكنه لم يكن قط شيئاً آخر»[٤].

ثم تابع أعلام المدرسة من بعده تأريخهم ودراساتهم لحياة عيسى في ضوء معرفهم عيسى التاريخي، فانتهى دافيد فريدرش اشتراوس David Friedrich Straus في تصنيفه لعيسى إلى أن الحقيقة التاريخية الباقية هي كون عيسى تابعاً من أتباع يوحنا المعمدان حتى وفاة الأخير، ثم خلفه في إبلاغ نفس الرسالة التي حملها المعمدان طيلة حياته، كذلك لم يملّ عيسى من إظهار ولائه واحترامه لسلفه الكبير[٥].

وقد وجد هذا التيار ممثلين له اليوم، إذ لم يقتصر على فترة عصر التنوير، لكن ممثليه ينتمون إلى مدارس فكرية ونقدية مختلفة، وقد أسهم بولتمان في

(1) Albert Schweizer, Geschichte der Leben - Jesu - Forschung, S : 69 - 70 .

(2) Wolfagang Philipp , Christus in der Sicht der Aufklarungsepoche, S : 107 . in : Jesus Christus das christus Verstaendins im Wandel der Zeiten Hrsg . von : Hans Grab und W . G . Kummel, S : 85 - 108

(3) Karl Heussi, Kompendium, S : 392.

(4) Jeseph Klausner, Jesus von Nasareth, S : 98.

(5) A . Schuweizer, Geschichte der Leben - Jesu - Forschung, S : 118 .

تعميق التيار العقلاني داخل مدرسة الأشكال الأدبية بإنشاء سلسلته الشهيرة «العقيدة والفهم» والتي حوت مئات من المقالات ذات النزعة العقلية، يتوسطها مقاله الهام الذي أكد فيه أن عيسى «ظهر كبشر خالص، ونبيّ، ومعلم، فقط»[١].

لكن إسهام العقلانيين لم يقتصر على تبني عيسى التاريخي والتأكيد على بشريته الخالصة ونبوته، بل تجاوزه إلى رفض أي دور خلاصي لعيسى ومن ثم رفض فكرة التثليث المسيحي من أساسها[٢].

د ـ مدرسة تاريخ الأديان Die Religionsgeschichtliche Schule

نشأت في نهاية القرن التاسع عشر بفضل الاكتشافات الأثرية والعلمية لوثائق العهد القديم، والتي بدونها ما كان يمكن لأتباع المدرسة إنجاز أعمالهم أو أهدافهم.

إذ تقوم المدرسة على رصد تيارات التأثير والتأثر في عالم الفكر والحضارات والديانات القديم، مستعينة بمناهج النقد الشكلي والتاريخي للنصوص.

وقد تركزت دراساتها منذ نشأتها على اليهودية، فأثمرت نتائج باهرة أمكنت دارسي الأديان عامة والعهد القديم خاصة الوقوف على العناصر الوافدة إلى العهد القديم من العالم والبيئات المحيطة بعالمه[٣].

(1) Rudolf Bultmann, Glauben und Verstehen, 1 . 265.

(٢) راجع تاريخ جهود العقلانيين في عصر التنوير لدى:

Wolfagang Philipp, Christus in der Sicht der Aufklarungsepoche

وعلى الأخص، ص: ٩٤ ـ ١٠٠.

(٣) راجع تاريخ المدرسة وأعمالها في: TRE [6] S . 386 - 390.

وكان التحول الكبير في اتجاه المدرسة على يد رودلف بولتمان الذي ركز اهتماماً على الديانة المسيحية ذات المجال الخصب العامر بالتيارات والأفكار الوافدة[1].

فعكفت المدرسة على المسيحية باستغراق وشمول مركزة بحثها حول نواة الديانة ومحورها ؛ «عيسى»، كظاهرة دينية كبرى يرتهن كشفها وتجليتها بحل لغز عسير هو ـ على حد قول الإنجليزيين هوسكينز Hoskyns، ودافي Davey ـ «لغز العهد الجديد»[2].

وقد تمثل حل ذلك اللغز لدى مدرسة تاريخ الأديان في مسألتين:

الأولى: إعادة تصنيف شخص عيسى ودعوته.

وذلك بوضعه في الإطار الصحيح والملائم تاريخياً لظهوره، ومنهجه في تبليغ دعوته، كما يكتسب هذا من نتائج الفحص النقدي لكتابات العهد الجديد.

وقد أوضح فلهاوزن ذلك التصنيف باختصار وبدقة شديدة في مقولته الشهيرة: «كان عيسى يهوديا، ولم يكن قط مسيحياً، ولم يبشر بدين جديد، بل دعا إلى العمل بشريعة الله وقوانينه كما تنص عليها التوراة والأسفار المقدسة»[3].

وقام بولتمان بتجسيد ذلك عملياً في كتابه «عيسى» الذي تناول فيه دعوة عيسى في إطار اليهودية كنبي من أنبيائها[4].

(1) Carsten Colpe, Die Religionsgeschtliche Schule, S : 57.

(2) E . Hoskyns, N, Davey, Das Ratsel des Neven Testaments S : 12 .

(3) J . Welhausen, Einleitung in die ersten Evangelien, S : 113 .

(4) R . Bulttmann , Jesus .

وأضاف إلى ذلك أن الجماعة المسيحية الأولى قد فـهمت نفسها كما يصنفها المؤرخ اليوم: «طائفة يهودية»، ولم يتغير ذلك المفهوم لدى بعض المسيحيين إلا بإخراج بولس للدعوة خارج حـدود فلسطين كدعوة خلاصية عـالمية قائمة على المسيح المصلوب القائم من الموتى(١).

الثانية: تنقية (تطهير) المسيحية من الأساطير.

وهنا تكمن أهمية الدور الكبيـر الذي قام به بولتمان في تاريخ الفكر الديني المسيحي: فـبعد أن بات مؤكداً عـدم ذاتية العقيدة المسـيحية، وانعقـد الإجماع على تطابق المسيحـية في شكلها الحالي مع ديانات العـالم الوثني القديم، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار والتصورات، أو من ناحية الشعائر والطقوس التي تعكس تلك المعتقدات، أو حتى من ناحية الإطار اللغوي الذي تقولبت فيه(٢).

وذلك بشكل بات يهدد وجود الديانة من أساسها، فقد أصبحت مواجهة قضية الأساطير والأفكار الوثنية في الدعوة المسيحية أولى الأوليات وألزم الواجبات.

---

(1) R . Bulttmann , Das Urchristentum im Rahmen der antiken Religionen, S : 195.

(٢) قائمة المصادر في ذلك الـصدد كثيرة ومتنوعة، ستقـتصر على الإشارة إلى ثلاثة من أهمها لمعـالجتها الموضوع بشكل تام وهى: -

1- Carsten Colpe, Die Religionsgeschichtliche Schule, Gottingen 1961.

وفيه يعالج عقيدة الخلاص والمخلِّص بجميع عناصرها في الديانات السابقة على المسيحية.

2- Carl Clemen , Religionsgeschichtichtliche Erklarung des Neuen Testaments, Giessen 1924.

وفيه يشرح جميع عقائد العهد الجديد في ضوء نظائرها السابقة لوجود العهد الجديد.

3- Manfred Gorg , Mythos, Glaube und Geschichte. Die Bilder des christlichen Credo und ihre Wurzeln im alten Agypten, Dusseldorf 1992 .

وفيه يـطابق مطابقة تامة ما بين نصـوص ووحدات قانون الإيمان المسيـحى «الأمانة المقدسة» وعـقائد قدماء المصريين.

وهذا ما تصدى له بولتمان كواجب ملزم في إطار برنامج متكامل «تطهير دعوة العهد الجديد من الأساطير»، والذي ارتأه طريقاً وحيداً للإبقاء على صلاحية العهد الجديد[1].

وينطلق بولتمان من أن صورة العالم في العهد الجديد أسطورية[2]: «إذ يتكون من ثلاث طبقات تتوسطها الأرض وتعلوها السماء ويقع العالم السفلي أسفل الأرض؛ السماء هي مسكن الله ومعه المخلوقات السماوية والملائكة، والعالم السفلي هو الجحيم وموضع العذاب، أما الأرض فليست فقط تلك البقاع مكان الأحداث اليومية المألوفة، بل هي مسرح لنشاط القوى فوق الطبيعية كالملائكة والشياطين والجن، تلك التي تشارك الإنسان حياته وتشاركه أفعاله، فالجن يتلبسه والشيطان يقود حركته والملائكة تخرق له قوانين الطبيعة، وتمكنه من صنع المعجزات والاطلاع على الأحداث والمخلوقات فوق الطبيعية، كما تمنحه قوة روحية ونفسية هائلة.

وهذا العالم لا تحركه القوانين الطبيعية المحكوم بها مساره، بل هو خاضع لسطوة قوى ثلاث وسلطانها، هي: الشيطان، والخطيئة، والموت. لذلك فهو يتعجل نهايته القريبة، وذلك في صورة كارثة كونية يسبقها مجيء قاض سماوي، وكذلك قيامة الموتى، وتحقيق العدل؛ فإما أن تكون الجنة هي المصير، أو يكون الهلاك والتدمير.

وهذه الصورة تناسب نظام الخلاص وتاريخه، الذي هو المحتوى الحقيقي لدعوة العهد الجديد، والذي ترسم ملامحه في لغة أسطورية:

(1) Rudolf Bultmann, Neues Testament und Mythologie, S : 22 in : Kerygma und Mythos, Hrsg . von : Hans - Werner Barrsch (15 - 48) .

(2) Rudolf Bultmann, Neues Testament und Mytholgie , S : 15 - 16 .

الآن حانت نهاية الزمان، حيث تحـققت الأيام الموعود بها، فأرسل الله ابنه ليتألم على الصليب كـخاطيء، فيخلص البشرية من خـطيئتها، وبقيـامته تبدأ الكارثة الكونيـة، فيقـضي على الموت الذي جلبه آدم على البـشرية كعـقوبة، وينتصر على قوى الجن والشياطين، ثم يصعد إلى يمين أبيه في السماء، ليصبح ربّاً ومَلِكاً، وسيـأتي مرة أخرى محمـولاً على السحاب لِيُتم عـملية الخلاص، فيقوم الأموات ويتحقق العدل وتفنى الخطيئة والموت والألم.

وكل هذا سيتم قـبل أن ينتهي الرسل الاثنا عشر من تبليغ البـشارة، ويؤكد بولس أنه سيعايش ذلك الحدث.

ويعلق بولتـمـان قائلاً: «وهذا الحـديث أسطوري خـيـالي، كله يرجع إلى أساطيـر الأبوكاليبتك اليـهودي وأساطير الخـلاص الغنوصي. وطالما هو كذلك فهو غيـر مصدق وغير معقول وغـير مفهوم، وغير مقـبول من إنسان اليوم أن يطالب باعتقاد وتصديق مثل هذه الخرافات.

لذلك فإن المسيحية تقف اليوم أمام خيار عـسير: فبمطالبتها الإيمان بعقائدها فإنها تشق على البشرية بإلزامها التسـليم بقصص وخرافات أسطورية عفا عليها الزمن، فإن كان هذا المطلب غيـر ممكن التحقيق، ويترتب عليه التـساؤل عما إذا كان العهد الجـديد يتضمن ذاتية مستقلة عن عـالم الأساطير!؟ فإن الواجب اللازم للباحث في الأديان تطهـير الدعوة المسيحـية من الأساطير تطهيـراً كاملاً وليس جزئياً، فإما أن يقبل المرء الأساطير أو يرفضها كلية[1].

أما البقية الباقية من عقائد العهد الجديد بعد مشروع بولتمان التطهيري، فهي ما اصطلحت عليـه مدرسة اللاهوت الحر «بجـوهر المسيحية» وهو المـتمثل في المسيح التاريخي كما سبقت الإشارة.

(1) Rudolf Bultmann, Neue Testament und Mythologie , S : 21 .

الباب الثالث

المعتقدات الدينية لدى الغرب

في ميزان الإسلام

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ...﴾

[المائدة، ٤٨]

لأن الإسلام هو المعيار الصحيح الذي تقاس عليه المعتقدات والأفكار والتصورات وكذلك الأخلاق والشرائع والعبادات، فإنه يتحتم علينا أن نعرض المعتقدات الدينية للغرب على ميزان الإسلام ونقابلها على حقائقه، فما وافق الإسلام من معتقدات كان صحيحاً بقدر قربه من الإسلام، وما كان مخالفاً للإسلام، كان باطلاً بقدر ابتعاده وانحرافه.

وإنا إذ نفعل ذلك، فإننا نكون قد احتكمنا إلى وسائل المعرفة الثلاثة التي منحها الله لبني الإنسان؛ أعني بها العقل والعلم اللذين عرضنا عليهما المعتقدات الدينية للغرب في الباب الأول والثاني.

ويأتي الآن دور الوحي، وهو الوسيلة المعرفية الثالثة التي جعلها الله مهيمنة وحاكمة ليس فقط على مجال تقرير المعتقدات والأفكار والتصورات والشرائع، بل كذلك على العقل والعلم اللذين يجب أن يوافقا الوحي ولا يعارضاه، فما وافق الوحي كان هو الصواب، وما خالفه كان إما شبهة عقلية فاسدة، أو نتيجة خطأ من إحدى الحواس قاد إلى الاستدلال غير الصحيح.

ولما كان الوحي الإسلامي هو الوحي الخاتم للبشرية، فقد حفظه الله ـ تعالى ـ من الضياع، أو التغير، أو التحريف، لذلك فقد استحق أن يكون معياراً تقاس عليه الاعتقادات والشرائع من جهتين: من جهة كونه الوحي الخاتم، ومن جهة كونه المعرفة اليقينية الحقيقية الصحيحة الوحيدة في العالم التي لم يشبها أي تحريف أو نقصان.

وسوف نعرض المعتقدات الدينية للغرب في ضوء حقائق الإسلام حتى يتبين لنا قدر ما عليه تلك المعتقدات من خطأ أوصواب، كي يتسنى لنا الوقوف على وجوه البطلان فيها، فيتجنبها المسلمون وأهل الأديان، وذلك في مقامين تناولت المصادر الإسلامية هذه القضايا تحتهما، وذلك في الفصلين التاليين:

الفصل الأول

حقيقــة النبـــــوة

أولاً: ماهيـة النبوة

لا يستطيع الباحث في ماهية النبوة في اليهودية الحصول على مفهوم دقيق أو واضح المعـالم لمفهـوم النبـوة سواء في اللغـة، أو في العـهد القـديم، أو في الاصطلاح.

فعلى المستوى الـلغوي تدور التخمينات حول معـاني النبع أو الانفجار، أو الإعلان بناءً علـى أن الكلمة مشـتقة مـن العربية، أو بمعنى «النـداء» على أنها مشتقة من الآشورية، أو تفسير لفظ النبي على أنه الداخل في صلة مع الإله.

وقد أفـضى ذلك الإبهام إلى القول بأن الكلمـة دخيلة من اللغة اليـونانية، وأنها لا تتضمن في العبرية أي معنى مناسب دقيق[١].

وبالنسبة لمعنى الكلمة المتضمن في العهد القديم، هناك بعض النصوص التي تجعل الأرواح الـشريرة هي مصـدر النبوة وليس إله إسـرائيل[٢] كذلك وردت مجمـوعة من الأسماء والألقاب المعبـرة عن ظاهرة النبوة ووظائف النبي، ومن هذه الأسمـاء ما ينتمي إلى لغات أخـرى كالآرامية، ومنهـا ما هو تكرار لدور شخصيات مـثل شخصية مفسر الأحلام المنتشـرة في مصر وبلاد ما بين النهرين وآشور.

بالإضافـة إلى ورود عدد من الأسمـاء والألقاب الأخرى، مـثل: الحارس، الراعي، ملاخ يهوه، والتي تزيد من صـعوبة محاولة تحديد مفـهوم النبوة على وجه الدقة.

(1) H . Irslgler, Prophetie und propheten Literatur, S : 26 - 27 .

(٢) كما ورد في: صموئيل الأول (١٨ / ١٠)، هوشع (٩ / ٧).

واستناداً إلى هذه الصعوبات المتمثلة في عدم وجود أصل لغوي لكلمة النبي في اللغة العبرية بمعناها الاصطلاحي، وكذلك تطابق مظاهر النبوة مع ملامح ومراسم العبادات المتبعة في الشرق القديم، وأيضاً تناقض مظاهر النبوة في العهد القديم وتعارضها، فقد ذهبت مدرسة النقد الحديثة إلى أن النبوة ظاهرة غريبة عن اليهودية، وقد استعارها اليهود من البيئات المجاورة، وألبسوها عدداً من شخصياتهم التاريخية[1].

وهذا الرأي، وإن كان صحيحاً من وجه، إلا أن الصواب يجانبه من وجه آخر، فالتناقض والاضطراب والتأثيرات الأجنبية المرصودة في العهد القديم، لا يجب أن يكون دافعاً لرفض الحقيقة التاريخية لديانة بني إسرائيل، كديانة ترتكز جذورها على الوحي والنبوة، فالظاهرة وإن كانت مضطربة في العهد القديم حقاً، إلا أن الواجب أن يفهم ذلك في ضوء أن اليهودية ليست محصورة في ديانة العهد القديم، بل ينبغي الفصل بين اليهودية كديانة والعهد القديم ككتاب لهذه الديانة. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن العهد القديم نفسه يتضمن بعض النصوص التي تحدد ماهية النبوة بما يتفق ومعنى التفويض الإلهي الممنوح لبشر في التحدث نيابة عن الله وباسمه.

وبالنسبة لماهية النبوة في الاصطلاح اليهودي، فإن المحاولات العلمية لتنظير الديانة اليهودية وتقعيدها على وجه العموم، وظاهرة النبوة على وجه الخصوص لم يشرع فيها إلا في زمن متأخر جداً عن عصر الرسالة والأنبياء؛ إذ بدأت تلك المحاولات بتأثير حركة التنوير الإسلامية في العصور الوسطى، فالنهضة

(1) Klaus Koch, Die Prpheten, S : 19 - 23 , 26.

(2) Levinson, Einfuhrung in die rabbinische Theologie, S : 10 .

التي شملت علم الكلام وفلسفة الدين آنذاك في اليهودية تدين بوجودها للنزعة العقلية والإنسانية والثورة الفكرية التي نشرها الإسلام[1].

وقد ارتبطت تلك المحاولات بمرحلة الازدهار الفكري في الإسلام، فلما توقفت تلك المرحلة، عاد الجمود إلى عالم الفكر اليهودي، وخبت محاولاته الإصلاحية والتنظيرية، ومن ثم فمن غير المنتظر ألا يزيد عدد ما يمكن الاستناد إليه من مؤلفات وكتابات عن النبوة عن حدود المحاولات الفردية القليلة، إلا أن هذه المحاولات جاءت لحسن الحظ من جانب أعلام لها مكانتها العلمية المرموقة في تاريخ الفكر اليهودي كرواد لحركة التنظير، وتتمتع إلى جانب ذلك بأهلية خاصة تتمثل في الطابع الكهنوتي الذي اتشحت به مما يخلع على رؤيتها للنبوة أهمية منقطعة النظير.

ويتردد مفهوم النبوة في اليهودية حسب تلك الرؤية الاصطلاحية بين مفهوم فلسفي للنبوة، خلاصته أن حقيقة النبوة هي فيض من الله ـ عز وجل ـ بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولاً، ثم القوة المتخيلة بعد ذلك، ويترتب هذا الفيض على نوع من الكمال الحاصل للقوة الناطقة بالتعلم، وللقوة المتخيلة بالجبلَّة، ويحصل كمال الخلق بتعطيل الفكرة في جميع اللذات البدنية وإزالة الشوق لأنواع التعظيمات الجاهلية[2]. وبين تعريف للنبوة يكاد يكون كتابياً صرفاً، مؤداه أن النبوة هي الإخبار بالغيب من جهة التكهن والشعور أو من جهة الرؤية الصادقة[3].

وفي تعريف آخر: هي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن

(١) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص: ٤٠٠ ـ ٤٠٤.

(٢) السابق، ص: ٣٩٢.

(٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص: ١٢٣.

شيء ما، والنبي هو مفسر مـا يوحي الله به لأمثاله من الناس، الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده[1].

وإذ ما انتقلنا إلى النبوة في المسيحية، فإن الحصول على تصور شامل لظاهرة النبوة لأمر شاق ينطوي على كثير من المصاعب التي ينبغي حيالها اتباع سبيلين:

أولهما: التفرقة بين عناصر ثلاثة شكلت أساس بناء المسيحية، وأسهمت في تشكيل وتحديد أبعاد النبوة إلى حد بعيد، ويقصد بها[2]:

١ ـ حياة المسيح التاريخية، ودعوته، ومتلقيها.

٢ ـ الجماعة المسيحية الأولى، وعقيدتها، ودور رسل المسيح فيها.

٣ ـ الكنيسـة ورؤيتها الجـديدة للمسيـحية، ممثلـة في: العقيـدة (التثليث، الصلب والفـداء)، والشعـائر (التعـميـد، العشـاء المقدس، ثم بـقيـة الأسرار السبـعة)، السلطة الـروحية (تقنين الـكتب المقدسـة والعقائد، احـتكار الروح القدس، خلع القداسة على الأساقفة).

كما يلزم كذلك التفرقة بين أبعاد ثلاثة في البناء المسيحي للنبوة تحددت بفعل هذه العناصر الثلاثة، وهي:

١ ـ الفهم التقليدي للنبوة في بني إسرائيل، والذي ورثته المسيحية.

٢ ـ النبوة كما يطرحها مؤلفو العهـد الجديد، وعليها يطغى التصور والتأثير الفلسـفي والوثني السائد في ذلك الحين، مما أدى إلى المـطالبة بوجـوب دراسة ظاهرة النبوة المسـيحية في إطار ديـانات العالم القديم، وعلى وجه الخـصوص

(1) Karl Heussi, Kompendium der Kirchengeschichte, S : 23 .

(2) D. E . Aune, Prophecy in Early Christianity and the Ancient Mediterranean World, P : 13. F . 73 - 77 .

عالم حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

والثاني: استقصاء ملامح الظاهرة في ما بين أيدينا من نصوص، ثم تقييم هذه الملامح في محاولة للخروج بمفهوم مُرْضٍ للظاهرة.

وباستقراء نصوص العهد الجديد حول النبوة، يمكن رصد العلامات الآتية التي تميز النبي في المسيحية، وهي[2]:

١ ـ أنه المتكلم من قبل الله بوساطة الروح القدس.

٢ ـ القدرة على كشف المستقبل.

٣ ـ معرفة الماضي الذي يعايشه أو يسمع به.

٤ ـ كشف الخفايا.

٥ ـ السمت الباراقليطي:

ـ الوعظ.

ـ التعزية.

ـ تشديد العزائم.

ـ التعليم.

ـ التبشير.

ـ امتلاك نصيب من المعرفة الإلهية.

ـ حامل سر المسيح.

ـ بناء الجماعة.

---

(١) راجع، ص: ١٤١ ـ ١٤٢ من البحث.

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٢ / ٤ ـ ١١).

وتكشف تلك العلامات عن تأثيرات مختلفة وتصورات متداخلة، تمثلت في تأثير العهد القـديم، وتأثير التصورات الهللينية والغنوصـية والوثنيات الأخرى. وإلى جانب ذلك، فإن تلك العلامات منهـا ما ينطبق على بعض مراتب النبوة دون بعض، بل منها ما يخرج المسيح نفسه من دائرة النبوة.

لذلك فإن التعريف المناسب لمفهوم النبوة في المسيحية وكذلك مراتبها، هو: «التحدث باسم الروح»، فهذا تعريف شامل للظاهرة تنضوي تحت ظلاله جميع عناصرها، وهو مسـتقى من نص هام لبولس، لم يُلْتفت إليه من قِـبَل الباحثين الراغبين في تحـديد مفهـوم النبوة، يقول فـيه بولس: «إن المواهب على أنواع، وأمـا الروح فهـو هو، وإن الخدمـات على أنواع، وأمـا الرب فهـو هو، وإن الأعمال على أنواع وأمـا الله الذي يعمل كل شيء في جميـع الناس فهو هو. كل واحد يتلقى مـا يظهر الروح لأجل الخير العام: فـأحدهم يتلقى من الروح كلام حكمة، والآخر يـتلقى وفقاً للروح نفسه كلام مـعرفة، وسواه الإيمان في الروح نفسه، والآخر هبة الشفاء بهذا الروح الواحد، وسواه القدرة على الإتيان بالمعجـزات، والآخر النبوءة، وسـواه التميـيز ما بـين الأرواح، والآخر التكلم باللغات، وسواه ترجمتها، وهذا كله يعمله الروح الواحد نفسه موزعاً على كل واحد ما يوافقه كما يشاء»[1].

أما في الإسـلام، فتـدور المعاني اللغـوية للفظة (النبيّ) حـول احتـمالين: يختلفان باختلاف جهة الاشتقاق، وهما

الأول: أن يكون معنى (النبيّ): الشريف، رفيع القدر والمنزلة، بصيغة فعيل بمعنى مفعول، مأخوذ من (النبوة أو النباوة) وهي الارتفاع عن الأرض.

---

(1) ابن تيمية / النبوات / ص: ٢٢١ ـ ٢٢٣.

الثاني: أن يكون معنى (النبيّ): المُنْبِىء، فعيل بمعنى فاعل مهموز اللام، وقد سمي بذلك لإنبائه عن الله تعالى؛ أو أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، فهو المُنبَّأ لأن الله هو الذي ينبئه. وعلى هذا الوجه تكون همزته إما قد سقطت، أو أُبدلت ياء، أو تركت، أو لُيِّنت، كما في الذرية والبرية.

وذلك هو الاحتمال الأرجح بما توافر من أدلة، مثل[1]:

١ ـ إن النبوة يلزمها معنيان: فالنبيّ هو الذي يُنْبِىء بما أنبأه الله به، والنبيّ هو الذي نبَّأه الله فهو مُنبَّأ بما أنبأه الله به.

وذلك ما تتضمنه معاني صيغة فعول بمعنى فاعل، أي مُنبِىء، أو بمعنى مفعول أي مُنبَّأ.

٢ ـ أن لفظ الإنباء يُستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة، كما قال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [1]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2].

٣ ـ أن قراءة نافع كانت بالهمز.

٤ ـ لفظ العلو والرفعة لا يدل على خصوص النبوة، إذ يوصف به من ليس بنبيّ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[3]، وإن كان معنى العلو والرفعة متضمناً فيمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه، فهو لا يكون إلا رفيع القدر عليًّا.

٥ ـ إن الحديث المستند إليه في رفض همز لفظ النبيّ: «أنا نبيّ ولست بنبيء

(١) آل عمران / ٤٩.

(٢) التحريم / ٣.

(٣) آل عمران / ١٣٩.

الله» ليس له إسناد، لا مسنداً ولا مرسلاً، ولم يرو في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة.

٦ ـ إن اللفظين مشتركـان في الاشتقاق الأكبر، فكلاهمـا فيه النون والباء، وفي هذا الهمزة وفي ذاك الحرف المعتل.

٧ ـ إن المهموز تلين همزته فتصير حرفاً معتلاً، فيُعبَّر عنه باللفظين، بخلاف المعتل فإنه لا يجعل مهموزاً، كما في عليّ ووصيّ، فلا يقال عليء ووصيء.

٨ ـ إن تصريف اللفظ أنبـأ ونبّأ هو «ينبىء» بالهمزة، ولـم يستعمل فـيه نبا ينبو، وإنما يقال: الماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال: في فلان نبوة عنا، أي مجانبة.

وكما اختصت لفظة النبي بالإنباء والإخبار عن الأمور الغائبة، فقد اختصت الكلمة بالاستعمال في حق المرسلين ومتلقي الوحي الإلهي فقط[1].

وقد تنوعت تعـريفات النبوة والنبيّ في اصطلاحات علمـاء المسلمين بحسب اختلاف مـصدر اشتقاق الكلمة والنسـق الذي عولجت في إطاره الظاهرة، فمن راعى جانب المكانة والمنزلة فى النبيّ ، عرّف النبوة بما يفـيد الرفعة والنباوة التي يخص الله بهـا بعض عبـاده، ومن راعى وظيفـة النبوة كـالأشاعـرة مال إلى تعريف النبيّ بالمنبيء وأطلق على النبوة اسم النبوءة.

أما الجمـهور من أهل السنة، فقد كانوا الأعـمق إدراكاً لماهية النبوة بجانبـيها المتـمثلين في نظرية الاتصـال من ناحـية، والمعـرفة الحـاصلة والمترتبـة على هذا الاتصال بين الإنسان والملأ الأعلى من ناحية أخرى، فيبرز أهل السنة دور الجانب الأول في تعريفهم النبيّ بأنه الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأه الله بـه[2].

(١) القاضي عبد الجبار / المغنى (١٥ / ١٤ ـ ١٦).

(٢) ابن تيمية / النبوات / ص: ١٧٢.

وبالنسبة لجانب المعرفة الحاصلة عن طريق النبوة. فيجعلها أهل السنة إحدى طرق العلم الثلاثة المعتبرة؛ وهي: الحس، والعـقل، والمركب منهما كالخبر، إذ تتضـمن النبوة الخـبر، ولا يمكن مـعرفـة كل ما أخـبرت به الأنبـياء من غـير طريقهم.

ويمتـاز طريق المعـرفـة النبـوية لدى أهل السنة بأنه طـريق علميّ، يقـينيّ، استدلاليّ، مأمون، معقول، صادق[1].

ويبرز في الإسلام جانب مهم من جوانب النـبوة، وهو طريق النبوة، فيتفق جمهـور المسلمين على أن النبوة هبة من الـله، الذي يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، وأنهـا منّة ورحـمة من اللـه بعبـاده، وأن هذه المنة ليس لهـا أي شرط، وإن كان الله قد خص الأنبياء بقوى في أنـفسهم يمتازون بها عن غيرهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2]، وكذلك وجود فضائل في أنفس الأنبياء، إلا أن هذه الفضائل النفسية والخلقية ليست سبباً للنبوة.

وقد فارقت شرذمـة من الفلاسفة والقرامطة والباطنية والإسـماعيلية وبعض غلاة الشيعة إجماع جمـهور المسلمين في ذلك، وقالوا باكتساب النبوة، إذ هي لديهم عبارة عن خصائص أو قوى ثلاث، من قامت به فهو نبي[3].

وقد انتقلت نظرية النبوة الفلسفية من الفلاسفـة إلى متفلسفة الصوفية؛ كابن عربي والحلاج والسهروردي المقتول وابن قسي وابن سبعين وغيرهم.

---

(١) ابن حزم / الفصل (٥ / ١٢).

(٢) آل عمران / ١٥٩.

(٣) راجع في ذلك: الدكتور إبراهيم مدكور / في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق / ص: ٨١ ـ ٩١، ومحمد لطفى جمعة / تاريخ فلاسفة الإسلام / ص: ٤٢ ـ ٤٣، ٦٢ ـ ٦٣.

وعن هذه النظرية انفرع القول بتفضيل الفيلسوف والولي على النبيّ، وخاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، وكذلك انفرع عنها القول بعدم إغلاق باب النبوة في الأوساط الصوفية، تلك الأقوال التي تعدُّ أثراً من آثار الثقافات الأجنبية.

إلا أن تلك الشطحات الفكرية قد اصطدمت بعمق الفهم الإسلامي للنبوة، وسلامة وصلابة المعتقد فيها، مما جعلها تزوى غير مخلّفة إلا صدى خافتاً، تبعته حركات ذات صبغة وأهداف سياسية، اتخذت منه ـ إلى جانب أفكار أخرى ـ رداء وساتراً لأغراضها، مثل البابية والبهائية والقاديانية.

ويمكن القول بأن مفهوم النبوة في الإسلام قد امتاز بالوضوح الشديد والدقة التي ترفع الالتباس والخلط، فلا تدخل في الأنبياء من ليس فيهم ولا تخرج من وسطهم مَنْ هو من أهل النبوة، كما أن مفهوم النبوة يتوافق مع ما تواضعت عليه معاني اللغة لألفاظ النبيّ والنبوة، والتي نزل بها القرآن الكريم كتاب الإسلام ودستوره، فاتفق المدلول اللغوي مع المفهوم الاصطلاحي مع المراد في الاستعمال القرآني.

وعلى العكس من ذلك كان شأن المفهوم في اليهودية والمسيحية، فبينما لا يجد مفهوم النبوة في اليهودية له سنداً في اللغة العبرية، ويتردد المفهوم الاصطلاحي ما بين نظرية الفلاسفة في النبوة بتأثير فلاسفة الإسلام، وبين بعض مدلولات واستعمالات العهد القديم التي تعارضها بل وتنقضها استعمالات أخرى، مما أدى إلى الخلط والاضطراب في ظاهرة النبوة وعدم التمييز بينها وبين ظواهر أخرى كالكهنوت والعرافة.

كذلك ظل مفهوم النبوة في المسيحية غير واضح ولا محدد، وقد فتح ذلك الباب إلى خلع صفة النبوة على جميع المؤمنين بالمسيحية، مما دفع بالبروفيسور

جيرهارد داوتسنبرج أحد كبار دارسي العهد الجديد للقول بأن المسيحية لا تعرف منذ بداية القرن الثـالث ما هي وظيفة النبوة، ولقـد استمر هذا الجـهل بوظيفة النبوة حتى يومنا هذا[١].

لكن الدراسة والتتبع الدقيق لمفهوم النبوة في المسيحية يكشف أن الاضطراب في تحديد مفهوم النبوة في المسيحية يرجع إلى أبعد من هذا التاريخ بكثير، وبدأ بالضبط في الوقت الذي أُلبس فيه عيسى ثوب الألوهية وخُلع عنه رداء النبوة.

وكل ذلك قد جعل محاولة الحصول على تعريف للنبوة ضرباً من المحال مما لا يجدي معه إلا طرح تعريف جديد للنبوة يتناسب والمفهوم المسيحيّ للظاهرة.

ثانيا: مراتب النبوة

يقوم تصـنيف مراتب النبوة فـي اليهودية على التـقسـيم الثلاثي لمسـتويات النبوة، والمتمثل في[٢]:

أولاً: الآباء (البطاركة)؛ نوح، إبراهيم، إسحاق، يعقوب؛ يوسف.

ثانياً: النموذج المثالي للنبوة؛ موسى، هارون.

لكن هارون دون موسى وليس نظيره على الإطلاق، كل ما هناك أنه معاصر له.

ثالثاً: الحركة النبوية العامة، وتشمل مرحلتين: -

(1) G. Dautsenberg, Urchristliche Prophetie , S : 153 .

(2) Heaton E . W. / Die Propheten des Alten Testament .

Duhm . B . / Israels Propheten .

وانظر بالعربية: جير هارد فوس / علم اللاهوت الكتابي.

- كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين.

الأولى: بدايات النبوة (الأنبياء الأوائل)

صموئيل، ناتان، إيليا، أليشاع.

الثانية: النبوة الكلاسيكية، وتضم طائفتين من الأنبياء: ـ

أ ـ الأنبياء الكبار: أشعيا، إرميا، حزقيال.

ب ـ الأنبياء الصغار (الأواخـر): هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريا، ملاخي.

وينطوي هذا التقسيم على الملحوظات الآتية:

الملحوظة الأولى: مكانة نبوة موسى

يجعل التقسيم نبوة موسى متفردة وكمثال للنبوة، استناداً إلى أن نبوته تباين نبوة كل من تقـدمه؛ كما جـاء في التوارة: «تجليت لإبراهيم، أما اسـمي يهوه فلم أعلنه لهم»(١)، وأن نبوته تباين نبوة كل من تأخـر عنه؛ كما تقول التوارة: «ولم يقم من بعد في بني إسرائيل كموسى الذي عـرفه الرب وجهاً لوجه»(٢)، وأن معجزاته تباين معجزات كل نبي سواه.

وتبدو هـذه المسوغات غـير قـاطعة الدلالة على تفـرد مكانة نبـوة موسى، وتميزها على السابقين واللاحقين:

فبالنسبة لتميز نبوة موسى عن سابقيه بسبب إعلان يهوه اسمه له، فإن نوحاً يفوق موسى بقطع العهد دونه، كمـا أن إبراهيم قطع معه عهد بإعطائه الأرض المقدسـة، وجعله ونسله شعـباً للرب كما يزعـم كتّاب العهـد القديم، وخُصَّ بشريعـة الختان، وتلـك الثلاثة التي أعطيهـا إبراهيم كانت الأسـاس الذي أقام

(١) خروج (٦ / ٣).

(٢) تثنية (٣٤ / ١٠).

اليهود عليه دعوى تميزهم، وعن تميز موسى بسبب معرفة الرب له وجهاً لوجه، فإن العهد القديم يحكي عن ترائي الرب لصموئيل وسماعه صوته، ويروى عن لقاء إبراهيم معه عند بلوط ممرا، وتناولهما الطعام سوياً، وتلقي إبراهيم البشرى بإسحاق[1].

وأما عن تميز نبوة موسى بسبب معجزاته التي وقعت أمام أعين جميع إسرائيل، فإن معجزات يشوع قد عاينها الشعب كله أيضاً.

الملحوظة الثانية: نوع نبوة الآباء

يحصر هذا التقسيم دور الآباء ووظيفتهم في التعليم والإرشاد، ويحجب عنهم مهام الدعوة النبوية، إذ لم يفعلوا شيئاً بدافع الوحي والإعلان، بل على وجه الوصية والحكمة[2].

وهناك عدد من الحقائق التي تنقض هذا الاستدلال الرامي إلى قصر مهمة الآباء على الإرشاد والتعليم، وسلبهم سمة البلاغ النبوي، مثل:

١ ـ التعليم والإرشاد لم يكن قاصراً على الآباء، بل أيضاً أحد مهام موسى عليه السلام.

٢ ـ دعوة إبراهيم الناس للإيمان، واتباع بعضهم له.

٣ ـ الأمر الإلهي بالختان كان يتجاوز آل إبراهيم إلى كل من يضمه بيته من غرباء.

٤ ـ عدم تفرقة العهد القديم بين الوحي الموسوي والوحي الإبراهيمي، بل يتحدث العهد القديم عن إبراهيم كنبي بإطلاق (إنه نبي)[3].

(١) تكوين (١٨ / ١ ـ ٣٣).

(٢) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٤١٢ ـ ٤١٣.

(٣) تكوين (٢٠ / ٧).

الملحوظة الثالثة: الموقف من نبوة الملوك داود وسليمان يخلع هذا التقسيم عن داود وسليمان ثوب النبوة، ويسلبهما شرف الرسالة والبعثة.

وتقود تلك الملحوظات الثلاث إلى الاعتقاد بأن هذا التقسيم مجرد محاولات تبريرية من جانب كبار مفكري اليهود، لتقنين تصور أرسيت دعائمه في الماضي البعيد، وأُبرز فيما بعد بصورة واضحة لدى يشوع بن سيراخ في السفر الذي يحمل اسمه.

ذلك السفر الذي يرسي دعائم تأريخ جديد لقصة بني إسرائيل يقوم على العهد، وهذا العهد اقتضى ثلاثة أنواع من الرجال:

أولها: آباء يعقد معهم العهد، ويشكلون أصلاً وجذراً سلالياً عريقاً لشعب العهد.

الثاني: شخصية فذة تصوغ ملامح شخصية شعب العهد، ويجب أن يصاحب هذه الشخصية أحداث ضخمة فريدة؛ مثل الخروج من مصر، ولم يكن هناك أفضل من موسى كبطل لهذه الأحداث، وليصبح أصل الأمة الروحي.

الثالث: رجال حكم وسياسة وحرب، مثل شاول وداود وسليمان، يحولون العهد وشعبه إلى واقع عملي في شكل دولة ومملكة، ومن هنا تعد فترة الملكية في إسرائيل قمة المجد وأسمى نقاطه التاريخية، لذلك تغلب دور الملوك في حياة داود وسليمان على دورهم النبوي عند تقسيم مراتب النبوة، بل ومحاه تماماً على الرغم من إخبار العهد القديم بتلقي داود وسليمان الوحي والنبوة وتجلي الرب لهم أكثر من مرة[1].

(١) راجع: ملوك أول (٣ / ٤، ٨ / ١٠ ـ ١٣، ٩ / ٢)، صموئيل أول (١٠ / ١٠) الأخبار الثاني (٦ / ١ ـ ٢، ٦ / ٤، ٧ / ١١).

أما تقسيم مراتب النبـوة في المسيحية، فيخضع لبناء المسـيحية ذاتها، والذي يجعل من المسـيح محوراً وأساسـاً للديانة، فعليه وبه تقاس الأشـياء، ولأجله تُخلق وتجرى الحادثات، وفيه تتجسد النبؤات؛ لذلك يجيء التقسيم على النحو التالي:

أولاً: نبوات العهد القديم

وهي النبوات التي تلقـتها المسيـحية من العهـد القديم، باعتبـارها حلقة في سلسلة نبوات بني إسرائيل، بعد أن أدخلت عليها التعديلات الآتية:

١ ـ مهمة أنبياء العهد القديم

إذ جعلت المسـيحيـة وظيفة أنبيـاء العهد القـديم أو هدف بعثهم، ومـحور نبواتهم هو التمهيد لمجيء المسيح الذي تجسدت فيه الأحداث والنبوءات[١].

٢ ـ سلطة الأنبياء

أصدر الرسـل والأنبياء المـؤتمرون في أورشليم مرسـوماً ألغـوا فيـه ناموس موسى وشريعة الأنبياء، وجعلوا الخـلاص في الإيمان بيسوع لا في اتباع شريعة موسى.

٣ ـ تفرد نبوة موسى وأفضليتها

وتلك قد نُسخت، وخُلعت الأفـضلية المطلقة على عيسى، وأصـبحت كفة المفاضلة بين رسل المسيح وبين موسى مائلة في صالح رسل المسيح.

٤ ـ ختم النبوة.

يلحق العهد الجديد بنبوات العهـد القديم نبوة زكريا، ونبوة حنة ابنة فانوئيل ونبوة يوحنا المعمدان.

---

(١) جون طمسن وآخرون / قاموس الكتاب المقدس / ص: ٩٤٩ ـ ٩٥١.

٥ ـ قائمة الأنبياء.

وهي تزيد في المؤلفات المسيحية كلاً من: آدم، أخنوخ، إبراهيم، داود.

ثانياً: نبوات العهد الجديد.

احتل المسيح في المسيحية مكان يهوه في اليهودية، فأصبح هو مصدر الوحي وواهب النبوة ومرسل الأنبياء وباعث الرسل ومانح سلطان المعجزة.

وقد تلقت الوحي المسيحي عدة طوائف وجماعات وفئات من الحاصلين على عطايا الروح القدس وهباته، والمحدثين باسمه، مثل: الشيوخ، الرعاة، المبشرين، التلاميذ، السبعة المتكلمين باللغات، أصحاب مواهب الشفاء والإسعاف، أصحاب المعجزات، المترجمين، المميزين ما بين الأرواح، الحكماء.

إلا أن ثلاثاً منها كان لها الصدارة والامتياز؛ لأنها تشكل الأساس الذي بنيت عليه الكنيسة، وقد رتبها بولس حسب أهميتها ترتيباً صارماً على النحو التالي(١):

الفئة الأولى: رسل المسيح

وهم يتبوؤون مكانة تسمو على مكانة أنبياء العهد القديم؛ لما امتازوا به من سلطات، أهمها:

١ ـ منحهم سلطان مغفرة الخطايا وإمساك الغفران(٢).

٢ ـ ما يربطونه في الأرض يربط في السماء، وما يحلونه يحل(٣).

---

(١) الرسالة الأولى إلى قورنتس (١٢ / ٢٨).

(٢) يوحنا (٢٠ / ٢٣).

(٣) متى (١٨ / ١٨ ـ ٢٢).

لكن بالرغم من تلك المكانة الكبرى تظل حقيقتهم مغلفة بضباب وظلال من الشك وفقدان الثقة، ويشمل ذلك النواحي الآتية:

أ ـ شروط الرسول

إذ لم يتحقق في ثلاثة منهم شرط صحبة المسيح، وهم: متياس، الذي اختير خلفاً ليهوذا الخائن، برنابا، الذي كان نبياً ثم عين رسولاً، وبولس الطرسوسي.

ب ـ عدد الرسل وقوائم أسمائهم

فيتجاوز عدد الرسل رقم الاثني عشر المقترن بأسماء الرسل تصريحاً وتلميحاً، فيزيد هذا الرقم متياس وبرنابا وبولس.

كما تختلف أسماء الرسل زيادة ونقصاً في قوائم أسمائهم بالعهد الجديد.

جـ ـ مصدر التكليف وطبيعته.

يتبنى العهد الجديد تصورين لتحديد الرسل:

أولهما: أن الرسل هم الذين اختارهم المسيح وكلفهم وأرسلهم.

الثاني: أن الرسل هم شهود قيامة المسيح، ويزيد عددهم في هذه الحالة عن الخمسمائة.

د ـ جوهر الدعوة.

كانت الدعوة التي أخذها المسيح عن يوحنا المعمدان، ونادى بها بين اليهود، ثم كلف بها رسله من بعد: «توبوا، قد اقترب الملكوت» (١).

لكن الرسل خالفوا وصية المرسل، وخرجوا ينادون بين الأمم الأخرى بدعوة جديدة للإيمان بيسوع المصلوب لأجل الخطايا، وبذلك أقاموا الكنيسة والمسيحية

(١) متى (٣ / ٢، ٤ / ١٧، ٢٣، ١٠ / ٥ ـ ٧)، لوقا (١٠ / ٩ ـ ١١).

على غير ما أراد المسيح، كما يعبر رينان عن ذلك بقوله: «بشر المسيح بملكوت الله، فجاءت الكنيسة»[١].

الفئة الثانية: الأنبياء.

وهم الذين يبشرون، ويدعون إلى انتظار حلول مملكة الرب، ويفسرون العلامات التي تسبق قدوم المنتظر، وهم ينظرون إلى المستقبل، فيتمكنون من كشف الأحداث الآتية. ومن مهامهم أيضاً قيادة شعيرة الصلاة في الكنيسة، لكنهم لا يحوزون سلطة التفويض المطلق مثل أنبياء العهد القديم، إذ هم كغيرهم من المعمَّدين الذين بإمكانهم الطموح إلى النبوة[٢].

ولا توجد معايير موضوعية أو مقاييس حقيقية للتفرقة بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة، فالنص الوحيد الذي يطرحه سفر الديداكي لا يقدم سوى أسلوب حياة النبي كمعيار وحيد للتفرقة بين الصدق والكذب[٣].

كذلك لا يعرف على وجه التحديد متى بدأ عمل الأنبياء، ولا كيفية استدعائهم للوحي والإعلان.

إلى جانب ذلك تبرز نبوة النساء كإحدى المشكلات غير القابلة للحل، إذ يشير العهد الجديد إلى وجود نبيات من النساء في صفوف الجماعة المسيحية، وذلك على الرغم من المكانة الدونية التي تحتلها المرأة في المسيحية كوعاء لممارسة الجنس، وغاوية أخرجت آدم من الجنة، وعلى الرغم من أمر بولس

(١) يوسف الحداد / تاريخ المسيحية / ص: ٥٥٣.

(2) Heinrich Kraft, Von Ende urchristlichen Prophetie, S : 168 - 770 .

- Gerhard Friedrich, Die Propheten und Prophezeien in NT , S : 850 .

(3) Die Didache, Erklart von : Kurt Nieder Winner, S : 217.

للمرأة بالصمت في الجماعة وعدم السماح لها بالرئاسة على الرجل لأنها خلقت من أجله، فإن أرادت التعليم فلتسأل زوجها في البيت.

ولا يعرف كيف يمكن أن تنال المرأة درجة النبوة في الوقت الذي تحرم عليها الكنيسة الكاثوليكية درجة القسوسية، بل وتمنعها من الجلوس على كرسي الأستاذية بأقسام العقيدة بكليات اللاهوت[1].

الفئة الثالثة: المعلمون

وأولئك لا يعرف عنهم سوى تميزهم بمعرفة الكتاب المقدس وتفسيره، ومهمتهم استخراج وتوضيح وبيان شواهد العهد القديم وبشائره بقدوم المسيح، وفي بعض الأحيان يتولى قيادة شعيرة الصلاة.

كذلك لا يعرف الكثير عن زمن بدء وظيفة المعلم، ولا عن المعايير التي يمكن بها التفرقة بين المعلمين الحقيقيين والمعلمين الكذبة، الذين يهددون مسيرة الدعوة.

وبالنسبة لتصنيف مراتب النبوة في الإسلام، فإن تصوراً آخر يحكمها، وينطلق هذا التصور من طبيعة النبوة ووظيفتها ودور الأنبياء كَلَبِنات يكمل بعضها بعضاً لتشيد في النهاية بناء واحداً متكاملاً محلاً لرسالات الله الداعية إلى توحيده والعمل بشرائعه، وتحقيق سعادة الإنسان وخلافته في الأرض.

لذا فقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين بدءاً من آدم وانتهاء بمحمد ﷺ على حدّ سواء، وإن كان قد فاضَلَ بينهم على أساس من طبيعة الوحي والرسالة، وصبر المرسل في التحمل والأداء.

ومن ثمّ جاءت مراتب النبوة في الإسلام مصنفة تصاعدياً على النحو التالي:

(١) مثل رفض الفاتيكان الموافقة على تعيين الدكتورة تيريزا برجر Teresa Berger بوظيفة أستاذ كرسي بكليات اللاهوت على الرغم من موافقة جميع الكليات الألمانية على تعيينها.

أولاً: الأنبياء

وهم أكرم وأفضل الناس وصفوة الله من خلقه، اصطفاهم بكلامه ورسالاته، وصنعهم على عينه لحمل دينه إلى خلقه، وقد اضطلعوا بالمهام الآتية:

١ ـ الدعوة إلى التوحيد، وهي الوظيفة الأساسية التي بعث من أجلها النبيون، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١).

٢ـ التشريع، وهو من أهم وظائف الأنبياء بعد دعوتهم إلى التوحيد، إذ فيه مصلحة العباد الحاصلة بتمكين شرع الله في الأرض والعمل به كقانون سام منزَّه عن أخطاء وثغرات قوانين البشر، وقد بيَّن القرآن هذه الوظيفة في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٢).

٣ـ القضاء، وذلك فيما ينشأ من نزاع بين المؤمنين، يقول تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٣).

٤ـ التعليم، وهو بتكميل القوة النظرية لأتباعهم، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٤). ويرى ابن حزم أن تعليم الأنبياء يشمل العلوم والصناعات المختلفة، وليس قاصراً على الحكمة والمعرفة(٥).

---

(١) النحل / ٣٦.

(٢) الحشر / ٧.

(٣) النساء / ٥٩.

(٤) البقرة / ١٥١.

(٥) ابن حزم / الفصل (١ / ٦٤ ـ ٦٥).

٥ ـ الإنذار والتبشير، وذلك بتعريف الناس ما يخفى عليهم من نعيم الله وثوابه للمحسنين، وعقابه وعذابه للعصاة، يقول تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[1].

٦ـ الهداية، وهي من أخص مهامهم صلوات الله عليهم أجمعين، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[2].

٧ـ التأسي بهم، فهم القدوة الحسنة والأسوة الصالحة لجميع البشر، وقد أمر الله عز وجل بالاقتداء بهم، والسير على نهجهم. قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

٨ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[4].

ثانياً: الرسل

وهم أخص من الأنبياء، فكل رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسولاً، وقد ذكرت فروق بين النبيّ والرسول، هي:

١ ـ أن الرسول هو من نبأه الله بخبر السماء وأمره بتبليغه، أما النبي فلم يؤمر بالبلاغ.

---

(١) الأنعام / ١٣٠.

(٢) الأنبياء / ٧٣.

(٣) الأنعام / ٩٠.

(٤) الأعراف / ١٥٧.

وهذا الفارق مدفوع بأمور منها: ـ

أ ـ أن الله قد نص على أنه أرسل النوعين الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[1].

ب ـ حكى القرآن عن أحد أنبياء بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[2].

جـ ـ حديث النبي ﷺ: «عُرِضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»[3].

٢ ـ أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، ويعارض هذا أن آدم ليس رسولاً، وأن نوحاً أول الرسل إلى أهل الأرض، وكان بينه وبين آدم عشرة قرون كانوا كلهم على الإسلام، فكيف عاش أولئك دون شريعة تنظم حياتهم؟ وعلى أي أساس قدم ابنا آدم القرابين فَتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقَبل من الآخر؟!

٣ ـ أن الرسول هو المرسل إلى كفار يدعوهم للتوحيد، أما النبي فهو المبعوث في قومه الموحدين.

---

(١) الحج / ٥٢.

(٢) البقرة / ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) سنن الترمذي [كتاب القيامة / باب رقم ١٦.

وينقض هذا كون عـيسى ابن مريم رسـولاً، بل من أولي العزم من الرسل، مع أنه أرسل إلى بني إسرائيل قومه المقرين بالله رباً واحداً.

لذلك فإن التعريف الدقيق للرسول هو:

أنه المنبأ بخبر السماء، والمرسل بشرع جديد إما إلى قوم موحدين، وإما إلى كفار يدعـوهم إلى التوحيد وإلى العـمل بهذا الشرع، وإما إلى الفـريقين معاً، وهذا كان حال بعثة محمد ﷺ.

ثالثاً: أولو العزم من الرسل.

وهم أفضل الرسل وأكرمهم وصفوتهم، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1].

وهم المذكورون في قـوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[2].

وقد كانوا أكثر الرسل صبراً وبلاء في الأداء والتـحمل، كما وصفهم القرآن في قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[3].

أيضا فإن دعواتهم أضحت أكثر اتباعـاً من غيرها، كما أضحوا هم علامات ورموزاً وقادة كباراً لأمم وشعوب كثيرة.

رابعاً: خاتم الأنبياء

وهو محمـد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن

(١) البقرة / ٢٥٣.

(٢) الأحزاب / ٧.

(٣) الأحقاف / ٣٥.

رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١). وقوله ﷺ: «سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبيّ بعدي»(٢).

ولأفضلية خاتم النبيين ﷺ وجوه، منها:

١ ـ دعوته وشريعته، فهي التي أكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(٣)، لذلك جعلها الله ـ تعالى ـ دين البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

وقد نصّ ﷺ أن إرساله على هذا النحو كان من الوجوه التي فضله الله بها على النبيين، كما روى عنه ﷺ قوله: «فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(٥).

٢ ـ كتابه، وجعله الله أحسن الكتب، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ﴾(٦).

وجعله كذلك أعظمها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(٧)،

(١) الأحزاب / ٤٠.

(٢) مسلم [كتاب الفتن / باب لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت من البلاء].

(٣) المائدة / ٣.

(٤) سبأ / ٢٨.

(٥) البخاري [كتاب الصلاة / باب قوله ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً].
مسلم [كتاب المساجد ومواضع الصلاة / مقدمة الكتاب].

(٦) الزمر / ٢٣.

(٧) الحجر / ٨٧.

لذلك فهو المصدِّق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1].

٣ـ معجزاته، وفيها تجمعت أجناس معجزات السابقين جميعها، وزادت عليها القرآن الكريم.

٤ ـ حياته، والتي جمعت ما في حياة كل نبيّ من الصفات والفضائل كافة.

٥ ـ خُلَّته للرحمن، فقد ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة وهي الخُلّة، كما أخبر ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[2].

٦ ـ اتباع الأنبياء والمرسلين له، فقد أخذ الله ـ تعالى ـ عهداً وميثاقاً من جميع الأنبياء والمرسلين بالإيمان به واتباعه ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3].

٧ـ شفاعته العظمى يوم القيامة، وهي أنواع منها شفاعته لعصاة الأمة ولأهل الجنة، كما هو مبسوط في حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين.

٨ ـ شهادته على الخلق في الدنيا والآخرة. يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4].

وهكذا يتضح الفارق والخلاف بين تصنيف مراتب النبوة في اليهودية والمسيحية والإسلام، فبينما نجد تصنيف الإسلام لمراتب النبوة يعتمد على

---

(١) المائدة / ٤٨.

(٢) سنن ابن ماجة [المقدمة / باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ].

(٣) آل عمران / ٨١.

(٤) البقرة / ١٤٣.

الوحي كأساس لهذا التصنيف من جهتين، فهو من جهة مصدر للتصنيف، إذْ هو الذي ينص على التفاضل بين الأنبياء، وهو الذي يحدد الدرجات الأعلى فالأعلى من هذه المراتب، ومن جهة أخرى يأتي الوحي وطبيعته وتحمل أعباء الرسالة ومنهج أدائها كأساس وحيد للمفاضلة بين الأنبياء الذين يعدون حبات عقد واحد في سلسلة النبوة والرسالة.

كما يلاحظ على التصنيف الإسلامي لمراتب النبوة أنه ليس تصنيف فئات، بل تصنيف درجات، فالجميع ينتمي إلى مؤسسة واحدة هي مؤسسة النبوة، ويتبوّؤون أماكنهم في هذه المؤسسة بحسب فضل رسالتهم ودرجة أدائهم وتحملهم.

أما في اليهودية، فتسيطر العنصرية على تصنيف مراتب النبوة، فكما حصر اليهود ظاهرة النبوة فيهم وقصروها على شعبهم، فإنهم صنفوا مراتب النبوة بما يخدم هذه الفكرة ويكرسها في إطار منظومتهم: شعب مختار، يهوه إلهه، والأنبياء قواده، ولتأكيد مفهوم الشعب المختار جعلت أصوله السلالية منحدرة من أعرق وأشرف جذور، وهي جذور الأنبياء الكرام: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف، وحُمِّلوا لقب الآباء، ثم يأتي دور موسى كباعث لروح خلاّقة وبعث جديد في حياة اليهود وتاريخهم، ومن ثمّ عُدَّ مؤسس النبوة ونموذجها الأكمل، ثم يأتي بعده قادة الشعب من الأنبياء الذين كان دورهم مجرد شرح وتطبيق شريعة موسى والسير على هدى دعوته.

وتتخذ العنصرية في المسيحية مفهوماً أوسع قليلاً، إذ تقبل المسيحية نبوات العهد القديم وتصنفهم في مرتبة تمهيدية من مراتب النبوة، هدفها التبشير بقدوم المسيح، ثم تفتح المسيحية باب النبوة أمام جميع المؤمنين بيسوع المسيح المصلوب، ولكنها تخص من بينهم ثلاث فئات هي التي أسهمت بدور مهم في بناء الكنيسة وتأسيس المسيحية، وبذلك تكون المسيحية قد انتقلت إلى منظومة

جديدة: شعب مؤمن، المسيح ربه وإلهه، وطوائف الأنبياء قواده وزعماؤه، ولا خلاص لأحد إلا في إطار هذه المنظومة.

وقد فقد المسيح في ظل هذه المنظومة شرف النبوة، وفُتِح باب النبوة أمام كل فاسق وعاص مادام مؤمنا بيسوع المسيح مصلوباً.

ثالثا: أشكال النبوة

في اليهودية تعددت أشكال النبـوة، وبتعددها تعددت الوظائف المنوطة بكل شكل من هذه الأشكال، وتنحصر أشكال النبوة في اليهودية في الأنماط التالية:

أ ـ الأنبياء الفرادى

وهم الأنبياء الذين لا ينتـمون إلى مؤسسة نبوية معـينة، بل تصدوا للدعوة كأفراد لكل منهم سمته الخاص ومنهجه وأهدافه، وكان هؤلاء الأنبياء نوعين:

النوع الأول: وهو مرتبط ارتبـاطاً جزئياً بشكل أو بآخر بمؤسـسات أخرى، مثل جـاد وناتان اللذين كانا مستـشاري داود، ومنهم أليشـاع الذي كان رئيس جماعة بني الأنبياء، وحبقوق وعوبديا اللذين يُعَدان نبيَّيْ طقوس.

النوع الثاني: الأنبياء المسـتقلون. وهؤلاء لا ينتمون بأي شكل من الأشكال جزئياً أو كلياً إلى أي مـؤسسة أو جهة وظيفية أخرى، وأولئـك هم كبار أنبياء العهد القديم، وكذلك أصحاب أسفاره، وقد اضطلع أولئك الأنبياء بمهام النقد السياسي للسلطة، والإصـلاح الاجتماعي، ومواجهـة سلطة الكهنة، والتصدي لمدعي النبـوة، وفي المقـام الأول أخـذوا على عـاتقـهم الدعـوة إلى شـريعـة موسى[1].

(1) Bernhard Lang, Wie wird man Prophet in Israel, S : 12 - 18 .

وانظر: ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٤١١ ـ ٤١٢.

ب ـ جماعات الأنبياء

وهم الذين ظهـروا في شكل تنظيـمات أو مـؤسـسات نبـرية ذات قواعـد وأعراف محددة، يقودها في الغـالب زعيم أو مرشد أو أب روحي، ومن هذه الجماعات التي أخبر عنها العهد القديم:

١ ـ بنو الأنبياء

وهي طائفة تتألف من مجموعة من صـغار الأنبياء يقودهم مرشد يسمى في الغالب «أب»، ومن أشهـر أولئك الآباء الروحيين: صموئيل، إيليـا، أليشاع. وهم يقومون بأعمـال التنبؤ والأفعال الخارقة مثلما حـدث في علاج مياه أريحا أو إحياء ابن الشونمية.

٢ ـ أنبياء القصر

وهم جـماعات الـرائين والعرافين والحـالمين والمتنبئين والعـاملين في خـدمة الحكام كمـوظفين رسمـيين برئاسة نبيّ منهم يتـحدث عنهم، وأهم واجـباتهم تقديم النصح والمشورة والنبوءات للحكام.

٣ ـ أنبياء المعبد (الطقوس والشعائر)

وهم الذين يمارسـون ـ إلى جانب وظائفهم المـدنية ـ أعمـال التنبؤ وإقـامة الشعـائر جنبا إلى جـنب مع الكهنة، ويمتازون عن الكهنة بـقيامـهم بالصلوات والوعظ والدعوة إلى التوبة إلى جانب شعائر الذبح التي يقوم بها الكهنة أيضاً.

جـ: نبوة المرأة

من تلك النبوات التي يقص العهد القـديم عن نشاطها وظهورها إلى جانب الأنبيـاء الفرادى أو بمعـزل عنهم ؛ مريم أخت مـوسى وهارون، دبورة، حلدة امرأة شلوم.

ومنهن من قامت بالجمع بين القضاء والنبوة في آن واحد مثل دبورة[١]، وكذلك جمعت حلدة بين الخدمة في المعبد ككاهنة وبين النبوة[٢].

ويمكن القول بأن نبوة المرأة كانت عنصراً مشتركاً وشكلاً من أشكال النبوة التي تكرر ظهورها في المسيحية ممثلة في: حنة بنت فانوئيل، وبنات فيلبس الأربع، وكذلك نبيات المونتانستية.

كذلك فإن المسيحية قد جمعت ما بين ظهور الأنبياء الفرادى على شاكلة أنبياء العهد القديم وما بين ظهور جماعات الأنبياء، كجماعة الرسل والأنبياء والمعلمين، إذ تعمل هذه الجماعات وفق نظم ولوائح وقواعد وشروط للالتحاق بها والانخراط في صفوفها، وإن كانت في الوقت نفسه تتيح لأفرادها قدراً من الحرية في سلوك منهج دعوى وطريقة خاصة به.

أما الإسلام، فلا يعرف أيًا من أشكال النبوة الجماعية، ويرجع ذلك إلى أن النبوة في الإسلام أساسها الاصطفاء الإلهي والهبة، ولا تكتسب النبوة عن طريق التعليم والمدارسة كما في جماعات النبوة في اليهودية، أو بالاقتراع والاختيار كما في جماعة رسل المسيح، أو بالتعيين والتكريس كما كان شأن الأنبياء في المسيحية، إذ كان يتم تعيين الأنبياء بوضع يد الرسول على رأس الشخص وتكريسه نبياً، كذلك فإن الترقي بين أشكال النبوة كما حدث مع برنابا الذي كان نبياً، ثم اختير رسولاً أمرٌ لا يعرفه الإسلام .

كما يضاف إلى ذلك أن نبوة المرأة لا يقرها الإسلام، وما انفرد به بعض مفكريه من عدّهم بعض من أوحي إليهن شيء من الأمر والنهي من النساء نبيات مردود من جمهور علماء الإسلام.

(١) سفر القضاة (٤ / ٤ ـ ٥).

(2) H. Irsiglar, Die Prophetie, S : 52 .

الفصل الثاني

دلائـــل النُّبُـــــوّة

في الوقت الذي تطرح فيه كل من الديانات الثلاث الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام، نفسها كبديل ومخرج لأزمة الإنسانية المعاصرة، وتقدم النبوة كمصدر معصوم لعقائدها وشرائعها وتصورها للإنسان والعالم.

فإن مسألة إثبات تلك النبوة والبرهنة على صدق ما جاءت به تعد من ألزم اللوازم، وأولى الأوليات، وكذلك أعتى التحديات في مواجهة إنكار المخالفين، والمكذبين إما بجنس النبوة: كالملحدين، وإما بأعيانها كـ:

ـ اليهود الذين ينكرون نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام.

ـ النصارى الذين يكذبون محمداً ﷺ[1].

ـ المسلمين الذين يرفضون التصور اليهودي والمسيحي للنبوة، ولا يقبلون من نبوات بني إسرائيل إلا ما عيَّنه الإسلام وطابق شروط النبوة فيه.

وقد اصطلح على تسمية تلك العلامات والآيات والبراهين المستلزمة لصدق الأنبياء «دلائل النبوة»[2].

وثمرة دلائل النبوة العلم اليقيني القطعي بصدق الأنبياء وما جاؤوا به من الأوامر والنواهي، والأخبار، والعقائد.

وهذه الدلائل كثيرة متنوعة تختلف باختلاف الأنبياء والرسل، فكلٌّ أوتي من الآيات والبراهين ما يناسب رسالته، ويلائم طبيعة المرسل إليهم.

وقد انقسمت دلائل النبوة في اليهودية إلى قسمين: ـ

(١) عالجنا موضوع دعاوى اليهودية والمسيحية حول نبوة محمد ﷺ فى كتابنا: «نبى الإسلام بين الحقيقة والادعاء»، وقمنا بتفنيد تلك الدعاوى وبيّنا وجوه بطلانها وتهافتها من جهة العقل والنقل.

(٢) ابن تيمية / النبوات / ص: ٣٨.

القسم الأول: المعجزة.

وهي حسب الاصطلاح اليهودي حدوث ما ليس في الطبع والعادة، وهي إما قهر طبائع أو قلب أعيان[1]. ويشترط فيها أن تقع في الوقت الذي حدده النبي، وأن تكون غير معتادة، وأن تكون مستمرة إن كانت مما يجب دوامه، كاستمرار اللعنات والبركات، وأن يعجز عنها سائر الخلق سوى الأنبياء، ودلالتها على النبوة من باب الوجوب إذا تحققت شروطها[2].

لكن التتبع الدقيق لمعجزات العهد القديم يكشف عن مخالفتها الشروط المتواضع عليها:

فمن المعجزات التي خالفت الشرط الأول (أن تقع في الوقت الذي حدده النبي) نبوءة إرميا بعودة المنفيين وانتهاء فترة السبي بعد سبعين عاماً من بدئها.

إذ يحكي سفر عزرا أن قورش قد أصدر مرسوماً بإطلاق المسبيين في السنة الأولى من فترة حكمه التي توافق عام ٥٣٨ ق. م أي بعد تسعة وأربعين سنة من فترة السبي التي بدأت عام ٥٨٧ ق. م، وكان يجب أن تنتهي حسب النبوءة عام ٥١٧ ق. م.

ومن المعجزات المخالفة للشرط الثاني (أن تكون أمراً غير معتاد) طول العمر المأثور عن آدم وشيت وأخنوخ ونوح وغيرهم، إذ لا يدخل ذلك في عداد المعجزات، لانتمائه إلى فترة تاريخية مخصوصة، فلم يكن متوسط العمر البشري قد حدّد بعد، ولم يحدد هذا العمر حسب رواية التوراة إلا بعد أن بدأ تكاثر الجنس البشري بغزارة[3].

(١) سعديا الفيومي / الأمانات والاعتقادات / ص: ٥٣، ١٢٠.

(٢) السابق.

(٣) تكوين (٦ / ١ ـ ٣).

وقد خالفت الشرط الثالث (استمرار ودوام ما يدوم منها) مواعد الرب لإبراهيم بإعطائه ونسله الأرض الموعودة من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[1]، فلم يملك إبراهيم ولا نسله من بني إسرائيل هذه الأرض على الإطلاق حتى يومنا هذا، ولم تتجاوز مساحة الأرض المملوكة لهم في أعظم فترات ملكهم أيام داود وسليمان شريطاً ضيقاً في فلسطين محصوراً بين ممتلكات خصومهم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، كما لم يتجاوز سلطانهم على هذه المملكة الصغيرة فترة خمسمائة عام، بدأت بجلوس داود على العرش عام ١٠١٠ ق. م، وانتهت بالاستيلاء على السامرة وسقوط مملكة الشمال عام ٧٢١ ق. م، وأعقبها دمار أورشليم وخراب الهيكل وبدء عصر المنفى عام ٥٨٧ ق. م.

وكان الشرط الرابع (ألا يقدر عليها غير الأنبياء) أكثر الشروط خرقاً، فقد خرقه العديد من البشر ممن لا يرقون إلى درجة النبوة؛ كيوسف ودانيال، ومنهم بعض أعداء الله من خارج بني إسرائيل كبلعام، ومنهم الكهنة من حاملي تابوت العهد الذين توقف مجرى النهر وجف ماؤه لهم حتى تم عبور الشعب بأكمله النهر، ومنهم كذلك مشيِّدو عبادة الآلهة الأخرى، كجدعون صانع الأفود الذي اتبعه كل بني إسرائيل.

وكان السحرة أكثر الناس معارضة لمعجزات أنبياء العهد القديم وإتيان مثلها، كساحرة عين دور التي أصعدت صموئيل من بين الأموات كي يستشيره شاول[2].

(١) تكوين (١٥ / ١٨).

(٢) صموئيل الأول (٢٨ / ٧ ـ ١٩).

وكسحرة فرعون الذين قابلوا معـجزات موسى، مما حاول الفيومي الاعتذار عنه بقولـه: «فإن سأل سـائل: كيف قـابل السحرة مـوسى في آياته؟ قلنا: إن الآيات التي صنعها عـشر، قلب العصا والتسع الأخـر، ولم تذكر التوراة أنهم قابلوه إلا في ثلاث»[1].

وليس هناك أوهي من اعتذار الفـيومي؛ إذ لا فرق بين المعارضة في مـعجزة واحدة وبين المعارضة في جـميع المعجزات؛ لأن معارضة معـجزة واحدة كافٍ في إبطال دلالة المعجـزات على النبوة لعدم اختـصاصها بالأنبـياء، يضاف إلى ذلك أن السحرة قد قابلوا موسى في معجزة العصا، وهي أهم معجزات العهد القـديم، وموسى على الخـصوص، إذ يتـوقف عليهـا نجاح بني إسـرائيل في الخروج من مصر، وبدء رحلتهم إلى أرض الميعاد.

ولا تقتصر وجوه قصور المعجزة في اليهودية عن إثبات النبوة على مخالفتها للشروط والقيود التي تواضع عليها مفكرو اليهود، بل تتعداها إلى عدم مناقضة معجـزات العهد القديم حـقائق العقول ومـعطيات العلوم، وسنقدم مـعجزات موسى ويوشع كمثالين صارخين لهذا التعارض:

أ ـ معجزات موسى.

يكشف البحث في مـعجزات موسى من حـيث الأداة المستخدمـة في إجراء هذه المعـجـزات، أن نصـوص العـهد القـديم توحي بأن الـعصـا كـانت أداة المعجـزات، لكن ذلك محل نظر، إذ تبدو العـصا معـجزة في ذاتها بانقـلابها حية، بيـنما تظهر في مواضع أخـرى كأداة لتسع معجـزات أخر، هي: الدم، الضفادع، البعـوض، البرد، الجراد، الظلام، البحر، انبثـاق الماء من الصخر، النصر على العماليق.

(١) سعديا الفيومي / الأمانات والاعتقادات / ص: ١٢٤.

ولا تقتصر مشكلة العصا على ذلك، بل لا يعرف أحد على وجه التحديد هل هي عصا واحدة أم أكثر من عصا؟ ومن صاحبها: موسى أم هارون أم هي عصا الله؟

لأن العصا سميت بعصا هارون مرة، وسميت عصا الله مرتين، ولم تسمَّ عصا موسى على الإطلاق، ونسبت فاعلية بعض معجزاتها إلى الرب دون ذكر فاعلية لها، وقد تساوى موسى وهارون في عدد مرات استخدامها.

ويكشف فحص تقارير العهد القديم عن وقائع معجزات موسى ـ مثل معجزة الدم ـ عن عدد من المحاولات والتناقضات العقلية المتمثلة في:

١ ـ وجوب موت جميع المصريين وبني إسرائيل؛ لأن كل ماء النيل قد تحول دماً لمدة أسبوع.

٢ ـ تكذيب الرب الذي أخبر بأن الدم سيكون في كل أرض مصر حتى في الأشجار والحجارة، ثم يقص كاتب السفر بعد ذلك عن حفر المصريين حوالي النيل ليشربوا دماً.

٣ ـ وجود نيلين في مصر: قلب هارون أحدهما دماً وصيَّر السحرة الثاني كذلك.

٤ ـ مناقضة الرب نفسه؛ إذ يأمر موسى في أثناء وقائع التكليف النبوي والتدريب على المعجزات بأن يأخذ من ماء النيل ويصب على اليابسة، فيتحول الماء المأخوذ من النيل إلى اليابسة دماً، ثم عند التنفيذ الفعلي يأمره بشيء آخر.

٥ ـ مخالفة موسى وهارون أمر الله؛ لأن الله يكلف موسى، بينما يقوم هارون بالتنفيذ.

٦ ـ كون السحرة حلفاء لموسى وهارون، إذ بتحويلهم الماء دماً يعينون موسى وهارون على عقاب المصريين.

كما يكشف فحص تقارير العهد القديم حول حادث الخروج ومعجزة بحر القصب عن الشك حول ضرورة هذه المعجزة، فرواية هروب بني إسرائيل وتعقب فرعون وجنوده لهم ونجاة بني إسرائيل بفضل معجزة البحر هي رواية متأخرة أقحمت على سفر الخروج بدءاً من الإصحاح الرابع عشر[1]، أما الرواية الأولى والأصلية فهي رواية خروج بني إسرائيل مطرودين بأمر الفرعون وتحت سمع وبصر المصريين جميعاً.

تقول التوراة: «فدعا فرعون موسى وهارون ليلاً، وقال: قوما فاخرجا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا واعبدوا الرب كما قلتم، وغنمكم أيضاً وبقركم خذوها كما قلتم، واذهبوا وباركوني أيضاً»[2].

وتتفق هذه الرواية مع مسار الخروج الذي سلكه بنو إسرائيل والموازي لساحل البحر المتوسط كما تحكي التوراة: «وكلم الرب موسى قائلا: مُرْ بني إسرائيل أن يرجعوا ويخيموا أمام فم الحيروت بين مجدول والبحر، أمام بعل صفون تخيمون تجاهه على البحر»[3].

وبحسب هذه الرواية ومسار الخروج المذكور لم يكن بنو إسرائيل بحاجة إلى عبور إعجازي بشق البحر.

ولا يقتصر الشك في رواية العهد القديم عن حادث الخروج على مدى الحاجة إلى معجزة البحر، بل يتعداه إلى مكان المعجزة المقترح، والذي يحدده العهد القديم في بحر القصب، وهو المجرى المائي الذي ينبت فيه نوع من البوص لا ينبت إلا في الماء العذب، ولا يبعد هذا البحر بحسب النصوص عن

(١) راجع: خروج (١٤ / ٤ ـ ٣١).

(٢) خروج (١٢ / ٣١ ـ ٣٢).

(٣) خروج (١٤ / ١ ـ ٢).

مسافة يومين أو ثلاثة من مدينة رمسيس شرقاً، وعلى وجه التحديد يجعل سفر الخروج من البحيرات المرة مسرحاً لمعجزة العبور، وهو ما يستحيل تاريخياً وجغرافياً وجيولوجياً:

فمن الناحية التاريخية لا تؤيد الدراسات النقدية ونتائج علماء الحفريات عبوراً إسرائيلياً للبحيرات المرة.

ومن الناحية الجغرافية فإن مساحة البحيرات المرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعبرها الفارون، وعددهم ستمائة ألف بخلاف الأطفال والنساء، أي حوالي مليونين من البشر، بالإضافة إلى مواشيهم وأغنامهم ومنقولاتهم، والمسروقات التي سلبوها من المصريين، ثم يأتي خلفهم المطاردون، وهم جيش كبير يضم ستمائة عربة حربية تجرها الخيول، خلاف جميع العربات والمركبات التي في مصر، على أن تفصل بين الفئتين مسافة تحول دون إدراك الملاحق للهارب، وكذلك مسافة خلف الملاحقين تحول دون بلوغهم الشاطئ عند مدّ مياه البحر وعودتها إلى طبيعتها، وأيضاً مسافة أمام الفارين قدرها مسيرة ليلة قطعوها ولم يدركهم فيها المطاردون.

ومن الناحية الجيولوجية، فلا ينبت «السوف» على ضفاف البحيرات المرة ذات الماء شديد الملوحة.

ولم يكن التقرير الخاص بوقائع المعجزة بسالم من مواطن الاضطراب، الذي تتردد نسبة فاعل المعجزة بسببه بين موسى وبين الرب، ففي الرواية الكهنوتية يمد موسى عصاه فوق البحر فينشق منشئاً جدارين من المياه يعبر بنو إسرائيل بينهما على اليبس، ثم ترتد المياه على المصريين من خلفهم، وفي الرواية الأقدم بحوالي مائتي عام يدفع الرب بريح تجفف البحر، فيدخل المصريون وترتد المياه

وتبتلعهم، وهي لا تشير إلى تدمير للمصريين من قِبل الرب عن طريق الرياح، ولا تذكر عبوراً إسرائيلياً أو معجزة. مما يجعل القول بأن معجزة بحر القصب تفتقد أهم عناصر وجودها، الممثل في الفاعل والموقع الجغرافي والدواعي إلى وقوعها.

أما معجزة يشوع في إيقاف الشمس في كبد السماء وتثبيت القمر، فترفضها معطيات العلوم التجريبية؛ لأنها مبنية على دوران الشمس حول الأرض وهذا غير صحيح، كما أن توقف الشمس لا يطيل أمد النهار إذا ما دارت الأرض في سيرها الطبيعي، فالمعوّل في تعاقب الليل والنهار على دوران الأرض. كذلك فإن كاتب المعجزة يتصور أن القمر يدور حول الأرض في حالة إضاءة، وهذا خطأ لأن القمر يظهر مضيئاً بالنسبة للأرض إذا ما استقبلت الأرض انعكاس أشعة الشمس منه، كما أن اجتماع الشمس والقمر في حالة إضاءة كاملة أمر غير ممكن، وليس كما يتصوره كاتب المعجزة؛ لأن نصف الكرة الأرضية الذي يضيئه القمر تغيب عنه الشمس ويكون ليلاً، أما النصف الآخر فيكون نهاراً لكنه لا يرى القمر.

فإذا فرض أن وقت المعركة كان قريباً من الغروب وأن القمر كان مكتملا وأمكنت رؤيته فإن ضوءه في هذه الحالة غير متوهج لا يبدد ظلمة لعدم غروب الشمس وعدم حلول الظلام، أما وأن كاتب المعجزة يؤكد على أن الشمس وقفت في كبد السماء مما لا حاجة معه لضوء القمر على الإطلاق، فلا يتيح ذلك مجالا إلا لطرح هذه المعجزة جانبا لفقدان أهليتها كدليل وبرهان.

ولكل ذلك فإن قصور معجزات العهد القديم - التي تقدم فحص أهم نماذجها - يبدو أمراً ظاهراً بيّناً غير مدفوع، وذلك لمخالفة تلك المعجزات في عمومها ما تواضع عليه مفكرو ورابيو اليهودية من شروط للمعجزة، وتخالف في أعيانها مطالب العقل ومعطيات ونتائج العلم.

القسم الثاني: العهد القديم

وهو الذي ينظر إليه اليهود على أنه كلام الله، وأنه كتاب مؤلفه الحقيقي هو الله تعالى، الذي إما خطه بنفسه كما في حالة الكلمات العشر، أو خطه الأنبياء بدءاً من موسى وانتهاء بـ: حجاي وزكريا وملاخي، بوحي النبوة، أو خطه أناس ملهمون كانوا كأحجار الشطرنج في يد الروح القدس.

وعلى أنه كتاب غير قابل للمساس، إذ حتى حروفه ونقاطه وعلامات ترقيمه وحي وإلهام.

وعلى أنه دليل على الوحي والنبوة. يقول الفيومي: «إن كتابنا المقدس بما يتضمنه من حقائق وبراهين عقلية ومصادر للمعرفة، لهو دليل على الوحي النبوي، ذلك الوحي المؤيد ليس فقط بالأدلة العقلية، بل بأدلة من المعجزات والخوارق المرئية»[1].

فهل تنطبق ـ حقاً ـ على العهد القديم المقدمات والأسس والمعايير المنهجية التي تتوقف عليها معرفة الكتب الإلهية التي أوحى بها الله ـ تعالى ـ إلى أنبيائه ورسله معرفة تثبت بالدليل القطعي والبرهان اليقيني؟

ذلك ما يمكن الإجابة عنه بفحص العهد القديم من زوايا أربع، هي: ـ

أ ـ القانون

وهو قائمة الأسفار المقدسة المعترف بسلطتها كوحي ومرجع للعقيدة وتنظيم حياة المجتمع[2].

والقانون بهذا المفهوم يشير إلى مشكلات ثلاث: مشكلة تاريخية، تتمثل في

(1) W . Bacher, Die Bibelexegese der Judischen Religionsphilosophen (1 , 4- 8).

(2) TRE (17 , 562 - 570) .

بحث الدوافع التي أدت إلى تحديد هذه القائمة، والظاهر أن هذه الدوافع ما هي إلا قصة الصراع بين الصحيح والزائف من الأسفار المتوارثة في بني إسرائيل، ومشكلة علمية تمثلت في المعايير التي بحسبها تقنن الأسفار وتلحق باللائحة، ومشكلة عقائدية تتمثل في صاحب سلطة تقنين الأسفار والحكم بإلهاميتها، إذ ليس الأنبياء أو أحد منهم هو الذي قام بهذا، بل إن الرابيين وسدنة الهيكل هم الذين احتكروا هذا الحق وأصدروا قرارهم في مجمع «جمنيا» في نهاية القرن الأول الميلادي بتمام اللائحة وإغلاق باب القانون.

فهل كان قرار مجمع «جمنيا» نهاية لهذه المشكلات؟ ذلك ما تنفيه النظرة العاجلة على أشكال القانون اليهودي المشهورة:

١ ـ القانون العبري

وهو الذي تطالع محتوياته في النسخة المسورية، وتقرأ في ما يسمى بالعهد القديم العبري، وهو أشهر القوانين، وعليه تقاس القوانين الأخرى.

ويرجع تكوين هذا القانون إلى مراحل ثلاث؛ في الأولى تم تثبيت التوراة على يد عزرا في القرن الرابع قبل الميلاد، وفي الثانية تم تدوين كتب الأنبياء في القرن الثالث قبل الميلاد، وفي الثالثة استكْملت قائمة القانون بإضافة سفري الجامعة ونشيد الأناشيد في إعلان مجمع «جمنيا» في نهاية القرن الأول الميلادي.

وينطوي القانون بصورته الحالية على مخالفتين جوهريتين تصادمان معايير القانون التي تواضع عليها اليهود وعرضها يوسفس في مجادلاته مع أبيون:

تتعلق المخالفة الأولى بإدراج كتاب دانيال في قائمة القانون، وهو الكتاب الذي يرجع تاريخ تأليفه إلى ما بعد عصر أرتاكسيركس بحوالي ثلاثة قرون، ولا يعلم عنه ابن سيراخ شيئاً.

وتتمثل المخالفة الثانية في عـدد أسفار القانون، إذ يصرح يوسفس بقوله: «لا توجد لدينا أعـداد لا تحصى من الكتب المختلفة التي يـعارض بعضها بـعضاً، بل فقط اثنان وعشـرون كتاباً تعرض الماضي بأكمله، وهـي بحق الكتب الإلهية»[1]، بينما يحصى التلمود مكونات القانون ويحصرها في أربعة وعشرين كتاباً[2].

ويحاول الباحـثون التوفيق بين الاختـلاف في أعداد القائمتين، فـيذهبون إلى أن يوسفس أدمج سفر راعوت في سفر القضاة، وأدمج سفر المراثي في سفر إرميا[3].

إلا أن تلك المحاولة تظل تخـميناً لا يمكن إثباته أو البـرهنة عليه، لأن ذلك الإدماج لم يـكن مألوفـاً في ذلك الحين، كذلك فـإن سفري راعـوت والمراثي ضمن مجمـوعة الكتابات في كلتا القائمـتين، بينما ينتمي سفرا القـضاة وإرميا إلى مجموعـة الأنبياء، كما أن الاختلاف بين القائمـتين ليس قاصراً على أعداد الكتب، بل يشمل ترتيب الكتب وتصنيفها بين الأقسام.

فإذا أضيف إلى تلـك المعطيات عدد من الشواهد الأخرى المـمثلة في إشارة العهد القديم إلى أسفـار لا تضمها القائمة في شكلها الحالي، كـذلك استشهاد الحاخامات والأحبار بأسفار ليست مدرجة في القائمة، وكانوا يعدونها قانونية، كذلك فإن التراث قد حفظ عدداً من قوائم القانون العبري التي يرجح أنها أقدم من قائمة التلمود.

إذا أضيف كل ذلك لأمكن الحديث ليس فقط عن اختلاف أعداد بين قائمتين، بل عن وجود عديد من قوائم القانون العبري المختلفة: كماً، وتبويباً، وتصنيفاً.

(1) Josephus Flavius, Against Apion, (I, 37) .

(2) Babilonischer Talmud, Trakat . Baba batra . 146 .

(3) Jeon Paul Audet , A . Hebrew - Aramaie List of Books of the O . T in Greek Transcription . J. Th. S - N. S. 1,S 135 - 154 .

٢ ـ قانون السامرة

لا يزيد قانون جماعة السامرة عن التوراة (أسفار موسى الخمسة)، أما سفرا يشوع والقضاة فهما سفران تاريخيان غير مقدسين.

٣ ـ قانون الصدوقيين

وهو لا يتضمن سوى التوراة (كتب موسى الخمسة)

٤ ـ قانون قمران

قانون قمران أكبر وأوسع من القانون العبري، لكن لا يستطيع أحد الجزم بحدوده، إلا أنه يمكن تأكيد اشتماله على كتاب اليوبيلات، وأسفار الأدب الرؤوي، وتعاليم العدالة والحق، وكذلك أسفار طوبيا وابن سيراخ، وعلى الأرجح باروك، ولعله كان يتضمن سفر أخنوخ والمؤلفات التي كانت تنظم حياة الطائفة: كقواعد الجماعة والحرب المقدسة ومجموعة الأناشيد الخاصة وسفر أورشليم الجديدة[1].

٥ ـ قانون السبعينية

تعد قائمة السبعينية أكبر قوائم العهد القديم وأضخمها، إذ تضم ـ إلى جانب أسفار القانون العبراني ـ مجموعة عرفت باسم الأسفار المنحولة (الأبوكريفا)، ومجموعة أخرى عرفت باسم القانونية الثانية، وهي التي تلقتها الكنائس بالقبول، وأقرتها في مجامعها، وهذه الأسفار الزائدة هي: (يهوديت، طوبيا، الحكمة، يشوع، ابن سيراخ، باروك، إزميا، أسفار عزرا الثلاثة «الأول، الثاني، الثالث»، أسفار المكابيين الأربعة «الأول، الثاني، الثالث، الرابع»، توسعات في سفر استير، وفي سفر دانيال، وفي سفر المزامير).

---

(1) J . Maier / K . Sehubert, Die Qumran - Essener, S : 27 .

وانظر: مقدمة العهد القديم للكاثوليك / ص: ٤٩ .

وتفضي تلك النظرة التي ألقيت على أشكال قانــون العهد القديم إلى إثبات تفاوت كــبير في أعــداد الكتب المقدســة في هذا القانون، مما يمكن مــعه القطع بصعوبة تحــديد قائمة الكتب الصحــيحة الموحى بها من الله إلى أنــبيائه، والتي ترقى إلى مستوى دليل وبرهان على نبوة المنسوبة إليهم.

ب ـ النص

وصل نص العــهد القــديم في مجمــوعة من النســخ لا يتعدى تــاريخ أقدم مخطوطاتها الكاملة القرن الرابع الميلادي، أمــا النص المسوّري الذي يعد مرجعاً ونموذجاً مثالياً لنص العهد القديم فيرجع تاريخه إلى القرن العاشر الميلادي.

وعند مقارنة النص المســوّري بنص نسخة السامرة، يمكن إحــصاء ستة آلاف اختلاف، ومع مقارنته بالنص القمراني، يتعدى الخلاف مستوى الكتابة وصياغة الجملة إلى أشياء جوهرية، وفي حالة المقارنــة مع نص السبعينية لا يمكن حصر عدد الاختلافات.

جـ ـ السند

ظلت نســبة العــهد القــديم إلى الأنبــياء وإسناده إلى زمنــهم مسلّمــة فكرية وعقائدية عــبر قرون طويلة من الزمن، حتى ظهر الإســلام فكشف القرآن عدم صحة هذه النسبة وخطأ ذلك الإسناد إما: جزئياً بالتحريف العمد: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1]، أو كليًّا كما في بعض الأسفار التي ألفوها وادعوا نسبتها إلى الله: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾[2].

(١) البقرة / ٧٥.

(٢) البقرة / ٧٩.

ولمّا تلقى علمـاء الإسلام هذه التقـريرات القرآنية، راحـوا يفحـصون إسناد العهد القديم والجديد، استناداً إلى وجوه من النقد الداخلي والخارجي، قادتهم إلى نتائج باهرة، جعلت منهم المؤسسين الحقيقيين لعلم نقد الكتاب المقدس:

فقـرر ابن حزم إلى أن الأسـفار الخـمسـة المسمـاة بالتوراة ليـست هي التي أوحاها الله إلى موسى[1]، ثم تتابعت جهود علماء الإسلام في دراسات نقدية عميقة انتـهت إلى أن هذه الأسفار قد شابها التحريف إمـا عمداً وإما خطأ في ترجمتها وتفسيرها وشرحها.

وعندما تلقى الغرب نتائج دراسات علماء الإسلام، أسهم بدوره بجهد كبير قاد إلى نتائج مذهلة شملت سند العهد القديم بأقسامه التالية:

١ ـ التوراة (أسفار موسى الخمسة).

وبدأ البحث فيها ببعض الملحوظات والشكوك الفردية حول نصوص التوراة، والتي تطورت للقول باستبـعاد بعض تلك النصوص التي لا ترجع إلى موسى، لكن هذا المسار واكبه مسار آخر في اتجاه معـاكس يبحث عن النصوص الحقيقية التي تنتمـي إلى موسى من بين نصوص التـوراة، إذ إن تسمـية التوراة بأسـفار موسى الخمسـة كما يرى أصحاب هذا الاتجاه ترجع إلى كون مـوسى موضوعاً لها، أما نشأتها فـيما عدا بعض إصحاحات من سفر التثنيـة فترجع إلى ما بعد وفاة موسى.

وقد قـاد ذلك الاتجـاه إلى انتقـال البحث في التـوراة إلى مرحلة جـديدة، تتجاوز الخـلاف حول نسبتـها لموسى إلى دراستهـا كتراث تحكمه وتفـصل فيه مناهج دراسـة الروايات والمأثورات، بما يتطلبـه ذلك من البـحث وراء قـضيـة

(١) ابن حزم / الفصل (١ / ٢٨٨ ـ ٣٠٠).

التقاليد والروايات الشفهية الكامنة خلف التوراة.

فطرحت في هذا الشأن تصورات عدة لعدد من المصادر المقترحة للتوارة، والتي يعد فلهاوزن صاحب أكثر التصورات الكلاسيكية المأخوذ بها في هذا المجال، وذلك برؤيته التي تتلخص في أن ترتيب وتأريخ مصادر التوراة يعكس التاريخ الديني لبني إسرائيل، وقد تعرضت هذه المصادر بحسب نظرية فلهاوزن لثلاث عمليات تحرير وتعديل كبرى.

لكن التأريخ النهائي لنشأة مصادر التوراة يضع في الحسبان أكثر من ثلاث عمليات تعديل لمصادر التوراة، ويطرح التخطيط التالي لنشأتها[1]:

١ ـ المصدر اليهوي (حوالي ٩٣٠ ق.م) (J)

٢ ـ المصدر الإيلوهيمي (حوالي ٧٥٠ ق.م) (E)

٣ ـ المصدر اليهوي الإيلوهيمي (عام ٧٠٠ ق.م) (JE)

٤ ـ سفر التثنية (القرن السابع قبل الميلاد) (D)

٥ ـ أعمال مدرسة تثنية الاشتراع (٥٦٠ ق.م) (DtrG)

٦ ـ المصدر الكهنوتي الأساسي (بعد المنفى مباشرة) (PG)

٧ ـ المصدر الكهنوتي الثانوي (القرن الخامس في القدس) (PS)

٨ ـ تحرير التوراة (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد) (RP)

وهي عملية تعديل كبرى شملت جميع أسفار التوراة.

٢ ـ أسفار الأنبياء

سار البحث في سند كتب الأنبياء على المنهج النقدي نفسه لسند التوراة، معتمداً على: إشارات لأحداث تاريخية متأخرة عن زمن حياة النبي المنسوب

(1) H . Irsigler, Litratur und Glaubensgeschiehte im A . T , S : 80 - 87 .

إليه السفر، ازدواج روائـي، تكرار، تناقض، اختلاف اسم الله بين الروايات، إلخ.......

وقد بدأ الشك في صحة سند أسفـار الأنبياء مبكراً على يد ابن حزم، الذي قطع بعدم صحة نسبة سفر يشوع إليه[1]، ثم أشار الإمام ابن تيمية إلى انقطاع سند كتب الأنبياء عامة وليس سفر يشوع فقط[2].

وفي الغرب عكف سبينوزا على استخراج الدلائل والقرائن على عدم صحة نسبة هذه الـكتب إلى أسماء الأشخاص الـتي تحملها، فانتـهي إلى أن أسفار: يشـوع، القضـاة، صمـوئيل، الملوك، إرميـا، ألفت بعد حـياة هؤلاء بـقرون طويلة[3].

ثم أعقبت سبينوزا جهود جبارة من قبل علماء النقد الحديث لتحديد تواريخ احتمـالية لأزمان تأليف هذه الكتب، والتخـمين بأشخاص المؤلفين الحقـيقيين، وانتهت تلك الجهود إلى النتائج المذكورة تفصيلاً بالباب الأول.

٣ ـ الكتابات

مضى البحث في سند الكتابات ـ كذلك ـ على نفس النهج المتبع في فحص التوراة وأسفار الأنبـياء، وأسفر عن بعض النتائج والملحوظات الشـيقة، كتلك التي تخص سفـر المزامير المنسوب إلى داود، وفيـها يتحدث مـؤلف السفر عن الهيكل الذي لم يُبن إلا في عهد سليمان ابنه، كالمزمور الشهير رقم ١٣٧:

على أنهار بابل هناك جلسنا ... فبكينا عندما صهيون تذكرنا
علـى الضفـاف فـي وسطها ... عـلّقنـا كنّـاراتنـا

(١) ابن حزم / الفصل (١ / ١٥٢).

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح (١ / ٣٥٦، ٣٦٠، ٢ / ١٨ ـ ١٩).

(٣) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ٢٦٥ ـ ٢٨٣، ٣٠٧، ٣٢٦.

هناك سألنا الذين أسرونا نشيدا والذيــن عذّبونــا طربــا

أنشدوا لنا من صهيون نشيدا

كيــف ننشــد نشيـد الــرب ونحن فــي أرض الغربة؟

إن نسيتُـك يـــا أورشليــم فَــلْتَشَــلَّ يــمينــي

والذي يصور آلام وشوق الغربة في أرض المنفى، وهو مـا حدث بعد موت داود بأربعة قرون.

وقد انتهت مـحاولات تحديد زمن كل كتاب وشخـصية مؤلفه الحقـيقية إلى النتائج المذكورة تفصيلا بالباب الأول.

د ـ المتن

اقتضت دعوى كتابة العهـد القديم بوساطة الإلهام ضرورة بحث مدى توافق نصوصه مع معيارين:

الأول: انسجـامها مع بعضـها البعض؛ إذ إن الملهم إن كان واحـداً، وكان الهدف مشتركاً، فلابد ألا تصطدم النصوص أو تتعارض أو تختلف.

وبتطبيق هذا المعيار عـلى قضية العهد الذي عقـده الرب من ناحيته مع بني إسرائيل، وهي أهم قـضايا وموضـوعات العهـد القديم، بل هي ـ كمـا قيل ـ قلب العهـد القديم[1]، فإن عـدد الاختلافـات بين الروايتين اللتين ورد فيهـما الحدث يبلغ اثني عشر اختلافاً.

مما دفع ابن ميمون بالاعتذار عن ذلك التضارب بأن الوقوف على جبل سيناء من جملة غوامض التوراة والإدراك فيه خفي جداً[2].

(1) W . H . Sehmidt, Einfuhrung in das A . T , S : 74 .

(٢) ابن ميمون / دلالة الحائرين / ص: ٣٩٦.

وتكاد تكون النتيجة واحدة بتطبيق المعيار نفسه على الوصايا العشر، وهي أساس الديانة والشريعة اليهودية، فقد وردت في روايتين تخالف إحداهما الأخرى ـ كما يقول سبينوزا ـ من جميع النواحي[1].

الثاني: توافقها مع معطيات العلم الحديث؛ إذ إن العقل والوحي والحواس من وسائل العلم التي منحها الله تعالى للبشر، ومن ثمّ فالواجب عليها التوافق لا التعارض.

فهل تتوافق نصوص العهد القديم مع العلم؟ ذلك ما تنفيه نتائج المقابلة بين تلك النصوص وبين معطيات العلوم الحديثة، والتي تكشف عن تعارض بيّن في المسائل الثلاثة التالية:

١ ـ مراحل خلق العالم، حيث وردت روايتان عن الخلق في سفر التكوين، إلى جانب كونهما غير متطابقتين، ومختلفتين حجماً وموضوعاً، فإن الرواية الأولى تتضمن من وجهة النظر العلمية سبعة أخطاء، أما الثانية وهي قصيرة وغير واضحة، فتنص على ظهور عالم النبات في وقت ظهور الإنسان على الأرض، وذلك خطأ علمي فاحش، إذ ظهر الإنسان على الأرض حينما كانت حاملةً النباتات منذ زمن بعيد.

٢ ـ تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان، حيث يرجع تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان بحسب التقدير العبري المؤسس على معطيات العهد القديم إلى سبعة وثلاثين قرناً قبل الميلاد.

بينما يحدد العلم تاريخاً زمنياً تقريبياً لعصور تكون النظام الشمسي يقدر بأربعة مليارات ونصف من السنوات. أما تاريخ ظهور الإنسان، فيرجعه العلم إلى أبعد من التصور الذي وضعه العهد القديم بعشرات الآلاف من السنين.

---

(١) سبينوزا / رسالة في اللاهوت والسياسة / ص: ٢٧٧.

٣ ـ الطوفان، يرجع تاريخ الطوفان وفق الحسابات القائمة على إشارات سفر التكوين إلى القرن الحادي أو الثاني والعشرين قبل الميلاد.

لكن هذا التاريخ هو تاريخ أسرة أور الثالثة في بابل، والفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة في مصر، ومن ثمّ فلم يحدث انقطاع في هذه الحضارات أو إهلاك ودمار كامل للبشرية كما يزعم مؤلف سفر التكوين.

وبالنسبة للمسيحية، فإنها أكثر ديانات العالم حاجة إلى ما يثبت عقائدها ودعاواها ويؤيدها، نظراً لما تنضوي عليه تلك العقائد من غموض واضطراب وتناقض وتباين، يستحيل معه على العقل البشري الصائب أن يحيط بها، ناهيك عن قبولها.

وربما يكون بولس أول من أشار إلى أن المعجزة وما يهبه الروح القدس من وحي هما ما يمكن الاستناد إليه في صدق خبر حاملي درجة النبوة[١]، فهل يستقيم الكتاب المقدس والمعجزة دليلين على النبوة في المسيحية؟!

ذلك ما يمكن الإجابة عنه بعد فحصهما على النحو التالي:

أ ـ المعجزة

المعجزة في المسيحية هي عمل إلهي تتعطل به ـ حقيقة ـ قوانين الطبيعة المحركة لنظام الكون[٢].

وتتنازع المعجزة في المسيحية آراء ثلاثة: يجعلها الأول دليل نبوة لأن الدعوة الدينية برهان إلهيتها الأوحد إنما هو المعجزة ولا نبوة بلا معجزة[٣].

(١) الرسالة إلى العبرانيين (٢ / ٢ ـ ٤).

(2) H . Jordon, Was Verstand das alteste Christentum unter Wunder, S : 178 .

(٣) يوسف درة الحداد / مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية) ص: ٦٢٥، ٦٢٦.

ويميل الرأى الثاني الذي بلوره منشـور البابا بيوس العـاشر عام ١٩٥٠م إلى أن المعجزة تخدم إثبات إلهية مصدر الديانة المسحية، فهي علامات على الوحي الإلهي[١].

أما الثالث، فيذهب إلى أن المعجزة في المسيحية دليل على ألوهية المسيح[٢].

ولا شك أن الرأي الثالث يفتح الباب أمام ألوهية رسل وتلاميذ المسيح الذين نسبت إليهم الأعمـال الخارقة والمعجزات التي نسبت إلى المسـيح نفسها، وعلى الأخص بطرس وبولس، اللذين فاقت قدرتهما على المعجزة قدرة عيسى نفسه، وذلك بشفائهما المرضى عن بعد بوقـوع ظلهما على المريض، ومثل هذا القول لا يذهب إليه أحد لمصادمته العقيدة المسيحية التي لا تعرف إلا ثلاثة آلهة فقط.

فلا يـتبـقى إلا أن تكون المعجـزة دليلاً على النبـوة أو على إلهـية مـصدر الدعوة، وذلك ما ينفيـه بشدة البروفيسور هانز كينج، في قـوله: «إن معجزات عيسى ليست دليلاً كافياً لتأسيس الاعتقاد أو إثبات صحته»[٣].

كذلـك فإن كون المعـجزة دليـلاً على النبـوة أو على إلهيـة مصدر الـدعوة المسيحية، لهو أمر تقف دونه الدلائل والقرائن والشواهد التالية:

١ ـ نتائج العلوم الحديثة

إذ إن مشكلة المسيحية الـكبرى مع العلم والحضارة، تلك التي تتعلق برفض روايات العهـد الجديد عن طبـيعة المسـيح ومعجـزاته من منطلق تصادمـها مع معطيات التاريخ والعلوم[٤].

(1) H. Lais, Was Sagt die Kirche zum Wunder ? S : 115 .

(٢) نقولا يعقوب غبريل / أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين / ص: ٥٦.

(3) Hans Kung , Christ Sein, S : 227 .

(4) Ninian Smart, Die Grossen Religionen , S : 259 .

فمن المؤكد عدم وجود أية ديانة غير المسيحية فيها هذا الكم الهائل من المعجزات التي تحدث حتى اليوم، ولا يستطيع العلم أن يؤكد صحتها[1].

مما أدى بالعلامة ماكس بلانك لإصدار حكمه الشهير عام ١٩٤٧م بأنه: «للإبقاء على قيمة ما للمسيحية للعالم المعاصر ومن ثمّ للعالم الغربي، يجب على الإنسان أن يقرر ـ بإخلاص ـ التخلّي عن المعجزات التي تشكل عائقاً شائكاً أمام وصول المسيحية إلى إنسان الحضارة المعاصرة بسبب تعارضها مع العلم»[2].

ولعل منطلق المعجزة القائم على الاعتقاد بتسلط المسيحيّ على الكون: «فكل شيء لكم: أبولس كان أم أبُلّس، أم صخراً، أم العالم، أم الحياة، أم الموت، أم الحاضر، أم المستقبل، كل شيء لكم»[3]، خير مثال على التعارض مع قوانين الطبيعة ومعطيات العلوم.

٢ ـ معطيات النقد التاريخي

وهو أحوج ما تكون إليه مسألة المعجزات في العهد الجديد؛ لكونها ليست معجزات كونية تخلف آثاراً يمكن فحصها أو التثبت منها، بل هي من قبيل الروايات والقصص والأخبار التي هي من صميم علم النقد التاريخي.

وفي هذا الشأن يقرر علماء النقد التاريخي أنه لا توجد معجزة في العهد الجديد تثبت أمام معطيات النقد التاريخي[4].

---

(1) Henri Bon, Wunder . Wissenschaft und Kirche , S : 8 .

(2) H. Lais, Was sagt die Kirche zum Wunder ? S : 18.

(٣) الرسالة الأولى إلى قورنتس (٣/ ٢١ ـ ٢٢).

(4) RRG, SP : 1837 .

٣ ـ بحوث تاريخ الأديان

وهي تقطع بأن معـجزات المسيـحية يجدها المـرء مسطورة في كل مكان من تاريخ أمم الشـرق القديم؛ أحيـاناً باللفظ نفسـه، وأحيـاناً بالمعنى[١]. مما حدا بالبعض إلى إرجاع الدعوة المسيحية كلية إلى أصول أجنبية[٢].

٤ ـ مقررات العقول

تميل وجهة نظر الفلسفة والعقل إلى أنه لا يمكن إثبـات حقيقة كلية أو جزئية في العهد الجديد[٣]؛ لذا لا يفتأ العـقلانيون؛ مثل روسـو وفولتير من التـأكيد على رفضهم المطلق لقصص المعجزات في العـهد الجديد، والتي يعدونها مجرد اختلافات من قـبل دهاة القساوسة الذين استغلوا جهل مـواطنيهم، فلفقوا هذه القصص لإثبات مسيحانية عيسى[٤].

٥ ـ ملاحظات «نقد النص»

وهي تذهب في ثلاثة اتجاهات تلقي بظلال الشك الكثيفة على قيمة المعجزة المسيحية ومدى دلالتها على الوحي:

أولها: صـاحب المعجـزة، وهو الذي تعد شـهادته أدق المعاييـر في الحكم عليها، وفي هذا الشأن يبرز نص ينفي فيـه المسيح وقوع أية معجزة على يديه، قـائلاً: «ما بال هذا الجـيل يطلب آية؟ الحق أقـول لكم: لن يُعطى هذا الجـيل آية»[٥].

---

(1) G . Traub , Die Wunder im N . T, S : 140 .

(٢) يوسف الحداد / مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية) / ص: ٦٠٦، ٦١٠.

(3) A. Schweizer, Geschiehte der Leben - Jesu - Forschung, S : 149 .

(4) J . Klausner , Jesus von Nazareth, S : 98 .

(٥) مرقس (٨ / ١١ ـ ١٢).

كما يلاحظ أن المعجزة لا تلعب أي دور يذكر في برنامج بولس التبشيري، بل إنه لم يحفل على الإطلاق بحكاية أي من قصص معجزات عيسى ورسله[1].

الثاني: رواة المعجزة، وتحيط بهم الشكوك من جهتين: الأولى ماهية مصدر رواياتهم؛ إذ كان المسيح يستكتم خبر المعجزات، ويحرص على بقائها سراً حتى إن أقرب أقربائه لم يكونوا يؤمنون به. والثانية: يقظة أولئك الرواة الذين وصف لوقا أحدهم قائلاً: «ولم يكن يدري ما يقول»[2].

والثالث: روايات المعجزة، وتنطوي على قدر عظيم من الاختلاف والتناقض، الذي تكذب فيه كل رواية أختها، مما يستحيل معه القطع بصحة إحداها، ويظهر ذلك من الأمثلة التالية:

١ ـ قيامة المسيح من الموتى، وهي الحدث الذي لا يقوم عليه إثبات نبوة وإلهية مصدر الدعوة المسيحية فقط، بل يقوم عليه أساس وجود ومشروعية المسيحية كلية، واختلاف كتّاب العهد الجديد حول هذا الحادث بيّن، إذ لا يتفقون على شيء من عناصر القصة الرئيسة سواء فيما يخص القيامة أو الظهور.

٢ ـ شفاء الأبرص، وفيها يتحول الأبرص الذي شفاه عيسى لدى لوقا عقب خطبة الجبل إلى عشر حالات.

٣ ـ تكثير الطعام، وفيها يصبح أربعة آلاف من الرجال الذين أطعمهم عيسى بسبعة أرغفة وبعض سمكات صغار، فأكلوا وشبعوا، ثم فاضت عن

---

(1) G . Traub, Die Wunder im N . T , S : 129 .

(٢) لوقا (٩ / ٣٢ ـ ٢٣).

حاجتـهم سبع سلال[1]، يصبـحون لدى لوقا خـمسة آلاف رجل، يطعـمهم عيسى بخمسة أرغفة وسمكتين فقط، ثم يتبقى منهم اثنتا عشر قفة[2].

٦ ـ وقائع التاريخ

تثبت وقائع التاريخ أمرين:

أولهما: عدم تحقق نبوءات العهد الجديد الإعجازية، ومن أمثلتها تنبؤ المسيح بعودته ونهـاية العالم في عصر الجيـل الأول من تلاميذه[3]. فقد مـضى تقريباً عشرون قرناً من الزمان، ولا يزال العـالم قائماً ولم يأت المسيح على الرغم من نهاية الموعد المضروب!!

كذلك تنبأ أغابوس بحدوث مـجاعة عامة في الأرض[4]، ولا يعرف العالم تاريخياً مجاعة بهذا القبيل[5].

والثاني: وقوع خلاف ما أنبا به العهد الجديد، وأمثلة لذلك تنبؤ المسيح بقتل ابني زبدي: يعقوب ويوحنا، وقد قتل يعقوب، أما يوحنا فمات في أفسس عام ٩٨ م[6].

وكذلك نبوءة عيسى بأن تلاميذه الاثني عشـر سيصحبونه في العالم الآخر، ويجلسون على اثني عشر كرسياً ليدينوا أسباط إسرائيل[7]، ومعلوم أن ذلك لن يحدث، إذ حلّ متياً محل يهوذا الخائن في قائمة أصحاب كراسي الإدانة.

(١) متى (١٥ / ٣٢ ـ ٣٨).

(٢) لوقا (٩ / ١٠ ـ ١٧).

(٣) متى (٢٤ / ٢٦ ـ ٣٤).

(٤) أعمال الرسل (١١ / ٢١ ـ ٢٨).

(5) H . Kraft, Die altkirchliche Prophetie, S : 251 - 252 .

(٦) جون طمسن وآخرون / قاموس الكتاب المقدس / ص: ١١١٠.

(٧) متى (١٩ / ٢٧ ـ ٢٨).

ب ـ الكتاب المقدس

ترى المسيحية في الكتاب المقدس كتاباً إلهياً لفظاً ومعنى، وأنه كتاب غير قابل للمساس أو الخطأ، إذ حتى حروفه وعلامات ترقيمه ـ كما يرى مارتن لوثر، وكما أعلن مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٦٦٥ ـ وحي موحى، بل إن كل الأعمال المصاحبة لنشأته وتدوينه وتحريره منذ تداوله مشافهة حتى مطالعته مطبوعاً هي أيضاً وحي وإلهام[١].

فهل تنطبق شروط الكتب الإلهية ومعاييرها على الكتاب المقدس المسيحي، مما يجعله جديراً بأن يكون كتاباً إلهياً ووحياً يستدل به على النبوة؟

هذا ما تستطيع الإجابة عنه نتائج فحص الكتاب المقدس بعهديه:

أولاً: العهد القديم

أعلنت المسيحية قبول العهد القديم وحياً إلهياً إلهامياً، ولم يكن هذا بالغريب عليها في بادىء الأمر، إذ ما هي إلا نحلة يهودية، لكن مثار العجب هو احتفاظ الكنيسة بالعهد القديم حتى اليوم كتاباً مقدساً لها، وذلك على الرغم من تفريغ مضمونه وتعطيل شريعته، التي عدها بولس نيراً وقيداً، ومن ثمّ نذر نفسه ـ كذلك مرقيون الذي عدّ نفسه تلميذاً مخلصاً لبولس ـ لمهمة تحرير المسيحية من العهد القديم.

وكذلك على الرغم من إقرار الكنيسة في مجمع الفاتيكان الثاني أن العهد القديم يشوبه عدم الكمال، وبعض الأمور الوقتية التي لا تصلح إلا في زمن مضى[٢].

(1) Henri Denzinger, Kompendium, S : 1256 - 1257 .

- TRE (6119 - 20, 57 , 17 / 566) .

- Lixikon der katholischen Dogmatik, S : 289 - 290 .

(2) H . Denzinger, Kompendium, S : 1259.

يدلنا ذلك على أن قبول المسيحية للعهد القديم بوصفه كتاباً إلهامياً لم يكن بدافع من كونه وحياً، بل لأسباب أخرى غير معلنة تتمثل في الحاجة العقائدية الملحة إلى البحث عن شواهد ومسوغات لدعاوى المسيحية؛ مثل: عيسى هو المسيح المنتظر، التجسد، الصلب والفداء، الجماعة المسيحية هي الشعب الحقيقي المختار من الله.

فإذا أضيف إلى تلك الأسباب موقف المسيحية من تقنين العهد القديم، لتبين أن معيار قبوله والاحتفاظ به لم يكن الدافع إليه ـ قط ـ مقتضيات الوحي أو الإلهام.

وتجدر الإشارة إلى أن كل المخالفات المذكورة ـ آنفاً ـ بصدد مناقضة العهد القديم معايير الكتب الإلهية تحسب على المسيحية كذلك، ويزيد عليها موقف المسيحية من التقنين، والمتمثل في:

١ ـ أسباب التقنين، ويرجعها هارناك إلى صراع الكنيسة مع مرقيون الذي كذّب كل السابقين؛ لأن الابن وحده هو الذي يعرف الآب، فعمدت الكنيسة إلى تبنّي نقيض قوله[1].

٢ ـ مراحل تكوين القانون، تعد أول محاولة لوضع قائمة للعهد القديم هي التي قام بها ميلتو الساردیسي في النصف الأخير من القرن الثاني، وفيها أورد اثنين وعشرين سفراً، فلما انعقد مجمع نيقية ٣٢٥ م أضاف إليها سفر يهوديت، وأضاف مجمع لوديسيا سفر أستير، وثبّت مجمع ترينت ١٥٤٦ م قائمة اثناسيوس التي تضم إلى جانب ذلك أسفار: يهوديت، طوبيا، باروخ، الحكمة، يشوع بن سيراخ، المكابيين الأول والثاني، وكذلك الأجزاء التي زادتها

(1) Adolf von Harnack, Marcion, S : 31 .

الترجمة السبعينية على سفري دانيال واستير.

٣ ـ صور القانون، وهو يكشف عن وجهات نظر مختلفة للكنائس حيال الأسفار القانونية الثانية وغيرها كسفر المكابيين الثالث؛ فهي تعطيها إما سلطة تساوي سلطة سائر الكتب المقدسة، وإما سلطة أقل، وإما لا وجود لأية سلطة على الإطلاق، على النحو الموضح في الباب الثاني.

ثانيا: العهد الجديد

استحوذ العهد الجديد منذ نشأته على سلطة ومرتبة تفوق سلطة العهد القديم، ويرجع ذلك إلى الاختلاف بين أسلوب الإعلان الذي كان بواسطة الأنبياء في القديم وبوساطة الابن في العهد الجديد[١].

وقد استلزم ذلك فحص العهد الجديد من زوايا ثلاث للوقوف على مدى صحة دعوى الوحي والإلهام:

أ ـ القانون

يعد البحث في نشأة قانون العهد الجديد وتكوينه من أعقد المشكلات العلمية لما يكتنفه من صعوبات منهجية ووثائقية ومنطقية تشمل جميع جوانب قضية القانون، وهي:

١ ـ أسباب تكوينه

ظلت الإجابة عن التساؤلات المحيطة بأسباب إدخال مجموعة من كتب العهد الجديد إلى قائمة قانون الكتاب المقدس المسيحي عسيرة حتى أواخر القرن التاسع عشر، حيث ألقى الضوء على ثلاثة عوامل أضحت مسلّمات لدى الباحثين، وهي: ـ

(1) TRE (6 / 29) .

أولاً: مرقيـون، إذ إن مرقيون بإعلانه أن كـتاب المسيحيـة الحق هو النسخة التي نقحها من إنجيل لوقا بالإضافـة إلى عشرة رسائل منقحة من رسائل بولس فتح الباب أمـام الكنيسة لتحديد قـانون كتاب مقدس لها، كي تحـاربه بسلاحه نفسه.

ثانيـاً: الغنوصيـة، رأت الكنيسـة في بعض الرؤى الغنوصيـة نذيراً يوجب اتخاذ تدابيـر وقائية ضـدها، وقد تمثلت تلك الرؤى في تنحـية العهـد القديم ورفضه، وكذلك تضمُّن الأناجيل التي بحوزة أتباع الغنوصية على بشارة المسيح التي هي مصـدر الخلاص، والتي خـصهم بها فـقط، وذلك في الفتـرة ما بين قيامته وصعوده إلى جوار الآب.

ثالثاً: المونتانستية، نسبت المونتانسـتية لنفسها الحق في امتلاك طريق الخلاص بالتلقي مباشـرة من الروح القدس، الذي أوحي لأنبيائها مـا بين أيديها من كتب، من ناحية أخرى شككت في بعض الأسفار؛ كرؤيا يوحنا والرسالة إلى العبرانيين.

٢ ـ معايير التقنين

وقد اخـتلفت معاييـر التقنين من كنيـسة لأخرى وانطوت على عـدم الدقة والانضباط، فقد عُـدّ ـ مثلاً ـ المضمون العقائدي للرسالة أحد مـعايير تقنينها، وهذا لا يفسـر أسباب تقنين بعض الخطابات الشـخصيـة كرسالة يوحنا الثـالثة ورسالة بولس إلى صديقه فيلمون.

كذلك شُدّد على رسولية المؤلف كمعيار معتبر للتقنين، وهذا لا يفسر تقنين رسائل بولس ويهوذا وأناجيل مرقس ولوقا ولم يكونوا رسلاً.

٣ ـ مراحل تكوين القانون

لإدراك أبعـاد التطور الكبيـر الذي مرت بـه مراحل تكوين القـانون من بين

عشرات الكتب والرسائل، يلزم تتبع مسار عملية الانتقاء التي استمرت قرابة ثمانية عشر قرناً من الزمان (قانون كنيسة الحبشة يرجع إلى ما بعد عام ١٩٥٩م)، وقد مرت عملية تكوين القانون بثلاث مراحل على النحو المبين في موضعه بالباب الثاني.

ب ـ السند

تمتاز مسألة سند العهد الجديد بالوضوح من ناحية عدم نسبة أي سفر منه إلى المسيح، ومن ثم فلا يمكن الاستدلال به على نبوته، ومن ناحية أخرى يكتنف الغموض والتضارب والاختلاف والتناقض نسبة أسفاره وإسناد كتاباته إلى من تحمل أسماءهم.

وقد بدأ الطعن في صحة هذا الإسناد مبكراً جداً، ربما من قبل أن تجف أحبار هذه المكتوبات، فقد أعلن مرقيون تلميذ بولس أن تلاميذ عيسى لم يكتبوا شيئاً على الإطلاق، وأن الأناجيل بصورتها المعروضة عليها من تزييف اليهود ووضعهم، أما أسماء الرسل التي تحملها الأناجيل فمزورة وغير حقيقية، وهذه الكتابات تتضمن بعضاً من كلمات الوحي الصحيحة. ومن ثمَّ فمن الواجب جمع هذه الكلمات لتأليف الإنجيل الصحيح منها.

ولم يمض وقت طويل حتى أعلن أوريجينيس استحالة نسبة «الرسالة إلى العبرانيين» إلى بولس بسبب اختلاف الأسلوب، وأعقبه ديونيسيوس الإسكندري حوالي عام (٢٤٧ ـ ٢٦٥ م) بالقطع بعدم صحة نسبة سفر الرؤيا إلى يوحنا.

ثم تتابعت الملاحظات وسهام الشكوك الموجهة إلى أسفار العهد الجديد من قبل آباء الكنيسة، إلى أن توجهت جهود علماء النقد التاريخي ونقد النصوص إلى دراسة العهد الجديد، تلك الجهود التي قادت إلى النتائج التفصيلية النهائية

التالية بالنسبة لأجزاء العهد الجديد:

١ ـ الأناجيل

تطرح فروض عـدة للمصـادر التي تشكلت منهـا الأناجيل الإزائيـة (متى، مرقس، لوقا): الإنجيل القديم، أو الشذرات، أو التقـاليد، أو الإفادة والتبعية، أو المصدران.

أما عن تاريخ ومكان وشخصية مؤلف الأناجيل، فهي كالآتي: ـ

ـ متى، مؤلفه مجهول الشخصية، ويرجع تأليفه إلى ما بين عامي ٨٠-٩٠م.

ـ مرقس، مؤلفه مجهول، ويحتمل أن يكون قد ألف ما بين عامي ٦٥-٧٠م.

ـ لوقا، ليس هناك ما يدل على شخصيته، ويرجع تأليفه إلى عامي ٨٠-٩٠م.

ـ يوحنا، ليس هناك ما يدل عليه، إلا أنه بكل تأكيد ليس يوحنا الرسول أو أحد تلاميـذه، لكنه عمل قام به أكثر من مـؤلف، وصدر في بيئة هلينستـية ما بين عامي ١١٠ ـ ١٣٠ م تقريباً.

٢ ـ سفر أعمال الرسل

لا يمكن الاهتداء إلى مؤلفه، ويعود تاريخ تأليفه ـ على وجه الاحتمال ـ إلى العام ٨٠ م أو قبله أو بعده بعشرة أعوام.

٣ ـ رسائل بولس، وتنقسم إلى:

ـ غير المشكوك في نسبتها إليه، وتشمل: الرسالة إلى رومة، الأولى والثانية إلى قورنتس، إلى غلاطية، الأولى إلى تسالونيقي.

ـ المختلف في نسبتها إليـه، وتشمل: إلى أفسس، إلى فيلبي، إلى قولسي، الثانية إلى تسالونيقي، إلى فيلمون.

ـ المقطوع بعدم نسبتها إليه، وتشمل: الرسائل الرعائية [الأولى إلى طيموتاوس، الثانية إلى طيموتاوس، إلى طيطس]، الرسالة إلى العبرانيين.

٤ ـ الرسائل الكاثوليكية

ـ رسالة يعقوب، كاتبها مجهول.

ـ رسالة بطرس الأولى، ترجع إلى ما بعد وفاة بطرس بزمن طويل، يحتمل ٨١ ـ ٩٦ م.

ـ رسالة بطرس الثانية، لا جدال في عدم نسبتها لجيل بطرس، يقترح عام ١٢٥ م.

ـ رسائل يوحنا الثلاثة، لا تحتوي على ما يخبر بظروف إنشائها وهوية كاتبها.

ـ رسالة يهوذا، ترجع إلى عصر ما بعد الرسل، ويقترح عام ٨٠ ـ ٩٠ م لتاريخ إنشائها.

٥ ـ رؤيا يوحنا، هناك افتراضان بشأن تاريخ التأليف أحدهما ٦٥-٧٠م، والثاني ٩١ ـ ٩٦ م، أما الكاتب فُيرجَّح أنه الغنوصي كيرنت.

جـ ـ النص

ليس من بين نصوص أسفار العهد الجديد التي تحويها مخطوطاته ـ بمكتبات العالم شرقه وغربه ـ نص واحد بخط مؤلفه نفسه، بل كلها إما نسخ من تلك النصوص أو نسخ النسخ لما خطته يد المؤلف، إذ فُقِد النص الأصلي مبكراً جداً، لذلك لم يتَّهم مرقيون بتحريف نص العهد الجديد، ولم يستند أحد إلى النسخ الأصلية من النص لكشف التبديل وإثبات الفروق.

ويقسم علماء نقد النصوص نسخ مخطوطات العهد الجديد المتوافرة إلى أربع مجموعات تجمعها عناصر الشبه، وإن كانت تختلف فيما بينها عدة ألوان من

الاختـلافات، تـشمل قـواعد النحـو والصرف، والألفـاظ، وترتيب الكلام، ومعاني الفقرات والجمل، وأخطاء الإملاء والنقل، وهذه المجموعات هي:

١ ـ النص الإسكندري.

٢ ـ النص الغربي.

٣ ـ نص قيصرية (فلسطين).

٤ ـ النص الشائع (العام) Koine

وتنطوي مـسألة نص العـهد الجـديد ليس على عدم وجـود النص الأصلي فقط، بل إن النص الذي قننته الكنائس وعدّته وحياً وإلهاماً لا يعرف أحد حتى اليوم هل هو: النص الشائع، أم نص قيصرية، أم النص الإسكندري، أم النص الغربي؟

وتفضي نتائج الفحوص السابقة إلى القول مع العلامة ريتشارد سيمون: «من البعيـد جداً أن يسمح المرء لنفسه بالاعتـقاد أن الطريق الطبيعي والأكيـد لتقرير مسـائل الاعتـقاد هو الرجـوع إلى الكتاب المقـدس، بل على العكس من ذلك سيجد المرء في هذا المؤلَّف أن الاعتماد على الكتاب المقدس وحده سيجعل من المستحيل الحصول على شيء مؤكد في أمور الدين»[1]. فالكتاب المقدس ـ كما يقول سملر ـ ليس هو كلمة الله[2].

ولم تعد هذه النتيـجة مجرد استنتـاجات علمية فقط، بـل ترتب عليها بناء اعتـقاد جديد لدى مفكري المـسيحيـة، ذلك الذي يلخصه هانز كـينج بقوله: «توافـرت الدلائل في القرنين الأخـيرين بشـكل لم يسبق له مـثيل على عـدم

(1) W . G . Kummel , Das N . T: Geschichte der Erforschung Seiner Problem, S : 43

(٢) السابق / ص ٧٤.

إلهاميـة أسفار الكتاب المقدس، بل وتخـمتها بالمغالطات والأخـطاء الشائنة لها كعمل أدبي، وهذا ما لا يستطيع عاقل اليوم أن ينازع فيه»[1].

ثم يضيف: «ولأن هذا الكتاب كذلك، فـأنا لا أعتقد بإلهاميته ولا بـحقيقة الدعوة التي يروج لها»[2].

أما دلائل النبـوة في الإسلام، فتخـتلف جملة وتفصـيلاً عنها في اليـهودية والمسيحية، إذ تكاد تشكل عِلماً مسـتقلاً في مناهجه ومصنفاته ورجاله، لما هي عليه من غزارة وكثـرة ووضوح يناسب طبيعة الرسالة الإسلاميـة كرسالة شاملة جمـيع الأمم، وكرسالة خاتمة يـرتفع صوت الوحي من بعدها لبلوغ الإنسـانية حداً من الكمـال، يمكنها معـه تلمس طريق الهداية بمفردها اسـتناداً إلى ما بين أيديها من تعاليم وهدى الرسالة الخاتمة.

وتمتاز دلائل النبوة في الإسلام ـ فضلاً عن ذلك ـ بسمات وخصائص منها:

أولاً : يعجز غير الأنبياء عن معارضتها.

ثانياً: أنها مختصة بالنبي وحده؛ لأنها دليل نبوة والدليل مستلزم لمدلوله.

ثالثاً : سلامتها من التناقض.

رابعاً: لا تكون إلا خارقة للعادة.

خامساً: خارجة عن مقدور من أرسل الأنبياء إليهم، وهم الجن والإنس.

سادساً: ليس من شروطها استـدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته وإن خلت من هذين القيدين، كالبشارات بمحمد ﷺ.

وتقود دلائل النبوة في الإسلام إلى العلـم بصدق دعوى النبوة ممن تقع على

(1) Hans Kung , Christ Sein, S : 55 .

(٢) السابق / ص ٤٥٧.

يديه هذه الدلائل، وهذا العلم الحاصل بصدق النبوة يمتاز بسمتين تخلعان عليه درجة المعرفة اليقينية، وهما:

١ ـ القطع، أي أنه علم قطعي الدلالة والتصديق.

٢ ـ أنه علم ضروري، يقع لكل عاقل بالضرورة.

وهذا العلم الضروري القطعي يستفاد من طرق توصل إلى صحة اليقين عند من لم يشاهد هذه الدلائل كمن شاهدها ولا فرق، منها:

الطريق الأول: التواتر العام

إذ تواترت هذه الدلائل لدى الأمة جيلاً بعد جيل أكثر من تواتر كثير من أحكام الشريعة.

الطريق الثاني: التواتر الخاص

وذلك كتواترها لدى طائفة المحدثين، وهم أكثر الناس عناية بالحديث وتحرى الصدق فيه.

الطريق الثالث: التواتر المعنوي

وهو اشتراك عامة الناس في معرفة أخبار وحكايات يجمعها أمر واحد، كالأخبار التي تتضمن شجاعة عنترة، وسخاء حاتم، وعدل عمر، وزهد الحسن، فمجموع تلك الأخبار يوجب العلم بهذا الأمر، وإن كان كل خبر على حدة قد لا يفيد العلم لعدم نقله بالتواتر، ومعلوم أن دلائل نبوة محمد (أضعاف ما ينقل عن هؤلاء ونقلتها أجلُّ من نقلة أخبار هؤلاء.

الطريق الرابع: الإقرار والتصديق

ذلك أن تلك الدلائل كانت تقع على مرأى ومسمع الآلاف، وكان المشاهدون ينقلونها، فيصدق بعضهم بعضاً دون إنكار من أحدهم، أو تواطؤ.

الطريق الخامس: النقول المتواترة لطوائف العلماء

فما من طائفة من طوائف العلماء إلا وقد تواتر عندها من الدلائل ما فيه كفاية، وذلك مثل ما تواتر لدى المفسرين، وكتاب السير والمغازي والمؤرخين، والفقهاء، والمتكلمين.

الطريق السادس: مصنفات دلائل النبوة

وهي كثيرة تذكر آياته وبراهين نبوته، وفيها يهتم أصحابها بتمييز الأسانيد والطرق ومعرفة الصحيح من غيره.

ونظراً لكثرة دلائل النبوة في الإسلام وغزارتها، اجتهد علماؤه في تصنيفها وتقسيمها، حتى يسهل الإلمام بها، ويُعدُّ تصنيف الماوردي أفضل تلك التقسيمات، وسوف نعرضها وفق ذلك التصنيف على النحو الآتي:

أولاً: القرآن الكريم

وهو برهان نبوة محمد ﷺ الساطع، وأظهر علامات النبوة على الإطلاق، لأسباب أربعة لم تجتمع لمعجزة أو لدليل نبوة في تاريخ الدين والإنسانية، وهي:

١ ـ فيه اجتماع الوحي المدَّعى والدليل المعجز على النبوة معاً.

٢ ـ أعجزت معجزات الأنبياء السابقين فئات بعينها؛ كالسحرة زمن موسى والمطببين زمن عيسى عليهما السلام، أما القرآن فقد أعجز أمة من الفصحاء بأكملها، ناهيك عن الجن وغير الفصحاء من الأمم سوى أمة العرب.

٣ ـ توجهت معجزات السابقين إلى الحواس فقط، أما القرآن فيخاطب العقل البشرى بعد أن بلغ مرحلة رقيه وتمدنه.

٤ ـ خلود المعجزة القرآنية على مدار الأعصار وانتشارها في جميع الأقطار.

ويدل القرآن على نبوة محمد ﷺ بطريق الاضطرار من وجهين:

الوجه الأول: من حيث الجملة، وطريقه العلم بأن محمداً ﷺ ظهر بمكة، وادعى النبوة، ونزل عليه القرآن، وأنه جعله دليلاً على نبوته، وتحدى به العرب الذين هم غاية الفصاحة والبلاغة، وهذه الأمور معلومة بالاضطرار، لا وجه فيها للاستدلال. ولما كان العرب وغيرهم قد عجزوا عن إجابة التحدي الذي دعاهم إليه النبيّ بمعارضة القرآن، فإنه يقطع بدلالة القرآن على النبوة.

الوجه الثاني: من حيث التفصيل، وطريقه النظر والمعرفة والتحصيل والمدارسة، التي تكشف عن نواح متعددة من نواحي الإعجاز القرآني تغطي جميع مجالات عمل وسائل المعرفة الإنسانية، ويمكن تلخيص هذه النواحي فيما يلي:

أ ـ الإعجاز البياني

ويشمل الإعجاز البياني إعجاز القرآن من حيث: اللفظ، المعنى، النظم، التصوير الفني.

ب ـ الإعجاز الإخباري

ويتجلى الإعجاز الإخباري في المجالات التالية: قصص السابقين وأخبارهم، الغيبيات: كالجنة والنار والمعاد وخلق العالم والإنسان، التنبؤات بالأمور المستقبلية.

جـ ـ الإعجاز التشريعي

ويقوم الإعجاز التشريعي في القرآن على الاعتدال والوسطية، وإلى جانب ذلك تبرز وجوه أخرى؛ منها: المرونة، الشمول، اليسر.

د ـ الإعجاز العقلي

ويتجلى وجه الإعجاز العقلي في القرآن في خطابه العقل على نحو

يستصرخ الفهم والفكر، ويشركه مع العواطف والإحساس في إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية. وذلك باشتماله عناصر ثلاثة شكلت جوهر خطابه العقلي، وهي: خلوُّه من التناقض والاختلاف، طريقته في الاستدلال بالبراهين والموازين والدلائل العقلية، ما اشتمل عليه من أصول المعارف والنظريات والمباحث.

هـ - الإعجاز العلمي

وتتعدد نواحيه لتشمل معظم مجالات العلم: كالفلك والطب والجيولوجيا والزراعة وعالم النبات والحيوان والتناسل والاقتصاد والتجارة والتاريخ والحضارة والبحار... إلخ، حتى بات من المؤكد أن: «القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث»[1].

ثانياً: المعجزات

وهي كل فعل خارق لعادة البشر مما يعجزون عن الإتيان بمثله، ولا يُقْدر الله عليه إلا الأنبياء.

وقد أوتي محمد ﷺ من المعجزات وجُمع له من الآيات ما لم يُجمع لأحد من الأنبياء قبله، إذ لم يُعْط نبيٌّ معجزة إلا أعطي محمد مثلها أو ما يقابلها أو أوضح منها[2].

وتعرضت معجزات النبي ﷺ لموجة من التشكيك والإنكار من قبل طائفة من القدماء والمحدثين، الذين تبلور موقفهم في اتجاهين:

أولهما: القول باستحالة المعجزة؛ لكونها قَدْحاً في العقل، وإنكاراً

(١) موريس بوكاى / القرآن والتوارة والإنجيل والعلم / ص: ١٣.

(٢) القرطبى / الإعلام / ص: ٣٤٨.

لبديهياته، ورفضاً لقوانين الطبيعة، ومن ثم فهي ليست دليلاً على صدق خاتم الرسل[1].

وقد أجيب على ذلك بأن وقوع المعجزة ممكن عقلاً، وأن وقوعها لا يتضمن محُالاً كالجمع بين النقيضين أو الدور أو التسلسل، وأن القوانين الطبيعية ليست قوانين ضرورية هندسية، كما أن تصور وقوع المعجزات ليس بأصعب من تصور وجود العالم عند من لم يشاهده.

والثاني[2]: تقسيم معجزات النبي ﷺ قسمين:

القسم الأول: ما هو إلا صدى مضخَّم لمعجزات منسوبة إلى الأنبياء السابقين، وذلك مثل تخلل الماء من بين أصابع النبيّ، ذلك الذي يذكّر بتفجير موسى الماء من الصخر، ومثل ردّه الشمس لما فات وقت الصلاة، على غرار إيقاف يشوع الشمس مدة يوم كامل.

أما القسم الثاني: وهو سائر المعجزات التي لا شبه بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين، فهي أثر لنزعة متأصلة في مختلف الحضارات العتيقة تعرف بالكونية «Cosmologie»، وفيها يتصل الإنسان بالقوى الغيبية والطبيعية اتصالاً وثيقاً، لا معنى فيه للمفارقة الإلهية وجريان الطبيعية حسب قوانين خاصة.

ويصطدم هذا التوجه بحقيقة تاريخ ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية الذي يسبقه بكثير تاريخ تدوين السنة والتصنيف المنهجي فيها، كما أنه يصطدم بطبيعة الإسلام عامة كدين ربانيّ، وكذلك بطرق تلقي الأخبار وجمعها لدى المسلمين على وجه الخصوص، إذ أفرد لها علماؤهم المصنفات، وأسسوا علماً

(١) إبراهيم مدكور / في الفلسفة الإسلامية / ص: ٩٦ ـ ١٠٧.

حسن حنفي/ من العقيدة إلى الثورة (٤ / ٦٧ ـ ٨٠).

(٢) عبد المجيد الشرفي / الفكر الإسلامي في الرد على النصارى / ص: ١٧٥ ـ ١٧٦.

في تتبع وفحص أحوال رواة الأخبار ونَقَلَتِها، هو علم الجرح والتعديل، الذي لم تعرفه أمة أخرى قبلهم.

ويضاف إلى ذلك أن ما يحتج به المسلمون من معجزات نبيّهم قد نقله الجمهور الغفير ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، واشتهر بين المسلمين، ودوِّن في كتب طوائف علمائهم المختلفة متواتراً يفيد العلم اليقيني من طرق عديدة.

فالمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ نقلت على أضرب ثلاثة:

أولها: المتواتر أو المستفيض، والعلم بصحته إما باضطرار أو استدلال.

الثاني: ما ظهر واشتهر ويعلم ببعض الطرق التي منها تعلم صحة الأخبار.

الثالث: ما نُقِل نقل الآحاد، وهو إما أن يقترن به ما يوجب العلم بمضمونه، أو ينفرد خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه، فهو أمارة توجب الظن ولا تقتضي العلم، لكن إذا تطاول عليه الزمن فلم يُعارض بمخالفة أو ردٍّ، ثم تكرر ما في معناه مما يوافقه صار المجمل متواتراً وإن كان الأفراد آحاداً.

ولما كانت معجزات النبي ﷺ قد استغرقت جميع أنواع المعجز مما يضيق المقام عن استيعابه سيكتفى بالإشارة إلى أنواع معجزاته، حسب التقسيم التالي:

١ ـ معجزات القرآن، وتشمل:

- الوقائع: مثل انشقاق القمر، الإسراء والمعراج، تحدي اليهود بتمنّي الموت، كفاية المستهزئين، تأييد النبيّ ﷺ بالملائكة.
- التنبؤات المستقبلية: مثل التنبؤ بانتصار الروم على الفرس، التنبؤ بموت الوليد بن المغيرة وأبي لهب كافرين، تنبؤ النبيّ ﷺ بالعودة إلى مكة بعد الخروج منها، تنبؤه بدخول المسلمين المسجد الحرام آمنين، تنبؤه بتمكين المسلمين واستخلافهم في الأرض.

٢ ـ معجزات في كتب السنة، وتشمل جنسين:

الجنس الأول: المعجزات الفعلية، وهي المتعلقة بالتأثير في الكائنات؛ إما من جـهة النبيّ أو من فـعل الله الذي لا يكون فـيـه تأثير للـنبي بحال؛ كـإهلاك الأعداء، وتذليل النفوس لمحبة الأنبياء.

ويضم هذا القسم أنواعاً كثـيرة، كالتأثير في الأحياء، والتـأثير في الجماد، وتكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابع النبيّ ﷺ.

الجنس الثاني: المعجزات القولية

وهي صنفان: إمـا إخبار بـغيب ماضٍ أو حـاضر أو مسـتقبل، وإمـا دعاء تلتمس به الحاجات من الله تعالى، ويستجاب هذا الدعاء على الفور ودائماً.

ثالثاً: البشارات

وهي إخبار الأنبيـاء والرسل المتقدمين ـ في كتبهم ـ عن النبي تبشيـراً ببعثه، وهذه الأخبار تعد عديمة الفائدة في مجـال الاستدلال على نبوة محمد ﷺ مع غير اليهود والنصارى، المقرين بإلهامية الأسفار موضع هذه الأخبار، لكنها تُعدُّ ضرورية لأسباب أخرى، منها:

١ ـ الحاجـة إليها في الرد على دعـوى أهل الكتاب بأن الكتـاب المقدس لم يبشّر بمحمد ﷺ [(١)].

٢ ـ أن النبيّ (قـد استـدل بهذه الأخـبار التي نصّ القـرآن على ورودها في الكتاب المقدس، كمـا في قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[(٢)].

---

(1) Adel Theodor Khoury, Der Theologisch Streit, S : 36 .

(٢) الصف / ٦.

٣ـ تَعلُّق هذه البشارات بعلم الغيب الذي لا يطلع الله عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول؛ لذا فهي برهان نبوة.

٤ ـ دخولها في باب الإلزام لليهود والنصارى (الذين أُرسل محمد إليهم كذلك)؛ لكون الأنبياء الخبيرين بعلامات النبوة قد بشروا به قبل مجيئه ﷺ.

وقد تضافرت جهود علماء الإسلام ومسلمة أهل الكتاب في استخلاص البشارات من نصوص الكتاب المقدس، فإلى جانب المؤلفات المستقلة في هذا الحقل، فإن كتاباً من كتب دلائل النبوة لا يكاد يخلو بحال من البشائر والتعليق عليها، كذلك المصنفات في مجال مقارنة الأديان باعتبار نبوة محمد ﷺ من موارد النزاع بين الإسلام والمسيحية.

إلا أن مطعناً قد وُجّه إلى موضوع البشارات بمحمد ﷺ، مؤداه أن المسلمين قد عمدوا إلى التعسف والتأويل في قراءة نصوص الكتاب المقدس وتطبيقها على نبيّهم، على أنها رموز وإيحاءات أو تصريحات به ﷺ، أو أن المسلمين قد استدلوا بنصوص غير موجودة في متن الكتاب المقدس، أو أنهم يتصرفون في ترجمتها على غير ما يراد بها[1].

ولم يقم مثل هذا المطعن على تتبع دقيق بالفحص والدراسة للبشارات، بل لا يعدو كونه اتهاماً عاماً، إذ يجب الأخذ في الحسبان أمور، منها:

١ ـ ليس كل ما أخبرت به الأنبياء السابقين محمداً ﷺ قد وصلنا، وأن نسخ الكتاب المقدس ليست واحدة أو متفقة لا اليوم ولا في الماضي القريب أو البعيد، ومن ثم فليس بمستغرب أن يقف قدامى علماء المسلمين أو مُحْدثوهم

(1) Adel Theoder Khoury, Der Theologische Streit, S : 36 .

وانظر بالعربية: مقدمة المستشرق S . A . Wiston لكتاب مسالك النظر / ص ١٥، بمقدمة تحقيق الدكتور محمد الشرقاوى لكتاب مسالك النظر.

على نصوص كتابية فيها التصريح باسم النبيّ.

٢ ـ إن علماء الإسلام قد اختلفوا بسبب اختلاف نسخ الكتاب المقدس: هل ورود ذكر النبيّ في الكتاب المقدس بالرمز والإشارة أم بالنص والتصريح بالاسم؟

٣ ـ الطابع العام للبشارات أن تكون على الأكثر بالرمز، مما يقتضي التأويل والتفسير، وهذا يكون في العادة محلاً للخلاف بين الفرقاء.

٤ ـ كان اليهود والنصارى ينتظرون بالفعل نبياً بشرت به كتبهم، وليس هناك ما يمنع كون محمد ﷺ هو المبشَّر به إن تصريحاً أو تلميحاً.

٥ ـ حجز اسم «محمد» للنبيّ العربي على ذلك النحو المعجز يجوز أن يكون لحكمة تبشير الكتب السابقة به، فلم يَتَسمَّ به أحد من قبل حتى لا يحدث لَبْس أو اختلاط.

ويستخلص من هذه المقدمات الخمس تبشير الأنبياء السابقين بمحمد (في مواضع متعددة يمكن تصنيفها حسب التقسيم التالي:

أ ـ البشارة باسمه، ويتمثل ذلك في البشارة بالباراقليط الواردة في أربعة مواضع من إنجيل يوحنا، وهي اسم أو صفة لنبيّ يبشر به المسيح يأتي من بعده تنطبق أوصافه على نبيّ الإسلام، إذ تعني الكلمة ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية أي المشهور والممجَّد[1].

ب ـ البشارة بصفته، وذلك كبشارة أشعيا (٤٢ / ١ ـ ٤) التي يعلّق عليها ابن القيم قائلاً: «فمَنْ وُجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؟ فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبياً جمع هذه

(١) عبد الأحد داود / محمد في الكتاب المقدس / ص: ٢١٦.

الأوصاف كلهـا ـ وهي باقية في أمته إلـى يوم القيامة ـ غيـره، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً»[1].

جـ ـ البشارة بمَخْرجه، كالذي جاء في سفر التثنية: «أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وسطع من جبال فاران»[2]. ففاران هي مكة كما تقول التوراة، وتشير الآية في رأي جمهور مستخرجي البشارات إلى إنزال التوراة في سيناء والإنجيل في فلسطين والقرآن على محمد ﷺ في برية فاران، ويربط ابن تيمـية بينها وبين قوله تعـالى في القرآن: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾[3] إذ يقـسم الله تعالى بـالأماكن الثـلاثة التي أنزل فيها الوحي[4].

د ـ البشـارة بمبعثه، حـيث يقول الرب لموسى: «سأقيم لهم نبـياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به، وأيّ رجل لا يسمع كلامي الـذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسـبه عليه»[5]. فهي تنطبق على محمد ﷺ من وجوه عديدة.

هـ ـ البشارة بصفة أمته، كالذي ورد في سفر أشعيا (٤٢ / ٩ ـ ١٢) حيث يخبر عن امتلاء أرض قـيدار بتسبيح الرب تسبيحـة جديدة، وقيدار هو ابن من أبناء اسماعيل، وباسمه تسمى بلاد العرب.

---

(١) ابن القيم / هداية الحيارى / ص: ١٥٣.

(٢) التثنية (٣٣ / ٢).

(٣) التين / ١ ـ ٣.

(٤) ابن تيمية / الجواب الصحيح (٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٤).

(٥) التثنية (١٨ / ١٨ ـ ١٩).

رابعاً: أخلاقه وسيرته ﷺ.

وهذا المبحث تنفرد به دلائل النبوة في الإسلام؛ إذ لم يسبق قبل مبعث محمد ﷺ أن كان الكمال الخلقي دليلاً على النبوة، لكن مشروعية هذا المبحث بل وضرورته تقتضيها في الإسلام أسباب عدة منها:

١ ـ نصُّ القرآن الكريم على كمال أخلاقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]. كذلك إشارته إلى أن هذا الكمال سبب في تأليف القلوب حوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢].

٢ـ تكامل الأخلاق أمر معجز.

٣ ـ تكامل الأخلاق موجب للصدق، والصدق موجب لقبول القول، وجماع الكلام في النبوة الخبر.

٤ ـ في تفصيل وبيان وإثبات كمال خلقه ﷺ أبلغ رد على دعوى النصارى واتهامهم النبيّ بمساوىء الأخلاق التي تسلب شرف النبوة.

٥ ـ أن كمال أخلاق المصطفى ﷺ كان دليل النبوة القاهر الذي ألزم الكثيرين الإيمان بنبوته وتصديقه في دعواه، أمثال: خديجة وأبي بكر وعليّ رضوان الله عليهم جميعاً.

وتشتمل مجالات الكمال الأخلاقي التي يستدل بها على نبوة محمد (على ثلاثة مجالات:

١ ـ كمال الخصال والأوصاف.

٢ ـ فضائل الأقوال.

٣ ـ فضائل الأعمال.

(١) القلم / ٤.

(٢) آل عمران / ١٥٩.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستدلال على صدق دعوى محمد ﷺ النبوة بجميل سيرته وكمال أخلاقه لم يكن قاصراً على من آمن به من بين قومه من العرب، بل إن هرقل ملك الروم يعد أشهر من استدل على نبوة محمد ﷺ بعاطر سيرته وكمال أخلاقه، وذلك في الحوار الطويل الذي أجراه مع أبي سفيان، ورواه الشيخان وأصحاب المسانيد والصحاح.

وهكذا يمكن القول بأن الاختلاف الكبير بين دلائل النبوة في الإسلام من جهة وفي اليهودية والمسيحية من جهة أخرى يكمن في العلم اليقيني الضروري الحاصل بكل منهما، فبينما تقوم عوامل انقطاع السند واضطراب المتن وتناقضه ومخالفته مقررات العقول، ومصادمته معطيات العلوم دون بلوغ دلائل النبوة في اليهودية والمسيحية درجة العلم اليقيني الذي تثبت به النبوة، نجد الضرورة تلزم بحصول هذا العلم من جهة دلائل النبوة في الإسلام لعكس الأسباب المذكورة، وذلك باتصال السند وصحة المتن وموافقته مقررات العقول، وتوافقه مع معطيات العلوم النظرية والتجريبية.

* * *

الخــاتــمـــة

تستوجب التقاليد العلمية تسجيل خلاصة مختصرة ومركزة لأهم وأبرز الآراء والنتائج التي تقود إليها البحوث.

ولعل أهم ما سجلته هذه الدراسة هو اختلاف منطلق التصور اليهودي والمسيحي من جهة، والتصور الإسلامي من جهة أخرى حول معظم نقاط المحاور الثلاثة التي تناول البحث فيها قضية المعتقدات الدينية للغرب، وذلك على النحو التالي:

١ ـ المحور الأول: طبيعة النبوة

وفيه تبين ما يأتي:

أولاً: عدم وجود مفهوم واضح ومحدد للنبوة في اليهودية والمسيحية، مما أدى إلى الخلط بين النبوة وظواهر أخرى كالكهنوت والعرافة في اليهودية، وإلى سحب النبوة على جميع المؤمنين بعيسى المصلوب في المسيحية.

وبقي مفهوم النبوة جامعاً مانعاً في الإسلام لا يدخل فيه من ليس منه ولا يخرج منه من هو فرد فيه.

ثانياً: في الوقت الذي تتصف فيه عقيدة النبوة في الإسلام بالوضوح والبساطة فيما يتعلق بوسيلة الوحي وطبيعة الدعوة ومنهجها، نجد النبوة في اليهودية والمسيحية ظاهرة معقدة غامضة لتَفَتُّت وظيفة النبي بين الفئات والجماعات المتعددة، والتي اختص كل منها بوسائل في تلقي الوحي تخالف ما لدى الجماعات الأخرى من وسائل، وكذلك الأمر في مهمة الأنبياء وأسلوب عملهم.

ثالثاً: تسيطر العنصرية على مفهوم النبوة في اليهودية، إذ النبوة فيها أمر اختص الله بها شعبه المختار دون غيرهم من البشر، وعلى هذا الأساس تم تقنين مراتب النبوة في اليهودية، وتسيطر العنصرية على مفهوم النبوة في المسيحية، لكن بشكل آخر أوسع، فالنبوة ممكنة لكل الشعب المؤمن بالرب يسوع المصلوب لأجل العالم.

أما الإسلام فيضع الأنبياء جميعاً في قافلة واحدة هدفها حمل رسالة التوحيد إلى بني البشر دون التفرقة بين شعب وشعب، أو بين نبيّ ونبيّ، إلا على أساس من طبيعة التكليف ومنهج الأداء والصبر في التحمل، ومن ثم فنظرته للنبوة عامة كلية تشمل جميع الأنبياء والمرسلين.

رابعاً: بينما تظل النبوة في الإسلام هبة واصطفاء، فلا ينالها إلا من اختاره الله رسولاً أو نبياً، فإن النبوة في اليهودية والمسيحية تنال كذلك بالمدارسة والتعليم كما في جماعة بني الأنبياء في اليهودية، وتنال بالانتخاب والاقتراع كما تَمّ في جماعة رسل المسيح الذين قاموا بانتخاب بديل ليهوذا الخائن.

خامساً: تطرف اليهود والنصارى في الأنبياء، فنسب اليهود إليهم ما تأنف منه الطباع الكريمة من جرائم أخلاقية واجتماعية دنيئة، وما لا ترضى به الفِطَر السليمة من كفر وإشراك برب العالمين. وجاء النصارى على الطرف المقابل لغلو اليهود، فخصوا المرسلين، خاصة رسل المسيح، بمعجزات فاقت معجزات مرسلهم نفسه، وجعلوهم أصحاب اثني عشر كرسياً يدينون من فوقها أسباط بني إسرائيل يوم القيامة.

أما المسلمون، فلم يصفوا الأنبياء إلا بما وصفهم به ربهم العليم بهم في كتابه الكريم أو سنة نبيه الخليل ﷺ.

٢ ـ المحور الثاني: الكتب المقدسة والمعجزات

وفيه اتضح التالي:

أولاً: عجز معجزات العهد القديم عن إثبات نبوة من نسبت إلى وقوعها على يديه، وذلك بمخالفتها لما تواضع عليه علماء اليهودية، ومفكروها ورابيوها من شروط للمعجزة، وكذلك بمخالفتها مطالب العقل ومعطيات العلم.

ثانياً: العهد القديم أكثر عجزاً عن إثبات نبوة أحد من أنبيائه المذكورين، كباراً كانوا أم صغاراً، وذلك بسبب:

١ ـ الاختلاف والتفاوت الكبير في أعداد وحجم الكتب المقدسة التي تضمها قوانين الكتب اليهودية ما بين العبرانيّ والسبعينيّ والسامريّ والصدوقيّ والقُمرانيّ، ذلك الاختلاف الذي يحول دون إمكان القطع بقائمة الكتب الصحيحة الموحي بها إلى الأنبياء المراد إثبات نبوتهم بها.

٢ ـ الفوارق التي لا تحصى كثرة ما بين نصوص نسخ العهد القديم مما يستحيل معه الوقوف على النص الأصلي.

٣ ـ انقطاع سند العهد القديم، فلا يمكن إلا إرجاع نصوص قليلة إلى بعض الأنبياء، لكنها لا تنهض دليل نبوة نبيّ معيّن.

٤ ـ تعارض نصوص العهد القديم مع معطيات العلم الحديث في الجوهر والتفصيلات.

ثالثاً: إن المعجزة مشكلة المسيحية الكبرى، فهي ليست عاجزة عن القيام بإثبات النبوة فحسب، بل يجب التخلّي عنها تماماً إذا ما أريد ـ على حد تعبير ماكس بلانك ـ الإبقاء على قيمة ما للمسيحية في العالم المعاصر؛ وذلك ـ بالطبع ـ لمصادمتها معطيات العلوم ومقررات العقول، ولا يستثنى من ذلك

إلا معجزات معدودة وردت في سياق الحديث عن المسيح التاريخي.

رابعاً: إن الاعتماد على الكتاب المقدس في إثبات النبوة في المسيحية يستحيل معه الحصول على شيء مؤكد في أمور الدين، فمن البعيد جداً ـ كما يقول ريتشارد سيمون ـ أن يسمح المرء لنفسه بالاعتقاد أن الطريق الطبيعي لتقرير مسائل الاعتقاد هو الرجوع إلى الكتاب المقدس، وذلك لأن الكتاب المقدس ليس هو كلمة الله؛ لما توافر من الدلائل في القرنين الأخيرين بشكل لم يسبق له مثيل على عدم إلهامية أسفاره وتخمتها بالمغالطات والأخطاء الشائنة لها حتى كعمل أدبي.

خامساً: تمثل دلائل النبوة في الإسلام الجدار الصلب والأساس الثابت المتين الذي تستند إليه النبوة، وذلك بما تحويه من براهين يقينية قطعية الدلالة على صحة النبوة ودعوى الوحي، لتواترها تواتراً عاماً وخاصاً ومعنوياً؛ وتلقيها بالإقرار والتصديق ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب؛ وتأييد وقائع التاريخ لها.

وهذا فيما يختص بالمعجزات التي انصرم زمنها كمعجزات السابقين من الأنبياء.

أما المعجزة الفريدة التي انفرد بها النبيّ ﷺ عن غيره ـ كدليل وبرهان وآية على صدق نبوته ـ فهي القرآن الكريم، الذي إلى جانب ما تضمَّنه كغيره من دلائل النبوة في الإسلام من براهين يقينية قطعية الدلالة على النبوة، فإنه امتاز عليها، بله على سائر آيات الأنبياء، بأنه المعجزة الحية الباقية الخالدة ما دامت السموات والأرض، التي تسفر كل يوم عن وجه جديد وفريد من وجوه إعجازها العلمي في شتى مجالات العلوم والمعرفة الإنسانية، تلك المعرفة التي ثبت توافقها التام مع إشارات القرآن إلى حقائق الكون والإنسان والعلوم.

مما يجعل دلائل النبوة في الإسلام تشكل الضامن الأمين للبشرية في اتباعها لنبيّ الإسلام ونبوته الثابتة بدلائل علمية برهانية تلبي مطالب العقل والروح والجسد والفطرة والحس الإنساني.

ومرجع ذلك إلى الهيمنة الكاملة للوحي المعصوم على النبوة ودلائلها في الإسلام، تلك الهيمنة التي تجعل من الإسلام المخرج الطبيعي والوحيد لأزمة الإنسانية المعاصرة.

٣ ـ المحور الثالث: أهم قضايا الاعتقاد

وفيه تبين من خلال القضايا السبعة التي تناولناها ما يلي:

أولاً: أن مشكلة أدعياء النبوة ممن عُرفوا بـ «الأنبياء الكذبة» باتت تهدد مؤسسة النبوة في اليهودية والمسيحية، مما استدعى وضع معايير ومقاييس لمحاولة الوصول بها إلى التفرقة بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة، لكن ثبت أن هذه المعايير عاجزة عن القيام بهذا الغرض، بل الركون إليها كإبحار في محيط بلا شطآن دون مرشد أو ربّان، وأن إمكان التفرقة لا يتأتى إلا عن طريق وحي معصوم تالٍ لهما، ذلك الوحي الذي شيَّد ديناً لم ينأ فقط عن تلك البلبلة، بل جاء بالمعايير الدقيقة والموضوعية للفصل في قضية النبوة في اليهودية والمسيحية.

ثانياً: تناقض اليهودية والمسيحية في مسألة ختم النبوة، فكل منهما تزعم لأنبيائها الختم، ثم تصرح بترقب المنتظر الذي يحمل صفات الخاتم نفسها، ولم يكن ذلك إلا أثر من آثار العنصرية التي تروم احتكار شرف الخاتم وحجب فضيلته عن الأمم الأخرى وذلك بدوافع سياسية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أياً منهما لم تحظ بسمات الدعوة الخاتمة التي تلبي مطالب العقل

والروح والجسد والفطرة والحس الإنساني بما تتضمنه من شرائع وأخلاق وعبادات وعقائد وعلوم ونظم، فذاك كان من نصيب الإسلام الذي أعلن رسوله أنه خاتم الأنبياء، وجاء إعلانه مؤيداً بمناقب رسالته.

ثالثاً: أن عقيدة المسيح الكيرجماتي ما هي إلا محاولة فلسفية لتبرير اختفاء عيسى عليه السلام، لا دليل عليها من الكتب السماوية أو صريح المعقولات البشرية، كما أنها مجهولة بالنسبة لمعاصري عيسى عليه السلام.

رابعاً: أن المسيح النبي عقيدة أصيلة في جماعات معاصري المسيح، وكذلك فى بعض طبقات العهد الجديد مما ظل بعيداً عن أثر الكيرجما، أو مما تم عزله عن طبقاتها.

خامساً: أن المسيح التاريخي مسيح نبيّ، ولم يكن قط شيئاً آخر.

سادساً: امتاز الإسلام ليس عن اليهودية والمسيحية فحسب، بل عن كل فكر أو تصور سابق في تاريخ الدين والنبوة في العالم، وذلك بإثبات العصمة للأنبياء، تلك العصمة التي تمثل الضامن الوحيد للبشرية في اتباعها للوحي الإسلامي المعصوم في تلقيه ونقله ووجوده، والصادر من فم رسول معصوم لا مجال للخطأ أو الزيغ فيما يبلّغه، ولا استنكاف في الانقياد له، وهو من بلغ الكمال البشري في أخلاقه وخلقه.

* * *

* *

*

ملاحق البحث

شرح الملاحق وبيان مصادرها

ملحق ١ : خريطة مملكة داود

Yohanan Aharoni, Der Bibel Atlas, Augsburg 1991 .

ملحق ٢ : خريطة لتعيين محطات الخروج الإسرائيلي

Yohanan Aharoni, Der Bibel Atlas, Augsburg 1991 .

ملحق ٣ : مسارات مقترحة لطريق الخروج الإسرائيلي

Michael Avi - Yonah, Der Bibel Atlas, Munschen 1989 .

ملحق ٤ : الطريق الطبيعي والتقليدي لخروج الإسرائيليين

Bibel Atlas, London 1975 .

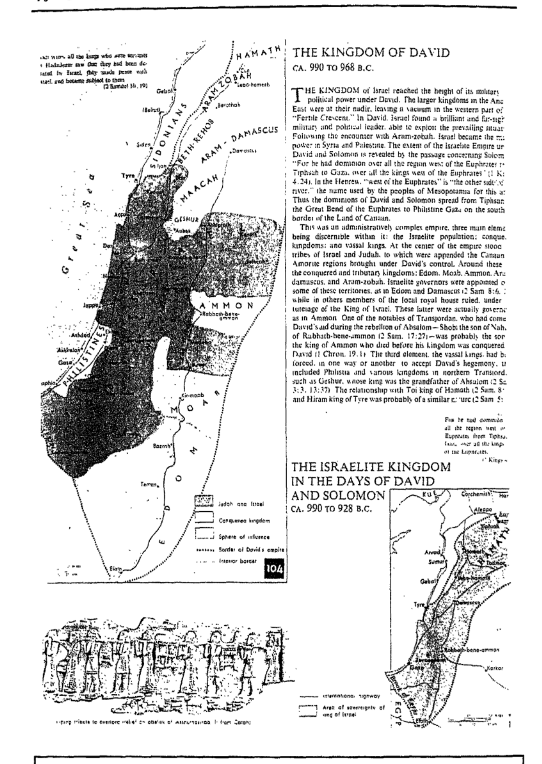
ملحق ٥ : خريطة لفلسطين توضح حجم وموقع الناصرة فيها.

مقدمة العهد الجديد للكاثوليك - دار المشرق. بيروت ١٩٨٩ .

ملحق ٦ : لقطات من القرن العاشر الميلادي تصور تلقي يوحنا الإنجيلي الوحي.

Paul Huber, Apokalypse, Dusseldorf 1989 .

ملحق ٧: أيقونة من القرن الحادي عشر للقديس سانت جريجور أثناء تلقيه الوحي. من كتالوج Bernward von Hildeshein, 1993.



THE KINGDOM OF DAVID

CA. 990 TO 968 B.C.

THE KINGDOM of Israel reached the height of its militar political power under David. The larger kingdoms in the An East were at their nadir, leaving a vacuum in the western part of "Fertile Crescent." In David, Israel found a brilliant and far-sigh military and political leader, able to exploit the prevailing situat Following the encounter with Aram-zobah, Israel became the m power in Syria and Palestine. The extent of the Israelite Empire u David and Solomon is revealed by the passage concerning Solom "For he had dominion over all the region west of the Euphrates f Tiphsah to Gaza, over all the kings west of the Euphrates" (1 K 4:24). In the Hebrew, "west of the Euphrates" is "the other side of river," the name used by the peoples of Mesopotamia for this a Thus the dominions of David and Solomon spread from Tiphsah the Great Bend of the Euphrates to Philistine Gaza on the south border of the Land of Canaan.

This was an administratively complex empire, three main eleme being discernible within it: the Israelite population; conque kingdoms; and vassal kings. At the center of the empire stood tribes of Israel and Judah, to which were appended the Canaan Amorite regions brought under David's control. Around these the conquered and tributary kingdoms: Edom, Moab, Ammon, Ara damascus, and Aram-zobah. Israelite governors were appointed o some of these territories, as in Edom and Damascus (2 Sam 8:6, while in others members of the local royal house ruled, under tutelage of the King of Israel. These latter were actually governe as in Ammon. One of the notables of Transjordan, who had come David's aid during the rebellion of Absalom—Shobi the son of Nah, of Rabbath-bene-ammon (2 Sam. 17:27)—was probably the son the king of Ammon who died before his kingdom was conquered David (1 Chron. 19:1). The third element, the vassal kings, had b forced, in one way or another, to accept David's hegemony, t included Philistia and various kingdoms in northern Transjord, such as Geshur, whose king was the grandfather of Absalom (2 Sa 3:3, 13:37). The relationship with Toi king of Hamath (2 Sam. 8 and Hiram king of Tyre was probably of a similar nature (2 Sam 5:

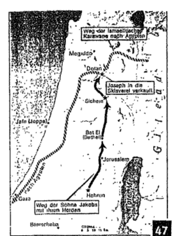
For he had dominion all the region west of Euphrates from Tiphsa Gaza, over all the kings of the Euphrates.

1 Kings

THE ISRAELITE KINGDOM IN THE DAYS OF DAVID AND SOLOMON

CA. 990 TO 928 B.C.

الملحق رقم (١)



"Siehe, da kam eine Karawane von Ismaelitern aus Gilead. Ihre Kamele waren mit Gummi, Balsam und Harz beladen, und sie waren auf dem Wege nach Ägypten." (Genesis [1. Mos.] 37, 25)

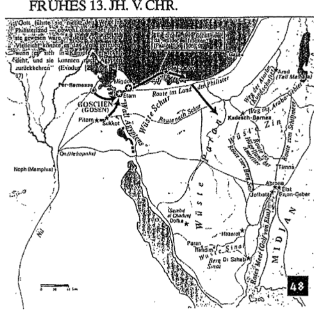
JOSEPH WIRD VERKAUFT 14. JH. V. CHR.

47 GEN (1. MOS.) 37

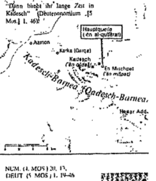
Die beiden Hauptereignisse zu Beginn der Geschichte der Juden sind der Auszug aus Ägypten und der Aufenthalt in der Wüste Sinai. Die Josephserzählung dient dazu, die Wanderung des Volkes Israel nach Ägypten zu erklären. Wanderungen von Nomadenstämmen in Dürrejahren waren normal. Die Stämme brauchten Weideland für ihre Herden, wenn sie überleben wollten, und wir hören auch in altägyptischen Dokumenten von derartigen Wanderungen. Die ägyptischen Grenzfestungen werden in der Bibel als »Schur (wörtlich: Mauer) Ägyptens« bezeichnet. Uneinig ist man, was den Zeitpunkt der israelitischen Einwanderung in Ägypten angeht. Manche Gelehrte verlegen ihn – wie schon Flavius Josephus – in die Hyksoszeit, doch kann man sich kaum vorstellen, daß die israelitischen Stämme so lange in Ägypten geblieben sein sollen. Außerdem geht aus der Josephslegende klar hervor, daß sie keineswegs als Eroberer kamen.

Vielmehr weisen der Verlauf der Reise von Joseph und seinen Ver[…]ten nach Ägypten sowie die Ansiedlung seiner Familie im Lande Go[…] (Gosen) eher in die Amarnazeit oder in deren Nähe.
Die Bibelstelle: »Da kam ein neuer Pharao, der wußte nichts von Jo[…] (Exodus [2. Mos.] 1, 8), bezieht sich anscheinend auf Ramses II., in d[…] Regierungszeit das Volk Israel Ägypten verließ. Ramses II. (1290-[…] v. Chr.) ist die herausragende Herrschergestalt der XIX. Dynastie. A[…] Stelle des alten Zoan (Tanis) ließ er von Zwangsarbeitern eine […] Hauptstadt – Per Ramesse (»Haus Ramses'«) – errichten. Viel[…] profitierten die Israeliten von Ramses' Schwächung durch die Niede[…] von Qadesch. Doch die uns vorliegenden Informationen sind zu spä[…] um irgendeine Festlegung zu erlauben.
Die Israeliten nahmen nicht die kurze Via Maris, die in der Bibel »[…] ins Land der Philister« genannt wird (der Name stammt aus späterer […] weil sie den zahlreichen ägyptischen Posten und Festungen an […] Straße ausweichen wollten. Migdol und Baal-Zafon, die zu Begin[…] Auszugs erwähnt werden (Exodus [2. Mos.] 14, 2; Num. [4. Mos.] 3[…] sind aus ägyptischen Quellen als Festungen am Nordostrand des Del[…] bietes bekannt. Daraus geht hervor, daß der Exodus im Norden be[…] und daß Jam Suph (das »Schilfmeer«) dort zu suchen ist (später bez[…] nete der Name allerdings den Golf von Elat [so z. B. 1. Kön. 9, 26 […] anderswo]).
Die zahlreichen Lagerplätze der Kinder Israels (Num. [4. Mos.] 33, […] lassen sich nicht mehr genau bestimmen, und die Ortsangaben auf un[…] Karte beruhen auf Vermutungen. Fest steht lediglich, wo sich Kad[…] Barnea (Qadesch-Barnea) befand – eine quellenreiche Gegend am […] rand des Landes Kanaan. Diese Oase war Mittelpunkt israeliti[…] Niederlassungen in der Wüste. Hier vereinigten sich Israels Stäm[…] einer Nation mit einer alle verbindenden Vision. Im übrigen verteilen […] die Lagerplätze des Wüstenmarsches über die ganze Halbinsel Sin[…] der Bibel: »Wüste Paran«). Der Überlieferung zufolge ist der Berg […] einer der Granitberge im Süden der Halbinsel, wo die alten Äg[…] Türkis und Kupfer gewannen.

EXODUS UND AUSZUGSROUTE FRÜHES 13. JH. V. CHR.



KADESCH-BAR[…] (QADESCH-BAR[…] FRÜHES 13. JH. V. C[…]



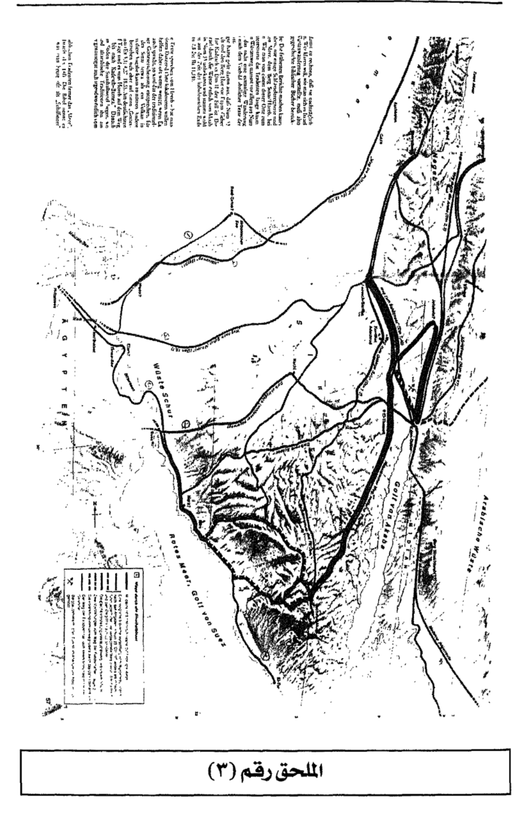
NUM. (4. MOS.) 20, 13,
DEUT. (5. MOS.) 1, 19-46



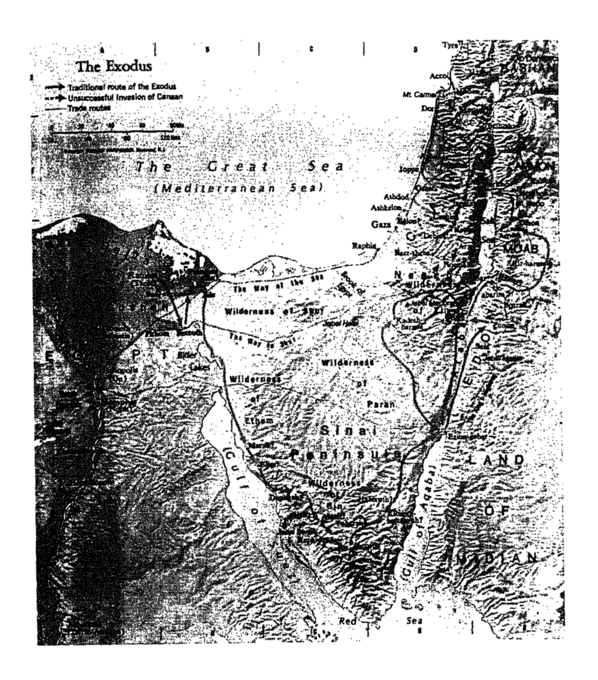
Hauptstadt
Grenzfestung
Stadt und Grenzfestung
Bedeutendere Route

EX. (2. MOS.) 12, 37-19, 1,
NUM. (4. MOS.) 10, 11-12; 33, 1-36

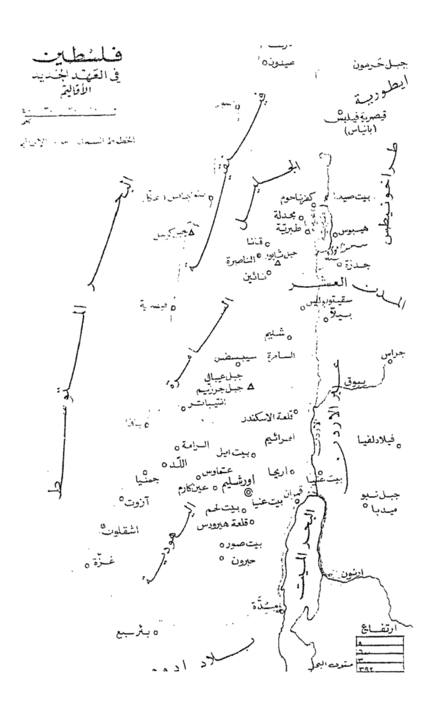
الملحق رقم (٢)


Wüste Schur
Rotes Meer, Golf von Suez
Golf von Akaba
Arabische Wüste
ÄGYPTEN

الملحق رقم (٣)


The Exodus
Traditional route of the Exodus
Unsuccessful invasion of Canaan
Trade routes
The Great Sea
(Mediterranean Sea)
Tyre
Acco
Mt Carmel
Dor
Joppa
Ashdod
Ashkelon
Gaza
Raphia
MOAB
The Way of the Sea
Wilderness of Shur
The Way to Shur
Jebel Helal
Bitter Lakes
Wilderness of Paran
Wilderness of Etham
Sinai Peninsula
Gulf of Suez
Gulf of Aqaba
EDOM
LAND OF MIDIAN
Red Sea

الملحق رقم (٤)


فلسطين
في العهد الجديد
الأقاليم
جبل حرمون
صيدون
ايطورية
قيصرية فيلبس
(بانياس)
طراخونيطس
الجليل
بيت صيدا
كفرناحوم
مجدلة
طبرية
هيبوس
قانا
جبل ثابور
الناصرة
نائين
جدرة
العشر المدن
سقيتوبوليس
بيلا
شليم
السامرة
سيبسطس
جراس
جبل عيبال
جبل جرزيم
انتيباترس
قلعة الاسكندر
افرائيم
فيلادلفيا
الرامة
بيت ايل
اللد
عمواس
اريحا
بيت عنيا
جمنيا
اورشليم
عين كارم
آزوت
قمران
بيت عنيا
جبل نبو
ميدبا
بيت لحم
قلعة هيرودس
اشقلون
اليهودية
بيت صور
حبرون
غزة
البحر الميت
ارنون
مسدة
بئر سبع
ارتفاع
بلاد ادوم

الملحق رقم (٥)



Paul Huber, Apokalypse, S. 13, Düsseldorf 1989.

الملحق رقم (٦)



الملحق رقم (٧)

جريدة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: السنـة النبـوية

١ ـ سنن ابن ماجة.

٢ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح).

٣ ـ صحيح البخاري.

٤ ـ صحيح مسلم.

ثالثاً: الكتب المقدسة في اليهودية والمسيحية

١ ـ التوارة السامرية.

نشرة دار الأنصار. القاهرة ١٩٧٨ م.

٢ ـ العهد الجديد (نسخة البروتستانت)

نشرة وليم واطسـن ـ لندن ١٨٥٧ م، بتصوير من مكتـبة السـائح. بيروت ١٩٨٣ م.

٣ ـ العهد الجديد (نسخة الكاثوليك)

اعتماد بولس باسيم ـ دار المشرق ـ بيروت ١٩٨٩م.

٤ ـ العهد القديم (نسخة البروتستانت)

نشرة وليم واطسن ـ لندن ١٨٥٧ م.

٥ ـ العهد القديم (نسخة الكاثوليك)

اعتماد بولس باسيم ـ دار المشرق ـ بيروت ١٩٨٩ م.

6 - Biblica Hebraica Stuttgartensia, Stuttgart 1984 .

7 - Der Babylonische Talmud, Herusgeber : L. Goldschmidt. Niederland 1933 .

8 - Die Didache, Erklart von : Kurt nieder Wimmer, Gottingen 1993 .

9 - Septuaginta , Stuttgart 1982 .

رابعاً: دوائر المعارف والقواميس المتخصصة

١ ـ قاموس الكتاب المقدس، بإشراف: بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة. القاهرة ١٩٩١ .

٢ ـ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ـ بيروت ١٨٦٩ م

3 - Bibel - Lexikon, Hersg von : Herbert Haag, Koln 1986 .

4 - Encyclopedia Britanica (U . S . A) 1960 .

5 - Lexikon Religioser Grundbegriffe, Adel Theodor Khoury, Wien Koln 1987 .

6 - Lexikon der Katholischen Dogmatik, Hrsg . Von : Wolfgang Beinert Wien 1987 .

7 - Lexikon Fur Theologie und Kirche, (Hrsg von : Josef Hofer UKarl Rohrer) Freiburg 1961 .

8 - Neues Bibel - Lexikon , Hersg .von : Manfred Gorg, Zurich 1992 .

9 - Theologische Realen enzyklopudie, London - New York Bonn

10 - Theologenlexikon, Hrsg von: Wilfried Harle u . Harold Wagner Munschen 1987 .

11 - Theologisches Worterbuch zum Alten Testament, stuttgart 1976 .

12 - Theologisches Worterbuch zum Neuen Testament, Hrsgvon : Gerhard Friedrich, Stuttgart 1959 .

خامساً: المعاجم اللغوية

1- Lexikon der Agyptologie, Hrausg . von : wolfgang Helck , Wiesbaden 1984 .

2 - Hebraisch und Aramaisch Wilhelm Gesenius, Handworterbuch uber das Alte Testameent, Berlin 1962.

سادساً: الدوريات

١ ـ مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) فؤاد الأول عدد ٩ (مايو١٩٤٧م).

سابعاً: مصادر ومراجع أخرى

١ ـ إبراهيم مدكور (الدكتور): فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، طبع الحلبي، القاهرة ١٩٤٧ م.

٢ ـ إبراهيم موسى هنداوي: الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م.

٣ ـ ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، طبع المدني القاهرة، د.ت.

ـ الصفدية، طبع على نفقة الملك فيصل، الرياض ١٩٧٦.

ـ معارج الوصول، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٧ هـ.

ـ النبوات، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، د. ت.

٤ ـ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية. القاهرة، د. ت.

٥ ـ ابن القيم: هداية الحيارى، بتحقيق أحمد السقا حجازي، المكتبة القيمة، القاهرة ١٣٩٩ هـ.

٦ ـ ابن كمونة (اليهودي): تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، طبع دار الأنصار، د. ت.

٧ ـ ابن المقفع (ساويرس): تفسير الأمانة المقدسة، باريس ١٩١٠ م.

٨ ـ ابن ميمون (موسى): دلالة الحائرين، بمراجعة حسين آتاى، جامعة أنقرة ١٩٧٢ م.

٩ ـ أبو البركات المعروف بابن كير: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، بتحقيق سمير خليل. القاهرة ١٩٧١ م.

١٠ ـ أبو قرّة (تيودور): ميمر في وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢ م.

١١ ـ أحمد عبد الوهاب (المهندس): النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٨٨م.

ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٨٨ م.

١٢ ـ جان كمبى (الأب): تاريخ الكنيسة، دار المشرق. بيروت ١٩٩٤ م.

١٣ ـ جينيب (شارل): المسيحية، بترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، الطبعة الثانية. د. ت.

١٤ ـ الحداد (يوسف درة): مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية) بدون بيانات.

١٥ ـ حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، دار التنوير. بيروت ١٩٨٨م.

١٦ ـ حنين بن إسحاق: كيفية إدراك حقيقة الديانة.

١٧ ـ سبينوزا (باروخ): رسالة في اللاهوت والسياسة، بترجمة حسن حنفي. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١ م.

١٨ ـ سعيد بن حسن الإسكندري: مسالك النظر فى نبوة سيد البشر، بتحقيق الدكتور محمد الشرقاوي. مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٨م.

١٩ ـ سلوى ناظم (الدكتورة): الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، مطابع المستقبل. بور سعيد، د. ت.

٢٠ ـ سيجال م. ص: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل. بترجمة الدكتور حسن ظاظا ضمن كتابه «أبحاث فى الفكر اليهودي». دار القلم. دمشق ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢١ ـ الشرفي (عبد المجيد): الفكر الإسلامي فى الرد على النصارى، نشر كلية الآداب، تونس ١٩٨٦م.

٢٢ ـ شنودة (السرياني): الكنيسة المسيحية في عصر الرسل طبع لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية ١٩٧١ م.

٢٣ ـ ظفر الإسلام خان: التلمود، طبع دار النفائس. بيروت ١٩٨٥ م.

٢٤ ـ عبد الأحد داود: محمد فى الكتاب المقدس، بترجمة فهمي شما. طبع رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ١٩٨٥م.

٢٥ ـ عبدالجبار (القاضي): المغني، الجزء الخامس عشر بتحقيق الدكتور محمود قاسم والدكتور محمود الخضيري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٥م.

٢٦ ـ عبد الراضي محمد عبد المحسن (الدكتور):

ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، دار الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

ـ نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء، الدار العالمية للكتاب الإسلامي. الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٧ ـ فوس (جيرهارد): علم اللاهوت الكتابي، بترجمة عزت زكي. دار الثقافة العربية. القاهرة ١٩٨٢ م.

٢٨ ـ الفيومي (سعديا): الأمانات والاعتقادات، بتحقيق د. س. لانداور ـ ليدن ١٩٨٠ م.

٢٩ ـ القرطبي (المفسر): الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. بتحقيق أحمد السقا حجاري، دار التراث العربي. القاهرة، د. ت.

٣٠ ـ محمد خليفة حسن (الدكتور): ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الزهراء للنشر. القاهرة ١٩٩١ م.

٣١ ـ محمد عبد الله الشرقاوي (الدكتور): في مقارنة الأديان، دار الهداية، القاهرة ١٩٨٦ م.

ـ التلمود، مكتبة الزهراء ١٩٨٩ م.

ـ الإيمان، مكتبة الزهراء ١٩٨٩ م.

ـ القرآن والكون. مكتبة الزهراء ـ القاهرة د. ت.

٣٢ ـ محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، دار الباز للنشر والتوزيع، د. ت.

٣٣ ـ مطر (إبراهيم): النبوة والأنبياء، مكتبة المشعل الإنجيلية. بيروت ١٩٥٨م.

٣٤ ـ منى ناظم (الدكتورة): المسيح اليهودي، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر ـ الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٦ م.

٣٥ ـ موريس بوكاي: القرآن والتوارة والإنجيل والعلم، دار المعارف. القاهرة. د. ت.

ـ ما أصل الإنسان ؟ نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج د. ت.

٣٦ ـ نقـولا يعقـوب غبـريال: أبحاث المجـتهـدين فى الخلاف بين النصـارى والمسلمين.

٣٧ ـ ولفنسون (إسرائيل): مـوسى بن ميمون: مطبعة لجنة التـأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦ م.

٣٨ ـ يوحنا سلامـة: اللآلىء النفيسـة في شرح طقوس ومـعتقدات الكنيسـة، مكتبة مار جرجس بشبرا. بدون تاريخ.

ثامناً: مراجع باللغات الأجنبية

(1) Alion J., Etude Sur le Prophetisme chretien depuis les Origines Jusqu uaLan 150, Paris 1911 .

2 - Aristeas To Philocrates Letter of Aristeas , Edited and Translated by Moses Hodas, New york 1973 .

3 - Audet J., A hebrew -Aramaic List of Books of the old Testament in Greek, London 1980 .

4- Aune D.E., Prophecy in Early Christianity and The Ancient Mediterranean World, Grand Rapids , Mich , 1983 .

- Christian Prophecy and the Sayings of Jesus, in : Society of Biblical Literatur 1975 , 11 131 - 141 .

5- Bacher W., Die Bibelexegese Moses Maimunis, Gregg international Publischer, s Limeted 1972 .

- Die Bibelexegese der Judischen Religionphilosophen des Mittelalters. Deutschland 1972 .

- Moses ben Maimon : Sein Leben, seine Werke und Seine Einfluss / Heraus gegeben Von : W . Bacher Leipzig 1908 .

6 - Baird W., Waht is the Kerygma , JBL Lxx. VI, 1957 .

7 - Baltzer, K., Die Biographie der Propheten, Neukirchen 1975 .

8 - Baumgartner W., Die literarischen Gattungen in der Weisheit des Jesus Sirach / ZAW 34 (1914) .

9 - Benazeck J ., Le Prophetisme chretien depuis Les Origines Jusqu au posteur d Hermas . Paris 1897 .

10 -Berger K., Theologiegeschichte des Urchristentums, Basel 1994 .

11 -Bertram G., Praeparation Evangelica in der Septuginta, in : VT . VII 1957 .

12 - Betz O., Offenbarung und Schrifftforschung in der Qumran Sekte, Tubingen 1960 .

13 - Beyse, K. M , Serubbabel und die Konigserwartungen der Propheten Haggai und Sacharja, Sttutgart 1972 .

14 - Blenkinsopp. J, Ahistory of prophecy in Israel : From the Settlement in the Land to the hellenistic Period, London 1984 .

15 - Bon H., Wunder .Wissenschatf und Kirche, Darmstadt 1990 .

16 - Born W., Christlicher Glaube und Naturwissenschaft, Befe 1954 .

17 - Braun H., Gesammelte Studien zum Neuen Testament und seiner Umwelt, Tubingen 1967 .

- Der Sinn der neutestamentlichen Christologie, ZTHK 54 (1957) .

18 - Bultmann R., Die Geschichte der synoptiscen Tradition, Gottingen 1931 .

- Die Erforschung der synoptischen Evangelin, Giessen 1925 .

- Theologie des Neuen Testaments, Tubingen 1954 .

- Jesus, Hamburg 1967 .

- Das Verhaltnis der urchristlichen Christusbotschft zum historischen Jesus . in Exegetica Hrsg von : Erich Dinkler . Tubingen 1967.

- Theologie des Neuen Testaments, Tubingen 1958 .

- Das Urchristentum im Rahmen der antiken Religionen . Zurich 1960

- Neues Testament und Mythologie, in : Kerygma und Mythos, Hrsg . von : Hans - Werner Barrsch . Hamburg 1960 .

- Die Bedeutung des geschichtlichen Jesus fur die Theologie des Pauls. Munschen 1929 .

- Ist die Apokalyptik die Mutter der christlichen Theologie? in : Exegetic .Tubingen 1967 .

19 - Brevard S . Childs , The New Testament as Canon, London 1984.

20 - Colpe C., Die Religionsgeschichtliche Schule, Gottingen 1961 .

- Das Siegel der Propheten, Berlin 1990 .

21- Clemen C., Religionsgeschichtliche Erklarung des Neuen Testaments, Giavsen Giessen 1924 .

22 - Conzelmann H., Grundriss der Theologie des Neuen Testaments, Tubingen 1968 .

23 - Cryer F.H., Prophetie und geschichtliche Wirklichkeit in alte Israel. Festschrift . Heraus gegeben von Rudiger Liwak und Siggfried Wagner . Berlin 1989 .

24 - Cullmann O., Die Christologie des NT, Tubigen 1963 .

25 - Dautzenberg G., Urchristliche Prophetie, Koln 1975 .

- Prophetie in urchristlichen Gemeinde ,. Bibel u . Kirche. Heft 4/ 4 - 1983 .

26 - Deis F:L- , Kriterien Fur die historische Beurteilung der Jesus Uberlieferung in den Evangelien, in: Ruckfrage nach Jesus Hrsg. von : Karl Kertelge, . Basel - Wien 1974 .

27 - Denznger H., Kompendium der Glaubensbekenntins und kirchlichen Lehrentscheidungen, Wien 1991 .

28 - Dibelius M., Geschichtliche und ubergeschichtliche Religion im Christentum, in : Die Frage nach dem historischen Jesus, Hrsg von : Manfred Baumotte, Gutersloh 1984 .

29 - Diepold P., Israelsland, BWANT 95 , 1972 .

30 - Dodd C. H., Jesus als Lehrer und Prophet, in : Mysterium Christy, Berlin 1931 .

31 - Duhm B , Israels Propheten . Tubingen 1922 .

- Das Buch Jesaja . Gottingen 1968 .

32 - Evans C.F. : The Kerygma, JTS . 1956 .

33 - Fascher E., Der Prophet eine sprach und religinosgeschichtliche Untersuchung, Giessen 1927 .

34 - Feld W., Artikel Bund in : Th WATI (1973) 781 - 808 .

35 - Finkelstein L., The Jewish Religion its Belifs and Pracices, in : The Jews, Their Religin and Culture . ed by L . Finkelstein , Schocken Books, New york 1970 .

36 - Fohrer G., Die symboloischen Handlungen der Propheten (A T hANT 54) Zurich 1968 .

- Einleitung in das Alten Testament, Heidelberg 1969 .

37 - Goldammer K., der Kerygma - Begriff in der altesten christlichen Literatur , ZNW 48 . Berlin 1957 .

38 - Graf G., Geschichte der christlichen arabischen Literatur , (5 Bande) Roma 1944, Biblioteca Apostolica Vaticana .

39 - Grillmeier A., Jesus der Christus im Glauben der Kirche , Basel - Wien 1990 .

40 - Gunkel H., Die Wirkung des Heiligen Geistes nach den popularen Anschauung apostolischen Zeit und der Lehre des Apostels Paulus, Gottingen 1990 , 1888 .

41 - Hahn F., Urchristliche und neutestamentliche Theologie. exegetiche und fundamentaltheologiche Uberlegunen zum Problem christlicher Lehre.in:Die Theologie und das Lehramt (Q D 91) Freiburg1982

- Christologische Hoheitstitel . Gottingen 1966 .

42 - Hanhart R., Fragen um die Entstehung der LXX, in : Vetus Testamentum . XLL 1962 .

- Die Septuaginta, in : Supplements Vetus Testamentum, Volum XXII, Leiden 1972 .

43 - Harnack A.V., Marcion, Leipzig 1924 .

- Mission und Ausbreitung des Christentum in der ersten drei Jahrhunderten, Leipzig 1924 .

- Das N . T. um das jahr 200, Freiburg 1889 .

- Die Lehre der Zwolf Apostel, Leipzig. 1884 .

44 - Hempel J., Die althebraische Literatur, Berlin 1968 .

45- Hengel M., NT und Geschichte, in Christologie und neutestamentliche Chronologie, (Hrsg) Bo Reicke, Tubingen 1972 .

- Jesus definiert Jesus als "messianischer Lehrer der Weisheit" in : Sagesse et Religion . Cologue de Strasbourg (October 1976) . Paris 1979 .

- Judentum und Hellenismus, Tubingen 1973 .

46 - Heussi K., Kompendium der Kirchengeschichte, Tubingen 1987.

47 - Hirschler H., Jesus von Nazareth - Sohn Gottes, Gottinger Quellenhefte. 2 , Hrsg , Gerhardlsrmann. Wuppter Tel 1964.

48 - Hoffmann paul , Studien zur Theologie der Logienquelle, Munster 1981

- Die Anfange der Theologie der Logien Quelle, in : Gestalt Anspruch des Neuen Testaments, Hrsg. von : Josef Schreiner, Wurzburg 1969 .

49 - Hofius Otfried, Ist Jeus der Messias ? in : Der Messias (Jahrbuch fur biblische Theologie, Bund 8) . Neukirchen 1993 .

50 - Homer, Odyssee : Ubersetzt von Johann Heinrichvoss, Stuttgart 1956 .

51 - Hoskyns, N ., Das Ratsel des Neuen Testaments, Munschen 1957.

52 - Hossfeld F . L., Prophet gegen Prophet, Biblishe Beitrage , Sttutgart 1973 .

53 - Howorth Henry, The Origin and Authority of the Biblical Canon accorrding to the Continental Reformers : Luther and Karlstadt, in : JTS 8 (1906 - 1907) 321 - 356 .

54 - Irsigler H., Artikel : Formgeschichte, / Formkritik, in : Lexikon fur Theologie und Kirche . Band 11 . 1994 .

- Der Gottesbund im Alten Testament, (Vorlessung WS 1994 Bamberg) .

- Prophetie und Propheten Literatur, (Vorlessung WS 1992 Bamberg) .

55- Jacob G ., Die Beziehungen der Religionsphilosophie des Maimonides zu den Lehren seiner Judischen Vorganger / in: Moses Ben Maimon II 220 - 221 .

56 - Jepsen A., Zur Kanongeschichte des Alten Testaments, in : Zeitschrift Fur Die Alttestamentliche Wissensschaft. Herausg. Von :

Otto Eissfeld (Band 71 . S : 114 - 136) Berlin 1959 .
- NABI , Munschen 1934 .

57 - Jordan H., Was verstand das alteste Christentum unter Wunder ? in Der Wunder begriff im Neuen Testament, Hrsg von : Alfred Suhl. Darmstadt 1980 .

58 - Josephus, Der Judische Krieg (DE Bello Judoica) Hrsg , von : otto Michel, Darmstadt 1969 .
- Judische Altertumer / XVIII . 5, 2 / . Wiesbaden 1985 .
- Against Apion, London 1966 .

59 - Kahler M., Der Sogenannte historische Jesus und der geschichtliche biblische Christus, Munschen 1961 .

60 - Kaiser O., Einleitung in das Alte Testament , Gutersloh 1969 .

61 - Kasemann E. (Hrsg) , Das N . T als Kanon, Gottingen .
- Die Anfange christlicher Theologie, in : Exegetsche Versuche und Besinnungen, Hrsg : Wolfgang Schrage, Gottingen 1986 .
- Satze heiligen Rechts im N. T , in : ders , Exegetische Versuche und Besinnungen I , Gottingen 1965 .

62 - Katechismus der katholischen Kirche, Leipzig - Schweis - Freiburg . 1993 .

63 - Khoury A .T., Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam, Pader born 1969 .

64 - Klausner J., Jesus von Nazareth (Seine zeit, sein Leben und seine Lehre) , Berlin 1952 .

65 - Koch K., Was ist Formgeschichte ? Neykirchen 1989 .
- Die Propheten, I Assyrische . II Babylonisch - Persische Zeit. Sttutgart 1978 .

66 - Karaft H., Die altkirchliche Prophetie, in : Thz 11 . Basel 1955 .

- Von Ende der urchristlichen Prophetie , in : Supplement to Novum Testamentum , Volume XLV,. Leiden 1977 .

67 - Kramer W., Christos, Kyrios . Gottessohn, Untersuchungen zu Gebrauch u . Bedeutung der christologischen Gemeinde . Ath ANT (44) Zurich 1963 .

68 - Kraus H. J. , Geschichte der historisch - kritischen Erforschung des Alten Testament, Neukirchen-Vluyn .1969 .

69 - Kummel W. G., Einleitung in das Neue Testament , Heidelberg 1983 .

- Das Neue Testament, Munschen 1970 .

- Das Neue Testament, Geschichte der Erforschung seiner Propleme, Munschen 1970 .

- Einleitung in das Neue Testament, Heidelberg 1983

- Die Theologie des Neuen Testament nach ihren Hauptzeugen . Gottingen 1980 .

70 - Kung H., Christ Sein, Munschen - Zurich 1974 .

71 - Lais H., Was sagt die Kirche zum Wunder ? in : Wunder Magie , Gesammelten Beitrage, Wurzburg 1962 .

72 - Lang , Barnhard , Wie wird man Prophet in Israel ?, Dusseldorf 1980 .

73 - Levinson Pnina Nave, Einfuhrung in die Rabbinische Theologie, Darmstadt 1982 .

74 - Lindemann A. , Jesus in der Theologie des Neuen Testaments, in : Jesus Christus in Historie und Theologie, Tubingen 1975 .

75 - Lohse E., Die Frage nach dem historischen Jesus in der gegenwartigen neutestamentlichen Forschung, in: Th L Z 87 (1962).

- Die Texte aus Qumran, Darmstagt 1986 .

- Grundriss der neutestamentlichen Theologie , Koln 1974 .

- Die Entstehung des Neuen Testamants , Berlin 1991.

76 - Luhrmann D. , Redaktion, Neukirchen - Vluyn 1969 .

77 - Maier G., Menschen und freier Wille . Nach den Judischen Religionsparteien zwischen Ben Sira und Paulus .

78 - Maier J ., Kurt Schubert, Die Qumran - Essener, Munschen 1982 .

79 - Marbuck J., Die Geschichte Israels als Bundesgeschichte nach den Sirachbuch. in : Der Neu Bund im Alten, heraus gegeben von Erich Zenger /177 .

- Weisheit im Wandel, Bonn 1971 .

80 - Menegoz E., Der biblische Wunder begriff, in : Der Wunderbegriff in Neuen Testament , Hrausg . von : Alfred Suhl, Darmstadt 1980 .

81 - Merendino . R . P, Das deuteronomische Gesetz, BBB 31 (1969).

82 - Metzger B., Der Kanon des N . T, Dusseldorf 1993 .

83 - MeyerA., Wer hat das Christentum begrundet, Jesus oder Paulus? Munschen 1907 .

84 - MeyerR., Der Prophet aus Galilaa, Darmstadt 1970 .

85 - Mundelein G., Kriterien wahrer und falscher Prophetie, Frankfurt 1979 .

86 - Morenz S., Agyptische Religion, Stuttgart 1960 .

87 - Mussner F., Die Wunder Jesu, Munschen 1967 .

88 - Neirynck F.,Chronica Theintemational Q Project, in: Ephemerides Theological Lovanienses 69 (1 / 1993) .

89 - Nicholson , God and his people, Covenant and Theoligy in The Old Testament . Oxford 1986 .

90 - NietzscheF., Morgenrote, Leipzig 1906 .

91 - Osswald. E , Falsche Prophetie im Alten Testament . SGV237, 1962

92 - Panagopulos J., Die urchristliche Prophetie, in : Supplements to Novum Testamentum , Edited by : J .Panagopulos, Leiden 1977

93 - Petzke G., Historizitat und Bedutsamkeit von Wunderberichten, in : N . T und christliche Existen, (F.S) Hrsg von : Hon Betz.

94 - Philo von Alexandrien / Die Werke im deutscher Ubersetzung, herausg von : L .Cohn und L . Heinemann , Berlin 1962 .

95 - Perlitt. L , Bunds Theologie im Alten Testamant WMANT .

96 - Rad . G , V , Die falschen Propheten ZNW 51 (1993) .

97 - Rehm B., Die Pseudo Kleementiness 1 , Berlin 1953 .

98 - Rietzschel, C., Das Problem der Urrole (Ein Beitrag zur Redaktionsgeschichte des Jeremiabuches) Munschen 1966 .

99 - Robinson J. M., Die Bedeuting der Bibliothek von Nag Hammadi fur die heutige Theologie und das fruhe Christentum .Bamberg, 22 . 6 . 93 . (Vortrag) .

- Kerygma und historischer Jesus, Zurich 1960 .

- The Nag Hammadi Library in English, New york 1977 .

- Die Logienquelle : Weisheit oder Prophetie ? Evang . Theol 53 JG, Heft 4 (1993) .

100 - Rogerson J., Old Testament Criticism in The Nineteenth Century, London 1985 .

101 - Rudolph, W , Jeremia, Munschen 1968 .

102 -Rothstein J .W., Juden und Samaritaner, BWAT3 .1908 .

103 - Ruwet J., Le Canon alexandrin des ecritures, Saint Athanase . in : Biblica 33 (1952) .

104 - Sato M., Q und Prophetie, Munschen 1991 .

105 - Schedl Glaus, Talmud Evangelium Synagoge , Wien 1969.

106 - Schepelern W., Der Montanismus, Leipzig 1929 .

107 - Schmidt Wemer H., Einfuhrung in das Alte Testament , Berlin 1989 .

108- Schneemelcher Wilhelm, Neutestamentliche Apokryphen , Tubngen 1987 .

109 - Schnider F. , Jesus der Prophet, Gottingen 1973 .

110 - Schoeps H . J., Die Judischen Prophetenmorde, in : Aus fruh-christliher Zeit, Tubingen 1950 .

111 - Luis Alonso - Schokel, Das Alte Testamrent als Menschenwort und Gottes Wort, in : Wort und Botschaft, herusg von : Joset Schreiner, Wurzburg 1967 .

112 - Schubert P., The Structure and Sigificance of Luke 24, in: Studien. Hrsg. von W . Eltester (BZNW 21) , Berlin 1954 .

113 - Schulz Siegfried, Der historische Jesus, in : Jesus Christus in Historie und Theologie . Hrsg von : Georg Strecker Tubingen 1975 .

- Der Kerygmatische Entwurf der Q Gemeinde Syriens, Stuttgart 1973 .

114 - Schurmann H., Beobachtungen zum Menschsohn Titel. in: Jesus und der Menschen Sohn, Freiburg 1975.

115 - Schweizer A., Geschichte der Leben - Jesu - Forschung , Hamburg 1966 .

116 - Selwyn E. G., The christian Prophets and the prpophetic Apocalypse, London 1900 .

117 - Sigal Phillip , Judentum, Stuttgart 1986 .

118 - Smart N., Die Grossen Religionen, Munschen 1988 .

119 - Smend R., Epochen der Bibelkritik, Munschen 1991 .

- Die Entstehung des Alten Testament, Stuttgrt - Mainz 1968 .

120 - H . Stadelmann , Ben Sira, Tubingen 1980 .

121 - H . Strack, P . Billerbeck, Kommentar zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch, Munschen 1928 .

122- Seitz, G., Redaktionsgeschichtliche Studien zum Deuteronomium BWANT 93 (1971) .

123 - Scholem Gershom, Uber einige Grundbegriffe des Judentums . Frankfurt (1970) .

124 - Stegemann Ekkehard (Hrsg.), Messias - Vorstellumgen bei Juden und Christen : Berlin 1993 .

125 - Scholem Gershom, Sabbatai Zwi, Frankfurt 1992 .

126 - Schmidt , J . M, Prophetie, Koln 1983 .

127 - Strack Hermanr, Einleitung in Talmud und Midrasch, Munschen 1982 .

128 - Stemberger Gunter, der Talmud, Munschen 1982 .

129 - Taylor V., The Names of Jesus, London 1959 .

130 - Tcherikover V., Hellenistic Civilzion and The Jews .

131 - Traub Gottfried, Die Wunder im N .T , in : Der Wunderbegrift im N .T, Darmstadt 1980 .

132 - Trier Darl - Kertelge , Die Uberliferung der Wunder Jesu und die fragenach dem historischen Jesus, in : Ruckfrage nach Jesu, Hrsg. von : Trier .Wien - Basel 1974 .

133 - Trilling W ., Der Einzug in Jerusalem Mt 21,7 - 17 , in : Neutestamentliche Aufsaetze, Regensburg 1963.

134 - Tucker G. M., Form Criticism of the OT .,I DB Suppl ph.U.S.A 1971.
- Prophecy and the prophetic Literature . ph . / chico . 1985 .

135 - Vielhauer Philipp, Geschichte der urchristlichen Literatur, Berlin 1975.

136 - Van der Woude A .S., Die messianische Vorstellungen der Gemeinde.

- Melchisedek als himmlische Erlosergestalt in den neugefundenen eschatologischen Midraschim aus Qumran Hohle XI / in : OTS 14 (1965) .

137 - Weinel H., Die Wirkungen des Geistes und der Geist im nachapostolischen Zeitalter bis Irenaeus, Freiburg 1899 .

138 - Welhausen J., Einleitung in die drei ersten Evangelien, Berlin 1905.

- Prolegomena zur Geschichte Israels, Berlin 1895 .

- Israelitische und Judische geschichte , Berlin 1904 .

139 - Wasstcott B. F., The Bible in The Church, Grand Rapids (U.S.A) 1980 .

140 - Wikenhauser A ., Einletung in das N . T, Basel - Wien 1959 .

141 - Wildberger H., Jesaja I, .

142 - Wolff H. W., Obadia : ein kultprophet als Interpret , Studien zur Prophetie, Theol Bucherei, Munschen 1987 .

143 - Wolfagang P., Christus in der Sicht der Aufklarungsepoche, . in : Jesus Christus, Das Christus Verstaendins im Wandel der Zeiten . Hrsg .von : Hans Grab und W .G Kummel . Marburg 1963.

144 - Wurthwein E., Der Text des Alten Testament, Stuttgart 1963 .

145 - Zahn T., Geschichte des neutestamentlichen Kanons , Leipzig 1892.

- Grundriss der Geschichte des neutestamentlichen Kanons, Leipzig 1904 .

146 - Zobel M., Gottes Gesalbter, Berlin 1938 .

* * *

الكشافـــات العامـــة

كشاف الأعلام(*)

(*) استثنينا من كشاف الأعلام أسماء الأنبياء والرسل وأصحاب الأسفار لكثرة ورودها في الكتاب.

كشاف الكتب(*)

(*) استثنينا من كشاف الكتب: القرآن الكريم، التوراة، والإنجيل، والعهد الجديد، والعهد القديم، وما فيه من أسفار.

كشاف المصطلحات

*   *   *



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الاسلامية

هـــذا الكتـــاب..

يُلبي هذا الكتاب حاجة المكتبة العربية إلى الدراسات النقدية المتخصصة في فكر الغرب وحضارته ومعتقداته (الاستغراب)، وذلك وفق مناهج البحث العلمي الحديثة، واستناداً إلى نتائج الدراسات والبحوث العلمية الجادة والمصادر والوثائق الأصلية المعتمدة لدى الغربيين..

وهو بذلك يخاطب الغرب ويحاوره بمنهجية ومرجعية يسلّم بها، وبموضوعية تنأى به عن قوالب الأحكام الجاهزة والمصكوكة، وتجنبه السطحية ومخاصمة العلم.

فإذا ما أضيف إلى ذلك شمولية المعالجة والتتبع لمفردات المعتقدات الدينية في الغرب، فإنه يمكن القول بأننا إزاء لبنة وأساس لبناء يمكنه أن يعيد لنا الريادة المفقودة في هذا المجال.

المؤلـف

❖ الدكتور عبدالراضي محمد عبدالمحسن

❖ دكتوراه الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان من جامعتي: القاهرة وبامبرج BAMBERG الألمانية عام ١٩٩٦م.

❖ مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية بدار العلوم . جامعة القاهرة.

✺ مـن مؤلفاتــه:

❖ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، القاهرة ١٩٩٦م.

❖ نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء، الرياض ١٩٩٨م.

❖ الغارة على القرآن الكريم، القاهرة ٢٠٠٠م.

* MUHAMMAD'S PROPHETHOOD: Reality or Hoax. Riyadh;
 International Islamic Publishing House (IIPH), 1999.
 RISTANITY AS SEEN BY IBN TAYMIAH. Riyadh;
 International Islamic Publishing House (IIPH), 2000.

